مجمع البيان

في تفسير القرآن

للشيخ أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي

تصحيح وتحقيق وتعليق

السيد هاشم الرسولي المحلاتي و السيد فضل الله اليزدي الطباطبائي

عفا الله عنهما

دار المعرفة

مجمع البيان

في

تفسير القرآن

لمؤلفه

الشيخ ابي علي الفضل بن الحسن الطبرسي

من أكابر علماء الإمامية في القرن السادس

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

تصحيح وتحقيق وتعليق

السيد هاشم الرسولي المحلاتي و السيد فضل الله اليزدي الطباطبائي

عفا الله عنهما

الجزء الثامن

دار المعرفة

للطباعة والنشر

جميع الحقوق محفوظة للناشر
الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

دار المعرفة
للطباعة والنشر والتوزيع
Publishing & Distributing
DAR EL-MAREFAH

مندبرة المطار ـ تجاه بنك مبكو ـ شارع البحاري ص.ب ٧٨٧٦ تلفون: ٨٣٤٣٠١ ـ ٨٣٤٣٣٢ ـ برقياً معرفكار بيروت ـ لبنان

[الجزء الثامن]

(٢٩) سورة العنكبوت مكية وآياتها تسع وستون

مكية كلها في قول عكرمة وعطاء والكلبي ومدنية في أحد القولين عن ابن عباس وقتادة ومكية إلا عشر آيات من أولها فإنها مدنية عن الحسن وفي أحد القولين عن ابن عباس وهو عن يحيي بن سلام .

[عدد آيها]

تسع وستون آية بالاجماع .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

[اختلافها] ثلاث آيات الم كوفي وتقطعون السبيل حجازي مخلصين له الدين بصريّ شاميّ .

[فضلها] أبيّ بن كعب عن النبي ﷺ قال من قرأ سورة العنكبوت كان له من الأجر عشر حسنات بعدد كل المؤمنين والمنافقين وروى أبو بصير عن أبي عبد الله (ع) من قرأ سورة العنكبوت والروم في شهر رمضان ليلة ثلاث وعشرين فهو والله يا أبا محمد من أهل الجنة لا استثني فيه أبداً ولا أخاف أن يكتب الله عليَّ في يميني إثماً وان لهاتين السورتين من الله مكاناً .

[تفسيرها] ختم الله سبحانه سورة القصص بذكر الوعد والوعيد وافتتح هذه السورة بذكر تكليف العبيد فقال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا

يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ
ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ
يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾ مَن كَانَ
يَرْجُوا۟ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٥﴾

[القراءة] قرأ علي (ع) فليُعْلِمن الذين صدقوا وليُعْلِمن الكاذبين بضم الياء وكسر اللام فيهما وهو المروي عن جعفر ابن محمد ومحمد بن عبد الله بن الحسن ووافقهم الزهري في وليعلمن الكاذبين وقرأ أيضاً وليعلمن المنافقين .

[الحجة] معناه ليعرفن الناس من هم فحذف المفعول الأول كما قال سبحانه يوم ندعو كل اناس بإمامهم وقال يعرف المجرمون بسيماهم وقال ونحشر المجرمين يومئذ زرقاً ويجوز أن يكون من قولهم ثوب معلم وفارس معلم بالكسر إذا أعلم نفسه في الحرب فيكون معناه وليشهرن فيرجع الى المعنى الأول لأنه على تقدير حذف المفعول ويجوز أن يكون على حذف المفعول الثاني أي وليعلمن الصادقين ثواب صدقهم والكاذبين عقاب كذبهم .

[الإعراب] قال الزجاج موضع أنْ الأولى نصب باسم حسب وخبره وموضع أنْ الثانية نصب من جهتين جودهما أن تكون منصوبة بيتركوا فيكون المعنى أحسب الناس أن يتركوا لأن يقولوا أو بأن يقولوا فلما حذف حرف الخفض وصل يتركوا إلى ان فنصب ويجوز أن تكون أن الثانية العامل فيها حسب أي حسب الناس أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون قال أبو علي أما ما ذكره من أنه نصب بيتركوا فإنه بين السقوط لأن ترك فعل يتعدى إلى مفعول واحد فإذا بني للمفعول لم يتعد إلى آخر فإن يقولوا لا يتعلق به ولا يتعدى إليه حتى يقدَّر حرف ثم يقدر الحذف فيصل الفعل وأما ما ذكره من انتصابه فلا يخلو إذا قدر انتصابه به من أن يكون مفعولاً أولاً أو ثانياً أو صفة أو بدلاً فلا يكون مفعولاً أولاً لتعديه إلى المفعول الذي قبله وهو الترك ولا يجوز أن يكون مفعولاً ثانياً من وجهين (أحدهما) ان باب ظننت وأخواته إذا تعدى إلى هذا الضرب من المفعول لم يتعد إلى مفعول ثان ظاهر في اللفظ(والآخر) أن المفعول الثاني هو الأول في المعنى وليس القول الترك ولا يكون أيضاً بدلاً لأنه ليس الأول ولا بعضه مشتملاً عليه ولا يكون أيضاً صفة لأن ان الثانية لحسب وعمله فيها لا يخلو مما ذكرناه فإذا لم يستقم

حمله على شيء مما ذكرناه تبينت موضع اغفاله في المسألة وأقول وبالله التوفيق إن البدل هنا صحيح فإنه إذا قال أحسبوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون وقوله وهم لا يفتنون جملة في موضع الحال فكأنه قال احسبوا أن يدعوا الإيمان غير مختبرين ممتحنين بمشاق التكليف فيكون التقدير في معنى الآية أحسبوا أن يتركوا احسبوا أن يهملوا ولا شك أن الاهمال في معنى الترك فيكون الثاني في معنى الأول بعينه وأما الوجه الأول فإنك لو قدرت اللام فقلت لأن يقولوا أو الباء فقلت بأن يقولوا فلا شك أن الحرف يتعلق بيتركوا فإن الجار والمجرور في موضع نصب به فتساهل الزجاج في العبارة عن المجرور بأنه منصوب وقوله ساء ما يحكمون ما هذه يحتمل وجهين(أحدهما) ان يكون اسماً مفرداً نكرة في موضع النصب على التمييز والتقدير ساء حكماً يحكمون(والثاني) أن يكون حرفاً موصولاً ويحكمون صلته وتقديره ساء الحكم حكمهم .

[النزول] قيل نزلت الآية في عمار بن ياسر وكان يعذب في الله عن ابن جريج وقيل نزلت في أناس مسلمين كانوا بمكة فكتب إليهم من كان في المدينة انه لا يقبل منكم الإقرار بالإسلام حتى تهاجروا فخرجوا إلى المدينة فاتبعهم المشركون فآذوهم وقاتلوهم فمنهم من قتل ومنهم من نجا عن الشعبي وقيل أنه أراد بالناس الذين آمنوا بمكة سلمة بن هشام وعياش ابن أبي ربيعة والوليد بن الوليد وعمار بن ياسر وغيرهم عن ابن عباس .

[المعنى] ﴿ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون﴾ أي أظن الناس أن يقنع منهم بأن يقولوا إنا مؤمنون فقط ويقتصر منهم على هذا القدر ولا يمتحنون بما تبيَّن به حقيقة إيمانهم هذا لا يكون وهذا استفهام انكار وتوبيخ وقيل ان معنى يفتنون يبتلون في أنفسهم وأموالهم عن مجاهد وهو المروي عن أبي عبد الله (ع) ويكون المعنى ولا يشدَّد عليهم التكليف والتعبد ولا يؤمرون ولا ينهون وقيل معناه ولا يصابون بشدائد الدنيا ومصائبها أي أنها لا تندفع بقولهم آمنا وقال الحسن معناه أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا لا إله إلا الله ولا يختبروا أصدقوا أم كذبوا يعني أن مجرد الاقرار لا يكفي والأولى حمله على الجميع إذ لا تنافي فإن المؤمن يكلف بعد الإيمان بالشرائع ويمتحن في النفس والمال ويمنى بالشدائد والهموم والمكاره فينبغي أن يوطن نفسه على هذه الفتنة ليكون الأمر أيسر عليه إذا نزل به ثم أقسم سبحانه فقال ﴿ولقد فتّنا الذين من قبلهم﴾ أي ولقد ابتلينا الذين من قبل أمة محمد ﷺ من سالف الأمم بالفرائض التي افترضناها عليهم أو بالشدائد والمصائب على حسب اختلافهم وذكر ذلك تسلية للمؤمنين قال ابن عباس منهم ابراهيم خليل الرحمن وقوم

كانوا معه ومن بعده نشروا بالمناشير على دين الله فلم يرجعوا عنه وقال غيره يعني بني إسرائيل ابتلوا بفرعون يسومونهم سوء العذاب ﴿فليعلمن الله الذين صدقوا﴾ في إيمانهم ﴿وليعلمن الكاذبين﴾ فيه وإنما قال فليعلمن مع أن الله سبحانه كان عالماً فيما لم يزل بأن المعلوم سيحدث لأنه لا يصح وصفه سبحانه فيما لم يزل بأنه عالم بأنه حادث وإنما يعلمه حادثاً إذا حدث وقيل معناه فليميزن الله الذين صدقوا من الذين كذبوا بالجزاء والمكافأة وعبّر عن الجزاء والتمييز بالعلم لأن كل ذلك إنما يحصل بالعلم فأقام السبب مقام المسبب ومثله في اقامة السبب مقام المسبب قوله تعالى ﴿كانا يأكلان الطعام﴾ فهذا سبب قضاء الحاجة فكنّى بذكره عنها ومعنى صدقوا أي ثبتوا على الشدائد وكذبوا أي لم يثبتوا ومنه قول زهير « إذا ما اللَّيْثُ كَذَّبَ عَنْ أقْرَانِهِ صَدَقا »[1] ﴿أم حسب الذين يعملون السيئات ان يسبقونا﴾ أم هذه استفهام منقطع عما قبله وليست التي هي معادلة الهمزة والمعنى بل أحسب الذين يفعلون الكفر والقبائح أن يفوتونا فوت السابق لغيره ويعجزونا فلا نقدر على أخذهم والانتقام منهم ﴿ساء ما يحكمون﴾ أي بئس الشيء الذي يحكمون ظنّهم أنهم يفوتوننا وروى العياشي بالإسناد عن أبي الحسن (ع) قال جاء العباس إلى أمير المؤمنين (ع) فقال له امش حتى نبايع لك الناس فقال أتراهم فاعلين قال نعم فأين قول الله الٓمٓ أحسب الناس ان يتركوا أن يقولوا آمنا الآيات ﴿من كان يرجو لقاء الله﴾ أي من كان يأمل لقاء ثواب الله وقيل معناه من كان يخاف عقاب الله عن سعيد بن جبير والسدي والرجاء قد يكون بمعنى الخوف كما في قول الشاعر

إذا لَسَعَتْهُ النَّحْلُ لَمْ يَرْجُ لَسْعَهَا وَخَالَفَهَا فِي بَيْتِ نُوبٍ عَوَاسِلِ[2]

والمعنى من كان يخشى البعث ويخاف الجزاء والحساب أو يأمل الثواب فليبادر بالطاعة قبل أن يلحقه الأجل ﴿فإن أجل الله لآت﴾ أي الوقت الذي وقّته الله للثواب والعقاب جاء لا محالة ﴿وهو السميع﴾ لأقوالكم ﴿العليم﴾ بما في ضمائركم .

﴿ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦

(١) تمام البيت « ليث بعثر يصطاد الرجال إذا ما الليث كذب عن أقرانه صدقاً » وعثرت بتشديد الثاء ـ موضع كثير الاسد .

(٢) مر البيت في المجلد بن الثاني والثالث فراجع .

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ
وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ
بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا
تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٩﴾ وَمِنَ
ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ
ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا
مَعَكُمْ ۚ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾

[الإعراب] حسناً مفعول فعل محذوف تقديره ووصينا الإنسان بأن يفعل بوالديه حسناً أي ما يحسن ما ليس لك به علم موصول وصلة في موضع نصب بأنه مفعول تشرك .

[النزول] قال الكلبي نزلت الآية الأخيرة في عياش بن أبي ربيعة المخزومي وذلك أنه أسلم فخاف أهل بيته فهاجر إلى المدينة قبل أن يهاجر النبي ﷺ فحلفت أمه اسماء بنت مخرمة بن أبي جندل التميمي أن لا تأكل ولا تشرب ولا تغسل رأسها ولا تدخل كناً[1] حتى يرجع اليها فلما رأى ابناها أبو جهل والحرث ابنا هشام وهما أخوا عياش لأمه جزعها ركبا في طلبه حتى أتيا المدينة فلقياه وذكرا له القصة فلم يزالا به حتى أخذ عليهما المواثيق أن لا يصرفاه عن دينه وتبعهما وقد كانت أمه صبرت ثلاثة أيام ثم أكلت وشربت فلما خرجوا من المدينة اخذاه وأوثقاه كتافاً وجلده كل واحد منهما مائة جلدة حتى برىء من دين محمد ﷺ جزعا من الضرب وقال ما لا ينبغي فنزلت الآية وكان الحرث اشدهما عليه فحلف عياش لئن قدر عليه خارجاً من الحرم ليضربن عنقه فلما رجعوا إلى مكة مكثوا حيناً ثم هاجر النبي ﷺ والمؤمنون إلى المدينة وهاجر عياش وحسن إسلامه وأسلم الحرث بن هشام وهاجر إلى

(١) الكن - بالكسر - البيت.

المدينة وبايع النبي ﷺ على الإسلام ولم يحضر عياش فلقيه عياش يوماً بظهر قبا ولم يشعر بإسلامه فضرب عنقه فقيل له ان الرجل قد أسلم فاسترجع عياش وبكى ثم أتى النبي ﷺ فأخبره بذلك فنزل ﴿وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأً﴾ الآية وقيل نزلت الآية في ناس من المنافقين يقولون آمنا فإذا أوذوا رجعوا إلى الشرك عن الضحاك وقيل نزلت في قوم ردُّهم المشركون إلى مكة عن قتادة .

[المعنى] لما رغَّب سبحانه في تحقيق الرجاء والخوف بفعل الطاعة عقَّبه بالترغيب في المجاهدة فقال ﴿ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه﴾ أي ومن جاهد الشيطان بدفع وسوسته واغوائه وجاهد اعداء الدين لإحيائه وجاهد نفسه التي هي اعدى اعدائه فإنما يجاهد لنفسه لأن ثواب ذلك عائد عليه وواصل إليه دون الله تعالى ﴿إن الله لغني عن العالمين﴾ غير محتاج إلى طاعتهم فلا يأمرهم ولا ينهاهم لمنفعة ترجع إليه بل لمنفعتهم ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم﴾ التي اقترفوها قبل ذلك أي لنطلبنها حتى تصير كأنهم لم يعملوها ﴿ولنجزينهم أحسن الذي كانوا يعملون﴾ أي يجزيهم بأحسن أعمالهم وهو ما أمروا به من العبادات والطاعات والمعنى لنكفرن سيئاتهم السابقة منهم في حال الكفر ولنجزينهم بحسناتهم التي عملوها في الإسلام ولما أمر سبحانه بمجاهدة الكفار ومباينتهم بيَّن حال الوالدين في ذلك فقال ﴿ووصينا الإنسان بوالديه﴾ أي أمرناه أن يفعل بوالديه ﴿حسناً﴾ وألزمناه ذلك ثم خاطب سبحانه كل واحد من الناس فقال ﴿وان جاهداك﴾ أي وان جاهداك أبواك أيها الإنسان والزماك واستفرغا مجهودهما في دعائك ﴿لتشرك بي﴾ في العبادة ﴿ما ليس لك به علم﴾ أي وليس لأحد به علم ﴿فلا تطعهما﴾ في ذلك فأمر سبحانه اطاعة الوالدين في الواجبات حتماً وفي المباحات ندباً ونهى عن طاعتهما في المحظورات ونفى العلم به كأنه كناية عن تعريه من الأدلة لأنه إذا لم يكن عليه حجة ودليل لم يحصل العلم به فلا يحسن اعتقاده ﴿إلي مرجعكم﴾ أي الى حكمي مصيركم ﴿فأنبئكم بما كنتم تعملون﴾ أي أخبركم بأعمالكم فأجازيكم عليها وروي عن سعد بن أبي وقاص قال كنت رجلاً بَرّاً بأمي فلما أسلمت قالت يا سعد ما هذا الدين الذي أحدثت لتدعنَّ دينك هذا أولاً آكل ولا أشرب حتى أموت فتعير بي فيقال يا قاتل أمه فقلت لا تفعلي يا أمه إني لا أدع ديني هذا لشيء قال فمكثت يوماً لا تأكل وليلة ثم مكثت يوماً آخر وليلة فما رأيت ذلك قلت والله يا أمه لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفساً نفساً ما تركت ديني هذا فكلي واشربي وإن شئت فلا تأكلي ولا تشربي فلما رأت ذلك أكلت فأنزلت هذه الآية وإن جاهداك وأمه حمنة بنت أبي سفيان بن أمية بن عبد شمس وروي عن بهز بن أبي حكيم عن أبيه عن جدّه قال قلت للنبي ﷺ يا

رسول الله من أبرُّ قال أمك قلت ثم مَنْ قال ثم أمك قلت ثم مَنْ قال ثم أمك قلت ثم مَنْ قال ثم أباك ثم الأقرب فالأقرب وعن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال الجنة تحت أقدام الأمهات ثم قال سبحانه ﴿والذين آمنوا﴾ أي صدقوا بوحدانية الله تعالى واخلاص العبادة له ﴿وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين﴾ أي في زمرتهم وجملتهم في الجنة ولما ذكر سبحانه خيار المؤمنين عقّبه بذكر ضعفائهم وقيل بل عقّبه بذكر المنافقين فقال ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله﴾ بلسانه ﴿فإذا أوذي في الله﴾ أي في دين الله أو في ذات الله ﴿جعل فتنة الناس كعذاب الله﴾ والمعنى فإذا أوذي بسبب دين الله رجع عن الدين مخافة عذاب الناس كما ينبغي للكافر ان يترك دينه مخافة عذاب الله فيسوي بين عذاب فانٍ منقطع وبين عذاب دائم غير منقطع أبداً لقلة تمييزه وسمى أذية الناس فتنة لما في احتمالها من المشقة ﴿ولئن جاء نصر من ربك﴾ يا محمد أي ولئن جاء نصر من الله للمؤمنين ودولة لأولياء الله على الكافرين ﴿ليقولن إنا كنّا معكم﴾ أي ليقولن هؤلاء المنافقون للمؤمنين إنا كنا معكم على عدوكم طمعاً في الغنيمة ثم كذّبهم الله فقال ﴿أوليس الله بأعلم بما في صدور العالمين﴾ من الإيمان والنفاق فلا يخفى عليه كذبهم فيما قالوا.

﴿ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَىْءٍ ۖ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾

[اللغة] الثقل متاع البيت وجمعه أثقال وهو من الثقل يقال ارتحل القوم بثقلهم وثقلتهم أي بأمتعتهم ومنه الحديث إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي وانهما لن يفترقا

حتى يردا عليَّ الحوض قال ثعلب[1] سمّيا به لأن الأخذ بموجبهما ثقيل وقال غيره ان العرب تقول لكل شيء خطير نفيس ثقل فسمّاهما ثقلين تفخيماً لشأنهما وكل شيء يتنافس فيه فهو ثقل ومنه سمي الجن والإنس ثقلين لأنهما فضلا على غيرهما من الخلق والطوفان الماء الكثير الغامر لأنه يطوف بكثرته في نواحي الأرض قال الراجز « أفناهم الطوفان موت جارف » الجرف الأخذ الكثير وقد جرفت الشيء أجرفه بالضم جرفاً أي ذهبت كله شبّه الموت في كثرته بالطوفان .

[الإعراب] قوله بحاملين من خطاياهم من شيء تقديره وما هم بحاملين من شيء من خطاياهم فقوله من خطاياهم في الأصل صفة لشيء فقدم عليه فصار في موضع نصب على الحال. الف سنة نصب على الظرف خمسين نصب على الاستثناء وعاماً تمييزه .

[المعنى] ثم أقسم سبحانه فقال ﴿وليعلمن الله الذين آمنوا﴾ بالله على الحقيقة ظاهراً وباطناً ﴿وليعلمن المنافقين﴾ فيجازيهم بحسب أعمالهم قال الجبائي معناه وليميزنَّ الله المؤمن من المنافق فوضع العلم موضع التمييز توسعاً وقد مرَّ بيانه وفي هذه الآية تهديد للمنافقين بما هو معلوم من حالهم التي استهزؤا بها وتوهَّموا انهم قد نجوا من ضررها باخفائها فبيَّن انها ظاهرة عند من يملك الجزاء عليها وانه يحل الفضيحة العظمى بها ﴿وقال الذين كفروا﴾ نعم الله وجحدوها ﴿للذين آمنوا﴾ أي صدقوا بتوحيده وصدق رسله ﴿اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم﴾ أي ونحن نحمل آثامكم عنكم إن قلتم ان لكم في اتباع ديننا إثماً ويعنون بذلك انه لا إثم عليكم باتباع ديننا ولا يكون بعث ولا نشور فلا يلزمنا شيء مما ضمنا والمأمور في قوله ولنحمل هو المتكلم به نفسه في مخرج اللفظ والمراد به الزام النفس هذا المعنى كما يلزم الشيء بالأمر وفيه معنى الجزاء وتقديره ان تتبعوا ديننا حملنا خطاياكم عنكم ثم قال سبحانه ﴿وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء﴾ أي لا يمكنهم حمل ذنوبهم عنهم يوم القيامة فإن الله سبحانه عدل لا يعذب احداً بذنب غيره فلا يصحُّ إذاً أن يتحمل احد ذنب غيره وهذا مثل قوله ولا تزر وازرة وزر أخرى وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ولا يجري هذا مجرى تحمل الدية عن الغير لأن الغرض في الدية اداء المال عن نفس المقتول فلا فرق بين ان يودِّيه زيد عنه وبين ان يؤدِّيه عمرو فإنه بمنزلة قضاء الدين ﴿انهم لكاذبون﴾ فيما ضمنوا

---

(١) هو أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد النحوي الشيباني ، وكان من المعروفين بالأدب وكثرة العلم وامام الكوفيين في النحو واللغة ، وسمي بثعلب لأنه كان إذا سئل عن مسألة أجاب من هاهنا ومن هاهنا فشبهوه بثعلب اذا اغار .

من حمل خطاياهم ﴿وليحملن أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم﴾ يعني انهم يحملون خطاياهم وأوزارهم في أنفسهم التي لم يعملوها بغيرهم ويحملون الخطايا التي ظلموا بها غيرهم وقيل معناه يحملون عذاب ضلالهم وعذاب اضلالهم غيرهم ودعائهم لهم إلى الكفر وهذا كقوله من سنّ سنّة سيئة الخبر وهذا كقوله ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلّونهم بغير علم ﴿وليسئلن يوم القيامة عما كانوا يفترون﴾ ومعناه أنهم يسئلون سؤال تعنيف وتوبيخ وتبكيت وتقريع لا سؤال استعلام واستخبار ﴿ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه﴾ يدعوهم إلى توحيد الله عزّ وجل ﴿فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً﴾ فلم يجيبوه وكفروا به ﴿فأخذهم الطوفان﴾ جزاء على كفرهم فهلكوا ﴿وهم ظالمون﴾ لأنفسهم بما فعلوه من الشرك والعصيان ﴿فأنجيناه وأصحاب السفينة﴾ أي فانجينا نوحاً من ذلك الطوفان والذين ركبوامعه في السفينة من المؤمنين به ﴿وجعلناها﴾ أي وجعلنا السفينة[1] ﴿آية للعالمين﴾ أي علامة للخلائق أجمعين يعتبرون بها إلى يوم القيامة لأنها فرّقت بين المؤمنين والكافرين والأبرار والفجار وهي دلالة للخلق على صدق نوح وكفر قومه .

[النظم] إنما اتصل قوله وقال الذين كفروا بما تقدّمه من ذكر المنافقين فإنه سبحانه لما بيّن حالهم عند إيراد الشبهة عليهم بيّن في هذه الآية ان من الواجب أن لا يغترّ المؤمنون بما يورده اهل الكفر عليهم من الشبه الفاسدة وقد ذكر في اتصال قصة نوح بما قبلها وجوه (أحدها) أنه لما قال فتنا الذين من قبلهم فصل ذلك فبدأ بقصة نوح ثم بما يليها (وثانيها)انه لما ذكر حال المجاهد الصابر وجال من كان بخلافه ذكر قصة نوح وصبره على أذى قومه وتكذيبهم تلك المدة الطويلة ثم عقّب ذلك بذكر غيره من الأنبياء (وثالثها)انه لما أمر ونهى ووعد وأوعد على امتثال أوامره وارتكاب نواهيه أكّد ذلك بقصص الأنبياء .

﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ
وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ
مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ

(١) قد يقال الضمير يرجع الى العقوبة او الواقعة أو النجاة ويؤيد الأول اي الذي اختاره المصنف (ر ه) قوله تعالى في سورة يس « وآية لهم انا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون » فإن المراد بالفلك على ما قاله أكثر المفسرين سفينة نوح عليه السلام .

اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ
وَاشْكُرُوا لَهُ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن
قَبْلِكُمْ ۖ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا
كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾
قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ
الْآخِرَةَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾

[القراءة] قرأ حمزة والكسائي وخلف ألم تروا بالتاء والباقون بالياء وروي عن أبي بكر بالتاء والياء جميعاً وقرأ ابن كثير وأبو عمرو النشاءة بفتح الشين ممدودة مهموزة وقرأ الباقون النشأة بسكون الشين غير ممدودة وفي الشواذ قراءة السلمي وزيد بن علي وتُخلّقون افكا .

[الحجة] قال أبو علي حجة التاء في أولم تروا ان قبلها وان تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم وحجة الياء ان المعنى قل لهم أولهم يروا النشائة والنشأة مثل الرآفة والرأفة والكآبة والكابة وقال أبو زيد نشأت انشأ نشأ إذا شببت ونشأت السحابة نشأ ولم يذكر النشأة وأما تُخلّقون فإنه على وزن تكذبون وفي معناه.

[الإعراب] كيف يبدىء الله الخلق كيف في موضع نصب على الحال من الله والتقدير أمبدعاً يبدىء الله الخلق أم لا ويجوز أن يكون حالاً من الخلق فيكون تقديره أمبدعاً يبدىء الله الخلق أم لا ثم يعيده أم لا ويجوز أن يكون في موضع مصدر والتقدير أيُّ إبداءٍ يبدىء ومثله كيف بدأ الخلق والنشأة منصوبة على المصدر ومفعول ينشىء محذوف تقديره وينشىء الخلق .

[المعنى] ثم عطف سبحانه على ما تقدم فقال ﴿ وإبراهيم ﴾ أي وارسلنا إبراهيم ﴿ إذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ﴾ أي أطيعوا الله وخافوه بفعل طاعاته واجتناب معاصيه ﴿ ذلكم خير لكم ﴾ أي ذلك التقوى خير لكم ﴿ إن كنتم تعلمون ﴾ ما هو خير مما هو شرٌ لكم ﴿ إنما تعبدون من دون الله أوثاناً ﴾ ما في هذا الموضع كافة والمعنى أنكم تعبدون

أصناماً من حجارة لا تضر ولا تنفع ﴿ وتخلقون إفكاً ﴾ أي تفتعلون كذباً بأن تسمّوا هذه الأوثان آلهة عن السدي وقيل معناه وتصنعون أصناماً بأيديكم وسمّاها إفكاً لإدعائهم إنها آلهة عن مجاهد وقتادة وأبي علي الجبائي ثم ذكر عجز آلهتهم عن رزق عابد يها فقال ﴿ إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقاً ﴾ أي لا يقدرون على أن يرزقوكم والملك قدرة القادر على ماله أن يتصرف في ماله أتمّ التصرف وليس ذلك إلا لله على الحقيقة فإن الإنسان إنما يملك ما يملّكه الله تعالى ويأذن له في التصرف فيه فأصل الملك لجميع الأشياء لله تعالى فمن لا يملك أن يرزق غيره لا يستحق العبادة لأن العبادة تجب بأعلى مراتب النعمة ولا يقدر على ذلك غير الله تعالى فلا يستحق العبادة سواه ﴿ فابتغوا عند الله الرزق ﴾ أي اطلبوا الرزق من عنده دون من سواه ﴿ واعبدوه واشكروا له ﴾ على ما أنعم به عليكم من أصول النعم من الحياة والرزق وغيرهما ﴿ إليه ترجعون ﴾ أي إلى حكمه تصيرون يوم القيامة فيجازيكم على قدر أعمالكم ثم خاطب العرب فقال ﴿ وإن تكذبوا ﴾ أي وإن تكذبوا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ فقد كذب أمم من قبلكم ﴾ أنبياءهم الذين بعثوا إليهم ﴿ وما على الرسول إلا البلاغ المبين ﴾ أي ليس عليه إلا التبليغ الظاهر البيّن وليس عليه حمل من أرسل إليه على الإيمان ﴿ أو لم يروا كيف يبدىء الله الخلق ثم يعيده ﴾ يعني كفار مكة الذين أنكروا البعث وأقرّوا بأن الله هو الخالق فقال أو لم يتفكروا فيعلموا كيف أبدأ الله الخلق بعد العدم ثم يعيدهم ثانياً إذا أعدمهم بعد وجودهم قال ابن عباس يريد الخلق الأول والخلق الآخر ﴿ إن ذلك على الله يسير ﴾ غير متعذر لأن من قدر على الإنشاء والإبتداء فهو على الإعادة أقدر ثم خاطب محمداً صلى الله عليه وآله وسلم فقال ﴿ قل ﴾ لهؤلاء الكفار ﴿ سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ﴾ وتفكروا في آثار من كان فيها قبلكم وإلى أيّ شيء صار أمرهم لتعتبروا بذلك ويؤدّيكم ذلك إلى العلم بربكم وقيل معناه انظروا وابحثوا هل تجدون خالقاً غير الله فإذا علموا أنه لا خالق ابتداءً إلا الله لزمتهم الحجة في الإعادة وهو قوله ﴿ ثم الله ينشىء النشأة الآخرة ﴾ أي ثم الله الذي خلقها وانشأ خلقها ابتداءً ينشئها نشأة ثانية ومعنى الإنشاء الإيجاد من غير سبب ﴿ إن الله ﴾ تعالى ﴿ على كل شيء قدير ﴾ أي إن الله على الإنشاء والإفناء والإعادة وعلى كل شيء يشاؤه قدير .

﴿ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ
مَن يَشَآءُ ۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا

فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى وَأُو۟لَـٰٓئِكَ
لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱقْتُلُوهُ
أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ
يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَـٰنًا مَّوَدَّةَ
بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ
وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن
نَّـٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

[القراءة] قرأ ابن كثير وأهل البصرة والكسائي مودة بينكم بالرفع والإضافة وقرأ حمزة وحفص بنصب مودة وإضافتها إلى بينكم وقرأ الباقون مودة منصوبة منونة بينكم بالنصب إلا الشموني والبرجمي فإنهما قرءآ مودة مرفوعة منونة بينكم بالنصب .

[الحجة] قال أبو علي يجوز في قول من قال مودّةُ بينكم أن يجعل ما اسم إنَّ ويضمر ذكراً يعود إلى ما كما جاء في قوله ﴿ واتخذتموه ﴾ وراءكم ظهرياً فيكون التقدير إن الذين اتخذتموهم أوثاناً ذوو مودة بينكم ويكون دخول إن على ما لأنه بمنزلة الذي كقوله ﴿ أيحسبون إنما نمدهم به من مال وبنين ﴾ لعود الذكر إليه ويجوز أن يضمر هو ويجعل مودة بينكم خبراً عنه والجملة في موضع خبر أن ومن قرأ مودّةَ بينكم بالنصب جعل ما مع إنّ كلمة ولم يعد إليها ذكرا كما أعاد في الوجه الأول وجعل الأوثان منتصباً باتخذتم وعدّاه أبو عمرو إلى مفعول واحد كقوله ﴿ قل اتخذتم عند الله عهداً ﴾ والمعنى إنما اتخذتم من دون الله أوثاناً آلهة فحذف كما أن قوله ﴿ إن الذين اتخذوا العجل ﴾ معناه اتخذوا العجل إلهاً فحذف وانتصب مودة على أنه مفعول له وبينكم نصب على الظرف والعامل فيه المودة ومن قال مودة بينكم أضاف المودة إلى البين واتسع بأن جعل الظرف إسماً لما أضاف إليه ومثل ذلك قراءة

من قرأ لقد تقطع بينكم ومن قرأ مودة بينكم في الحياة الدنيا جاز في قوله بينكم إذا نوّن مودة ضربان (أحدهما) أن يجعله ظرفاً متعلقاً بالمصدر لأن الظرفين أحدهما من المكان والآخر من الزمان وإنما الذي يمتنع أن يعلق به إذا كانا ظرفين من الزمان أو ظرفين من المكان ﴿ فأما ﴾ إن اختلفا فسائغ فقوله ﴿ في الحياة الدنيا ﴾ ظرف زمان لأن المعنى في وقت الحياة الدنيا ولا ذكر في واحد من الظرفين كما إنك إذا قلت لقيت زيداً اليوم في السوق كان كذلك فإن جعلت الظرف الأول صفة للنكرة كان متعلقاً بمحذوف وصار فيه ذكر يعود إلى الموصوف فإذا جعلته صفة للمصدر جاز أن يكون قوله ﴿ في الحياة الدنيا ﴾ في موضع حال والعامل فيه الظرف الذي هو صفة للنكرة وفيه ذكر يعود إلى ذي الحال وذو الحال الضمير الذي في الظرف العائد إلى الموصوف الذي هو مودة وهو هي في المعنى فإن قلت هل يجوز أن يتعلق الظرف الذي قد جاز أن يكون حالاً بالمودة مع أنه قد وصف بقوله بينكم قيل لا يمتنع ذلك لأنك إذا وصفته فمعنى الفعل قائم فيه والظرف يتعلق بمعنى الفعل وإنما الذي يمتنع أن يعمل فيه إذا وصف المفعول به فأما الحال والظرف فلا يمتنع أن يتعلق كل واحد منهما به وإن كان قد وصف به وقد جاء في الشعر ما يعمل عمل الفعل إذا وصف عاملاً في المفعول به وإذا جاز أن يعمل في المفعول به فلا نظر في جواز علمه فيما ذكرناه من الظرف والحال فمن ذلك قوله :

إذا فَاقِدٌ خَطْبَاءُ فَرْخَيْنِ رَجَّعَتْ ذَكَرْتُ سُلَيْمَى فِي الْخَلِيطِ الْمُبَايِنِ[1]

والتحقير في ذلك بمنزلة الوصف لو قال هذا ضويرب زيداً لقبح كما يقبح ذلك في الصفة ولم يجز ذلك في حال السعة والإختيار .

[المعنى] ثم ذكر سبحانه الوعد والوعيد فقال ﴿ يعذب من يشاء ﴾ معناه أنه المالك للثواب والعقاب وإن كان لا يشاء إلا الحكمة والعدل وما هو الأحسن من الأفعال فيعذب من يشاء ممن يستحق العقاب ﴿ ويرحم من يشاء ﴾ ممن هو مستحق للرحمة بأن يغفر له بالتوبة وغير التوبة ﴿ وإليه تقلبون ﴾ معاشر الخلق أي إليه ترجعون يوم القيامة والقلب هو الرجوع والردّ فمعناه أنكم تردّون إلى حال الحياة في الآخرة حيث لا يملك فيه النفع والضر إلا الله

(١) البيت منسوب إلى بشر بن أبي حازم يقول إذا رجعت الحمامة التي لونها الخطبة وهي لون كدر مشرب حمرة في صفرة في غنائها وصوتها حزناً لفقد ولديها ذكرت « سليمى » (معشوقته) في الاعداء . والشاهد في أعمال إسم الفاعل الموصوف ـ وهو فاقد ـ في فرخين .

وهذا يتعلق بما قبله كأن المنكرين للبعث قالوا إذا كان العذاب غير كائن في الدنيا فلا نبالي به فقال وإليه تقلبون وكأنهم قالوا إذا صرفنا إلى حكم الله فررنا فقال ﴿ **وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء** ﴾ أي ولستم بفائتين عن الله في الدنيا ولا في الآخرة فاحذروا مخالفته ومتى قيل كيف وصفهم بذلك وليسوا من أهل السماء فالجواب عنه من وجهين (أحدهما) إن المعنى لستم بمعجزين فراراً في الأرض ولا في السماء لو كنتم في السماء كقولك ما يفوتني فلان هاهنا ولا بالبصرة يعني ولا بالبصرة لو صار إليها عن قطرب وهو معنى قول مقاتل (والآخر) أن المعنى ولا من في السماء بمعجزينَ فحذف مَنْ لدلالة الكلام عليه كما قال حسان :

أَمَنْ يَهْجُو رَسُولَ اللهِ مِنْكُمْ وَيَمْدَحُهُ وَيَنْصُرُهُ سَواءُ

فكأنه قال ومن يمدحه وينصره سواء أم لا يتساوون عن الفراء وهذا ضعيف عند البصريين ﴿ **وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير** ﴾ ينصركم ويدفع عذاب الله عنكم فلا تغتروا بأن الأصنام تشفع لكم وقيل إن الولي الذي يتولى المعونة بنفسه والنصير يتولى النصرة تارة بنفسه وتارة بأن يأمر غيره به ﴿ **والذين كفروا بآيات الله** ﴾ أي جحدوا بالقرآن وبأدلة الله ﴿ **ولقائه** ﴾ أي وجحدوا بالبعث بعد الموت ﴿ **أولئك يئسوا من رحمتي** ﴾ أخبر أنه سبحانه آيسهم من رحمته وجنته أو يكون معناه يجب أن ييأسوا من رحمتي ﴿ **وأولئك لهم عذاب أليم** ﴾ أي مؤلم وفي هذا دلالة على أن المؤمن بالله واليوم الآخر لا ييأس من رحمة الله ثم عاد سبحانه إلى قصة إبراهيم فقال ﴿ **فما كان جواب قومه** ﴾ يعني حين دعاهم إلى الله تعالى ونهاهم عن عبادة الأصنام ﴿ **إلا أن قالوا اقتلوه أو حرّقوه** ﴾ وفي هذا تسفيه لهم إذ قالوا حين إنقطعت حجتهم لا تحاجّوه ولكن إقتلوه أو حرّقوه ليتخلّصوا منه ﴿ **فأنجاه الله من النار** ﴾ وهاهنا حذف تقديره ثم اتفقوا على إحراقه فأجّجوا ناراً فألقوه فيها فأنجاه الله منها ﴿ **إن في ذلك لآيات** ﴾ أي علامات واضحات وحجج بينات ﴿ **لقوم يؤمنون** ﴾ بصحة ما أخبرناه به وبتوحيد الله وكمال قدرته ﴿ **وقال** ﴾ إبراهيم لقومه ﴿ **إنما اتخذتم من دون الله أوثاناً مودة بينكم** ﴾ أي لتتوادوا بها ﴿ **في الحيوة الدنيا** ﴾ وقد تقدَّم بيانه في الحجة ﴿ **ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض** ﴾ أي يتبرأ القادة من الإتباع ﴿ **ويلعن بعضكم بعضاً** ﴾ أي ويلعن الإتباع القادة لأنهم زيَّنوا لهم الكفر وقال قتادة كل خلة تنقلب يوم القيامة عداوة إلا خلة المتقين قال سبحانه الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين ﴿ **ومأواكم النار** ﴾ أي ومستقركم النار ﴿ **وما لكم من ناصرين** ﴾ يدفعون عنكم عذاب الله .

﴿ * فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ۘ وَقَالَ إِنِّى مُهَـاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ۖ
إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا
فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى
ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ
ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ
ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ
جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ
ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

[القراءة] قرأ أهل الكوفة غير حفص أئنكم لتأتون الفاحشة أئنكم لتأتون الرجال بهمزتين فيهما وقرأ أبو عمرو بالاستفهام فيهما بهمزة ممدودة آنكم وقرأ الباقون إنكم لتأتون الفاحشة بكسر الهمزة من غير استفهام أئنكم لتأتون الرجال بالاستفهام إلا أن ابن كثير وورشا ويعقوب قرؤا بهمزة واحدة غير ممدودة وابن عامر وحفص بهمزتين وأهل المدينة غير ورش بهمزة واحدة ممدودة .

[اللغة] هاجر القوم من دار إلى دار معناه تركوا الأولى للثانية قال الأزهري أصل المهاجرة خروج البدوي من البادية إلى المدن وتهجّر أي تشبّه بالمهاجرين ومنه حديث عمر هاجروا ولا تهجروا أي أخلصوا الهجرة لله والنادي والندي المجلس إذا اجتمعوا فيه وتنادى القوم إجتمعوا في النادي ودار الندوة دار قصي بن كلاب كانوا يجتمعون فيه للمشاورة تبركاً به والأصل من النداء لأن القوم ينادي بعضهم بعضاً .

[المعنى] ثم عطف سبحانه على ما تقدّم بأن قال ﴿ فآمن له لوط ﴾ أي فصدّق بإبراهيم لوط وهو ابن أخته وكان إبراهيم خاله عن ابن عباس وابن زيد وجمهور المفسرين وهو أول من صدق بإبراهيم (ع) ﴿ وقال ﴾ ابراهيم ﴿ إني مهاجر إلى ربي ﴾ أي خارج من

جملة الظالمين على جهة الهجر لهم لقبيح أعمالهم من حيث أمرني ربي وقيل معناه قال لوط أني مهاجر إلى ربي عن الجبائي وخرج إبراهيم (ع) ومعه لوط وامرأته سارة وكانت ابنة عمه من كوثى وهي قرية من سواد الكوفة إلى أرض الشام عن قتادة ومثل هذا هجرة المسلمين من مكة إلى أرض الحبشة أولاً ثم إلى المدينة ثانياً لأنهم هجروا ديارهم وأوطانهم بسبب أذى المشركين لهم ﴿ إنه هو العزيز ﴾ الذي لا يذلّ من نصره ﴿ الحكيم ﴾ الذي لا يضيع من حفظه ﴿ ووهبنا له ﴾ أي لإبراهيم من بعد إسماعيل ﴿ إسحاق ويعقوب ﴾ من وراء إسحاق ﴿ وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب ﴾ وذلك أن الله سبحانه لم يبعث نبياً من بعد إبراهيم إلا من صلبه فالتوراة والإنجيل والزبور والفرقان كلها أنزلت على أولاده ﴿ وآتيناه أجره في الدنيا ﴾ وهو الذكر الحسن والولد الصالم عن ابن عباس وقيل هو رضى أهل الأديان به فكلهم يحبّونه ويتولونه عن قتادة وقيل هو أنه أري مكانه في الجنة عن السدي وقال بعض المتأخرين هو بقاء ضيافته عند قبره وليس ذلك لغيره من الأنبياء قال البلخي وفي هذا دلالة على أنه يجوز أن يثيب الله في دار التكليف ببعض الثواب ﴿ وأنه في الآخرة لمن الصالحين ﴾ يعني أن إبراهيم مع ما أعطي من الأجر والثواب في الدنيا يحشره الله في جملة الصالحين العظيمي الأقدار مثل آدم ونوح ﴿ ولوطاً إذ قال لقومه ﴾ أي وأرسلنا لوطاً ويجوز أن يريد واذكر لوطاً حين قال لقومه ﴿ إنكم لتأتون الفاحشة ﴾ من قرأ بلفظ الاستفهام أراد به الإنكار دون الإستعلام ومن قرأ أنكم على الخبر أراد أن لوطاً قال ذلك لقومه منكراً لفعلهم لا مفيداً معلماً لهم لأنهم قد علموا ما فعلوه والفاحشة هاهنا ما كانوا يفعلونه من إتيان الذكران ﴿ ما سبقكم بها ﴾ أي بهذه الفاحسة ﴿ من أحد من العالمين ﴾ أي أحد من الخلائق ثم فسّر الفاحشة بقوله ﴿ إنكم لتأتون الرجال ﴾ أي تنكحونهم ﴿ وتقطعون السبيل ﴾ قيل فيه وجوه (أحدها) تقطعون سبيل الولد باختياركم الرجال على النساء (وثانيها) إنكم تقطعون الناس عن الأسفار بإتيان هذه الفاحشة فإنهم كانوا يفعلون هذا الفعل بالمجتازين من ديارهم وكانوا يرمون ابن السبيل بالحجارة بالحذف[1] فأيهم أصابه كان أولى به ويأخذون ماله وينكحونه ويغرمونه ثلاثة دراهم وكان لهم قاض يقضي بذلك (وثالثها) إنهم كانوا يقطعون الطريق على الناس كما يفعل قطاع الطريق في زماننا ﴿ وتأتون في ناديكم المنكر ﴾ قيل فيه أيضاً وجوه (أحدها) هو أنهم كانوا يتضارطون في مجالسهم من غير حشمة ولا حياء عن ابن عباس وروي ذلك عن الرضا (ع) (وثانيها) إنهم كانوا يأتون الرجال في مجالسهم يرى

(١) ضرب من الرمي والضرب .

بعضهم بعضاً عن مجاهد (وثالثها) كانت مجالسهم تشتمل على أنواع من المناكير والقبائح مثل الشتم والسخف والصفع[١] والقمار وضرب المخراق[٢] وحذف الأحجار على من مرّ بهم وضرب المغازف والمزامير وكشف العورات واللواط قال الزجاج وفي هذا إعلام أنه لا ينبغي أن يتعاشر الناس على المناكير ولا أن يجتمعوا على المناهي ولما أنكر لوط على قومه ما كانوا يأتونه من الفضائح قالوا له إستهزاء ائتنا بعذاب الله وذلك قوله ﴿ فما كان جواب قومه إلا أن قالوا ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين ﴾ وعند ذلك ﴿ قال ﴾ لوط ﴿ رب انصرني على القوم المفسدين ﴾ الذين فعلوا المعاصي وارتكبوا القبائح وأفسدوا في الأرض .

﴿ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓاْ إِنَّا مُهْلِكُوٓاْ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُواْ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُواْ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾

[القراءة] قرأ أهل الكوفة غير عاصم ويعقوب لَنُنْجِيَنَّه خفيفة الجيم ساكنة النون والباقون لَنُنَجِّيَنَّه بالتشديد وقرأ ابن كثير وأهل الكوفة غير حفص ويعقوب إنا مُنْجُوك بالتخفيف والباقون بالتشديد وقرأ ابن عامر مُنَزِّلون بالتشديد والباقون مُنْزِلُون بالتخفيف .

[الحجة] قال أبو علي حجة ومن قرأ لَنُنْجِيَنَّه وإنا مُنْجُوك قوله ﴿ فأنجيه الله من

(١) صفعه صفعاً : ضرب قفاه او بدنه بكفه مبسوطة (٢) المخراق : المنديل .

النار ﴾ وحجة من ثقل قوله ﴿ ونجّينا الذين آمنوا ﴾ يقال نجا زيد ونجيته وأنجيته مثل فرحته وأفرحته وكذلك قولك نزل إذا عدّيته قلت نزّلته وأنزلته .

[والمعنى] ثم بيّن سبحانه أنه استجاب دعاء لوط وبعث جبرائيل ومعه الملائكة لتعذيب قومه بقوله ﴿ ولما جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى ﴾ أي يبشرونه بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب ﴿ قالوا إنا مهلكوا أهل هذه القرية ﴾ يعنون قرية قوم لوط (ع) وإنما قالوا هذا لأن قريتهم كانت قريبة من قرية قوم إبراهيم ﴿ إن أهلها كانوا ظالمين ﴾ أي مشركين مرتكبين للفواحش ﴿ قال ﴾ إبراهيم ﴿ إن فيها لوطاً ﴾ فكيف تهلكونها ﴿ قالوا ﴾ في جوابه ﴿ نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله ﴾ أي لنخلصنّ لوطاً من العذاب بإخراجه منها ولنخلصن أيضاً أهله المؤمنين منهم ﴿ إلا امرأته ﴾ فإنها تبقى في العذاب لا تنجو منه وذلك قوله ﴿ كانت من الغابرين ﴾ أي من الباقين في العذاب ﴿ ولما إن جاءت رسلنا لوطاً ﴾ أنْ هذه مزيدة ﴿ سيء بهم ﴾ معناه سيء لوط بالملائكة أي ساءه مجيئهم لما رآهم في أحسن صورة لما كان يعلمه من خبث فعل قومه عن قتادة وقيل معناه سيء بقومه لما علم من عظيم البلاء النازل بهم ﴿ وضاق بهم ذرعاً ﴾ أي ضاق قلبه وقيل ضاقت حيلته فيما أراد من حفظهم وصيانتهم عن الجبائي فلما رأى الملائكة حزنه وضيق صدره ﴿ قالوا لا تخف ﴾ علينا وعليك ﴿ ولا تحزن ﴾ بما نفعله بقومك وقيل لا تخف ولا تحزن علينا فإنا رسل الله لا يقدرون علينا ﴿ إنا منجوك وأهلك ﴾ من العذاب ﴿ إلا امرأتك ﴾ الكافرة ﴿ كانت من الغابرين ﴾ أي الباقين في العذاب ﴿ إنا منزلون على أهل هذه القرية رجزاً ﴾ أي عذاباً من السماء ﴿ بما كانوا يفسقون ﴾ أي يخرجون من طاعة الله إلى معصيته أي جزاء بفسقهم ﴿ ولقد تركنا منها آية بينة ﴾ أي تركنا من تلك القرية عبرة واضحة ودلالة على قدرتنا قال قتادة هي الحجارة التي أمطرت عليهم وقال ابن عباس هي آثار منازلهم الخربة وقال مجاهد هي الماء الأسود على وجه الأرض ﴿ لقوم يعقلون ﴾ ذلك ويبصرونه ويتفكرون فيه ويتّعظون به فيزجرهم ذلك عن الكفر بالله واتخاذ شريك معه في العبادة .

﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا
اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾
فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَعَادًا

وَثَمُودَا۟ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾

[اللغة] الرجفة زعزعة الأرض تحت القدم يقال رجف السطح من تحت أهله يرجف رجفاً ورجفة شديدة والبحر رجاف لاضطرابه وأرجف الناس بالشيء أي أخبروا بما يضطرب لأجله من غير تحقق به والحاصب الريح العاصفة التي فيها الحصباء وهي الحصى الصغار يشبه به البرد والجليد قال الفرزدق :

مُسْتَقْبِلِينَ رِيَاحَ الشَّامِ تَضْرِبُنَا ... بِحَاصِبٍ كَنَدِيفِ الْقُطْنِ مَنْثُورُ

وقال الأخطل :

وَلَقَدْ عَلِمْتَ إِذَ الْعِشَارُ تَرَوَّحَتْ ... هَدَجَ الرِّئَالِ بِكَنِّهِنَّ شِمَالا
تَرْمِي الْعِضَاةَ بِحَاصِبٍ مِنْ ثَلْجِهَا ... حَتَّى تَبِيتَ عَلَى الْعِضَاهِ جِفَالا[1]

(١) قوله لقد علمت أي أيها الأمير ، إذا هو ظرف مفعول ثان لعلمت ، والعشار جمع عشر أو هي الناقة يمضي لها من حين اللقاح عشرة أشهر ، وتروحت استنشقت ومفعوله شمالاً وهي ريح معروفة بشدة توصف بشدة البرد ، وهدج الرئال الهدج مصدر هدج الظليم أي ذكر النعام إذا مشى في ارتعاش ، والرئال جمع رائل وهو فرخ النعام وهو مفعول أول لعلمت « بكنهن » الكن : ما يكتن به من الحر والبرد ، وترمى العضاه وهي شجرة كبيرة بحاصب أي ريح عاصف والمراد به هنا الثلج على التشبيه فتكون «من» في قوله من ثلجها بيانية « حتى تبيت » أي ذلك الحاصب على العضاه . جفالا وهو الصوف الكثير ، والمعنى : ولقد علمت أيها الأمير مشي الفراخ في ارتعاش في مسكنهن عند هبوب هذه الريح الموصوفة بالصفات المذكورة فارحمني وجد علي ، والمراد من البيت الاسترحام والاستعطاف (كذا في هامش بعض المخطوطة).

والخسف سوخ الأرض بما عليها يقال خسف الله به الأرض وخسف القمر إذهاب نوره والخسوف للقمر والكسوف للشمس .

[الإعراب] أخاهم ينتصب بفعل مضمر والتقدير وأرسلنا إلى مدين أخاهم وعاداً منصوب بفعل مضمر تقديره وأهلكنا عاداً وثمود وقد تبيَّن فاعله مضمر تقديره وقد تبين أهلاكهم لكم وكانوا مستبصرين في موضع نصب على الحال . ليظلمهم اللام لتأكيد النفي ولا يجوز إظهار أن بعده .

[المعنى] ثم عطف سبحانه على ما تقدَّم فقال ﴿وإلى مدين﴾ أي وأرسلنا إلى مدين ﴿أخاهم شعيباً﴾ وهذا مفسر فيما مضى ﴿فقال يا قوم اعبدوا الله﴾ بدأ بالدعاء إلى التوحيد والعبادة ﴿ارجوا اليوم الآخر﴾ اي وأملوا ثواب اليوم الآخر واخشوا عقابه بفعل الطاعات وتجنب السيئات ﴿ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾ اي لا تسعوا في الأرض بالفساد ثم اخبر ان قومه كذَّبوه ولم يقبلوا منه فعاقبهم الله وذلك قوله ﴿فكذَّبوه فأخذتهم الرجفة﴾ وقد مرَّ بيانه ﴿فأصبحوا في دارهم جاثمين﴾ اي باركين على ركبهم ميتين ﴿وعادا وثمود﴾ أي وأهلكنا ايضاً عاداً وثمود جزاء لهم على كفرهم ﴿وقد تبين لكم﴾ معاشر الناس كثير ﴿من مساكنهم﴾ وقيل معناه وقد ظهر لكم يا أهل مكة من منازلهم بالحجر واليمن آية في هلاكهم ﴿وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدَّهم عن السبيل﴾ اي فمنعهم عن طريق الحق ﴿وكانوا مستبصرين﴾ أي وكانوا عقلاء يمكنهم التمييز بين الحق والباطل بالاستدلال والنظر ولكنَّهم اغفلوا ولم يتدبَّروا وقيل معناه إنهم كانوا مستبصرين عند انفسهم فيما كانوا عليه من الضلالة يحسبون انهم على هدى عن قتادة والكلبي ﴿وقارون﴾ اي وأهلكنا قارون ﴿وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات﴾ أي بالحجج الواضحات من قلب العصا حية واليد البيضاء وفلق البحر وغيرها ﴿فاستكبروا﴾ أي طلبوا التجبر ﴿في الأرض﴾ ولم ينقادوا للحق ﴿وما كانوا سابقين﴾ أي فائتين الله كما يفوت السابق ﴿فكلا اخذنا بذنبه﴾ أي فأخذنا كُلاًّ من هؤلاء بذنبه وعاقبناهم بتكذيبهم الرسل ﴿فمنهم من ارسلنا عليه حاصباً﴾ أي حجارة وقيل ريحاً فيها حصى وهم قوم لوط عن ابن عباس وقتادة وقيل هم عاد ﴿ومنهم من اخذته الصيحة﴾ وهم ثمود وقوم شعيب عن ابن عباس وقتادة والصيحة العذاب وقيل صاح بهم جبرائيل فهلكوا ﴿ومنهم من خسفنا به الأرض﴾ وهو قارون ﴿ومنهم من اغرقنا﴾ يعني قوم نوح وفرعون وقومه ﴿وما كان الله ليظلمهم﴾ فيعذِّبهم على غير ذنب أو قبل ازاحة العلة ﴿ولكن كانوا انفسهم يظلمون﴾ بكفرهم وتكذيبهم الرسل وفي هذا دلالة واضحة على فساد مذهب اهل

الجبر فإن الظلم لو كان من فعل الله كما يزعمون لما كان هؤلاء هم الظالمين لنفوسهم بل كان الظالم لهم من فعل فيهم الظلم تعالى الله عن ذلك .

﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ
أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ
ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ
مِن شَىْءٍ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا
لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ
إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ
وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾

[القراءة] قرأ اهل البصرة وعاصم إلا الأعمش والبرجمي ما يدعون بالياء والباقون بالتاء .

[الحجة والاعراب] قال أبو علي التاء على قوله قل لهم إن الله يعلم ما تدعون لا يكون إلا عند هذا لأن المسلمين لا يخاطبون بذلك وما استفهام وموضعه نصب بيدعون ولا يجوز ان يكون نصباً بيعلم ولكن صارت الجملة التي هي في موضع نصب بيعلم ولا يكون يعلم بمعنى يعرف كقوله ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت لأن ذلك لا يلغي وما لا يلغي لا يعلق ويبعد ذلك دخول من في الكلام وهي إنما تدخل في نحو قولك هل من طعام وهل من رجل ولا تدخل في الايجاب هذا قول الخليل وكذلك قوله فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار المعنى فستعلمون المسلم تكون له عاقبة الدار أم للكافر وكل ما كان من هذا فهكذا القول فيه وهو قياس قول الخليل .

[اللغة] جمع العنكبوت عناكب وتصغيره عنيكب ووزنه فعللوت وهو يذكر ويؤنث قال الشاعر :

عَلَى هَطَالِهِمْ مِنْهُمْ بُيُوتٌ كَأَنَّ الْعَنْكَبُوتَ هُوَ ابْتَنَاهَا[1]

ويقال فيه العنكباء .

[المعنى] ثم شبّه سبحانه حال الكفار الذين اتخذوا من دونه آلهة بحال العنكبوت فقال ﴿مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء﴾ أي شبه من اتخذ الأصنام آلهة يريدون نصرها ونفعها وضرها والرجوع اليها عند الحاجة ﴿كمثل العنكبوت واتخذت بيتاً﴾ لنفسها لتأوي اليه فكما ان بيت العنكبوت لا يغني عنها شيئاً لكونه في غاية الوهن والضعف ولا يجدي نفعاً كذلك الأصنام لا تملك لهم خيراً وشراً ونفعاً وضراً والولي هو المتولي للنصرة وهو ابلغ من الناصر لأن الناصر قد يكون ناصراً بأن يأمر غيره بالنصرة والولي هو الذي يتولى النصرة بنفسه ﴿وان اوهن البيوت﴾ أي اضعفها ﴿لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون﴾ صحة ما اخبرناهم به ويتحققون ولو متعلقة بقوله اتخذوا اي لو علموا أن اتخاذهم الاولياء كاتخاذ العنكبوت بيتاً سخيفاً لم يتخذوهم اولياء ولا يجوز ان تكون متعلقة بقوله وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت لأنهم كانوا يعلمون ان بيت العنكبوت واهٍ ضعيف ﴿إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء﴾ هذا وعيد منه سبحانه ومعناه انه يعلم ما يعبد هؤلاء الكفار وما يتخذونه من دونه ارباباً ﴿وهو العزيز﴾ الذي لا يغالب فيما يريده ﴿الحكيم﴾ في جميع افعاله ﴿وتلك الامثال﴾ وهي الاشباه والنظائر يعني امثال القرآن ﴿نضر بها للناس﴾ اي نذكرها لهم لندعوهم إلى المعرفة والتوحيد ونعرفهم قبح ما هم فيه من عبادة الأصنام ﴿وما يعقلها إلا العالمون﴾ أي وما يفهمها إلا من يعلم وجه الشبه بين المثل والممثل به وقيل معناه وما يعقل الامثال إلا العلماء الذين يعقلون عن الله وروي الواحدي بالإسناد عن جابر قال تلا النبي ﷺ هذه الآية وقال العالم الذي عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه ثم بيّن سبحانه ما يدلُّ على إلهيته واستحقاقه العبادة فقال ﴿خلق الله السموات والأرض﴾ أي اخرجهما من العدم إلى الوجود ولم يخلقهما عبثاً بل خلقهما ليسكنهما خلقه وليستدلّوا بهما على اثباته ووحدانيته ﴿بالحق﴾ أي على وجه الحكمة وقيل معناه للحق واظهار الحق ﴿إن في ذلك لآية للمؤمنين﴾ لأنهم المنتفعون بذلك ثم خاطب سبحانه نبيّه ﷺ فقال ﴿اتل ما اوحي اليك من الكتاب﴾ يعني القرآن اي اقرأه على المكلفين واعمل بما تضمنه ﴿وأقم الصلاة﴾ أي ادّها

(١) هطال : اسم جبل .

بحدودها في مواقيتها ﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾ في هذا دلالة على ان فعل الصلاة لطف للمكلف في ترك القبيح والمعاصي التي ينكرها العقل والشرع فإن انتهى عن القبيح يكون توفيقاً والا فقد اتي المكلف من قبل نفسه وقيل ان الصلاة بمنزلة الناهي بالقول إذا قال لا تفعل الفحشاء والمنكر وذلك لأن فيها التكبير والتسبيح والتهليل والقراءة والوقوف بين يدي الله تعالى وغير ذلك من صنوف العبادة وكل ذلك يدعو إلى شكله ويصرف عن ضدّه فيكون مثل الأمر والنهي بالقول وكل دليل مؤدّ إلى المعرفة بالحق فهو داع إليه وصارف عن الباطل الذي هو ضدّه وقيل معناه أن الصلاة تنهي صاحبها عن الفحشاء والمنكر ما دام فيها وقيل معناه أنه ينبغي ان تنهاه كقوله ومن دخله كان آمناً وقال ابن عباس في الصلاة منهى ومزدجر عن معاصي الله فمن لم تنهه صلاته عن المعاصي لم يزدد من الله إلا بعداً وقال الحسن وقتادة من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فليست صلاته بصلاة وهي وبال عليه وروي انس بن مالك الجهني عن النبي ﷺ قال انه من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعداً وروي عن ابن مسعود أيضاً عن النبي ﷺ انه قال لا صلاة لمن لم يطع الصلاة وطاعة الصلاة ان ينتهي عن الفحشاء والمنكر ومعنى ذلك ان الصلاة إذا كانت ناهية عن المعاصي فمن اقامها ثم لم ينته عن المعاصي لم تكن صلاته بالصفة التي وصفها الله بها فإن تاب من بعد ذلك وترك المعاصي فقد تبين أن صلاته كانت نافعة له ناهية وان لم ينته إلا بعد زمان وروي انس ان فتى من الانصار كان يصلي الصلاة مع رسول الله ﷺ ويرتكب الفواحش فوصف ذلك لرسول الله ﷺ فقال إن صلاته تنهاه يوماً وعن جابر قال قيل لرسول الله ﷺ إن فلاناً يصلي بالنهار ويسرق بالليل فقال إن صلاته لتردعه وروى اصحابنا عن أبي عبد الله (ع) قال من احبَّ ان يعلم اقبلت صلاته ام لم تقبل فلينظر هل منعته صلاته عن الفحشاء والمنكر فبقدر ما منعته قبلت منه ﴿ولذكر الله اكبر﴾ أي ولذكر الله اياكم برحمته اكبر من ذكركم اياه بطاعته عن ابن عباس وسلمان وابن مسعود ومجاهد وقيل معناه ذكر العبد لربه اكبر مما سواه وافضل من جميع اعماله عن سلمان في رواية اخرى وابن زيد وقتادة وروي ذلك عن ابي الدرداء وعلى هذا فيكون تأويله أن اكبر شيء في النهي عن الفحشاء ذكر العبد ربه وأوامره ونواهيه وما اعدَّه من الثواب والعقاب فإنه اقوى لطف يدعو إلى الطاعة وترك المعصية وهو أكبر من كل لطف وقيل معناه ذكر الله العبد في الصلاة اكبر من الصلاة عن ابي مالك وقيل أن ذكر الله هو التسبيح والتقديس والتهليل وهو أكبر واحرى بأن ينهي عن الفحشاء والمنكر عن الفراء أي من كان ذاكراً لله فيجب أن ينهاه ذكره عن الفحشاء والمنكر وروي عن ثابت البناني قال ان رجلاً اعتق اربع رقاب فقال رجل آخر سبحان الله والحمد لله

ولا إله إلا الله والله اكبر ثم دخل المسجد فأتى حبيب بن اوفى السلمي واصحابه فقال ما تقولون في رجل اعتق اربع رقاب واني أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله اكبر فأيهما افضل فنظروا هنيهة فقالوا ما نعلم شيئاً افضل من ذكر الله وعن معاذ بن جبل قال ما عن عمل آدمي عمل انجى له من عذاب الله من ذكر الله عز وجل وقيل ولا الجهاد في سبيل الله قال ولا الجهاد فإن الله عز وجل يقول ولذكر الله اكبر وعنه قال سألت رسول الله ﷺ اي الأعمال احبُّ إلى الله قال ان تموت ولسانك رطب من ذكر الله عز وجل وقال ﷺ يا معاذ ان السابقين الذين يسهرون بذكر الله عز وجل ومن احب ان يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله عز وجل وروي عن عطا بن السائب عن عبد الله بن ربيعة قال قال ابن عباس أرأيت قول الله عز وجل ولذكر الله اكبر قال قلت ذكر الله بالقرآن حسن وذكره بالصلاة حسن وبالتسبيح والتكبير والتهليل حسن وأفضل من ذلك أن يذكر الرجل ربه عند المعصية فينحجز عنها فقال ابن عباس لقد قلت قولاً عجيباً وما هو كما قلت ولكن ذكر الله اياكم اكبر من ذكركم اياه ﴿والله يعلم ما تصنعون﴾ من خير وشرّ فيجازيكم بحسبه.

﴿ * وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ
أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ
وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ
وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ
فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤۡمِنُ
بِهِۦۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن
قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴿٤٨﴾
بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ وَمَا يَجۡحَدُ
بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَٰتٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ

قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾

[القراءة] قرأ ابن كثير واهل الكوفة غير حفص وقتيبة آية من ربه على التوحيد والباقون آيات على الجمع.

[الحجة] قال أبو علي حجة الافراد قوله فليأتنا بآية وقالوا لولا أنزل عليه آية من ربه قل إن الله قادر على أن ينزّل آية وحجة الجمع ان في حرف أبي زعموا لولا يأتينا بآيات من ربه قل إنما الآيات عند الله وقد تقع على لفظ الواحد ويراد به كثرة كما جاء وجعلنا ابن مريم وأمه آية وليس في قوله قل إنما الآيات عند الله دلالة على ترجيح من قرأ آيات لأنه لما اقترحوا آية قيل إنما الآيات عند الله والمعنى الآية التي اقترحتموها وآيات أخر لم تقترحوها .

[اللغة] أصل الجدل شدة الفتل يقال جدلته اجدله جدلاً إذا فتلته فتلا شديداً والجدال فتل الخصم عن مذهبه بطريق الحجاج فيه وقيل ان اصله من الجدالة وهي الأرض فإن كل واحد من الخصمين يروم أن يلقي صاحبه بالجدالة. الخط معروف والارتياب والريبة شك مع تهمة.

[الاعراب] الذين ظلموا منهم في محل النصب على الاستثناء من اهل الكتاب وكذلك انزلنا اليك الكتاب تقديره وكما أنزلنا إلى اهل الكتاب الكتاب أنزلنا اليك الكتاب. إذا لارتاب المبطلون اللام للقسم وفي الكلام حذف تقديره ولو خططته بيمينك أو تلوت قبله كتاباً إذا والله لارتابوا به . من ربه في موضع رفع بأنه صفة آية.

[المعنى] لمّا تقدّم الأمر بالدعاء إلى الله سبحانه بيّن عقيبه كيف يدعونهم وكيف يجادلونهم فقال ﴿ولا تجادلوا اهل الكتاب﴾ وهم نصارى بني نجران وقيل اليهود والنصارى ﴿إلا بالتي هي احسن﴾ اي بالطريق التي هي احسن وإنما يكون احسن إذا كانت المناظرة برفق ولين لإرادة الخير والنفع بها ومثله قوله فقولاً له قولاً لينا لعله يتذكر أو يخشى والأحسن الأعلى في الحسن من جهة قبول العقل له وقد يكون أيضاً أعلى في الحسن من جهة قبول الطبع وقد يكون في الأمرين جميعاً وفي هذا دلالة على وجوب الدعاء إلى الله تعالى على احسن الوجوه وألطفها واستعمال القول الجميل في التنبيه على آيات الله وحججه ﴿إلا الذين ظلموا منهم﴾ أي إلا من أبى ان يقرّ بالجزية منهم ونصب الحرب فجادلوا هؤلاء بالسيف حتى يسلموا أو يعطوا الجزية عن مجاهد وسعيد بن جبير وقيل إلا الذين ظلموا منهم بالعناد وكتمان صفة نبينا ﷺ بعد العلم به عن أبي مسلم وقيل إلا الذين ظلموا منهم بالإقامة على الكفر بعد قيام الحجة عن ابن زيد والأولى ان يكون معناه إلا الذين ظلموك في جدالهم أو

في غيره مما يقتضي الاغلاظ لهم فيجوز أن يسلكوا معهم طريقة الغلظة وقيل ان الآية منسوخة بآية السيف عن قتادة والصحيح انها غير منسوخة لأن الجدال على الوجه الأحسن هو الواجب الذي لا يجوز غيره ﴿وقولوا﴾ لهم في المجادلة وفي الدعوة الى الدين ﴿ممنا بالذي أنزل الينا وأنزل اليكم﴾ اي بالكتاب الذي أنزل الينا وبالكتاب الذي انزل اليكم ﴿وإلهنا وإلهكم واحد﴾ لا شريك له ﴿ونحن له مسلمون﴾ أي مخلصون طائعون ﴿وكذلك﴾ أي ومثل ما انزلنا الكتاب على موسى وعيسى ﴿أنزلنا اليك الكتاب﴾ وهو القرآن ﴿فالذين آتيناهم الكتاب﴾ أي علم الكتاب فحذف المضاف ﴿يؤمنون به﴾ يعني مؤمني اهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام ونظرائه ﴿ومن هؤلاء﴾ يعني كفار مكة ﴿من يؤمن به﴾ يعني من اسلم منهم ويجوز ان تكون الهاء في ربه راجعة الى النبي ﷺ ويجوز ان تكون راجعة إلى القرآن ويحتمل ايضاً ان يريد بقوله الذين آتيناهم الكتاب المسلمين والكتاب القرآن ومن هؤلاء يعني ومن اليهود والنصارى من يضمن به ﴿وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون﴾ أي وما ينكر دلالاتنا إلا الكافرون ولا يضرّك جحودهم ثم خاطب نبيه ﷺ فقال ﴿وما كنت تتلو من قبله من كتاب﴾ أي وما كنت يا محمد تقرأ قبل القرآن كتاباً والمعنى انك لم تكن تحسن القراءة قبل ان يوحي اليك بالقرآن ﴿ولا تخطّه بيمينك﴾ معناه وما كنت أيضاً تكتبه بيدك ﴿إذا لارتاب المبطلون﴾ أي ولو كنت تقرأ كتاباً أو تكتبه لوجد المبطلون طريقاً إلى اكتساب الشك في امرك والقاء الريبة لضعفة الناس في نبوتك ولقالوا إنما تقرأ علينا ما جمعته من كتب الأولين فلما ساويتهم في المولد والمنشأ ثم أتيت بما عجزوا عنه وجب ان يعلموا انه من عند الله تعالى وليس من عندك إذ لم تجر العادة ان ينشأ الانسان بين قوم يشاهدون احواله من عند صغره الى كبره ويرونه في حضرة وسفره لا يتعلم شيئاً من غيره ثم يأتي من عنده بشيء يعجز الكل عنه وعن بعضه ويقرأ عليهم اقاصيص الأولين . قال الشريف الأجل المرتضى علم الهدى قدّس الله روحه هذه الآية تدل على ان النبي ﷺ ما كان يحسن الكتابة قبل النبوة فأما بعد النبوة فالذي نعتقده في ذلك التجويز لكونه عالماً بالكتابة والقراءة والتجويز لكونه غير عالم بهما من غير قطع على أحد الأمرين وظاهر الآية يقتضي ان النفي قد تعلق بما قبل النبوة دون ما بعدها ولأن التعليل في الآية يقتضي اختصاص النفي بما قبل النبوة لأن المبطلين إنما يرتابون في نبوته ﷺ لو كان يحسن الكتابة قبل النبوة فأما بعد النبوة فلا تعلق له بالريبة والتهمة فيجوز ان يكون قد تعلمها من جبرائيل (ع) بعد النبوة ثم قال سبحانه ﴿بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم﴾ يعني ان القرآن دلالات واضحات في صدور العلماء وهم النبي ﷺ والمؤمنون به لأنهم حفظوه ووعوه ورسخ معناه في قلوبهم عن الحسن وقيل

هم الأئمة (ع) من آل محمد عن أبي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام وقيل إن هو كناية عن النبي ﷺ اي انه في كونه امياً لا يقرأ ولا يكتب آيات بينات في صدور العلماء من اهل الكتاب لأنه منعوت في كتبهم بهذه الصفة عن الضحاك وقال قتادة المراد به القرآن وأعطى هذه الأمة الحفظ ومن كان قبلها لا يقرؤون الكتاب إلا نظراً فإذا طبقوه لم يحفظوا ما فيه إلا اليسير ﴿وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون﴾ الذين ظلموا انفسهم بترك النظر فيها والعناد لها بعد حصول العلم لهم بها وقيل يريد بالظالمين كفار قريش واليهود وقالوا يعني كفار مكة ﴿لولا انزل عليه آية من ربه﴾ أراد به الآيات التي اقترحوها في قوله وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً الآيات وان يجعل الصفا ذهباً وقيل انهم سألوا آية كآية موسىٰ (ع) من فلق البحر وقلب العصا حية وجعلوا ما أتى به من المعجزات والآيات عير آية وحجة إلقاء للشبهة بين العوام فقال الله تعالى ﴿قل﴾ يا محمد لهم ﴿إنما الآيات عند الله﴾ ينزلها ويظهرها بحسب ما يعلم من مصالح عباده وينزل على كل نبي منها ما هو أصلح له ولأمته ولذلك لم تتفق آيات الأنبياء كلها وإنما جاء كل نبي بفن منها ﴿وإنما انا نذير مبين﴾ أي منذر مخوّف من معصية الله مظهر طريق الحق والباطل وقد فعل الله سبحانه ما يشهد بصدقي من المعجزات.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ
أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ
لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِى
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى
لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۚ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ
بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ
ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ

تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾

[القراءة] قرأ نافع وأهل الكوفة ويقول بالياء والآخرون بالنون .

[الحجة] قال أبو علي ويقول اي ويقول الموكل بعذابهم ذوقوا كقوله والملائكة باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم تجزون عذاب الهون أي يقولون لهم ومن قرأ بالنون فلأن ذلك لما كان بأمره سبحانه جاز أن ينسب اليه والمعنى ذوقوا جزاء ما كنتم تعملون وإنما قيل ذوقوا الوصول ذلك إلى المعذبين واتصاله كوصول المذوق إلى الذائق قال (دُونَكَ مَا جَنَيْتَهُ فَاحْسُن وُذُقْ)[1] .

[الاعراب] يتلى في موضع نصب على الحال من الكتاب اي متلو عليهم . يعلم ما في السماوات يجوز ان يكون صفة لقوله شهيداً ويجوز أن يكون حالاً ويجوز ان يكون جملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب . وليأتينهم اللام جواب قسم مقدر . بغتة منصوب على الحال . يوم يغشيهم ظرف لقوله محيطة .

[المعنى] لمّا تقدّم طلبهم للآيات أجابهم سبحانه فقال ﴿ أو لم يكفهم إنا أنزلنا عليك ﴾ يا محمد ﴿ الكتاب ﴾ أي القرآن ﴿ يتلى عليهم ﴾ بين سبحانه أن في إنزال القرآن دلالة واضحة ومعجزة لائحة وحجة بالغة تنزاح معه العلة وتقوم به الحجة فلا يحتاج في الوصول إلى العلم بصحة نبوته إلى غيره على أن إظهار المعجزات مع كونها إزاحة للعلة تراعى فيه المصلحة فإذا كانت المصلحة في إظهار نوع منها لم يجز إظهار غيرها ولو أظهر الله سبحانه الآيات التي إقترحوها ثم لم يؤمنوا لاقتضت الحكمة إهلاكهم بعذاب الإستئصال كما اقتضت ذلك في الأمم السالفة وقد وعد الله سبحانه أن لا يعذب هذه الأمة بعذاب الإستئصال وفي هذا دلالة على أن القرآن كافي في المعجز وأنه في أعلى درجات الإعجاز لأنه جعله كافياً عن جميع المعجزات والكفاية بلوغ حدّ ينافي الحاجة ﴿ إن في ذلك ﴾ معناه إن في القرآن ﴿ لرحمة ﴾ أي نعمة عظيمة الموقع لأن من تبعه وعمل به نال الثواب وفاز بالجنة ﴿ وذكرى ﴾ أي وتذكير أو موعظة ﴿ لقوم يؤمنون ﴾ أي يصدّقون به وقيل أن قوماً من المسلمين كتبوا شيئاً من كتب أهل الكتاب فهدّدهم سبحانه في هذه الآية ونهاهم عنه وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم جئتكم بها بيضاء نقية ﴿ قل ﴾ يا محمد ﴿ كفى بالله بيني

(١) دونك اي خذ . واحس فعل أمر من حسا يحسو اي اشرب .

وبينكم شهيداً ﴾ لي بالصدق والإبلاغ وعليكم بالتكذيب والعناد وشهادة الله له قوله محمد رسول الله وهو في كلام معجز قد ثبت أنه من الله سبحانه وقيل إن شهادة الله له إثبات المعجزة له بإنزال الكتاب عليه ﴿ يعلم ما في السموات والأرض ﴾ فيعلم أني على الهدى وأنكم على الضلالة ﴿ والذين آمنوا بالباطل ﴾ أي صدقوا بغير الله عن ابن عباس وقيل بعبادة الشيطان عن مقاتل ﴿ وكفروا بالله ﴾ أي جحدوا وحدانية الله ﴿ أولئك هم الخاسرون ﴾ خسروا ثواب الله بارتكاب المعاصي والجحود بالله ﴿ ويستعجلونك بالعذاب ﴾ يا محمد أي يسألونك نزول العذاب عاجلاً لجحودهم صحة ما توعدهم به كما قال النضر بن الحرث أمطر علينا حجارة من السماء ﴿ ولولا أجل مسمى ﴾ أي وقت قدرة الله تعالى أن يعاقبهم فيه وهو يوم القيامة أو أجل قدّره الله تعالى أن يبقيهم إليه لضرب من المصلحة ﴿ لجاءهم العذاب ﴾ الذي استحقّوه ﴿ وليأتينهم ﴾ العذاب ﴿ بغتة وهم لا يشعرون ﴾ بإتيانه ووقت مجيئه ثم ذكر أن موعد عذابهم النار فقال ﴿ يستعجلونك بالعذاب وإن جهنم لمحيطة بالكافرين ﴾ يعني إن العذاب وإن لم يأتهم في الدنيا فإن جهنم محيطة بهم أي جامعة لهم وهم معذّبون فيها لا محالة ﴿ يوم يغشيهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم ﴾ يعني أن العذاب يحيط بهم لا أنه يصل إلى موضع منهم دون موضع فلا يبقى جزء منهم إلا وهو معذب في النار عن الحسن وهذا كقوله لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش ﴿ ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون ﴾ أي جزاء أعمالكم وأفعالكم القبيحة .

﴿ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ غُرَفٗا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ نِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٖ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٦٠﴾

[القراءة] قرأ يرجعون بالياء يحيى عن أبي بكر وهشام والباقون بالتاء وقرأ أهل الكوفة

غير عاصم لنثوينهم بالثاء والباقون لنبوئنهم بالباء .

[الحجة] قال أبو علي أما يرجعون بالياء فلأن الذي قبله على لفظ الغيبة وترجعون على أنه إنتقل من الغيبة إلى الخطاب مثل إياك نعبد بعد قوله الحمد لله وحجة من قرأ لنبوئنهم بالباء قوله ﴿ ولقد بوأنا بني إسرائيل ﴾ مبوء صدق وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت وتكون اللام هنا زائدة كزيادتها في قوله ﴿ ردف لكم ﴾ ويجوز أن يكون بوأنا لدعاء إبراهيم (ع) ويكون المفعول محذوفاً أي بوأنا لدعائه ناساً مكان البيت ومن قرأ لنثوينهم فحجته قوله ﴿ وما كنت ثاوياً في أهل مدين ﴾ أي مقيماً نازلاً فيهم قال الأعشى :

أَثْـوَىٰ وَقَـصَّـرَ لَـيْـلَهُ لِـيُـزَوَّدا وَمَضَىٰ وَأَخْلَفَ مِنْ قُتَيْلَةَ مَوْعِـداً[1]

وقال حسان « ثَوىٰ في قُرَيْشٍ بِضْعَ عَشْرَةَ حَجَّة » أي أقام فيهم فإذا تعدّى بحرف جرّ فزيدت عليه الهمزة وجب أن يتعدّى إلى المفعول الثاني بحرف جرّ وليس في الآية حرف جر قال أبو الحسن قرأ الأعمش لنثوينهم من الجنة غرفاً ولا يعجبني لأنك لا تقول أثويته الدار قال أبو علي ووجهه أنه كان في الأصل لنثوينهم من الجنة في غرف كما يقول لننزلنهم من الجنة في غرف وحذف الجار كما حذف من قولك « أمرتك الخير فافعل ما أمرت به » ويقوي ذلك أن الغرف وإن كانت أماكن مختصة فقد أجريت المختصة من هذه الحروف مجرى غير المختص نحو قوله (كَمَا عَسَلَ الطَّرِيقِ الثَّعْلَبُ)[2] ونحو ذهبت الشام عند سيبويه .

[الإعراب] خالدين نصب على الحال من الهاء والميم . الذين صبروا في موضع جر صفة للعالمين ويكون المخصوص بالمدح محذوفاً أي نعم أجر العاملين الصابرين المتوكلين أجرهم ويجوز أن يكون المضاف محذوفاً أي نعم أجر العاملين أجر الذين صبروا فحذف المخصوص بالمدح وأقام المضاف إليه مقامه . وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله . موضع كأين مرفوع . ومن دابة في موضع التبيين له . وقوله ﴿ لا تحمل رزقها ﴾ صفة للمجرور ويكون قوله الله مبتدأ ويرزقها خبره والجملة خبر كأين .

---

(١) قوله « وأخلف » أي صادفها مخلفة وعدها ، وقتيلة : إسم معشوقته وقد مر البيت في المجلد الثالث أيضاً .

(٢) وتمام البيت

لبدن بهز الكف يعسل متنه فيه كما عسل الطريق . . . ا.هـ

وهو مذكور في جامع الشواهد وقد مر في الكتاب أيضاً غير مرة .

[النزول] قيل نزلت الآية الأولى في المستضعفين من المؤمنين بمكة أمروا بالهجرة عنها عن مقاتل والكلبي ونزل قوله ﴿ وكأين من دابة لا تحمل رزقها ﴾ في جماعة كانوا بمكة يؤذيهم المشركون فأمروا بالهجرة إلى المدينة فقالوا كيف نخرج إليها وليس لنا بها دار ولا عقار ومن يطعمنا ومن يسقينا ؟

[المعنى] ثم بيّن سبحانه أنه لا عذر لعباده في ترك طاعته فقال ﴿ يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة ﴾ يبعد أقطارها فاهربوا من أرض يمنعكم أهلها من الإيمان والإخلاص في عبادتي وقال أبو عبد الله (ع) معناه إذا عصي الله في أرض أنت فيها فاخرج منها إلى غيرها وقيل معناه إن أرض الجنة واسعة عن الجبائي وأكثر المفسرين على القول الأول ﴿ فإياي فاعبدون ﴾ أي أعبدوني خالصاً ولا تطيعوا أحداً من خلقي في معصيتي وإياي منصوب بفعل مضمر يفسّره ما بعده وقد مرّ بيانه وقيل إن دخول الفاء للجزاء والتقدير إن ضاق بكم موضع فاعبدوني ولا تعبدوا غيري إن أرضي واسعة أمر سبحانه المؤمنين إذا كانوا في بلد لا يلتئم فيه لهم أمر دينهم أن ينتقلوا عنه إلى غيره ثم خوّفهم بالموت ليهون عليهم الهجرة فقال ﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾ أي كل نفس أحياها الله بحياة خلقها فيه ذائقة مرارة الموت بأيّ أرض كان فلا تقيموا بدار الشرك خوفاً من الموت ﴿ ثم إلينا ترجعون ﴾ بعد الموت فنجازيكم بأعمالكم ثم ذكر سبحانه ثواب من هاجر فقال ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ يعني المهاجرين ﴿ لنبوئنهم ﴾ أي لننزلنّهم ﴿ من الجنة غرفاً ﴾ أي علالي عاليات ﴿ تجري من تحتها الأنهار ﴾ قال ابن عباس لنسكننهم غرف الدور والزبرجد والياقوت ولننزلنهم قصور الجنة ﴿ خالدين فيها ﴾ يبقون فيها ببقاء الله ﴿ نعم أجر العاملين ﴾ لله تلك الغرف ثم وصفهم فقال ﴿ الذين صبروا ﴾ على دينهم فلم يتركوه لشدة نالتهم وأذى لحقهم وصبروا على مشاق الطاعات ﴿ وعلى ربهم يتوكلون ﴾ في مهمات أمورهم ومهاجرة دورهم ثم قال ﴿ وكأين من دابة لا تحمل رزقها ﴾ أي وكم من دابة لا يكون رزقها مدخراً معداً عن الحسن وقيل معناه لا تطيق حمل رزقها لضعفها وتأكل بأفواهها عن مجاهد وقيل إن الحيوان أجمع من البهائم والطيور وغيرهما مما يدبّ على وجه الأرض لا تدخر القوت لغدها إلا ابن آدم والنملة والفارة بل تأكل منه قدر كفايتها فقط عن ابن عباس ﴿ الله يرزقها وإياكم ﴾ أي يرزق تلك الدابة الضعيفة التي لا تقدر على حمل رزقها ويرزقكم أيضاً فلا تتركوا الهجرة بهذا السبب وعن عطا عن ابن عمر قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى دخل بعض حيطان الأنصار فجعل يلتقط من التمر ويأكل فقال يا ابن عمر مالك لا تأكل فقلت لا أشتهيه يا رسول الله قال لكنّي أشتهيه وهذه صبح رابعة منذ لم أذق

طعاماً ولو شئت لدعوت ربي فأعطاني مثل ملك كسرى وقيصر فكيف بك يا ابن عمر إذا بقيت مع قوم يخبئون رزق سنتهم لضعف اليقين فوالله ما برحنا حتى نزلت هذه الآية وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم ﴿ وهو السميع العليم ﴾ أي السميع لأقوالكم عند مفارقة أوطانكم العليم بأحوالكم لا يخفى عليه شيء من سرّكم وإعلانكم .

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ
يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ ۚ
إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً
فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ
أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ
وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ فَإِذَا رَكِبُوا۟
فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ
إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ
يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ
حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ
مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى
جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ
وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾

[القراءة] قرأ ابن كثير وقالون وأهل الكوفة غير عاصم إلا الأعمش والبرجمي وليتمتعوا ساكنة اللام والباقون وليتمتعوا بكسر اللام .

[الحجة] قال أبو علي من كسر اللام وجعلها الجارة كانت متعلقة بالإشراك المعنى يشركون ليكفروا أي لا فائدة لهم في الإشراك إلا الكفر وليس يرد عليهم الشرك نفعاً إلا الكفر والتمتع بما يستمعون به في العاجلة من غير نصيب في الآخرة ومن قرأ وليتمتعوا وأراد الأمر كان على معنى التهديد والوعيد كقوله ﴿ واستفزز من استطعت واعملوا ما شئتم ﴾ ويدل على ذلك قوله في موضع آخر ﴿ فتمتعوا فسوف تعلمون ﴾ والإسكان في لام الأمر سائغ .

[اللغة] قال أبو عبيدة الحيوان والحياة واحد وهما مصدران حي حياة وحيواناً والحياة عرض يُصيّر الأجزاء بمنزلة الشيء الواحد حتى يصح أن يكون قادراً عالماً وخاصية الحياة الإدراك . والتخطف تناول الشيء بسرعة ومنه إختطاف الطير لصيده .

[الإعراب] أنّى في قوله ﴿ وأنى يؤفكون ﴾ منصوب الموضع فيجوز أن يكون حالاً من يؤفكون والتقدير منكرين يؤفكون ويجوز أن يكون مصدراً تقديره أيّ إفك يؤفكون ويتخطف الناس من حولهم جملة في موضع الحال .

[المعنى] ثم عجّب سبحانه ورسوله والمؤمنون من إيمان المشركين بالباطل مع إعترافهم بأن الله هو الخالق الفاعل فقال ﴿ ولئن سئلتهم ﴾ أي إن سألت يا محمد هؤلاء المشركين ﴿ من خلق السماوات والأرض ﴾ أي من أنشأهما وأخرجهما من العدم إلى الوجود ﴿ وسخّر الشمس والقمر ﴾ أي من ذلّلهما وسيّرهما في دورانهما على طريقة واحدة لا تختلف ﴿ ليقولن ﴾ في جواب ذلك ﴿ الله ﴾ الفاعل لذلك لأنهم كانوا يقولون بحدوث العالم والنشأة الأولى ﴿ فأنّى يؤفكون ﴾ أي فكيف يصرفون عن عبادته إلى عبادة حجر لا ينفع ولا يضرّ ﴿ الله يبسط الرزق ﴾ أي يوسعه ﴿ لمن يشاء من عباده ويقدر له ﴾ أي ويضيق ذلك على قدر ما تقتضيه المصلحة وإنما خصّ بذكر الرزق على الهجرة لئلا يخلفهم عنها خوف العيلة ﴿ إن الله بكل شيء عليم ﴾ يعلم مصالح عباده فيرزقهم بحسبها ﴿ ولئن سئلتهم من نزّل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن ﴾ في الجواب عن ذلك ﴿ الله ﴾ قل يا محمد عند ذلك ﴿ الحمد لله ﴾ على كمال قدرته وتمام نعمته وعلى ما وفقنا للإعتراف بتوحيده والإخلاص في عبادته ثم قال ﴿ بل أكثرهم لا يعقلون ﴾ توحيد ربهم مع إقرارهم بأنه خالق الأشياء ومنزل المطر من السماء لأنهم لا يتدبرون وعن الطريق المفضي

إلى الحق يعدلون فكأنهم لا يعقلون ﴿ وما هذه الحيوة الدنيا إلا لهو ولعب ﴾ لأنها تزول كما يزول اللهو واللعب ويستمتع بها الإنسان مدة ثم تنصرم وتنقطع ﴿ وإن الدار الآخرة ﴾ يعني الجنة ﴿ لهي الحيوان ﴾ أي الحياة على الحقيقة لأنها الدائمة الباقية التي لا زوال لها ولا موت فيها وتقديره وإن الدار الآخرة لهي دار الحيوان أو ذات الحيوان لأن الحيوان مصدر كالنزوان والغليان فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه والمعنى أن حياة الدار الآخرة هي الحياة التي لا تنغيص فيها ولا تكدير ﴿ لو كانوا يعلمون ﴾ الفرق بين الحياة الفانية والحياة الباقية الدائمة أي لو علموا لرغبوا في الباقي وزهدوا في الفاني ولكنَّهم لا يعلمون ﴿ فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين ﴾ أخبر الله سبحانه عن حال هؤلاء الكفار فقال إنهم إذا ركبوا في السفن في البحر وهاجت به الرياح وتلاطمت به الأمواج وخافوا الهلاك أخلصوا الدعاء لله مستيقنين أنه لا يكشف السوء إلا هو وتركوا شركاءهم فلم يطلبوا منهم إنجاءهم ﴿ فلما نجيهم إلى البر إذا هم يشركون ﴾ أي فلما خلَّصهم إلى البر وأمنوا الهلاك عادوا إلى ما كانوا عليه من الإشراك معه في العبادة ﴿ ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا فسوف يعلمون ﴾ إن جعلت اللام للأمر فمعناه التهديد أي ليجحدوا نعم الله في إنجائه إياهم وليتمتعوا بباقي عمرهم فسوف يعلمون عاقبة كفرهم وإن جعلتها لام كي فالمعنى أنهم يشركون ليكفروا وقد مرَّ معناه ﴿ أولم يروا ﴾ أي ألم يعلم هؤلاء الكفار ﴿ أنا جعلنا حرماً آمناً ﴾ يأمن أهله فيه من القتل والغارة ﴿ ويتخطف الناس من حولهم ﴾ أي يقتل بعضهم بعضاً فيما حولهم وهم آمنون في الحرم ذكَّرهم سبحانه النعمة بذلك ليذعنوا له بالطاعة وينزجروا عن عبادة غيره ثم قال مهدّداً لهم ﴿ أفبالباطل يؤمنون ﴾ أي يصدقون بعبادة الأصنام وهي باطلة مضمحلة ﴿ وبنعمة الله ﴾ التي أنعم بها عليهم ﴿ يكفرون ﴾ ثم قال ﴿ ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً ﴾ أي لا ظالم أظلم ممن أضاف إلى الله ما لم يقله من عبادة الأصنام وغيرها ﴿ أو كذَّب بالحق ﴾ أي بالقرآن وقيل بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ لما جاءه أليس في جهنم مثوى للكافرين ﴾ هذا استفهام تقرير أي أما لهؤلاء الكفار المكذبين مثوى في جهنم وهذا مبالغة في إنجاز الوعيد لهم ﴿ والذين جاهدوا فينا ﴾ أي جاهدوا الكفار ابتغاء مرضاتنا وطاعة لنا وجاهدوا أنفسهم في هواها خوفاً منا وقيل معناه إجتهدوا في عبادتنا رغبة في ثوابنا ورهبة في عقابنا ﴿ لنهدينهم سبلنا ﴾ أي لنهدينهم السبل الموصلة إلى ثوابنا عن ابن عباس وقيل لنوفقنهم لازدياد الطاعات فيزداد ثوابهم وقيل معناه والذين جاهدوا في إقامة السنة لنهدينَّهم سبل الجنة وقيل معناه والذين يعملون بما يعلمون لنهدينهم إلى ما لا يعلمون ﴿ وإن الله لمع المحسنين ﴾ بالنصر والمعونة في دنياهم والثواب والمغفرة في عقباهم وبالله التوفيق .

(٣٠) سورة الروم مكية وآياتها ستون

هي مكية قال الحسن إلا قوله فسبحان الله حين تمسون الآية

[عدد آيها] تسع وخمسون مكية والمدني الأخير والباقون ستون آية .

[إختلافها] أربع آيات آلم كوفي غلبت الروم غير الكوفي والمدني الأخير في بضع سنين غير الكوفي والمدني الأول يقسم المجرمون المدني الأول .

[فضلها] أبيّ بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ومن قرأها كان له من الأجر عشر حسنات بعدد كل ملك سبح لله ما بين السماء والأرض وأدرك ما ضيع في يوم وليلته .

[تفسيرها] أجمل في آخر العنكبوت ذكر المجاهدين ثم فصّل في هذه السورة فقال :

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ

النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾

[اللغة] قال الزجاج الغلب والغلبة مصدر غلبت مثل الجلب والجلبة والغلبة الإستيلاء على القرن بالقهر والبضع القطعة من العدد ما بين الثلاثة إلى العشرة وهو من بضعته أي قطعته تبضيعاً ومنه البضاعة القطعة من المال تدور في التجارة قال المبرد البضع ما بين العقدين في جميع الأعداد والفرح والسرور نظيران وتقيضهما الغم وليس شيء من ذلك بجنس والصحيح أنها من جنس الإعتقاد .

[الإعراب] من بعد غلبهم تقديره من بعد أن غلبوا فالمصدر مضاف إلى المفعول . وعد الله مصدر مؤكّد لأن قوله سيغلبون وعد من الله للمؤمنين فالمعنى وعد الله ذلك وعداً .

[المعنى] ﴿ آلم ﴾ كرَّ تفسيره ﴿ غلبت الروم ﴾ قال المفسرون غلبت فارس الروم وظهروا عليهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفرح بذلك كفار قريش من حيث إن أهل فارس لم يكونوا أهل كتاب وساء ذلك المسلمين وكان بيت المقدس لأهل الروم كالكعبة للمسلمين فدفعتهم فارس عنه وقوله ﴿ في أدنى الأرض ﴾ أي في أدنى الأرض من أرض العرب عن الزجاج وقيل في أدنى الأرض من أرض الشام إلى أرض فارس يريد الجزيرة وهي أقرب أرض الروم إلى فارس عن مجاهد وقيل يريد أذرعات وكسكر عن عكرمة ﴿ وهم ﴾ يعني الروم ﴿ من بعد غلبهم سيغلبون ﴾ أي من بعد غلبة فارس إياهم سيغلبون فارس ﴿ في بضع سنين ﴾ وهذه من الآيات الدالة على أن القرآن من عند الله عز وجل لأن فيه أنباء ما سيكون وما يعلم ذلك إلا الله عز وجل ﴿ لله الأمر من قبل ومن بعد ﴾ أي من قبل أن غلبت الروم ومن بعد أن غلبت فإن شاء جعل الغلبة لأحد الفريقين على الآخر وإن شاء جعل الغلبة للفريق الآخر عليهم وإن شاء أهلكهما جميعاً ﴿ ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ﴾ أي ويوم يغلب الروم فارساً يفرح المؤمنون بدفع الروم فارساً عن بيت المقدس لا بغلبة الروم على بيت المقدس فإنهم كفار ويفرحون أيضاً لوجوه أخر وهو اغتمام المشركين بذلك ولتصديق خبر الله عز وجل وخبر رسوله ولأنه مقدمة لنصرهم على المشركين ﴿ ينصر من يشاء ﴾ من عباده ﴿ وهو العزيز ﴾ في الإنتقام من أعدائه ﴿ الرحيم ﴾ بمن أناب إليه من خلقه ﴿ وعد الله ﴾ أي وعد الله ذلك ﴿ لا يخلف الله وعده ﴾ بظهور الروم على فارس ﴿ ولكن أكثر الناس ﴾ يعني كفار مكة ﴿ لا يعلمون ﴾ صحة ما أخبرناه لجهلهم بالله تعالى

﴿ يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ﴾ أي يعلمون منافع الدنيا ومضارها ومتى يزرعون ومتى يحصدون وكيف يجمعون وكيف يبنون وهم جهال بالآخرة فعمروا دنياهم وخربوا آخرتهم عن ابن عباس وقال الحسن بلغ والله من علم أحدهم بدنياه أن يقلب الدرهم على ظهره فيخبرك بوزنه وما يحسن أن يصلي وسئل أبو عبد الله (ع) عن قوله ﴿ يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا ﴾ فقال منه الزجر[1] والنجوم .

[القصة] عن الزهري قال كان المشركون يجادلون المسلمين وهم بمكة يقولون أن الروم أهل كتاب وقد غلبهم الفرس وأنتم تزعمون أنكم ستغلبون بالكتاب الذي أنزل إليكم على نبيكم فسنغلبكم كما غلبت فارس الروم وأنزل الله تعالى ﴿ الم غلبت الروم ﴾ إلى قوله ﴿ في بضع سنين ﴾ قال فأخبرني عبد الله بن عتبة بن مسعود أن أبا بكر ناحَبَ[2] بعض المشركين قبل أن يحرم القمار على شيء إن لم تغلب فارس في سبع سنين فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم فعلت فكل ما دون العشرة بضع فكان ظهور فارس على الروم في تسع سنين ثم أظهر الله الروم على فارس زمن الحديبية ففرح المسلمون بظهور أهل الكتاب وروى أبو عبد الله الحافظ بالإسناد عن ابن عباس في قوله ﴿الم غلبت الروم ﴾ قال قد مضى كان ذلك في أهل فارس والروم وكانت فارس قد غلبت عليهم ثم غلبت الروم بعد ذلك ولقي نبي الله مشركي العرب والتقت الروم وفارس فنصر الله النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومن معه من المسلمين على مشركي العرب ونصر أهل الكتاب على مشركي العجم ففرح المسلمون بنصر الله إياهم ونصر أهل الكتاب على العجم قال عطية وسألت أبا سعيد الخدري عن ذلك فقال إلتقينا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومشركوا العرب والتقت الروم وفارس فنصرنا الله على مشركي العرب ونصر أهل الكتاب على المجوس ففرحنا بنصر الله إيانا على مشركي العرب ونصر أهل الكتاب على المجوس فذلك قوله ﴿ يومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ﴾ وقال سفيان الثوري سمعت أنهم ظهروا يوم بدر وقال مقاتل فلما كان يوم بدر غلب المسلمون كفار مكة وأخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن الروم غلبت فارساً ففرح المؤمنون بذلك وروي أنهم استردوا بيت المقدس وأن ملك الروم مشى إليك شكراً وبسطت له الرياحين فمشي عليها وقال الشعبي لم تمض تلك المدة

---

(١) الزجر : التيمن والتشاؤم بالطير والتفاؤل بطيرانها وهو نوع من الكهانة والعيافة ، قيل : وإنما سمى الكاهن زاجراً لأنه إذا رأى ما يظن أنه يتشاؤم به زجر بالنهي عن المضي في تلك الحاجة برفع صوت وشدة .

(٢) ناحبه على كذا : راهنه .

التي عقدها أبو بكر مع أبي بن خلف حتى غلبت الروم فارساً وربطوا خيولهم بالمدائن وبنوا الرومية[1] فأخذ أبو بكر الخطر من ورثته وجاء به إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فتصدق به وروي أن أبا بكر لما أراد الهجرة تعلق به أبي وأخذ ابنه عبد الله بن أبي بكر كفيلاً فلما أراد أن يخرج أبيّ إلى حرب أحد تعلق به عبد الله بن أبي بكر وأخذ منه ابنه كفيلاً وجرح أبي في أحد وعاد إلى مكة فمات من تلك الجراحة جرحه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجاءت الرواية عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال لفارس نطحة أو نطحتان ثم قال لا فارس بعدها أبداً والروم ذات القرون كلما ذهب قرن خلف قرن هبهب إلى آخر الأبد والمعنى أن فارس تنطح نطحة أو نطحتين فيبطل ملكها ويزول أمرها

﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ
اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ
كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴿٨﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي
الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا أَشَدَّ
مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ
رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ ۖ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ
يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَىٰ أَن كَذَّبُوا
بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٠﴾

[القراءة] قرأ أهل الكوفة غير البرجمي والشموني عن أبي بكر عاقبة بالنصب والباقون بالرفع .

[الحجة] قال أبو علي من نصب عاقبة جعلها خبر كان.ونصبها متقدمة كما قال وكان

---

(١) الرومية : بلد .

حقاً علينا نصر المؤمنين فأما أسمها على هذه القراءة فيجوز أن يكون أحد الشيئين السؤى عاقبة الذين أساءوا ويكون إن كذبوا مفعولاً له أي لأن كذبوا ولا يجوز أن يكون كذبوا متعلقاً بقوله ﴿ أساءوا ﴾ على هذا لأنك تفصل بين الصلة والموصول باسم كان أو يكون إن كذبوا إسم كان والتقدير ثم كان التكذيب عاقبة الذين أساءوا ويكون السؤى على هذا مصدراً لأساؤوا لأن فعلى من أبنية المصادر كالرجعى والشورى والبشرى ويدل على أن السؤى والسوء بمنزلة المصدر ما أنشده أبو عمرو :

أنّى جَزَوْا عامِراً سُوءاً بِفِعْلِهِمُ ... أمْ كَيْفَ يَجْزُونَني السُّوْىَ مِنَ الْحَسَنِ

ومن رفع عاقبة جاز أن يكون الخبر أحد الشيئين السؤى وإن كذبوا كما جاز في النصب أن يكون كل واحد منهما الإسم ومعنى الذين أساءوا الذين أشركوا والتقدير ثم كان عاقبة المسيىء التكذيب بآيات الله أي لم يظفر في كفره وشركه بشيء إلا بالتكذيب وإذا جعلت أن كذبوا نفس الخبر جعلت السؤى في موضع نصب بأنه مصدر وقد يجوز أن يكون السؤى صفة لموصوف محذوف كأنه قال الخلة السؤى أو الخلال السؤى .

[المعنى] ثم حثّ سبحانه على التفكر والتدبّر فيما يدل على توحيده من خلق السماوات والأرض ثم في أحوال القرون الخالية والأمم الماضية فقال ﴿ أولم يتفكروا في أنفسهم ﴾ أي في حال الخلوة لأن في تلك الحالة يتمكن الإنسان من نفسه ويحضره ذهنه وقيل معناه أو لم يتفكروا في خلق الله أنفسهم والمعنى أو لم يتفكروا فيعلموا وحذف لأن في الكلام دليلاً عليه ﴿ ما خلق الله السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق ﴾ قال الزجاج معناه إلا للحق أي لإقامة الحق ومعناه للدلالة على الصانع والتعريض للثواب ﴿ وأجل مسمى ﴾ أي ولوقت معلوم توفى فيه كل نفس ما كسبت وقيل معناه خلقها في أوقات قدرها اقتضت المصلحة خلقها فيها ولم يخلقها عبثاً عن الجبائي ﴿ سؤال ﴾ قالوا كيف يعلم المتفكر في نفسه إن الله سبحانه لم يخلق شيئاً إلا بالحق وكيف يعلم الآخرة ﴿ جواب ﴾ قلنا إذا علم بالنظر في نفسه أنه محدث مخلوق وإن له محدثاً قديماً قادراً عالماً حياً وأنه لا يفعل القبيح وأنه حكيم علم أنه لم يخلقه عبثاً وإنما خلقه لغرض وهو التعريض للثواب وذلك لا يتم إلا بالتكليف فلا بدّ إذاً من الجزاء فإذا لم يوجد في الدنيا فلا بدّ من دار أخرى يجازى فيها ويعلم إذا خلق ما لا ينتفع بنفسه فلا بدّ أن يكون الغرض أن ينتفع الحي به ﴿ وإن كثيراً من الناس بلقاء ربهم لكافرون ﴾ أي بلقاء جزاء ربهم وبالبعث وبيوم القيامة لجاحدون غير معترفين ثم نبّههم سبحانه دفعة أخرى فقال ﴿ أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان

عاقبة الذين من قبلهم ﴾ من الأمم ﴿ كانوا أشد منهم قوة ﴾ فهلكوا وبادوا فيعتبروا بهم لعلمهم أنهم أهلكوا بتكذيبهم ﴿ وأثاروا الأرض ﴾ أي وقلبوها وحرثوها بعمارتها عن مجاهد ﴿ وعمروها أكثر مما عمروها ﴾ أي أكثر مما عمرها هؤلاء الكفار لأنهم كانوا أكثر أموالاً وأطول أعماراً وأكثر أعداداً فحفروا الأنهار وغرسوا الأشجار وبنوا الدور وشيّدوا القصور ثم تركوها وصاروا إلى القبور وإلى الهلاك والثبور ﴿ وجاءتهم رسلهم بالبينات ﴾ أي أتتهم رسلهم بالدلالات من عند الله وفي الكلام حذف تقديره فجحدوا الرسل وكذبوا بتلك الرسل فأهلكهم الله بالعذاب ﴿ فما كان الله ليظلمهم ﴾ بأن يهلكهم من غير إستحقاق ﴿ ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ بأن جحدوا رسل الله وأشركوا معه في العبادة سواه حتى إستحقوا العذاب عاجلاً وآجلاً ﴿ ثم كان عاقبة الذين أساؤوا ﴾ إلى نفوسهم بالكفر بالله وتكذيب رسله وارتكاب معاصيه ﴿ السوأى ﴾ أي الخلة التي تسوء صاحبها إذا أدركها وهي عذاب النار عن ابن عباس وقتادة ﴿ إن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزؤون ﴾ أي لتكذيبهم بآيات الله واستهزائهم بها .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

﴿ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَٰٓؤُا۟ وَكَانُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآئِ ٱلْءَاخِرَةِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ

الْحَيَّ وَيُحْيِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ وَمِنْ
ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾

[القراءة] قرأ يرجعون بالياء أبو عمر وغير عباس وأوقية وسهل وحماد ويحيي مختلف عنهما والباقون بالتاء وقرأ حمزة والكسائي وكذلك تخرجون بفتح التاء والباقون بضمها وفتح الراء وفي الشواذ قراءة عكرمة حينا تمسون وما بعده .

[الحجة] قال أبو علي حجة الياء إن المتقدم ذكره غيبة يبدؤا الخلق ثم يعيده والخلق هم المخلوقون في المعنى وجاء قوله ﴿ ثم يعيده ﴾ على لفظ الخلق وقوله ﴿ وإليه يرجعون ﴾ على المعنى ولم يرجع على لفظ الواحد ووجه التاء أنه صار الكلام من الغيبة إلى الخطاب وحجة من قرأ يَخرجون من الأجداث وقوله ﴿ إلى ربهم ينسلون ﴾ وحجة تُخرجون من بعثنا من مرقدنا وقوله ﴿ وكذلك تخرج الموتى وإليه تقلبون ﴾ وأما قوله ﴿ حين تمسون ﴾ فالمراد تمسون فيه فحذف فيه تخفيفاً على مذهب صاحب الكتاب في نحوه ومثله قوله تعالى ﴿ واتقوا يوماً لا تجزى نفس عن نفس شيئاً ﴾ أي لا تجزى فيه قال ابن جني قال سيبويه حذف فيه معتبطاً لحرف الجر والضمير لدلالة الفعل عليهما وقال أبو الحسن حذف في فبقى تجزيه لأنه أوصل الفعل إليه ثم حذف الضمير من بعد فهما حذفان متتاليان شيئاً على شيء .

[اللغة] الإبلاس اليأس من الخير وقيل هو التحير عند لزوم الحجة قال العجاج :

يَا صَاحِ هَلْ تَعْرِفُ رَسْماً مُكْرَساً قَالَ نَعَمْ أَعْرِفُهُ وَأَبْلَسَا[1]

والحبرة المسرة ومنه الحبر العالم والحبر الجمال وفي الحديث يخرج رجل من النار ذهب حبره وسبره أي جماله وسحناؤه والتحبير التحسين الذي يسر به وخص ذكر الروضة هاهنا لأنه ليس عند العرب شيء أحسن منها قال الأعشى :

مَا رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْحَزْنِ مُعْشِبَةٌ خَضْرَاءُ جَادَ عَلَيْهَا مُسْبِلٌ هَطِلُ[2]

---

(١) المكرس : الذي صار فيه الكرس ـ بالكسر ـ ، وهو الأبوال والأبعار . وأبلس : سكت غماً .

(٢) الأبيات من قصيدة معروفة له واعتبرها بعض من المعلقات وأولها

ودع هريرة ان الركب مرتحل وهل تطيق وداعاً ايها الرجل =

يُضاحِكُ الشَّمْسَ مِنْها كَوْكَبٌ شَرِقٌ مُـوَزَّرٌ بِعَمِيمِ النَّبْتِ مُكْتَهِـلُ[١]
يَـوماً بِـأَطْيَبَ مِنْهـا نَشْـرَ رائحَـةٍ وَلا بِـأَحْسَنَ مِنْها إِذْ دَنَـا الأَصُلُ[٢]

[الإعراب] ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون يوم ظرف ليتفرقون ويومئذ بدل عنه وموضع الكاف من كذلك نصب بقوله يخرجون .

[المعنى] ثم ذكر سبحانه قدرته على الإعادة فقال ﴿ الله يبدؤا الخلق ثم يعيده ﴾ أي يخلقهم إبتداء ثم يعيدهم بعد الموت أحياءَ كما كانوا ﴿ ثم إليه يرجعون ﴾ فيجازيهم بأعمالهم ﴿ ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون ﴾ أي يوم تقوم القيامة ييأس الكافرون من رحمة الله تعالى ونعمه التي يفيضها على المؤمنين وقيل يتحيرون وتنقطع حججهم بظهور جلائل آيات الآخرة التي يقع عندها علم الضرورة ﴿ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء ﴾ أي لم يكن لهم من أوثانهم التي عبدوها ليشفعوا لهم شفعاء تشفع لهم أو تدفع عنهم كما زعموا أنا نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى ﴿ وكانوا بشركائهم كافرين ﴾ يعني أن المشركين يتبرؤن من الأوثان وينكرون كونها آلهة ويقرّون بأن الله لا شريك له عن الجبائي وأبي مسلم ﴿ ويوم تقوم الساعة ﴾ أي تظهر القيامة ﴿ يومئذ يتفرقون ﴾ فيصير المؤمنون أصحاب اليمين والمشركون أصحاب الشمال فيتفرقون تفرقاً لا يجتمعون بعده وقال الحسن لئن كانوا اجتمعوا في الدنيا ليتفرقنّ يوم القيامة هؤلاء في أعلى عليين وهؤلاء في أسفل السافلين وهو قوله ﴿ فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون ﴾ أي في الجنة ينعمون ويسرون سروراً يبين لهم عليهم عن قتادة ومجاهد ومنه قيل كل حبرة تتبعها عبرة والروضة البستان المتناهي منظراً وطيباً وقال ابن عباس يحبرون أي يكرمون وقيل يلذذون بالسماع عن يحيي بن أبي كثير والأوزاعي أخبرنا أبو الحسن عبيد الله بن محمد بن أحمد البيهقي قال

---

* « ما روضة » « ما » نافية و « روضة » اسمها و « بأطيب » في البيت الثالث خبرها والحزن : ما غلظ من الأرض واختص رياض الحزن لأنها أحسن من رياض الخفوض ، والمعشبة : ذات العشب . والمسبل الهطل : المطر المتواتر .

(١) « يضاحك الشمس » أي يدور معها حيثما دارت ، والمراد من الكواكب هنا الزهر وقيل : الكواكب معظم النبات . والشرق : الريان الممتلىء ماءاً . والمؤزر : الذي صار النبت كالازار له . والعميم : النبت الكثيف الحسن . واكتهل النبت : طال وانتهى منتهاه .

(٢) الأصل - بضمتين - جمع الأصيل ، والأصيل من العصر : العشاء ، وإنما خص هذا الوقت لأن النبات يكون فيه أحسن ما يكون لتباعد الشمس والفيء عنه . و « نشر رائحة » منصوب على التمييز وقيل على البيان وإن كان مضافاً لأن المضاف إلى النكرة نكرة .

أخبرنا جدي الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي قال حدثنا أبو سعيد عبد الملك بن أبي عثمان الزاهد قال أخبرنا أبو الحسن علي بن بندار قال حدثنا جعفر بن محمد بن الحسن القرباني قال حدثنا سليمان بن عبدالرحمان الدمشقي قال حدثنا خالد بن يزيد بن أبي مالك عن أبيه عن خالد بن معدان عن أبي أمامة الباهلي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ما من عبد يدخل الجنة إلا ويجلس عند رأسه وعند رجليه ثنتان من الحور العين تغنيانه بأحسن صوت سمعه الإنس والجن وليس بمزمار الشيطان ولكن بتمجيد الله وتقديسه وعن أبي الدرداء قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يذكر الناس فذكر الجنة وما فيها من الأزواج والنعيم وفي القوم إعرابي فجثا لركبتيه وقال يا رسول الله هل في الجنة من سماع قال نعم يا أعرابي إن في الجنة نهراً حافتاه الأبكار من كل بيضاء يتغنين بأصوات لم يسمع الخلائق بمثلها قط فذلك أفضل نعيم الجنة قال الراوي سألت أبا الدرداء بم يتغنين قال بالتسبيح وعن إبراهيم إن في الجنة لأشجاراً عليها أجراس من فضة فإذا أراد أهل الجنة السماع بعث الله ريحاً من تحت العرش فتقع في تلك الأشجار فتحرك تلك الأجراس بأصوات لو سمعها أهل الدنيا لماتوا طرباً [هذا الحديث ليس في بعض النسخ وفي أكثرها موجود][1] وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين منها كما بين السماء والأرض والفردوس أعلاها سمواً وأوسطها محلة ومنها تنفجر أنهار الجنة فقام إليه رجل وقال يا رسول الله إني رجل حبّب إليّ الصوت فهل لي في الجنة صوت حسن فقال أي والذي نفسي بيده إن الله تعالى يوحي إلى شجرة في الجنة أن أسمعي عبادي الذين اشتغلوا بعبادتي وذكري عن عزف البرابط والمزامير فترفع صوتاً لم يسمع الخلائق بمثله قط من تسبيح الرب ثم أخبر عن حال الكافرين فقال ﴿ **وأما الذين كفروا وكذّبوا بآياتنا ولقاء الآخرة** ﴾ أي بدلائلنا وبالبعث يوم القيامة ﴿ **فأولئك في العذاب محضرون** ﴾ أي فيه محصلون ولفظة الإحضار لا تستعمل إلا فيما يكرهه الإنسان يقال أحضر فلان مجلس القضاء إذا جيء به لما لا يؤثره ومنه حضور الوفاة ثم ذكر سبحانه ما تدرك به الجنة فقال ﴿ **فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السماوات والأرض وعشياً وحين تظهرون** ﴾ وهذا خبر والمراد به الأمر أي فسبّحوه ونزّهوه عما لا يليق به أو ينافي تعظيمه من صفات النقص بأن تصفوه بما يليق به من الصفات والأسماء . والإمساء الدخول في المساء وهو مجيء الليل والإصباح نقيضه وهو الدخول في الصباح وهو مجيء

---

(١) ما بين المعقفتين إنما هو في نسخة صيدا دون ساير النسخ .

ضياء النهار وله الثناء والمدح في السماوات والأرض أي هو المستحق لمدح أهلها لإنعامه عليهم وعشياً أي وفي العشي وحين تدخلون في الظهيرة وهي نصف النهار وإنما خصّ تعالى هذه الأوقات بالذكر بالحمد وإن كان حمده واجباً في جميع الأوقات لأنها أوقات تذكر بإحسان الله وذلك إن إنقضاء إحسان أول إلى إحسان ثان يقتضي الحمد عند تمام الإحسان الأول والأخذ في الآخر كما أخبر سبحانه عن حمد أهل الجنة بقوله ﴿ وآخر دعواهم إن الحمد لله رب العالمين ﴾ لأن ذلك حال الانتقال من نعيم الدنيا إلى الجنة وقيل إن الآية تدل على الصلوات الخمس في اليوم والليلة لأن قوله ﴿ حين تمسون ﴾ يقتضي المغرب والعشاء الأخرة وحين تصبحون يقتضي صلاة الصبح وعشياً يقتضي صلاة العصر وحين تظهرون يقتضي صلاة الظهر عن ابن عباس ومجاهد وهو الأحسن لأنه خصّ هذه الأوقات بالذكر وقيل إنما خصّ صلاة الليل باسم التسبيح وصلاة النهار باسم الحمد لأن الإنسان في النهار متقلب في أحوال توجب الحمد لله عليها وفي الليل على أحوال توجب تنزيه الله تعالى من الإسواء فيها فلذلك صار الحمد في النهار أخصّ فسميت به صلاة النهار والتسبيح بالليل أخصّ فسميت به صلاة الليل ﴿ يخرج الحيّ من الميت ويخرج الميت من الحيّ ﴾ أي يخرج الإنسان من النطفة ويخرج النطفة من الإنسان عن ابن عباس وابن مسعود وقيل يخرج المؤمن من الكافر ويخرج الكافر من المؤمن عن مجاهد وقد ذكرنا فيما تقدم ﴿ ويحيي الأرض بعد موتها ﴾ بالنبات بعد جدوبها ﴿ وكذلك تخرجون ﴾ أي كما أحيا الأرض بالنبات كذلك يحييكم بالبعث وتخرجون من قبوركم أحياء ﴿ ومن آياته ﴾ أي ومن دلالاته على وحدانيته وكمال قدرته ﴿ إن خلقكم ﴾ أي خلق آدم الذي هو أبوكم وأصلكم ﴿ من تراب ﴾ ثم خلقكم منه وذلك قوله ﴿ ثم إذا أنتم بشر تنتشرون ﴾ أي ثم إذا أنتم ذرية بشر من لحم ودم تنبسطون في الأرض وتنصرفون على ظهرها وتتفرقون في أطرافها فهلاّ دلّكم ذلك على أنه لا يقدر على ذلك غيره تعالى وأنه لا يستحق العبادة سواه .

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾

[القراءة] قرأ حفص للعالمين بكسر اللام الأخيرة والباقون بفتحها .

[الحجة] قال أبو علي خصّ العالمين في رواية حفص وإن كانت الآية لكافة الناس عالمهم وجاهلهم لأن العالم لما تدبّر فاستدل بما شاهده على ما لم يستدل عليه غيره صار كأنه ليس بآية لغير العالم لذهابه عنها وتركه الاعتبار بها ومن قال للعالمين فلأن ذلك في الحقيقة دلالة وموضع إعتبار وإن ترك تاركون لغفلتهم أو لجهلهم التدبر بها والإستدلال بها .

[الإعراب] في قوله ﴿ ومن آياته يريكم البرق ﴾ أقوال (أحدها) إن التقدير ومن آياته أن يريكم فلما حذف أن ارتفع الفعل كقول طرفة :

أَلَا أَيُّ هٰذَا الزَّاجِرِي اَحْضُرُ الْوَغَى وَاَنْ اَشْهَدُ اللَّذَاتِ هَلْ اَنْتَ مُخْلِدِي[1]

وفي المثل تسمع بالمعيدي خير من أن تراه (وثانيها) أن التقدير ومن آياته آية يريكم البرق بها ثم حذف لدلالة من عليها ومثله من الشعر :

وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا تَارَتَانِ فَمِنْهُمَا أَمُوتُ وَأُخْرَىٰ أَبْتَغِي الْعَيْشَ أَكْدَحُ[2]

أي فمنها تارة أموتها أي أموت فيها (وثالثها) أن يكون التقدير ويريكم البرق خوفاً وطمعاً ومن آياته فيكون عطفاً لجملة على جملة وقوله ﴿ خوفاً وطمعاً ﴾ منصوبان على تقدير

(١) البيت في جامع الشواهد .

(٢) قائله ابن مقبل . والكدح : السعي والحرص في العمل في امر الدنيا أو الآخرة .

اللام والتقدير لتخافوا خوفاً ولتطمعوا طمعاً ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض الجار يتعلق بمحذوف في موضع الحال من الكاف والميم أي إذا دعاكم خارجين من الأرض وإن شئت كان وصفاً للنكرة أي دعوة ثابتة من هذه الجهة ولا يجوز أن يتعلق بيخرجون لأن ما بعد إذا لا يعمل فيما قبله .

[المعنى] ثم عطف سبحانه على ما قدَّمه من تنبيه العبيد على دلائل التوحيد فقال ﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم ﴾ أي جعل لكم من شكل أنفسكم ومن جنسكم ﴿ أزواجاً ﴾ وإنما منَّ سبحانه علينا بذلك لأن الشكل إلى الشكل أميل عن أبي مسلم وقيل معناه أن حواء خلقت من ضلع آدم (ع) عن قتادة وقيل إن المراد بقوله من أنفسكم أن النساء خلقن من نطف الرجال ﴿ لتسكنوا إليها ﴾ أي لتطمئنوا إليها وتألفوا بها ويستأنس بعضكم ببعض ﴿ وجعل بينكم مودة ورحمة ﴾ يريد بين المرأة وزوجها جعل سبحانه بينهما المودَّة والرحمة فهما يتوادان ويتراحمان وما شيء أحبّ إلى أحدهما من الآخر من غير رحم بينهما قال السدي المودّة المحبة والرحمة الشفقة ﴿ إن في ذلك ﴾ أي في خلق الأزواج مشاكلة للرجال ﴿ لآيات ﴾ أي لدلالات واضحات ﴿ لقوم يتفكرون ﴾ في ذلك ويعتبرون به ثم نبَّه سبحانه على آية أخرى فقال ﴿ ومن آياته ﴾ الدالة على توحيده ﴿ خلق السماوات والأرض ﴾ وما فيهما من عجائب خلقه وبدائع صنعه مثل ما في السماوات من النجوم والشمس والقمر وجريها في مجاريها على غاية الإتساق والنظام وما في الأرض من أنواع الجماد والنبات والحيوان المخلوقة على وجه الأحكام ﴿ واختلاف ألسنتكم ﴾ فالألسنة جمع لسان واختلافها هو أن ينشئها الله تعالى مختلفة في الشكل والهيئة والتركيب فتختلف نغماتها وأصواتها حتى أنه لا يشتبه صوتان من نفسين هما إخوان وقيل إن إختلاف الألسنة هو إختلاف اللغات من العربية والعجمية وغيرهما ولا شيء من الحيوانات تتفاوت لغاتها كتفاوت لغات الإنسان فإن كانت اللغات توقيفياً من قبل الله تعالى فهو الذي فعلها وابتدأها وإن كانت مواضعه من قبل العباد فهو الذي يسرها ﴿ وألوانكم ﴾ أي واختلاف ألوانكم من البياض والحمرة والصفرة والسمرة وغيرها فلا يشبه أحد أحداً مع التشاكل في الخلقة وما ذلك إلا للتراكيب البديعة واللطائف العجيبة الدالة على كمال قدرته وحكمته حتى لا يشتبه إثنان من الناس ولا يلتبسان مع كثرتهم ﴿ إن في ذلك لآيات ﴾ أي أدلة واضحات ﴿ للعالمين ﴾ أي للمكلفين ﴿ ومن آياته ﴾ الدالة على توحيده وإخلاص العبادة له ﴿ منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله ﴾ بالنهار وهذا تقديره أي يصرفكم في طلب المعيشة والمنام والنوم بمعنى واحد وقيل إن الليل والنهار معاً وقت للنوم ووقت لابتغاء الفضل لأن من الناس من

يتصرف في كسبه ليلاً وينام نهاراً فيكون معناه ومن دلائله النوم الذي جعله الله راحة لأبدانكم بالليل وقد تنامون بالنهار فإذا إنتبهتم إنتشرتم لابتغاء فضل الله ﴿ إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون ﴾ ذلك فيقبلونه ويتفكرون فيه لأن من لا يتفكر فيه لا ينتفع به فكأنه لم يسمعه ﴿ ومن آياته يريكم البرق خوفاً وطمعاً ﴾ معناه ومن دلالاته أن يريكم النار تنقدح من السحاب يخافه المسافر ويطمع فيه المقيم عن قتادة وقيل خوفاً من الصواعق وطمعاً في الغيث عن الضحاك وقيل خوفاً من أن يخلف ولا يمطر وطمعاً في المطر عن أبي مسلم ﴿ وينزل من السماء ماء ﴾ أي غيثاً ومطراً ﴿ فيحيي به ﴾ أي بذلك الماء ﴿ الأرض بعد موتها ﴾ أي بعد انقطاع الماء عنها وجدوبها ﴿ إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون ﴾ أي للعقلاء المكلفين ﴿ ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ﴾ بلا دعامة تدعمها ولا علاقة تتعلق بها بأمره لهما بالقيام كقوله تعالى ﴿ إنما أمرنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون ﴾ وقيل بأمره أي بفعله وإمساكه إلا أن أفعال الله عز إسمه تضاف إليه بلفظ الأمر لأنه أبلغ في الاقتدار فإن قول القائل أراد فكان أوامر فكان أبلغ في الدلالة على الاقتدار من أن يقول فعل فكان ومعنى القيام الثبات والدوام ويقال السوق قائمة ﴿ ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض ﴾ أي من القبر عن ابن عباس بأمر الله عزّ اسمه اسرافيل (ع) فينفخ في الصور بعد ما يصور الصور في القبور فيخرج الخلائق كلهم من قبورهم ﴿ إذا أنتم تخرجون ﴾ من الأرض أحياء وقيل أنه سبحانه جعل النفخة دعاء لأن إسرافيل يقول أجيبوا داعي الله فيدعو بأمر الله سبحانه وقيل إن معناه أخرجكم من قبوركم بعد أن كنتم أمواتاً فيها فعبّر عن ذلك بالدعاء إذ هو بمنزلة الدعاء وبمنزلة كن فيكون في سرعة تأتي ذلك وامتناع التعذر وإنما ذكر سبحانه هذه المقدورات على اختلافها ليدلّ عباده على أنه القادر الذي لا يعجزه شيء العالم الذي لا يعزب عنه شيء وتدلّ هذه الآيات على فساد قول من قال إن المعارف ضرورية لأن ما يعرف ضرورة لا يمكن الإستدلال عليه .

﴿ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ
كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ
عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ
ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ

أَيْمَـٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَـٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾

[الإعراب] هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء لكم الجار والمجرور في موضع رفع بأنه خبر المبتدأ والمبتدأ من شركاء ومن مزيدة ومن في قوله ﴿ مما ملكت أيمانكم ﴾ تتعلق بما يتعلق به اللام ويجوز أن يتعلق بمحذوف ويكون في موضع نصب على الحال والعامل في الحال ما يتعلق به اللام . فأنتم فيه سواء جملة في موضع نصب لأنه جواب قوله ﴿ هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء ﴾ وتقديره فتستووا وقوله ﴿ تخافونهم ﴾ أي تخافون أن يساووكم كخيفتكم مساواة بعضكم بعضاً . حنيفاً نصب على الحال . فطرة الله منصوب بمعنى إتبع فطرة الله لأن معنى فأقم وجهك للدين القيم إتبع الدين القيم فيكون بدلاً من وجهك في المعنى .

[المعنى] ثم قال سبحانه بعد أن ذكر الدلالات الدالة على توحيده ﴿ وله من في السماوات والأرض ﴾ من العقلاء بملكهم ويملك التصرف فيهم وإنما خصّ العقلاء لأن ما عداهم في حكم التبع لهم ثم أخبر سبحانه عن جميعهم فقال ﴿ كل له قانتون ﴾ أي كل له مطيعون في الحياة والبقاء والموت والبعث وإن عصوا في العبادة عن ابن عباس وهذا مفسّر في سورة البقرة ﴿ وهو الذي يبدؤا الخلق ثم يعيده ﴾ أي يخلقهم إنشاء ويخترعهم ابتداء ثم يعيدهم بعد الإفناء فجعل سبحانه ما ظهر من ابتداء خلقه دليلاً على ما خفي من إعادته استدلالاً بالشاهد على الغائب ثم أكدّ ذلك بقوله ﴿ وهو أهون عليه ﴾ هو يعود إلى مصدر يعيده فالمعنى والإعادة أهون وقيل فيه أقوال (أحدها) أن معناه وهو هيّن عليه كقوله ﴿ الله أكبر ﴾ أي كبير لا يدانيه أحد في كبريائه وكقول الشاعر :

لَعَمْرُكَ مَا أَدْرِي وَإِنِّي لأَوْجَلُ عَلَى أَيْنَا تَغْدُو الْمَنِيَّةُ أَوَّلُ

فمعنى لأوجل أي وجل وقال الفرزدق :

إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا بَيْتاً دَعَائِمُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ

أي عزيزة طويلة وقد قيل فيه أنه أراد أعز وأطول من دعائم بيوت العرب وقال آخر :

تَمَنَّى رِجَالٌ أَنْ أَمُوتَ وَإِنْ أَمُتْ فَتِلْكَ سَبِيلٌ لَسْتُ فِيهَا بِأَوْحَدِ

أي بواحد هذا قول أهل اللغة (والثاني) أنه إنما قال أهون لما تقرّر في العقول إن إعادة الشيء أهون من ابتدائه ومعنى أهون أيسر وأسهل وهم كانوا مقرّين بالابتداء فكأنه قال لهم كيف تقرّون بما هو أصعب عندكم وتنكرون ما هو أهون عندكم (الثالث) إن الهاء في عليه يعود إلى الخلق وهو المخلوق أي والإعادة على المخلوق أهون من النشأة الأولى لأنه إنما يقال له في الإعادة كن فيكون وفي النشأة الأولى كان نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاماً ثم كسيت العظام لحماً ثم نفخ فيه الروح فهذا على المخلوق أصعب والإنشاء يكون أهون عليه وهذا قول النحويين ومثله يروى عن ابن عباس قال وهو أهون على المخلوق لأنه يقول له يوم القيامة كن فيكون وأما ما يروى عن مجاهد أنه قال الإنشاء أهون عليه من الإبتداء فقوله مرغوب عنه لأنه تعالى لا يكون عليه شيء أهون من شيء ﴿ وله المثل الأعلى ﴾ أي وله الصفات العليا ﴿ في السماوات والأرض ﴾ وهي أنه لا إله إلا هو وحده لا شريك له لأنها دائمة يصفه بها الثاني كما يصفه بها الأول عن قتادة وقيل هي أنه ليس كمثله شيء عن ابن عباس وقيل هي جميع ما يختص به عز اسمه من الصفات العلى التي لا يشاركه فيها سواه والأسماء الحسنى التي تفيد التعظيم كالقاهر والإله ﴿ وهو العزيز ﴾ في ملكه ﴿ الحكيم ﴾ في خلقه ثم احتجّ سبحانه على عبدة الأوثان فقال ﴿ ضرب لكم ﴾ أيها المشركون ﴿ مثلاً من أنفسكم ﴾ أي بيّن لكم شبهاً لحالكم ذلك المثل من أنفسكم ثم بيّنه فقال ﴿ هل لكم مما ملكت أيمانكم ﴾ أي من عبيدكم وإمائكم ﴿ من شركاء فيما رزقناكم ﴾ من المال والأملاك والنعم أي هل يشاركونكم في أموالكم وهو قوله ﴿ فأنتم فيه سواء ﴾ أي فأنتم وشركاؤكم من عبيدكم وإمائكم فيما رزقناكم شرع سواء ﴿ تخافونهم ﴾ أن يشاركوكم فيما ترثونه من آبائكم ﴿ كخيفتكم أنفسكم ﴾ أي كما يخاف الرجل الحرّ شريكه الحرّ في المال يكون بينهما أن ينفرد دونه فيه بأمر وكما يخاف الرجل شريكه في الميراث أن يشاركه لأنه يجب أن ينفرد به فهو يخاف شريكه يعني أن هذه الصفة لا تكون بين المالكين والمملوكين

كما تكون بين الأحرار ومعنى أنفسكم هاهنا أمثالكم من الأحرار كقوله ﴿ ولا تلمزوا أنفسكم ﴾ وكقوله ﴿ ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً ﴾ أي بأمثالهم من المؤمنين والمؤمنات والمعنى أنكم إذا لم ترضوا في عبيدكم أن يكونوا شركاء لكم في أموالكم وأملاككم فكيف ترضون لربكم أن يكون له شركاء في العبادة قال سعيد بن جبير لأنه كانت تلبية قريش لبيك اللهم لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك فأنزل الله تعالى الآية ردّاً عليهم وإنكاراً لقولهم ﴿ كذلك ﴾ أي كما بيّنا لكم هذه الأدلة ﴿ نفصل الآيات ﴾ أي الأدلة ﴿ لقوم يعقلون ﴾ فيتدبرون ذلك ثم قال سبحانه مبيناً لهم أنهم إنما إتبعوا أهواءهم فيما أشركوا به ﴿ بل إتبع الذين ظلموا ﴾ أي أشركوا بالله ﴿ أهوائهم ﴾ في الشرك ﴿ بغير علم ﴾ يعلمونه جاءهم من الله ﴿ فمن يهدي من أضل الله ﴾ أي فمن يهدي إلى الثواب والجنة من أضلّه الله عن ذلك عن الجبائي وقيل معناه من أضلّ عن الله الذي هو خالقه ورازقه والمنعم عليه مع ما نصبه له من الأدلة فمن يهديه بعد ذلك عن أبي مسلم قال وهو من قولهم أضلّ فلان بعيره بمعنى ضلّ بعيره عنه قال الشاعر :

هَبُوني امْرَءاً مِنْكُمْ أضَلَّ بَعِيرَهُ ... لَهُ ذِمَّةٌ إنَّ الذِّمَامَ كَثِيرُ

وإنما المعنى ضلّ بعيره عنه ﴿ وما لهم من ناصرين ﴾ ينصرونهم ويدفعون عنهم عذاب الله تعالى إذا حلّ بهم ثم خاطب سبحانه نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم والمراد جميع المكلفين وقال ﴿ فأقم وجهك للدين ﴾ أي أقم قصدك للدين والمعنى كن معتقداً للدين وقيل معناه أثبت ودم على الإستقامة وقيل معناه أخلص دينك عن سعيد بن جبير وقيل معناه سدّد عملك فإن الوجه ما يتوجه إليه وعمل الإنسان ودينه مما يتوجه الإنسان إليه لتشديده وإقامته ﴿ حنيفاً ﴾ أي مائلاً إليه ثابتاً عليه مستقيماً فيه لا يرجع عنه إلى غيره ﴿ فطرت الله التي فطر الناس عليها ﴾ فطرة الله الملة وهي الدين والإسلام والتوحيد التي خلق الناس عليها ولها وبها أي لأجلها والتمسك بها فيكون كقوله ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ وهو كما يقول القائل لرسوله بعثتك على هذا ولهذا وبهذا والمعنى واحد ومنه قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يهودانه وينصرانه ويمجسانه وقيل معناه إتبع من الدين ما دلّك عليه فطرة الله وهو إبتداء خلقه للأشياء لأنه خلقهم وركبهم وصوّرهم على وجه يدل على أن لهم صانعاً قادراً عالماً حيّاً قديماً واحداً لا يشبه شيئاً ولا يشبهه شيء عن أبي مسلم ﴿ لا تبديل لخلق الله ﴾ أي لا تغيير لدين الله الذي أمر الناس بالثبات عليه في التوحيد والعدل وإخلاص العبادة لله عن الضحاك ومجاهد

وقتادة وسعيد بن جبير وإبراهيم وابن زيد وقالوا أن لا هاهنا بمعنى النهي أي لا تبدّلوا دين الله التي أمرتم بالثبات عليها وقيل المراد به النهي عن الخصاء عن ابن عباس وعكرمة وقيل معناه لا تبديل لخلق الله فيما دل عليه بمعنى انه فطرة الله على وجه يدل على صانع حكيم فلا يمكن ان يجعله خلقاً بغير الله حتى يبطل وجه الاستدلال عن أبي مسلم والمعنى انما دلت عليه الفطرة لا يمكن فيه التبديل ﴿ذلك الدين القيم﴾ أي ذلك الدين المستقيم الذي يجب اتباعه ﴿ولكن اكثر الناس لا يعلمون﴾ صحة ذلك لعدولهم عن النظر فيه .

﴿ * مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ
وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا
دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ وَإِذَا مَسَّ
النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا
فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا
فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا
كَانُوا بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾

[القراءة] قرأ حمزة والكسائي فارقوا بالألف والباقون فرقوا وقد مضى بيانه في سورة الأنعام وفي الشواذ قراءة أبي العالية فيمتعوا فسوف يعلمون ومعناه تطول أعمارهم على كفرهم فسوف يعلمون تهديداً على ذلك .

[اللغة] الإنابة الإنقطاع إلى الله بالطاعة فأصله على هذا القطع ومنه الناب لأنه قاطع وينيب في الأمر إذا نشب فيه كما ينشب الناب القاطع ويجوز أن يكون من ناب ينوب إذا رجع مرّة بعد مرّة فتكون الإنابة التوبة التي يجدّدها مرة بعد مرة والشيع الفرق وكل فرقة شيعة على حدة سمّوا بذلك لأن بعضهم يشيع بعضاً على مذهبه فشيعة الحق هم الذين اجتمعوا على الحق وكذلك شيعة أمير المؤمنين (ع) هم الذين اجتمعوا معه على الحق .

[المعنى] ثم قال سبحانه ﴿ منيبين إليه ﴾ قال الزجاج زعم جميع النحويين أن معناه فأقيموا وجوهكم منيبين إليه لأن مخاطبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم تدخل معه فيها الأمة

والدليل على ذلك قوله ﴿ يا أيها النبي إذا طلقتم النساء﴾ فقوله ﴿ فأقم وجهك ﴾ معناه فأقيموا وجوهكم منيبين إليه أي راجعين إلى كل ما أمر به مع التقوى وإداء الفرض وهو قوله ﴿ واتقوه وأقيموا الصلوة ﴾ ثم أخبر سبحانه أنه لا ينفع ذلك إلا بالاخلاص في التوحيد فقال ﴿ ولا تكونوا من المشركين من الذين فرّقوا دينهم ﴾ أي لا تكونوا من أهل الشرك من جملة الذين فرّقوا دينهم عن الفراء ويجوز أن يكون قوله من الذين فرقوا دينهم ﴿ وكانوا شيعاً ﴾ إبتداء كلام ومعناه الذين أوقعوا في دينهم الإختلاف وصاروا ذوي أديان مختلفة فصار بعضهم يعبدوننا وبعضهم يعبد ناراً وبعضهم شمساً إلى غير ذلك وقد تقدّم تفسيره في سورة الإنعام ﴿ كل حزب بما لديهم فرحون ﴾ أي كل أهل ملة بما عندهم من الدين راضون عن مقاتل وقيل كل فريق بدينهم معجبون مسرورون يظنون أنهم على حق ﴿ وإذا مس الناس ضرٌ دعوا ربهم ﴾ أي إذا أصابهم مرض أو فقر أو شدّة دعوا الله تعالى ﴿ منيبين إليه ﴾ أي منقطعين إليه مخلصين في الدعاء له ﴿ ثم إذا أذاقهم منه رحمة ﴾ بأن يعافيهم من المرض أو يغنيهم من الفقر أو ينجيهم من الشدة ﴿ إذا فريق منهم بربهم يشركون ﴾ أي يعودون إلى عبادة غير الله على خلاف ما يقتضيه العقل من مقابلة النعم بالشكر ثم بيّن سبحانه أنهم يفعلون ذلك ﴿ ليكفروا بما آتيناهم ﴾ من النعم إذ لا غرض في الشرك إلا كفران نعم الله سبحانه وقيل إن هذه اللام للأمر على معنى التهديد مثل قوله ﴿ فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ﴾ ثم قال سبحانه يخاطبهم مهدّداً لهم ﴿ فتمتعوا ﴾ بهذه الدنيا وانتفعوا بنعيمها الفاني كيف شئتم ﴿ فسوف تعلمون ﴾ عاقبة كفركم ﴿ أم أنزلنا عليهم سلطاناً ﴾ هذا استفهام مستأنف معناه بل أنزلنا عليهم برهاناً وحجة يتسلطون بذلك على ما ذهبوا إليه ﴿ فهو يتكلم بما كانوا به يشركون ﴾ أي فذلك البرهان كأنه يتكلم بصحة شركهم ويحتجّ لهم به والمعنى أنهم لا يقدرون على تصحيح ذلك ولا يمكنهم إدّعاء برهان وحجة عليه .

﴿ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ۖ
وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾
أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ
لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ

وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾

[القراءة] قرأ ابن كثير وما آتيتم من ربا مقصورة الألف غير ممدودة وقرأ الباقون ما آتيتم بالمد وقرأ أهل المدينة ويعقوب وسهل لِتُرْبُوا بالتاء وضمها وسكون الواو والباقون ليربوا بالياء وفتحها ونصب الواو .

[الحجة] قال أبو علي معنى ما آتيتم من ربا ما أتيتم من هدية أهديتموها لتعوضوا ما هو أكثر منه وتكافئوا أزيد منه فلا يربو عند الله لأنكم إنما قصدتم إلى زيادة العوض فلم تبتغوا في ذلك وجه الله ومثل هذا في المعنى قوله ﴿ ولا تمنن ﴾ تستكثر فمن مدَّ آتيتم فلأن المعنى أعطيتم ومن قصر فإنه يؤول في المعنى إلى قول من مدَّ إلا أن أتيتم على لفظ جئتم كما تقول جئت زيداً فكأنه قال ما جئتم من ربا ومجيئهم لذلك إنما هو على وجه الإعطاء له كما تقول أتيت الخطأ وأتيت الصواب قال الشاعر :

أَتَيْتُ الَّذِي يَأْتِي السَّفِيهُ لِغِرَّتِي ... إلى أَنْ عَلاَ وَخْطٌ مِنَ الشَّيْبِ مَفْرَقِي[1]

فإتيانه الذي يأتيه السفيه إنما هو فعل منه له قال ولم يختلفوا في مدّ وما آتيتم من زكوة فهو كقوله ﴿ وإيتاء الزكاة ﴾ وإن كان لو قال أتيت الزكاة لجاز أن يعني به فعلتها ولكن الذي جاء منه في التنزيل وفي سائر الكلام الإيتاء ومن قرأ ليربو فإن فاعله الربا المذكور في قوله ﴿ وما آتيتم من ربا ﴾ وقدّر المضاف وحذفه كأنه في اجتلاب أموال الناس واجتذابه ونحو ذلك وكأنه سمي هذا المدفوع على وجه اجتلاب الزيادة ربا ولو قصد به وجه الله لما كان

(١) الوخط : ظهور الشيب في الرأس ووخط فلان إذا شاب رأسه .

العوض فيه الاستزادة على ما أعطي فسمي باسم الزيادة والرباء هو الزيادة بذلك سمي المحرم المتوعد فاعله وبالزيادة ما يأخذ على ما أعطى والمدفوع ليس في الحقيقة ربا إنما المحرم الزيادة التي يأخذها زيداً على ما أعطى فسمي الجميع ربا فكذلك ما أعطاه الواهب والمهدي لاستجلاب الزيادة سمي ربا لمكان الزيادة المقصورة في المكافأة فوجه ليربوا في أموال الناس ليربوا ما آتيتم فلا يربو عند الله لأنه لم يقصد به وجه البر والقربة إنما قصد به إجتلاب الزيادة ولو قصد به وجه الله تعالى لكان كقوله ﴿ وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون ﴾ أي صاروا ذوي أضعاف من الثواب على ما أتوا من الزكاة يعطون بالحسنة عشراً فله عشر أمثالها وقول نافع لِتُرْبوا أي لتصيروا ذوي زيادة فيما أتيتم من أموال الناس أي تستدعونها وتجتلبونها وكأنه من أربى أي صار ذا زيادة مثل أقطف وأجرب .

[المعنى] لمّا تقدّم ذكر المشركين عقّبه سبحانه بذكر أحوالهم في البطر عند النعمة واليأس عند الشدة فقال ﴿ وإذا أذقنا الناس رحمة ﴾ أي إذا آتيناهم نعمة من عافية وصحة جسم أو سعة رزق أو أمن ودعة ﴿ فرحوا بها ﴾ أي سرّوا بتلك الرحمة ﴿ وأن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم ﴾ أي وإن أصابهم بلاء وعقوبة بذنوبهم التي قدّموها وسمي ذلك سيئة توسعاً لكونه جزاء على السيئة عن الجبائي وقيل وإن يصبهم قحط وإنقطاع مطر وشدة وسميت سيئة لأنها تسوء صاحبها ﴿ إذا هم يقنطون ﴾ أي ييأسون من رحمة الله وإنما قال بما قدمت أيديهم ولم يقل بما قدموا على التغليب للأظهر الأكثر فإن أكثر العمل لليدين والعمل للقلب وإن كان كثيراً فإنه أخفى ثم نبّههم سبحانه على توحيده فقال ﴿ أولم يروا أن الله يبسط الرزق ﴾ أي يوسّعه ﴿ لمن يشاء ويقدر ﴾ أي ويضيق لمن يشاء على حسب ما تقتضيه مصالح العباد ﴿ أن في ذلك ﴾ أي في بسط الرزق لقوم وتضييقه لقوم آخرين ﴿ لآيات ﴾ أي دلالات ﴿ لقوم يؤمنون ﴾ بالله ثم خاطب نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم فقال ﴿ وآت ذا القربى حقه ﴾ أي واعط ذوي قرباك يا محمد حقوقهم التي جعلها الله لهم من الإخماس عن مجاهد والسدي وروى أبو سعيد الخدري وغيره إنه لما نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وآله وسلم أعطى فاطمة (ع) فدكا وسلّمه إليها وهو المروي عن أبي جعفر (ع) وأبي عبد الله (ع) وقيل أنه خطاب له صلى الله عليه وماله وسلم ولغيره والمراد بالقربى قرابة الرجل وهو أمر بصلة الرحم بالمال والنفس عن الحسن ﴿ والمسكين وابن السبيل ﴾ معناه وآت المسكين والمسافر المحتاج ما فرض الله لهم في مالك ﴿ ذلك خير ﴾ أي إعطاء الحقوق مستحقّيها خير ﴿ للذين يريدون وجه الله ﴾ بالإعطاء دون الرياء والسمعة ﴿ وأولئك هم المفلحون ﴾ أي الفائزون بثواب الله ﴿ وما آتيتم من ربا ليربوا في أموال الناس فلا يربوا

عند الله ﴾ قيل في الربا المذكور في الآية قولان (أحدهما) أنه ربا حلال وهو أن يعطي الرجل العطية أو يهدي الهدية ليثاب أكثر منها فليس فيه أجر ولا وزر عن ابن عباس وطاوس وهو المروي عن أبي جعفر (ع) (والقول الآخر) أنه الربا المحرم عن الحسن والجبائي فعلى هذا يكون كقوله يمحق الله الربا ويربي الصدقات ﴿ وما آتيتم من زكاة ﴾ أي وما أعطيتموه أهله على وجه الزكاة ﴿ تريدون ﴾ بذلك ﴿ وجه الله ﴾ أي ثواب الله ورضاه ولا تطلبون بها المكافاة ﴿ فأولئك هم المضعفون ﴾ أي فأهلها هم المضعفون يضاعف لهم الثواب وقيل المضعفون ذوو الإضعاف في الحسنات كما يقال رجل مقو أي ذو قوة وموسر أي ذو يسار وقيل هم المضعفون للمال في العاجل وللثواب في الآجل لأن الله سبحانه جعل الزكاة سبباً لزيادة المال ومنه الحديث ما نقص مال من صدقة وقال أمير المؤمنين (ع) فرض الله تعالى الصلاة تنزيهاً عن الكبر والزكاة تسبيباً للرزق والصيام ابتلاء لإخلاص الخلق وصلة الأرحام منماة للعدد في كلام طويل وبدأ سبحانه في الآية بالخطاب ثم ثنى بالخبر وذلك معدود في الفصاحة ثم عاد إلى دليل التوحيد فقال ﴿ الله الذي خلقكم ﴾ أي أوجدكم وأنشأ خلقكم ﴿ ثم رزقكم ﴾ أي أعطاكم أنواع النعم ﴿ ثم يميتكم ﴾ بعد ذلك ليصح إيصالكم إلى ما عرضكم له من الثواب الدائم ﴿ ثم يحييكم ﴾ ليجازيكم على أفعالكم ﴿ هل من شركائكم ﴾ التي عبدتموها من دونه ﴿ من يفعل من ذلكم من شيء ﴾ أو يقدر عليه فيجوز لذلك توجه العبادة إليه ثم نزّه سبحانه نفسه عن أن يشرك معه في العبادة فقال ﴿ سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾.

﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۖ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ

يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِن فَضْلِهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٤٥﴾

[اللغة] الصدع الشق وتصدّع القوم تفرّقوا قال :

وَكُنَّا كَنَدْمَانَيْ جَذِيمَةَ حِقْبَةً مِنَ الدَّهْرِ حَتَّى قِيلَ لَنْ يَتَصَدَّعَا[1]

[المعنى] ثم ذكر سبحانه ما اصاب الخلق بسبب ترك التوحيد فقال ﴿ظهر الفساد في البر والبحر﴾ ومعناه ظهر قحط المطر وقلة النبات في البر حيث لا يجري نهر وهو البوادي والبحر وهو كل قرية على شاطىء نهر عظيم ﴿بما كسبت أيدي الناس﴾ يعني كفار مكة عن ابن عباس وليس المراد بالبر والبحر في الآية كل بر وبحر في الدنيا وإنما المراد به حيث ظهر القحط بدعاء النبي ﷺ فعلى هذا يكون التقدير ظهر عقوبة الفساد في البر والبحر قال الفراء اجدب البر وانقطعت مادة البحر بذنوبهم وكان ذلك ليذوقوا الشدة في العاجل ويجوز ايضاً ان يسمى الهلاك والخراب فساداً كما يسمى العذاب سوءاً وان كان ذلك حكمة وعدلاً وقيل البر ظهر الأرض والبحر المعروف والفساد ارتكاب المعاصي عن أبي العالية وقيل فساد البرّ قتل قابيل بن آدم أخاه وفساد البحر أخذ السفينة غصباً عن مجاهد وقيل ولاة السوء في البر والبحر وقيل فساد البر ما يحصل فيه من المخاوف المانعة من سلوكه ويكون ذلك بخذلان الله تعالى لأهله والعقاب به وفساد البحر اضطراب أمره حتى لا يكون للعباد متصرف فيه وكل ذلك ليرتدع الخلق عن معاصيه وقيل البر البرية والبحر الريف[2] والمواضع الخطبة واصل البَرّ من البِرّ لأنه يبر بصلاح المقام فيه وكذلك البُرّ لأنه يبر بصلاحه في الغذاء أتم صلاح واصل البحر الشق لأنه شقّ في الأرض ثم كثر فسمي الماء الملح بحراً انشد ثعلب :

وَقَدْ عَادَ عَذْبُ الْمَاءِ بَحْراً فَزَادَنِي عَلَىٰ مَرَضِي أَنْ أَبْحَرَ الْمَشْرَبُ الْعَذْبُ[3]

---

(١) البيت منسوب إلى متمم بن نويره؛ قال في مرثية اخيه مالك بن نويرة حين قتله خالد بن الوليد وبعده ؛فلما تفرقنا كاني ومالك * بطول اجتماع لم يبت ليلة معاً؛ وندماني جذيمة قيل : هما الفرقدان ـ قاله في منتهى الارب ـ وقيل : هما مالك وعقيل نديما جذيمة الابرش ملك الحيرة صاحب الزباء ، قتلهما في حال السكر فلما اصبح ندم وبنى على قبريهما طربان وكان يخريهما بدم من يقتله يوم بؤسه ولكن الظاهر القول الاول وقد ورد نظيره في كلمات الشعراء قال عمرو بن معد يكرب: «وكل اخ مفارقه اخوه * لعمر ابيك الا الفرقدان » اي حتى الفرقدان.

(٢) الريف ارض فيها زرع وخصب.

(٣) ابحر الماء صار ملحاً.

﴿بما كسبت أيدي الناس﴾ أي جزاء بما عمله الناس من الكفر والفسوق وقيل معناه بسوء افعالهم وشؤم معاصيهم ﴿ليذيقهم بعض الذي عملوا﴾ أي ليصيبهم الله بعقوبة بعض أعمالهم التي عملوها من المعاصي ﴿لعلهم يرجعون﴾ أي ليرجعوا عنها في المستقبل وقيل معناه ليرجع من يأتي بعدهم عن المعاصي ﴿قل﴾ يا محمد ﴿سيروا في الأرض﴾ ليس بأمر ولكنّه مبالغة في العظة وروي عن ابن عباس انه قال من قرأ القرآن وعمله سار في الأرض لأن فيه اخبار الأمم ﴿فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل﴾ من الملوك العاتية والقرون العاصية كيف اهلكهم الله وكيف صارت قصورهم قبورهم ومحاضرهم مقابرهم فلم يبق لهم عين ولا اثر ثم بيّن انه فعل ذلك بهم لسوء صنيعهم فقال ﴿كان أكثرهم مشركين فأقم وجهك للدين القيم﴾ أي استقم للدين المستقيم بصاحبه إلى الجنة أي لا تعدل عنه يميناً ولا شمالاً فإنك متى فعلت ذلك ادّاك إلى الجنة وهو مثل قوله ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم وقوله تتقلب فيه القلوب والابصار ﴿من قبل ان يأتي يوم لا مردّ له﴾ أي لذلك اليوم وهو يوم القيامة ﴿من الله﴾ أي لا يردّه أحد من الله ﴿يومئذ يصدعون﴾ أي يتفرّقون فيه فريق في الجنة وفريق في السعير عن قتادة وغيره ﴿من كفر فعليه كفره﴾ أي عقوبة كفره لا يعاقب أحد بذنبه ﴿ومن عمل صالحاً فلانفسهم يمهدون﴾ أي يوطئون لأنفسهم منازلهم يقال مهدت لنفسي خيراً أي هيّأته ووطأته والمعنى ان ثواب ذلك يصل اليهم ويتمهد احوالهم الحسنة عند الله وهذا توسع يقول من اصلح عمله فكأنه فرش لنفسه في القبر والقيامة وسوّى مضجعه ومثواه وروي منصور بن حازم عن أبي عبد الله (ع) قال ان العمل الصالح ليسبق صاحبه إلى الجنة فيمهد له كما يمهد لأحدكم خادمه فراشه ﴿ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله﴾ أي ليجزيهم على قدر استحقاقهم ويزيدهم من فضله وقيل معناه بسبب فضله لأنه خلقه وهداه ومكّنه وأزاح علته حتى استحق الثواب وقيل من فضله يعني فضلاً من فضله وثواباً لا ينقطع ﴿انه لا يحب الكافرين﴾ أي لا يريد كرامتهم ومنفعتهم وإنما يريد عقابهم جزاء على كفرهم.

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ
ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ
وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ
رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟

وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ
فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا
فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَـٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ
عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم
مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَـٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ
ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ
قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾

[القراءة] قرأ أبو جعفر وابن ذكوان كسفاً بسكون السين والباقون بتحريكها وقد مضى القول فيه وقرأ ابن عامر وأهل الكوفة غير ابي بكر إلى آثار على الجمع والباقون أثر بغير الالف على الواحد وروي عن علي (ع) وابن عباس والضحاك من خلله وعن الجحدري وابن السميفع وابن حيوة كيف تحيى بالتاء .

[الحجة] قال أبو علي الافراد في أثر لانه مضاف إلى مفرد وجاز الجمع لأن رحمة الله يجوز أن يراد به الكثرة كما قال سبحانه وان تعدّوا نعمة الله لا تحصوها وقوله كيف يحيي الأرض يجوز أن يكون فاعل يحيي الضمير العائد إلى أثر ويجوز ان يكون الضمير العائد إلى اسم الله وهو الأولى ومن ردَّ الضمير إلى أثر لزمه ان يقول تحيي بالتاء إذا قرأ آثار رحمة الله فأما من قرأ من خَلله فيجوز ان يكون خلل واحد خلال كجبل وجبال ويجوز أن يكون خلال واحداً عاقب خللاً كالصَّلا والصَّلاء ومن قرأ إلى أثر رحمت الله كيف تحيي بالتاء فإنما جاز ذلك وإن كان لا يجوز أما ترى الى غلام هند كيف تضرب زيداً بالتاء لأن الرحمة قد يقوم مقامها أثرها ولا يقوم مقام هند غلامها تقول رأيت عليك النعمة ورأيت عليك أثر النعمة ولا يعبر عن هند بغلامها .

[الإعراب] وليذيقكم عطف على المعنى وتقديره يرسل الرياح ليبشركم بها وليذيقكم وقوله كيف يشاء تقديره أيّ مشيئة يشاء فيكون مفعولاً مطلقاً ليشاء وقوله كيف يحيي الأرض

يجوز ان يكون كيف في موضع نصب على الحال من يحيي وذو الحال الضمير المستكن في يحيي أو الأرض والتقدير أمبدعاً يحيي الأرض أم لا أو مبدعه يحيي الأرض أم لا ويجوز ان يكون على تقدير المصدر أي أيّ احياء يحيي الأرض قال ابن جني والجملة منصوبة الموضع على الحال حملا على المعنى لا على اللفظ وذلك ان اللفظ استفهام والحال ضرب من الخبر والاستفهام والخبر معنيان متدافعان وتلخيص كونها حالاً انه كأنه قال فانظر إلى آثار رحمة الله محيية للأرض كما ان قوله.

مَا زِلْتُ أَسْعَى بَيْنَهُمْ وَأَخْتَبِطْ حَتَّى إِذَا جَاءَ الظَّلَامُ الْمُخْتَلِطْ
جَاؤُوا بِضَيْحٍ هَلْ رَأَيْتَ الذِّئْبَ قَطّْ[1]

فقوله هل رأيت الذئب قط جملة استفهامية في موضع وصف لضيح حملا على المعنى دون اللفظ فكأنه قال جاؤوا بضيح يشبه لونه لون الذئب والضيح اللبن المخلوط بالماء وهو يضرب إلى الخضرة والطلسة .

[المعنى] ولمّا وعد الله سبحانه واوعد فكأن قائلاً قال ما اصل ما يجزي الله عليه بالخير فقيل العبادة وأصل عبادة الله معرفته ومعرفته إنما تكون بأفعاله فقال ﴿ومن آياته﴾ أي ومن افعاله الدالة على معرفته ﴿ان يرسل الرياح مبشرات﴾ بالمطر فكأنها ناطقات بالبشارة لما فيها من الدلالة عليه وارسال الرياح تحريكها واجراؤها في الجهات المختلفة تارة شمالاً وتارة جنوباً صبا واخرى دبوراً على حسب ما يعلم الله في ذلك من المصلحة ﴿وليذيقكم من رحمته﴾ أي وليصيبكم من نعمته وهي الغيث وتقديره انه يرسل الرياح للبشارة والإذاقة من الرحمة ﴿ولتجري الفلك﴾ بها ﴿بأمره ولتبتغوا من فضله﴾ أي ولتطلبوا بركوب السفن الارياح وقيل لتطلبوا بالامطار فيما تزرعونه من فضل الله ﴿ولعلكم تشكرون﴾ نعمة الله تلطف سبحانه بلفظ لعلّكم في الدعاء إلى الشكر كما تلطف في الدعاء إلى البرّ بقوله من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً ثم خاطب سبحانه نبيّه ﷺ تسلية له في تكذيب قومه إياه فقال ﴿ولقد أرسلنا من قبلك﴾ يا محمد ﴿رسلاً إلى قومهم فجاؤهم بالبينات﴾ أي بالمعجزات والآيات الباهرات وهاهنا حذف تقديره فكذّبوهم وجحدوا بآياتنا فاستحقّوا العذاب ﴿فانتقمنا من

(١) نسبه في جامع الشواهد الى أحمد الرجاز ونسبه وبعض الى رؤبة بن العجاج، وقال في شرح الاشموني ومن الناس من ينسب الرجز للعجاج بن رؤبة الراجز المشهور ومنهم من يقول لرجل ولم يعينوه «انتهى» يصف الراجز قوماً نزل بهم فأطالوا انتظاره في اطعامه ثم جاؤه بضيح . وفي جامع الشواهد وغيره «جاؤا بمذق» ومعناهما واحد.

الذين اجرموا﴾ أي عاقبناهم بتكذيبهم ﴿وكان حقاً علينا نصر المؤمنين﴾ معناه ودفعنا السوء والعذاب عن المؤمنين وكان واجباً علينا نصرهم بإعلاء الحجة ودفع الأعداء عنهم إلا انه دلّ على المحذوف قوله وكان حقاً علينا نصر المؤمنين وجاءت الرواية عن ام الدرداء انها قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول ما من امرىء مسلم يردُّ عن عرض اخيه إلا كان حقاً على الله ان يردّ عنه نار جهنم يوم القيامة ثم قرأ وكان حقاً علينا نصر المؤمنين ثم قال سبحانه مفسراً لما أجمله في الآية المتقدمة ﴿الله الذي يرسل الرياح فتثير سحاباً﴾ أي فتهيج سحاباً فتزعجه ﴿فيبسطه﴾ الله ﴿في السماء كيف يشاء﴾ ان شاء بسطه مسيرة يوم وان شاء بسطه مسيرة يومين ويجريها إلى أي جهة شاء وإلى أيّ بلد شاء ﴿ويجعله كسفاً﴾ أي قطعاً متفرقة عن قتادة وقيل متراكباً بعضه على بعض حتى يغلظ عن الجبائي وقيل قطعاً تغطي ضوء الشمس عن أبي مسلم ﴿فترى الودق﴾ اي القطر ﴿يخرج من خلاله﴾ اي من خلال السحاب ﴿فإذا اصاب به﴾ أي بذلك الودق ﴿من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون﴾ أي يفرحون ويبشر بعضهم بعضاً به ﴿وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم من قبله لمبلسين﴾ معناه وانهم كانوا من قبل انزال المطر عليهم قانطين آيسين من نزول المطر عن قتادة وكررَّ كلمة من قبل للتوكيد عن الأخفش وقيل ان الأول من قبل الانزال للمطر والثاني من قبل الارسال للرياح ﴿فانظر إلى آثار رحمت الله كيف يحيي الأرض﴾ حتى انبت شجراً ومرعى ﴿بعد موتها﴾ أي بعد ان كانت مواتاً يابسة جعل الله سبحانه اليبس والجدوبة بمنزلة الموت وظهور النبات فيها بمنزلة الحياة توسعاً ﴿أن ذلك بمحي الموتى﴾ أي ان الله تعالى يفعل ما ترون وهو الله تعالى ليحيي الموتى في الآخرة بعد كونهم رفاتا ﴿وهو على كل شيء قدير﴾ مرَّ معناه.

﴿ وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِۦ
يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ
إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ
إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾ * ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن
ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ
ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ وَيَوْمَ

تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾

[القراءة] قرأ ابن كثير وعباس عن أبي عمرو ولا يسمع الصم والباقون ولا تسمع الصم وقد ذكرناه في سورة النمل وقرأ عاصم وحمزة من ضعف بالضم والباقون بفتح الضاد وقد ذكرناه في سورة الانفال .

[الإعراب] جواب الشرط من قوله الئن ارسلنا قد حذف لأنه قد اغنى عنه جواب القسم لأن المعنى في قوله لظلّوا ليظلن كما ان قوله ان ارسلنا بمعنى ان نرسل فجواب القسم قد ناب عن الأمرين وكان احق بالحكم لتقدمه على الشرط ولو تقدّم الشرط لكان الجواب له كقولك ان ارسلنا ريحاً فظلوا والله يكفرون واللام في قوله ولئن يسميها البصريون لام توطئة القسم ويسمّيها الكوفيون لام انذار القسم والمعنى ظل يفعل في صدر النهار وهو الوقت الذي فيه الظل للشمس .

[المعنى] ثم عاب سبحانه كافر النعمة فقال ﴿ولئن ارسلنا ريحاً﴾ مؤذنة بالهلاك باردة ﴿فرأوه مصفراً﴾ أي فرأوا النبت والزرع الذي كان من اثر رحمة الله مصفراً من البرد بعد الخضرة والنضارة وقيل ان الهاء يعود إلى السحاب ومعناه فرأوا السحاب مصفراً لأنه إذا كان كذلك لم يكن فيه مطر ﴿لظلوا من بعده يكفرون﴾ أي لصاروا من بعد ان كانوا راجين مستبشرين يكفرون بالله وبنعمته ولم يرضوا بقضاء الله تعالى فيه فعل من جهل صانعه ومدبّره ولا يعلم انه حكيم لا يفعل إلا الاصلح فيشكر عند النعمة ويصبر عند الشدة ثم قال سبحانه لنبيّه ﷺ ﴿فإنك لا تسمع﴾ يا محمد ﴿الموتى ولا تسمع الصم الدعاء﴾ شبّه الكفار في ترك تدبرّهم فيما يدعوهم إليه النبي ﷺ تارة بالأموات وتارة بالصم لأنهم لا ينتفعون بدعاء الداعي فكأنهم لا يسمعونه ﴿إذا ولوا مدبرين﴾ أي إذا اعرضوا عن أدلتنا ذاهبين إلى الضلال والفساد غير سالكين سبيل الرشاد ﴿وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم﴾ يعني انهم كالعمي لا يهتدون بالأدلة ولا تقدر على ردّهم عن العمى إذ لم يطلبوا الاستبصار ﴿إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا﴾ ليس تسمع إلا من يصدّق بآياتنا وأدلّتنا فإنهم المنتفعون بدعائك واسماعك ﴿فهم مسلمون﴾ منقادون لأمر الله ثم عاد سبحانه إلى ذكر الادلة فقال ﴿الله الذي خلقكم من ضعف﴾ أي من نطف وقيل معناه خلقكم أطفالاً لا تقدرون على البطش والمشي والتصرفات ﴿ثم جعل من بعد ضعف قوة﴾ أي شباباً ﴿ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة﴾ يعني حال

الشيخوخة والكبر ﴿يخلق ما يشاء﴾ من ضعف وقوة ﴿وهو العليم﴾ بما فيه مصالح خلقه ﴿القدير﴾ على فعله على فعله بحسب ما يعلمه من المصلحة ثم بيّن سبحانه حال البعث فقال ﴿ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون﴾ أي يحلف المشركون ﴿ما لبثوا﴾ في القبور ﴿غير ساعة﴾ واحدة عن الكلبي ومقاتل وقيل يحلفون ما مكثوا في الدنيا غير ساعة لاستقلالهم مدة الدنيا وقيل يحلفون ما لبثوا بعد انقطاع عذاب القبر غير ساعة عن الجبائي ومتى قيل كيف يحلفون كاذبين مع ان معارفهم في الآخرة ضرورية قيل فيه أقوال (احدها) انهم حلفوا على الظن ولم يعلموا لبثهم في القبور فكانهم قالوا ما لبثنا غير ساعة في ظنوننا عن أبي علي وابي هاشم (وثانيها) انهم استقلوا الدنيا لما عاينوا من امر الآخرة فكأنهم قالوا ما الدينا في الآخرة إلا ساعة فاستقلوا حيث اشتغلوا في المدة اليسيرة بما اوردهم تلك الأهوال الكثيرة (وثالثها) ان ذلك يجوز ان يقع منهم قبل اكمال عقولهم عن ابي بكر بن الاخشيد ﴿كذلك كانوا يؤفكون﴾ في دار الدنيا أي يكذبون وقيل يصرفون صرفهم جهلهم عن الحق في الدارين ومن استدل في هذه الآية على نفي عذاب القبر فقد ابعد لِمَا بيّنا انه يجوز ان يريدوا انهم لم يلبثوا بعد عذاب الله إلا ساعة.

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَـٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَـٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَـٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾

[القراءة] قرأ اهل الكوفة لا ينفع بالياء والباقون بالتاء وكذلك في حم المؤمن ووافق نافع اهل الكوفة في حم المؤمن .

[المعنى] قال أبو علي التأنيث حسن لأن المعذرة اسم مؤنث واما التذكير فلأن التأنيث غير حقيقي وقد وقع الفصل بين الفعل وفاعله والفصل يحسن التذكير .

[المعنى] ثم اخبر سبحانه عن علماء المؤمنين في ذلك اليوم فقال ﴿وقال الذين أوتوا العلم والإيمان﴾ أي آتاهم الله العلم بما نصب لهم من الأدلة الموجبة له فنظروا فيها فحصل لهم العلم فلذلك اضافه إلى نفسه لما كان هو الناصب للأدلة على العلوم والتصديق بالله وبرسوله ﴿لقد لبثتم﴾ أي مكثتم ﴿في كتاب الله﴾ ومعناه ان لبثكم ثابت في كتاب الله ثبته الله فيه وهو قوله ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون وهذا كما يقال ان كل ما يكون فهو في اللوح المحفوظ اي هو مثبت فيه والمراد لقد لبثتم في قبوركم ﴿إلى يوم البعث﴾ وقيل ان الذين أوتوا العلم والإيمان هم الملائكة وقيل هم الأنبياء وقيل هم المؤمنون وقيل ان هذا على التقديم وتقديره وقال الذين اوتوا العلم في كتاب الله وهم الذين يعلمون كتاب الله والإيمان لقد لبثتم إلى يوم البعث وقال الزجاج في كتاب الله أي في علم الله المثبت في اللوح المحفوظ فهذا يوم البعث الذي كنتم تنكرونه في الدنيا ﴿ولكنكم كنتم لا تعلمون﴾ وقوعه في الدنيا فلم ينفعكم العلم به الآن ويدلُّ على هذا المعنى قوله ﴿فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا﴾ انفسهم بالكفر ﴿معذرتهم﴾ فلا يمكنون من الاعتذار ولو اعتذروا لم يقبل عذرهم ﴿ولا هم يستعتبون﴾ أي لا يطلب منهم الاعتاب والرجوع إلى الحق ﴿ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل﴾ أي بالَغْنا في البيان للمكلفين في هذا القرآن الذي أنزلناه على نبينا من كل مثل يدعوهم إلى التوحيد والإيمان ﴿ولئن جئتهم بآية﴾ أي معجزة باهرة مما اقترحوها منك ﴿ليقولن الذين كفروا ان انتم إلا مبطلون﴾ أي أصحاب اباطيل وهذا اخبار عن عناد القوم وتكذيبهم بالآيات ﴿كذلك﴾ اي مثل ما طبع الله على قلوب هؤلاء ﴿يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون﴾ توحيد الله والطبع والختم مُفَسَّران في سورة البقرة ﴿فاصبر﴾ يا محمد على اذى هؤلاء الكفار واصرارهم على كفرهم ﴿إن وعد الله حق﴾ بالعذاب والتنكيل لأعدائك والنصر والتأييد لك ولدينك ﴿ولا يستخفنك﴾ أي لا يستفزنك ﴿الذين لا يوقنون﴾ بالبعث والحساب فهم ضالون شاكُّون وقيل لا يستخفنَّك اي لا يحملنَّك كفر هؤلاء على الخفة والعجلة لشدة الغضب عليهم لكفرهم بآياتنا فتفعل خلاف ما امرت به من الصبر والرفق عن الجبائي .



مكية عن ابن عباس سوى ثلاث آيات نزلن بالمدينة ولو ان ما في الأرض من شجرة اقلام إلى آخرهن.

[عدد آيها] ثلاث وثلاثون آية حجازي اربع في الباقين .

[اختلافها] آيتان آلم كوفي مخلصين له الدين بصري شامي .

[فضلها] ابي بن كعب عن النبي ﷺ قال ومن قرأ سورة لقمان كان لقمان له رفيقاً يوم القيامة واعطي من الحسنات عشراً بعدد من عمل بالمعروف وعمل بالمنكر وروى محمد بن جبير العزرمي عن أبيه عن أبي جعفر (ع) قال من قرأ سورة لقمان في كل ليلة وكل الله به في ليلته ثلاثين ملكاً يحفظونه من ابليس وجنوده حتى يصبح فإن قرأها بالنهار لم يزالوا يحفظونه من ابليس وجنوده حتى يمسي .

[تفسيرها] لمّا ختم الله سورة الروم وبذكر الآيات الدالة على صحة نبوته افتتح هذه السورة بذكر آيات القرآن فقال.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ الٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ هُدًى وَرَحْمَةً
لِّلْمُحْسِنِينَ ۝٣ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم
بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ

هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ
لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ
عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن
لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا
وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ
تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ
دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

[القراءة] قرأ حمزة ورحمة بالرفع والباقون ورحمة بالنصب وقرأ اهل الكوفة غير ابي بكر ويعقوب ويتخذها بالنصب والباقون بالرفع وقد ذكرنا فيما تقدّم ان ابن كثير وابا عمرو ويعقوب قرؤوا ليَضلّ بفتح الياء وان نافعاً يقرأ الاذن بسكون الذال كل القرآن .

[الحجة] قال ابو علي والزجاج وجه النصب في ورحمة انه انتصب عن الاسم المبهم على الحال اي تلك آيات الكتاب في حال الهداية والرحمة والرفع على اضمار المبتدأ أي هو هدى ورحمة ومن رفع ويتخذها جعله عطفاً على الفعل الأول اي من يشتري ويتخذ ومن نصب عطفه على ليضل ويتخذها واما الضمير في يتخذها فيجوز ان يكون للحديث لأنه بمعنى الاحاديث ويجوز ان يكون للسبيل لأن السبيل يؤنث قال قل هذه سبيلي ويجوز ان يكون لآيات الله وقد جرى ذكرها في قوله تلك آيات الكتاب .

[الإعراب] مفعول يضل محذوف أي ليضل الناس بغير علم في موضع النصب على الحال تقديره ليضل الناس جاهلاً أو غير عالم . كأن لم يسمعها الكاف في موضع الحال وكذا قوله كأنَّ في اذنيه وقراً في موضع الحال أي ولي مستكبراً مشبهاً للصم . لهم جنات النعيم جنات ترتفع بالظرف على المذهبين لأنه جر خبراً على المبتدأ . وعد الله مصدر

فعل محذوف وحقاً صفة للمصدر وتقديره وعد الله وعداً حقاً. بغير عمد يجوز ان يكون غير صفة لمحذوف مجرور بالباء أي بعمد غير عمد ترونها وترونها جملة في موضع جرّ بكونها صفة لعمد اي بغير عمد مرئية ويجوز ان يكون غير بمعنى لا وعلى الوجهين يتعلق الباء بخلق ويجوز ان يكون الباء للحال فيكون حالاً من السموات ويجوز وجه آخر وهو ان يتعلق الباء بترون والجملة في موضع نصب على الحال من خلق فالتقدير خلق السموات مرئية بغير عمد ان تميد في موضع نصب بأنه مفعول له وتقديره حذر ان تميد وكراهة ان تميد.

[النزول] نزل قوله ومن الناس من يشتري لهو الحديث في النضر بن الحرث بن علقمة بن كلدة بن عبد الدار بن قصي بن كلاب كان يتّجر فيخرج إلى فارس فيشتري اخبار الاعاجم ويحدث بها قريشاً ويقول لهم ان محمداً يحدّثكم بحديث عاد وثمود وانا احدثكم بحديث رستم واسفنديار واخبار الأكاسرة فيستمعون حديثه ويتركون استماع القرآن عن الكلبي وقيل نزل في رجل اشترى جارية تغنيه ليلاً ونهاراً عن ابن عباس ويؤيّده ما رواه أبو امامة عن النبي ﷺ قال لا يحل تعليم المغنيات ولا بيعهن وأثمانهن حرام وقد نزل تصديق ذلك في كتاب الله تعالى ومن الناس من يشتري الآية والذي نفسي بيده ما رفع رجل عقيرته[1] يتغنّى إلا ارتدفه شيطانان يضربان ارجلهما على صدره وظهره حتى يسكت.

[المعنى] ﴿آلم تلك آيات الكتاب الحكيم﴾ تقدّم تفسيره ﴿هدى ورحمة للمحسنين﴾ أي بيان ودلالة ونعمة للمطيعين وقيل للموحّدين وقيل للذين يحسنون العمل ثم وصفهم فقال ﴿الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة﴾ إلى قوله ﴿هم المفلحون﴾ قد مرّ تفسيره في سورة البقرة ثم وصف الذين حالهم تخالف حال هؤلاء فقال ﴿ومن الناس من يشتري لهو الحديث﴾ أي باطل الحديث واكثر المفسرين على ان المراد بلهو الحديث الغناء وهو قول ابن عباس وابن مسعود وغيرهما وهو المروي عن أبيْ جعفر وابي عبد الله وابي الحسن الرضا عليهم السلام قالوا منه الغناء وروي ايضاً عن ابي عبد الله (ع) انه قال هو الطعن بالحق والاستهزاء به وما كان أبو جهل واصحابه يجيئون به إذ قال يا معشر قريش ألا أطعمكم من الزقوم الذي يخوّفكم به صاحبكم ثم ارسل زيد إليّ وتمر فقال هذا هو الزقوم الذي يخوّفكم به قال ومنه الغناء فعلى هذا فإنه يدخل فيه كل شيء يلهي عن سبيل الله وعن

(١) عقيرة الرجل: صوته إذا غنى، وقيل: أصله ان رجلاً عقرت رجله فوضع العقيرة على الصحيحة بكى عليها بأعلى صوته، فقيل: رفع عقيرته ثم كثر ذلك حتى صير الصوت بالغناء عقيرة.

طاعته من الاباطيل والمزامير والملاهي والمعارف ويدخل فيه السخرية بالقرآن واللغو فيه كما قاله ابو مسلم والترهات والبابس على ما قاله عطا وكل لهو ولعب على ما قاله قتادة والأحاديث الكاذبة والأساطير الملهية عن القرآن على ما قاله الكلبي وروى الواحدي بالإسناد عن نافع عن ابن عمر انه سمع النبي ﷺ في هذه الآية ومن الناس من يشتري لهو الحديث قال باللعب والباطل كثير النفقة سمح فيه ولا تطيب نفسه بدرهم يتصدق به وروي أيضاً بالإسناد عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ من ملأ مسامعه من غناء لم يؤذن له أن يسمع صوت الروحانيين يوم القيامة قيل وما الروحانيون يا رسول الله قال قراء اهل الجنة ﴿ليضلّ عن سبيل الله﴾ اي ليضلّ غيره ومن أضلّ غيره فقد ضلّ هو ومن قرأ بفتح الياء فالمعنى ليصير أمره إلى الضلال وهو ان لم يكن يشتري للضلال فإنه يصير امره إلى ذلك قال قتادة يحسب المرء من الضلالة ان يختار حديث الباطل على حديث الحق وسبيل الله قراءة القرآن وذكر الله عن ابن عباس ﴿بغير علم﴾ معناه انه جاهل فيما يفعله لا يفعل عن علم ﴿ويتخذها هزواً﴾ أي ويتخذ آيات القرآن هزواً أو ويتخذ سبيل الله هزواً يستهزأ بها ﴿اولئك لهم عذاب مهين﴾ أي مضلٌّ يهينهم الله به ﴿وإذا تتلى عليه آياتنا﴾ أي وإذا قرىء عليه القرآن ﴿ولّى مستكبراً كأن لم يسمعها﴾ أي اعرض عن سماعه اعراض من لا يسمعه رافعاً نفسه فوق مقدارها ﴿كأنّ في اذنيه وقراً﴾ أي كأنّ في مسامعه ثقلاً يمنعه عن سماع تلك الآيات ﴿فبشّره﴾ يا محمد ﴿بعذاب أليم﴾ اي مؤلم موجع في القيامة ثم اخبر سبحانه عن صفة المؤمنين المصدقين فقال ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم﴾ يوم القيامة يتنعمون فيها ﴿خالدين فيها﴾ أي مؤبّدين في تلك الجنات ﴿وعد الله حقاً﴾ أي وعداً وعده الله حقاً لا خلف له ﴿وهو العزيز﴾ في انتقامه ﴿الحكيم﴾ في جميع افعاله وأحكامه لا يفعل إلا ما تقتضيه الحكمة ثم اخبر سبحانه عن افعاله الدالة على توحيده فقال ﴿خلق السموات﴾ أي انشأها واخترعها ﴿بغير عمد ترونها﴾ إذ لو كان لها عمد لرأيتموها لأنها لو كانت تكون اجساماً عظاماً حتى يصحّ منها ان تقل السموات ولو كانت كذلك لاحتاجت إلى عمد آخر فكان يتسلسل فإذا لا عمد لها وقيل ان المراد بغير عمد مرئيّة والمعنى ان لها عمداً لا ترونها عن مجاهد والصحيح الأول ﴿والقى في الأرض رواسي﴾ أي جبالاً ثابتة ﴿أن تميد بكم﴾ أي كراهة ان تميد بكم وقيل لئلا تميد بكم ﴿وبث فيها﴾ أي فرّق فيها اي في الأرض ﴿من كل دابة﴾ تدبُّ على وجهها من انواع الحيوانات ﴿وأنزلنا من السماء ماء﴾ أي غيثاً ومطراً ﴿فأنبتنا فيها﴾ أي في الأرض بذلك الماء ﴿من كل زوج﴾ أي صنف ﴿كريم﴾ أي حسن النبتة طيب الثمرة .

﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ
فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ
وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ
حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ
بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ
أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ
ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ
فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ
إِلَيَّ ۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾

[القراءة] قرأ ابن كثير في رواية البزي يا بُنَيْ لا تشرك بالله ساكنة الياء يا بُنَيَّ انها مكسورة الياء يا بُنَيَّ اقم الصلاة مفتوحة الياء وقرأ في رواية القواس يا بني أنها مكسورة الياء وقرأ ابن فليح يا بَني لا تشرك يا بنِي انها مكسورة الياء فيهما يا بنِّي اقم مفتوحة الياء وقرأ حفص يا بنِّي بفتح الياء في كل القرآن والباقون بكسر الياء في كل القرآن وفي الشواذ قراءة عيسى الثقفي ورواية بعضهم عن أبي عمرو وَهَناً على وهَن بفتح الهاء وقراءة الحسن بخلاف وابي رجا والجحدري وقتادة ويعقوب وفصله في عامين .

[الحجة] قال ابو علي من اسكن الياء في الوصل فإنه يجوز ان يكون على قول من قال يا غُلامَ اقْبل فلما وقف قال يا غُلامْ فاسكن للوقف ويكون اجرى الوصل مجرى الوقف وهذا يجيء في الشعر كقول عمران بن حطان .

قَدْ كُنْتُ عِنْدَكَ حَوْلاً لا تُرَوِّعُني ... فيهِ رَوائِعُ مِنْ إنْسٍ وَمِنْ جانِ

فإنما خفّف جان للقافية ثم وصل بحرف الاطلاق وأجرى الوصل مجرى الوقف وهذا

لا نعلم جاء في الكلام ومن قال يا بُنَيّ انّها فهو على قولك يا غُلام أقْبِل ومن قال يا بنيَّ بفتح الياء فانه على قولك يا بنيا فأبدل ياء الاضافة الفاً ومن الكسرة فتحة وعلى هذا حمل أبو عثمان قوله يا ابت وقد تقدَّم ذكر ذلك فيما سلف ومن قرأ وهَناً على وهَن يفتح الهاء فيمكن ان يكون حرك الهاء لأجل حرف الحلق كقراءة الحسن إلى يوم البَعَث فهذا يوم البَعَث بفتح العين وأما الفصل فإنه اعمّ من الفصال لأنه يستعمل في الرضاع وغيره والفصال هاهنا أوجه لأن الموضع مختص بالرضاع .

[الإعراب] فأروني ماذا خلق الذين من دونه تقديره أيّ شيء خلق فماذا بمنزلة اسم واحد في موضع نصب بأنه مفعول خلق والجملة معلقة بأروني . أن اشكر الله قال الزجاج معناه لأن يشكر الله ويجوز ان تكون ان مفسرة فيكون المعنى ان اشكر لله وتأويل ان اشكر قلنا له اشكر الله على ما اتاك . حملته امه جملة في موضع النصب على الحال بإضمار قا والعامل في الحال معنى الفعل الذي يدلُّ عليه قوله ووصّينا الإنسان بوالديه فإن معناه امرنا بالإحسان إلى والديه وحاله انه كان محمولاً لأمه ومثله قوله كيف تكفرون بالله وكنتم امواتاً أي وحالكم انكم كنتم امواتاً. وهناً مصدر فعل محذوف في موضع الحال أي تهن وهناً وقوله على وهم في موضع الصفة لقوله وهنا ويجوز أن يتعلق أيضاً بالعامل في وهناً وقوله معروفاً صفة لمصدر محذوف وتقديره مصاحباً معروفاً بمعنى مصاحبة معروفة .

[المعنى] ثم اشار سبحانه إلى ما تقدَّم ذكره فقال ﴿هذا خلق الله﴾ اي هذا الذي ذكرت من السموات على عظمها وكبر حجمها والأرض وما فيها خلق الله الذي اوجده واحدثه ﴿فأروني ماذا خلق الذين من دونه﴾ يعني آلهتهم التي يعبدونها ﴿بل الظالمون في ضلال مبين﴾ المعنى انهم لا يجدون لهذا الكلام جواباً ولا يمكنهم أن يشيروا إلى شيء هو خلق آلهتهم فلم يحملهم على عبادتهم خلقها لشيء ولكنهم في عدول ظاهر عن الحق ولمّا ذكر سبحانه الأدلة الدالة على توحيده وقدرته وحكمته بيَّن عقيب ذلك قصة لقمان وانه اعطاه الحكمة فقال ﴿ولقد آتينا لقمان الحكمة﴾ اي اعطيناه العقل والعلم والعمل به والاصابة في الأمور واختلف فيه فقيل انه كان حكيماً ولم يكن نبياً عن ابن عباس ومجاهد وقتادة واكثر المفسرين وقيل انه كان نبياً عن عكرمة والسدي والشعبي وفسّروا الحكمة هنا بالنبوة وقيل انه كان عبداً اسود حبشياً غليظ المشافر[1] مشقوق الرجلين في زمن داود (ع) وقال له بعض

(١) جمع المشفر : الشفة.

الناس ألست كنت ترعى معنا فقال نعم قال فمن أين أوتيت ما أرى قال قدر الله واداء الأمانة وصدق الحديث والصمت عما لا يعنيني وقيل انه كان ابن اخت ايوب عن وهب وقيل كان ابن خالة ايوب عن مقاتل وروي عن نافع عن ابن عمر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول حقاً أقول لم يكن لقمان نبياً ولكن كان عبداً كثير التفكر حسن اليقين احب الله فأحبه ومنَّ عليه بالحكمة كان نائماً نصف النهار إذ جاءه نداء يا لقمان هل لك ان يجعلك الله خليفة في الأرض تحكم بين الناس بالحق فأجاب الصوت إنْ خَيَّرني ربي قبلت العافية ولم أقبل البلاء وان عزم علي فسمعاً وطاعة فإني اعلم انه ان فعل بي ذلك اعانني وعصمني فقالت الملائكة بصوت لا يراهم لِمَ يا لقمان قال لأن الحكم أشد المنازل وآكدها يغشاه الظلم من كل مكان ان وقي فبالحري ان ينجو وان اخطأ اخطأ طريق الجنة ومن يكن في الدنيا ذليلاً وفي الآخرة شريفاً خير من ان يكون في الدنيا شريفاً وفي الآخرة ذليلاً ومن يختر الدنيا على الآخرة تفته الدنيا ولا يصيب الآخرة فتعجبت الملائكة من حسن منطقه فنام نومة فأعطي الحكمة فانتبه يتكلم بها ثم كان يوآزر داود بحكمته فقال له داود طوبى لك يا لقمان اعطيت الحكمة وصرفت عنك البلوى ﴿ان اشكر لله﴾ معناه وقلنا له اشكر لله تعالى على ما اعطاك من الحكمة ﴿ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه﴾ اي من يشكر نعمة الله ونعمة من انعم عليه فإنه إنما يشكر لنفسه لأن ثواب شكره عائد عليه ويستحق مزيد النعمة والزيادة الحاصلة بالشكر تكون له ﴿ومن كفر فإن الله غني﴾ عن شكر الشاكرين ﴿حميد﴾ اي محمود على افعاله وقيل مستحمد إلى خلقه بالانعام عليهم والشكر لا يكون إلا على نعمة سبقت فهو يقتضي منعماً فعلى هذا لا يصح ان يشكر الإنسان نفسه كما لا يصح ان يكون منعماً على نفسه ويجري مجرى الدَّين في انه حق لغيره عليه يلزمه اداؤه فكما لا يصح ان يقرض نفسه فكذلك لا يصح ان ينعم على نفسه ﴿وإذ قال لقمان لابنه﴾ معناه واذكر يا محمد إذ قال لقمان لابنه ويجوز ايضاً ان يتعلق إذ بقوله ولقد آتينا لقمان الحكمة إذ قال لابنه ﴿وهو يعظه﴾ أي يؤدبه ويذكره اي في حال ما يعظه ﴿يا بني لا تشرك بالله﴾ أي لا تعدل بالله شيئاً في العبادة ﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾ أصل الظلم النقصان ومنع الواجب فمن اشرك بالله فقد منع ما وجب لله عليه من معرفة التوحيد فكان ظالماً وقيل انه ظلم نفسه ظلماً عظيماً بأن اوبقها ﴿ووصينا الإنسان بوالديه﴾ لمّا قدَّم الأمر بشكر النعمة اتبعه بالتنبيه على وجوب الشكر لكل منعم فبدأ بالوالدين أي أمرناه بطاعة الوالدين وشكرهما والإحسان اليهما وإنما قرن شكرهما بشكرة لأنه الخالق المنشيء وهما السبب في الانشاء والتربية ثم بيَّن سبحانه زيادة نعمة الأم فقال ﴿حملته أمه وهناً على وهن﴾ معناه ضعفاً على ضعف عن الضحاك والحسن يعني ضعف

نطفه الوالد على ضعف نطفة الأم عن أبي مسلم وقيل لأن الحمل يؤثر فيها فكلما ازداد الحمل ازدادت ضعفاً على ضعف وقيل لأنها ضعيفة الخلقة فازدادت ضعفاً بالحمل وقيل وهناً على وهن أي شدة على شدة وجهداً على جهد عن ابن عباس وقتادة ﴿ وفصاله في عامين﴾ اي وفطامه من الرضاع في انقضاء عامين لأن العامين جملة مدة الرضاع فهو كقوله ﴿يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن اراد أن يتم الرضاعة﴾ والمراد أنها بعد ما تلده ترضعه عامين وتربيه فتلحقها المشقة بذلك ايضاً ﴿ان اشكر لي ولوالديك﴾ هذا تفسير قوله ووصينا الإنسان أي وصيناه بشكرنا وشكر والديه فشكر الله سبحانه بالحمد والطاعة وشكر الوالدين بالبر والصلة ﴿إليّ المصير﴾ وفيه تهديد أي إليّ مرجعكم فأجازيكم على حسب أعمالكم ﴿وإن جاهداك﴾ أيها الإنسان أي جاهداك والداك ﴿على ان تشرك بي﴾ معبوداً آخر فلا تطعهما وهو قوله ﴿ما ليس لك به علم﴾ لأن ما يكون حقاً تعلم صحته فما لا تعلم صحته فهو باطل فكأنه قال فإن دعواك إلى باطل ﴿فلا تطعهما﴾ في ذلك ﴿وصاحبهما في الدنيا معروفاً﴾ أي واحسن اليهما وارفق بهما في الأمور الدنيوية وان وجبت مخالفتهما في أبواب الدين لمكان كفرهما ﴿واتبع سبيل من أناب إليّ﴾ أي واسلك طريقة من رجع إلى طاعتي وأقبل إليّ بقلبه وهو النبي ﷺ والمؤمنون قال ﴿ثم إليّ﴾ أي إلى حكمي ﴿مرجعكم﴾ ومنقلبكم ﴿فأنبئكم﴾ أي اخبركم ﴿بما كنتم تعملون﴾ في دار الدنيا من الأعمال وأجازيكم عليها بحسبها .

[فصل في ذكر نبذ من حكم لقمان]

ذكر في التفسير ان مولاه دعاه فقال اذبح شاة فأتني بأطيب مضغتين منها فذبح شاة وأتاه بالقلب واللسان[1] فسأله عن ذلك فقال انهما اطيب شيء إذا طابا واخبث شيء إذا خبثا وقيل ان مولاه دخل المخرج فأطال فيه الجلوس فناداه لقمان ان طول الجلوس على الحاجة يفجع منه الكبد ويورث منه الباسور ويصعد الحرارة إلى الرأس فاجلس هونا وقم هونا قال فكتب حكمته على باب الحُش[2]. قال عبد الله بن دينار قدم لقمان من سفر فلقي غلامه في الطريق فقال ما فعل ابي قال مات ملكت أمري قال ما فعلت امرأتي قال ماتت قال جدّد

(١) وفي بعض التفاسير كالبيضاوي والثعلبي «ثم امره بمثل ذلك بعد ايام وان يأتي بأخبث مضغتين منها فاخرج القلب واللسان فسأله عن ذلك فقال . . . » واحتمل المجلسي (ره) في هامش البحار انه سقط من الكتاب أيضاً .

(٢) الحش ـ مثلثة ـ: المخرج ، واصله من البستان سمي بذلك لانهم كانوا يقضون حاجتهم في البساتين .

فراشي قال ما فعلت اختي قال ماتت قال سترت عورتي قال ما فعل اخي قال مات قال انقطع ظهري وقيل للقمان ايّ الناس شرٌّ قال الذي لا يبالي ان يراه الناس مسيئاً. وقيل له ما اقبح وجهك قال تعتب على النقش او على فاعل النقش. وقيل انه دخل على داود وهو يسرد الدرع وقد ليَّن الله له الحديد كالطين فأراد أن يسأله فأدركته الحكمة فسكت فلما اتَّمها لبسها وقال نعم لبوس الحرب انت فقال الصمت حكم وقليل فاعله فقال له داود بحق ما سميت حكيماً وفي كتاب من لا يحضره الفقيه قال لقمان لابنه يا بني ان الدنيا بحر عميق وقد هلك فيها عالم كثير فاجعل سفينتك فيها الإيمان بالله واجعل شراعها التوكل على الله واجعل زادك فيها تقوى الله فإن نجوت فبرحمة الله وان هلكت فبذنوبك وروى سليمان بن داود المنقري عن حماد بن عيسى عن أبي عبد الله (ع) قال في وصية لقمان لابنه يا بني سافر بسيفك وخُفّك وعمامتك وخبائك وسقائك وخيوطك ومخرزك وتزود معك من الادوية ما تنتفع به أنت ومن معك وكن لأصحابك موافقاً إلا في معصية الله عز وجل يا بني إذا سافرت مع قوم فأكثر استشارتهم في امرك وامورهم واكثر التبسم في وجوههم وكن كريماً على زادك بينهم فإذا دعوك فأجبهم وإذا استعانوا بك فأعنهم واستعمل طول الصمت وكثرة الصلاة وسخاء النفس بما معك من دابة أو ماء أو زاد وإذا استشهدوك على الحق فاشهد لهم واجهد رأيك لهم إذا استشاروك ثم لا تعزم حتى تثبت وتنظر ولا تجب في مشورة حتى تقوم فيها وتقعد وتنام وتأكل وتصلي وأنت مستعمل فكرتك وحكمتك في مشورته فإن من لم يمحض النصيحة من استشاره سلبه الله رأيه وإذا رأيت أصحابك يمشون فامش معهم فإذا رأيتهم يعملون فاعمل معهم واسمع لمن هو اكبر منك سناً وإذا امروك بأمر وسألوك شيئاً فقل نعم ولا تقل لا فإنَّ لا عيٌّ ولؤم وإذا تحيَّرتم في الطريق فانزلوا وإذا شككتم في القصد فقفوا وتوآمروا وإذا رأيتم شخصاً واحداً فلا تسألوه عن طريقكم ولا تسترشدوه فإن الشخص الواحد في الفلاة مريب لعله يكون عين اللصوص أو يكون هو الشيطان الذي حيرَّكم واحذروا الشخصين أيضاً إلا ان تروا ما لا أرى لأن العاقل إذا ابصر بعينه شيئاً عرف الحق منه والشاهد يرى ما لا يرى الغائب يا بني إذا جاء وقت الصلاة فلا تؤخرّها لشيء صلّها واسترح منها فإنها دين وصلّ في جماعة ولو على رأس زجّ[1] ولا تنامن على دابتك فإن ذلك سريع في دبرها وليس ذلك من فعل الحكماء إلا ان تكون في محمل يمكنك التمدد لاسترخاء المفاصل فإذا قربت

(١) الزج : الحديد التي في اسفل الرمح.

من المنزل فانزل عن دابتك وابدأ بعلفها قبل نفسك فإنها نفسك(١) وإذا أردتم النزول فعليكم من بقاع الأرض بأحسنها لوناً وألينها تربة وأكثرها عشباً وإذا نزلت فصلّ ركعتين قبل ان تجلس وإذا اردت قضاء حاجتك فابعد المذهب في الأرض وإذا ارتحلت فصلّ ركعتين ثم ودّع الأرض التي حللت بها وسلم على اهلها فإن لكل بقعة اهلاً من الملائكة وإن استطعت ان لا تأكل طعاماً حتى تبتدىء فتصدق منه فافعل وعليك بقراءة كتاب الله ما دمت راكباً وعليك بالتسبيح ما دمت عاملاً عملاً وعليك بالدعاء ما دمت خالياً وإياك والسير في أول الليل إلى آخره وإياك ورفع الصوت في مسيرك . وقال ابو عبد الله (ع) والله ما أُوتي لقمان الحكمة لحسب ولا مال ولا بسط في جسم ولا جمال ولكنه كان رجلاً قوياً في امر الله متورعاً في الله ساكتاً سكيناً عميق النظر طويل التفكر حديد البصر لم ينم نهاراً قط ولم يتكىء في مجلس قوم قط ولم يتفل في مجلس قوم قط ولم يعبث بشيء قط ولم يره أحد من الناس على بول ولا غائط قطّ ولا على اغتسال لشدة تستره وتحفظه في امره ولم يضحك من شيء قط ولم يغضب قط مخافة الاثم في دينه ولم يمازح إنساناً قط ولم يفرح بما اوتيه من الدنيا ولا حزن منها على شيء قط وقد نكح من النساء وولد له الأولاد الكثيرة وقدم اكثرهم افراطاً فما بكى على موت أحد منهم ولم يمرّ بين رجلين يقتتلان أو يختصمان إلا اصلح بينهما ولم يمض عنهما حتى تحاجزا ولم يسمع قولاً استحسنه من أحد قط إلا سأله عن تفسيره وعن من اخذه وكان يكثر مجالسة الفقهاء والعلماء وكان يغشى القضاة والملوك والسلاطين فيرثي للقضاة بما ابتلوا به ويرحم الملوك والسلاطين لعزتهم بالله وطمأنينتهم في ذلك ويتعلم ما يغلب به نفسه ويجاهد به هواه ويحترز من السلطان وكان يداوي نفسه بالتفكر والعبر وكان لا يظعن إلا فيما ينفعه ولا ينظر إلا فيما يعنيه فبذلك اوتي الحكمة ومنح القضية .

﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي
ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾
يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ

(١) روى الكليني (ره) الحديث في روضة الكافي بأدنى اختلاف فيه وليس فيما رواه «فانها نفسك» راجع الروضة : ٣٤٨ - ٣٤٩ .

عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ
لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ
فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ
ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً
وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا
كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾

[القراءة] قد ذكرنا في سورة الأنبياء ان قراءة اهل المدينة مثقال حبة بالرفع وقراءة الباقين بالنصب وقرأ اهل الكوفة غير عاصم وأبو عمرو ونافع ولا تصاعر بالالف والباقون ولا تصعِّر بالتشديد وقرأ اهل المدينة والبصرة غير يعقوب وحفص نعمه على الجمع والباقون نعمة على الواحد وفي الشواذ قراءة عبد الكريم الجزري فَتَكِنُّ في صخرة بكسر الكاف وقراءة يحيي بن عمارة واصبغ بالصاد عليكم نعمة ظاهرة وباطنة .

[الحجة] قال ابو علي من قرأ ان تك مثقالُ بالرفع فألحق علامة التأنيث بالفعل فلأن المثقال هو السيئة أو الحسنة فأنث على المعنى كما قال فله عشر أمثالها فأنّث ومن قرأ مثقالَ بالنصب فالمعنى ان تك المظلمة او السيئة أو الحسنة مثقال حبة اتى بها الله وأثاب عليها او عاقب وأما قوله ولا تصعِّر فإنه يشبه ان يكون لا تصعر ولا تصاعر بمعنى كما قال سيبويه في ضعف وضاعف وقال أبو الحسن لا تصاعر لغة أهل الحجاز ولا تصعر لغة بني تميم وقال أبو عبيدة اصله من الصعر الذي يأخذ الابل في رؤوسها وأعناقها قال أبو علي فكأنه يقول لا تعرض عنهم ولا تزور كازورار الذي به هذا الداء الذي يلوي منه عنقه ويعرض بوجهه والنعم جمع نعمة فالنعم للكثير ونعم الله تعالى كثيرة والمفرد أيضاً يدل على الكثرة قال ﴿وإن تعدُّوا نعمة الله لا تحصوها﴾ وأما قوله ظاهرة وباطنة فلا ترجيح فيه لإحدى القراءتين على الأخرى ألا ترى ان النعم توصف بالظاهرة والباطنة كما توصف النعمة بذلك ومن قرأ فتَكِنُّ فهو من وَكَنَ الطائر

يَكِنُّ إذا استقرَّ في وكنه ومنه قول امرء القيس .

وَقَـد أَغْتَـدِي وَالـطَّيْـرُ في وُكُنَـاتِهـا بِـمُنْـجَـرَدٍ قَيْـدِ الأَوَابِـدِ هَـيْكَـلِ[1]

وقوله اصبغ ابدل فيه السين صاداً لأجل الغين كما قالوا سالغ وصالغ .

[المعنى] ثم عاد سبحانه إلى الإخبار عن لقمان ووصيته لأبنه وأنه قال له ﴿ يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل ﴾ معناه أن فعلة الإنسان من خير أو شر إن كانت مقدار حبة خردل في الوزن ويجوز أن يكون الهاء في أنها ضمير القصة كما في قوله ﴿ فإنها لا تعمى الأبصار ﴾ قال الزجاج يروى أن ابن لقمان سأل لقمان فقال أرأيت الحبة تكون في مقل البحر أي مغاص البحر يقال مقل يمقل إذا غاص أيعلمها الله فقال إنها أي أن الّتي سألتني عنها إن تك مثقال حبة من خردل ﴿ فتكن في صخرة ﴾ أي فتكن تلك الحية في جبل عن قتادة والمعنى في صخرة[2] عظيمة لأن الحبة فيها أخفى وأبعد من الإستخراج ﴿ أو في السماوات أو في الأرض ﴾ ذكر السماوات والأرض بعد ذكر الصخرة وإن كان لا بدّ وإن تكون الصخرة في الأرض على وجه التأكيد كما قال ﴿ إقرأ باسم ربك الذي خلق ﴾ ثم قال ﴿ خلق الإنسان ﴾ وقال السدي هذه الصخرة ليست في السماوات ولا في الأرض هي تحت سبع أرضين وهذا قول مرغوب عنه ﴿ يأت بها الله ﴾ أي يحضرها الله يوم القيامة ويجازي عليها أي يأت بجزاء ما وازنها من خير أو شرّ وقيل معناه يعلمها الله فيأتي بها إذا شاء كذلك قليل العمل من خير أو شر يعلمه الله فيجازي عليه فهو مثل قوله ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾ وروى العياشي بالإسناد عن ابن مسكان عن أبي عبد الله (ع) قال إتقوا المحقرات من الذنوب فإن لها طالباً لا يقولن أحدكم أذنب واستغفر الله إن الله تعالى يقول إن تك مثقال حبة من خردل الآية ﴿ إن الله لطيف ﴾ باستخراجها ﴿ خبير ﴾ بمستقرّها عن قتادة وقيل اللطيف العالم بالأمور الخفية والخبير العالم بالأشياء كلها ﴿ يا بني ﴾ إنما صغّر إسمه في هذه المواضيع للرقة والشفقة لا للتحقير ﴿ أقم الصلوة ﴾ أي أدّ الصلاة المفروضة في ميقاتها بشروطها ﴿ وأمر بالمعروف ﴾ وهو الطاعة

---

(١) البيت من معلقته المعروفة قوله «وقد اغتدى» اي اخرج وقت الغداة والوكنات : جمع الوكنة : ـ بثليث الواو ـ عش الطائر ـ والمنجرد: الفرس الماضي في السير أو القصير الشعر والاوابد: الوحوش . والهيكل: الفرس العظيم الضخم وقوله «قيد الاوابد» يريد ان هذا الفرس لسرعة عدوه وشدة جريه يدرك الوحوش ويلحقها ولا يمكنها من الشراد والنفار فكانه يقيدها .

(٢) وفي المخطوطتين « في حجرة » بدل « في صخرة » .

﴿ وأنه عن المنكر ﴾ وهو كل معصية وقبيح سواء كان من القبائح العقلية أو الشرعية فإن المعروف ما يدعو إليه العقل والشرع والمنكر ما يزجر عنه العقل والشرع ﴿ واصبر على ما أصابك ﴾ من المشقة والأذى في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عن علي (ع) وقيل ما أصابك من شدائد الدنيا ومكارهها من الأمراض وغيرها عن الجبائي ﴿ إن ذلك من عزم الأمور ﴾ أي من العقد الصحيح على فعل الحسن بدلاً من القبيح والعزم الإرادة المتقدمة للفعل بأكثر من وقت وهو العقد على الأمر لتوطين النفس على فعله والتلون في الرأي يناقض العزم وقيل معناه أن ذلك من الأمور التي يجب الثبات والدوام عليها وقيل العزم القوة والحزم الحذر ومنه المثل الأخير في عزم بغير حزم وقيل الحزم التأهّب للأمر والعزم النفاد فيه ومنه قيل في المثل « رَوِّ بحزم[1] فإذا إستوضحت فاعزم » ﴿ ولا تصعّر خدّك للناس ﴾ أي ولا تمل وجهك من الناس تكبّراً ولا تعرض عمن يكلّمك إستخفافاً به وهذا معنى قول ابن عباس وأبي عبد الله (ع) يقال أصاب البعير صعر أي داء يلوي منه عنقه فكأن المعنى لا تلزم خدّك للصعر لأنه لا داء للإنسان أدوى من الكبر قال:

وَكُنّا إذَا الجَبّارُ صَعّرَ خَدَّهُ أقَمْنا لَهُ مِنْ دَرْئِهِ فَتَقَوَّما[2]

وقيل هو أن يكون بينك وبين إنسان شيء فإذا لقيته أعرضت عنه عن مجاهد وقيل هو أن يسلّم عليك فتلوي عنقك تكبّراً عن عكرمة ﴿ ولا تمش في الأرض مرحاً ﴾ أي بطراً وخيلاء ﴿ إن الله لا يحب كل مختال فخور ﴾ أي كل متكبر فخور على الناس ﴿ واقصد في مشيك ﴾ أي إجعل في مشيك قصداً مستوياً على وجه السكون والوقار كقوله ﴿ الذين يمشون على الأرض هوناً ﴾ قال قتادة معناه تواضع في مشيك وقال سعيد بن جبير ولا تختل في مشيك ﴿ واغضض من صوتك ﴾ أي انقص من صوتك إذا دعوت وناجيت ربك عن عطا وقيل لا تجهر كل الجهر واخفض صوتك ولا ترفعه مطاولاً به ﴿ إن أنكر الأصوات لصوت الحمير ﴾ أي أقبح الأصوات صوت الحمير أوله زفير وآخره شهيق عن قتادة يقال وجه منكر أي قبيح . أمر لقمان ابنه بالاقتصاد في المشي والنطق وروي عن زيد بن علي أنه قال أراد صوت الحمير من الناس وهم الجهال شبّههم بالحمير كما شبّههم بالإنعام في قوله ﴿ أولئك كالإنعام ﴾ وروي عن أبي عبد الله (ع) قال هي العطسة المرتفعة القبيحة والرجل يرفع

(١) أمر من روى في الأمر : نظر فيه وتفكر .

(٢) قائله جرير والدرء : الميل والعوج يقول : إذا أمال متكبر خده أذللناه حتى يتقوم ميله وفي اللسان « من ميله » مكان « من درئه » .

صوته بالحديث رفعاً قبيحاً إلا أن يكون داعياً أو يقرأ القرآن ثم ذكر سبحانه نعمه على خلقه ونبّههم على معرفتها فقال ﴿ ألم تروا أن الله سخّر لكم ما في السماوات ﴾ من الشمس والقمر والنجوم ﴿ وما في الأرض ﴾ من الحيوان والنبات وغير ذلك مما تنتفعون به وتتصرفون فيه بحسب ما تريدون ﴿ وأسبغ عليكم ﴾ أي أوسع عليكم وأتمّ عليكم نعمه ﴿ ظاهرة وباطنة ﴾ فالظاهرة ما لا يمكنكم جحده من خلقكم وإحيائكم وأقداركم وخلق الشهوة فيكم وغيرها من ضروب النعم والباطنة ما لا يعرفها إلا من أمعن النظر فيها وقيل الباطنة مصالح الدين والدنيا مما يعلمه الله وغاب عن العباد علمه عن ابن عباس وفي رواية الضحاك عنه قال سألت النبي صلى الله عليه وآله وسلم عنه فقال يا ابن عباس إما ما ظهر فالإسلام وما سوى الله من خلقك وما أفاض عليك من الرزق وأما ما بطن فستر مساوىء عملك ولم يفضحك به يا ابن عباس إن الله تعالى يقول ثلاثة جعلتهن للمؤمن ولم تكن له صلاة المؤمنين عليه من بعد إنقطاع عمله وجعلت له ثلث ماله اكفر به عنه خطاياه والثالث سترت مساوىء عمله ولم أفضحه بشيء منه ولو أبديتها عليه لنبذه أهله فمن سواهم وقيل الظاهرة تخفيف الشرائع والباطنة الشفاعة عن عطا وقيل الظاهرة نعم الدنيا والباطنة نعم الآخرة وقيل الظاهرة نعم الجوارح والباطنة نعم القلب عن الربيع وقيل الظاهرة ظهور الإسلام والنصر على الأعداء والباطنة الإمداد بالملائكة عن مجاهد وقيل الظاهرة حسن الصورة وامتداد القامة وتسوية الأعضاء والباطنة المعرفة عن الضحاك وقيل الظاهرة القرآن والباطنة تأويله ومعانيه وقال الباقر (ع) النعمة الظاهرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وما جاء به النبي من معرفة الله عز وجل وتوحيده وأما النعمة الباطنة ولايتنا أهل البيت وعقد مودّتنا ولا تنافي بين هذه الأقوال وكلها نعم الله تعالى ويجوز حمل الآية على الجميع ﴿ ومن الناس من يجادل ﴾ أي يخاصم في الله ﴿ بغير علم ﴾ بما يقوله ﴿ ولا هدى ﴾ أي ولا دلالة وحجة ﴿ ولا كتاب منير ﴾ أي ولا كتاب من عند الله ظاهر واضح وقد مضى هذا مفسّراً في سورة الحج .

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾ * وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن

كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾

[المعنى] لما أخبر سبحانه عمن جادل في الله بغير علم ولم يذكر النعمة زاد عقيبه في ذمّهم فقال ﴿ وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله ﴾ على محمد صلى الله عليه وآله وسلم من القرآن وشرائع الإسلام ﴿ قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آبائنا ﴾ ذمّهم على التقليد ثم قال منكراً عليهم ﴿ أو لو كان الشيطان يدعوهم ﴾ إلى تقليد آبائهم وإتباع ما يدعوهم ﴿ إلى عذاب السعير ﴾ إدخل على واو العطف همزة الإستفهام على وجه الإنكار وجواب لو محذوف تقديره أو لو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير لاتبعوهم والمعنى أن الشيطان يدعوهم إلى تقليد آبائهم وترك إتباع ما جاءت به الرسل وذلك موجب لهم عذاب النار فهو في الحقيقة يدعوهم إلى النار ثم قال ﴿ ومن يسلم وجهه إلى الله ﴾ أي ومن يخلص دينه لله ويقصد في أفعاله التقرب إليه ﴿ وهو محسن ﴾ فيها فيفعلها على موجب العلم ومقتضى الشرع وقيل إن إسلام الوجه إلى الله تعالى هو الإنقياد لله تعالى في أوامره ونواهيه وذلك يتضمن العلم والعمل ﴿ فقد استمسك بالعروة الوثقى ﴾ أي فقد تعلق بالعروة الوثيقة التي لا يخشى إنفصامها والوثقى تأنيث الأوثق ﴿ وإلى الله عاقبة الأمور ﴾ أي وعند الله ثواب ما صنع عن مجاهد والمعنى وإلى الله ترجع أواخر الأمور على وجه لا يكون لأحد التصرف فيها بالأمر والنهي ﴿ ومن كفر ﴾ من هؤلاء الناس ﴿ فلا يحزنك ﴾ يا محمد ﴿ كفره ﴾ أي لا يغمّك ذلك ﴿ إلينا مرجعهم فنتبئهم بما عملوا ﴾ أي نخبرهم بأعمالهم ونجازيهم بسوء أفعالهم ﴿ إن الله عليم بذات الصدور ﴾ أي بما تضمره الصدور لا يخفى عليه شيء منه ﴿ نمتعهم قليلاً ﴾ أي نعطيهم من متاع الدنيا ونعيمها ما يتمتعون به مدة قليلة ﴿ ثم نضطرهم ﴾ في الآخرة ﴿ إلى عذاب غليظ ﴾ أي ثم نصيرهم مكرهين إلى عذاب يغلظ عليهم ويصعب ﴿ ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن ﴾ في جواب ذلك ﴿ الله ﴾ خلقهما ﴿ قل ﴾ يا محمد أو أيها السامع ﴿ الحمد لله ﴾ على هدايته لنا وتوفيقه إيانا لمعرفته وقيل معناه أشكر الله على دين يقرُّ لك خصمك بصحته لوضوح دلالته عن الجبائي ﴿ بل أكثرهم لا يعلمون ﴾ ما عليهم من الحجة .

﴿ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ
أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ
أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَّا خَلْقُكُمْ
وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ۗ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ
اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ
وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ
خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ
الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

[القراءة] قرأ أبو عمرو ويعقوب والبحر بالنصب والباقون بالرفع وقرأ جعفر بن محمد (ع) والبحر مداده وفي قراءة ابن مسعود وبحر يمده وهي قراءة طلحة بن مصرف وقراءة الحسن والأعرج والبحر يُمِدُّه بضم الياء .

[الحجة] قال أبو زيد أمددت القوم بمال ورجال إمداداً وقلّ ماء ركيّتنا فمددتها رَكِيَّة أخرى تمدّها قال أبو عبيدة وهاهنا إختصاراً سبيله لو كتبت كلمات الله بهذه الأقلام والبحر ما نفدت قال أبو علي والمراد بذلك والله أعلم ما في المقدور دون ما خرج منه إلى الوجود قال قتادة يقول لو كان شجر الأرض أقلاماً ومع البحر سبعة أبحر مداداً إذاً لانكسرت الأقلام ونفذ ماء البحر قبل أن تنفذ عجائب الله وحكمته وخلقه وعلمه فأما انتصاب البحر من قوله والبحرَ يمدُّه فلأنه معطوف على إسم أنّ وهو ما في الأرض فما اسم أن وأقلام خبرها والتقدير لو أن شجر الأرض أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر فإذا عطفت البحر على إسم أن فنصبته كان خبره يمدّه والراجع إلى البحر الضمير المنصوب المتصل بيمدّ ومن رفع استأنف كأنه قال والبحر هذه حاله فيما قاله سيبويه وأقول إذا عطفت البحر على اسم أن فنصبته فالأولى أن يكون خبره محذوفاً ويكون التقدير ولو أن البحر مداداً ويمدّه سبعة أبحر يكون جملة منصوبة الموضع على الحال وحذف الخبر الذي هو مداداً لدلالة الكلام عليه وإذا نصبت البحر أو

رفعته فالمعنى لو كتب ما في مقدور الله لنفذ ذلك قبل نفاذ المقدور ونحو هذا من الجمل قد يحذف لدلالة الكلام عليه كقوله ﴿ إذهب بكتابي هذا فألقه إليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون قالت يا أيها الملأ ﴾ والمعنى فذهب فألقى الكتاب فقرأته المرأة أو فقرىء عليها فقالت يا أيها الملأ ومن قرأ وبحر يمدُّه فتقديره وهناك بحر يمده من بعده سبعة أبحر قال ابن جني لا يجوز أن يكون وبحر معطوفاً على أقلام لأن البحر وما فيه من الماء ليس من حديث الشجر والأقلام وإنما هو من حديث المداد كما قرأ جعفر الصادق (ع) مداده فأما رفع البحر فإن شئت كان معطوفاً على موضع أن واسمها كما عطف عليه في قوله أن الله بريء من المشركين ورسوله وقد مضى ذكر ذلك في موضعه ومن قرأ يُمدّه بضم الياء فإنه تشبيه بإمداد الجيش وليس يقوى أن يكون قراءة جعفر بن محمد (ع) والبحر مداده أي زائد فيه لأن ماء البحر لا يعتد في الشجر والأقلام لأنه ليس من جنسه والمداد هناك هو هذا الذي يكتب به .

[المعنى] ثم أكدَّ سبحانه ما تقدَّم من خلقه السماوات والأرض بقوله ﴿ لله ما في السماوات والأرض ﴾ أي له جميع ذلك خلقاً وملكاً يتصرف فيه كما يريده ليس لأحد الإعتراض عليه في ذلك ﴿ إن الله هو الغني ﴾ عن حمد الحامدين وعن كل شيء ﴿ الحميد ﴾ أي المستحق للحمد والتعظيم ﴿ ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمدّه من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله ﴾ أي لو كان شجر الأرض أقلاماً وكان البحر مداداً ويمده سبعة أبحر مثله أي تزيده بمائها فكتب بتلك الأقلام والبحور لتكسرت تلك الأقلام ونفذ ماء البحور وما نفذت كلمات الله وقد ذكرنا تفسير كلمات الله في سورة الكهف والأولى أن يكون عبارة عن مقدوراته ومعلوماته لأنها إذا كانت لا تتناهى فكذلك الكلمات التي تقع عبارة عنها لا تتناهى ﴿ إن الله عزيز ﴾ في اقتداره على جميع ذلك ﴿ حكيم ﴾ يفعل من ذلك ما يليق بحكمته ثم قال ﴿ ما خلقكم ولا بعثكم ﴾ يا معشر الخلائق ﴿ إلا كنفس واحدة ﴾ أي كخلق نفس واحدة وبعث نفس واحدة في قدرته فإنه لا يشق عليه إبتداء جميع الخلق ولا إعادتهم بعد إفنائهم قال مقاتل إن كفار قريش قالوا إن الله خلقنا أطواراً نطفة علقة مضغة لحماً فكيف يبعثنا خلقاً جديداً في ساعة واحدة فنزلت الآية ﴿ إن الله سميع ﴾ يسمع ما يقول القائلون في ذلك ﴿ بصير ﴾ بما يضمرونه ﴿ ألم تر أن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل ﴾ أي ينقص من الليل في النهار ومن النهار في الليل عن قتادة وقيل معناه إن كل واحد منهما يتعقب الآخر ﴿ وسخّر الشمس والقمر ﴾ لأنهما يجريان على وتيرة واحدة لا يختلفان ﴿ كل يجري لأجل مسمى ﴾ قدّره الله تعالى ﴿ وإن الله بما تعملون خبير ذلك بأن الله هو الحق ﴾ الذ

يجب توجيه العبادة إليه ﴿ وإنَّ ما يدعون من دونه الباطل وإن الله هو العليُّ الكبير ﴾ أي القادر القاهر والآيتان مفسَّرتان في سورة الحج .

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ ۖ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾

[القراءة] في الشواذ قراءة الأعرج بِنِعْمات الله ساكنة العين .

[الحجة] في جمع فِعْلة ثلاث لغات فِعْلات بسكون العين وفِعَلات بفتحها وفِعِلات بكسر الفاء والعين .

[اللغة] الظلل جمع ظلة وهو ما أظلَّك والختر أقبح الغدر والختار صاحب الختل والختر قال عمرو بن معدي كرب .

فَإِنَّكَ لَوْ رَأَيْتَ أَبَا عُمَيْرٍ ... مَلأْتَ يَدَيْكَ مِنْ غَدْرٍ وَخَتْرِ[1]

(١) ملأت يديك : كناية عن الكثرة، قيل : لأنهم كانوا يعدون الأشياء بأصابعهم وإذا كان العدد كثيراً استوعب الأصابع .

ويقال جزيت عنك أجزي أي أغنيت عنك وفيه لغة أخرى أجزأت عنك أجزىء بالهمز .

[الإعراب] فلما نجاهم العامل في لمّا معنى مقتصد وتقديره إقتصدوا واخشوا يوماً إنتصب يوماً بأنه مفعول به . لا يجزى في موضع نصب بأنه صفة يوم والتقدير لا يجزي فيه والد عن ولده ولا يكون مولود هو جاز عن والده شيئاً إنتصب شيئاً بأنه مفعول جاز ومفعول يجزي محذوف ويجوز أن يكون سدّ مسدّ مفعوليهما جميعاً .

[المعنى] ثم أكّد سبحانه ما تقدَّم من الأدلة على وحدانيته ونعمه على بريته فقال ﴿ ألم تر أن الفلك تجري في البحر بنعمت الله ﴾ أي ألم تعلم أيها الإنسان أن السفن تجري في البحر بنعمة الله عليكم ﴿ ليريكم من آياته ﴾ أي بعض أدلته الدالة على وحدانيته ووجه الدلالة من ذلك أن الله تعالى يجري السفن بالرياح التي يرسلها في الوجوه التي يريدون المسير فيها ولو إجتمع جميع الخلق ليجروا الفلك في بعض الجهات المخالفة لجهة الرياح لما قدروا عليه وفي ذلك أعظم دلالة على أن المجري لها بالرياح هو القادر الذي لا يعجزه شيء فذلك بعض الأدلة الدالة عليه فلذلك قال من آياته ﴿ إن في ذلك ﴾ أي في تسخير الفلك وإجرائها على البحر وإجراء الريح على وفقها ﴿ لآيات ﴾ أي دلالات ﴿ لكل صار ﴾ على مشاق التكليف ﴿ شكور ﴾ لنعم الله تعالى عليه وإنما قال ذلك ليدلَّ على أن الصبر على بلائه والشكر لنعمائه أفضل الطاعات قال الشعبي الصبر نصف الإيمان والشكر نصف الإيمان واليقين الإيمان كله وفي الحديث الإيمان نصفان نصف صبر ونصف شكر وعلى هذا فكأنه سبحانه قال إن ذلك لآيات لكل مؤمن ﴿ وإذا غشيهم ﴾ أي إذا غشي أصحاب السفن الراكبي البحر ﴿ موج ﴾ وهو هيجان البحر ﴿ كالظلل ﴾ في ارتفاعه وتغطيته ما تحته شبَّه الموج بالسحاب الذي يركب بعضه على بعض عن قتادة وقيل يريد كالجبال عن مقاتل ﴿ دعوا الله مخلصين له الدين ﴾ أي إن خافوا الغرق والهلاك فاخلصوا في الدعاء لله في هذه أجل ﴿ فلما نجاهم ﴾ أي خلَّصهم ﴿ إلى البر ﴾ وسلَّمهم من هول البحر ﴿ فمنهم مقتصد ﴾ أي عدل في الوفاء في البرّ بما عاهد الله عليه في البحر من التوحيد له وقيل إن هذا كان سبب إسلام عكرمة بن أبي جهل وهو إخلاصهم الدعاء في البحر روى السدي عن مصعب بن سعد عن أبيه قال لما كان يوم فتح مكة أمن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الناس إلا أربعة نفر قال إقتلوهم وإن وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبة عكرمة بن أبي جهل وعبد الله بن أخطل وقيس بن صبابة وعبد الله بن سعد بن أبي سرح فأما عكرمة فركب

البحر فأصاباتهم ريح عاصفة فقال أهل السفينة أخلصوا فإن آلهتكم لا تغني عنكم شيئاً هاهنا فقال عكرمة لئن لم ينجي في البحر إلا الإخلاص ما ينجيني في البر غيره اللهم إن لك عليَّ عهداً إن أنت عافيتني مما أنا فيه إن آتي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم حتى أضع يدي في يده فلأجدنَّه عفوّاً كريماً فجاءَ فأسلم وقيل فمنهم مقتصد معناه على طريقة مستقيمة وصلاح من الأمر عن ابن زيد وقيل ثابت على إيمانه عن الحسن وقيل موف بعهده في البر عن ابن عباس وقيل مقتصد في قوله مضمر لكفره عن مجاهد ثم ذكر الذين تركوا التوحيد في البر فقال ﴿ وما يجحد بآياتنا إلا كل ختار ﴾ بعهده أي غادرا سوء الغدر وأقبحه ﴿ كفور ﴾ لله في نعمه ثم خاطب سبحانه جميع المكلفين فقال ﴿ يا أيها الناس إتقوا ربكم واخشوا يوماً لا يجزي والد عن ولده ﴾ يعني يوم القيامة لا يغني فيه أحد عن أحد لا والد عن ولده ﴿ ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً ﴾ كل أمرء تهمُّه نفسه ﴿ إن وعد الله ﴾ بالبعث والجزاء والثواب والعقاب ﴿ حق ﴾ لا خلف فيه ﴿ فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ﴾ أي لا يغرنكم الإمهال عن الإنتقام والآمال والأموال عن الإسلام ومعناه لا تغترّوا بطول السلامة وكثرة النعمة فإنهما عن قريب إلى زوال وانتقال ﴿ ولا يغرنكم بالله الغرور ﴾ وهو الشيطان عن مجاهد وقتادة والضحاك وقيل هو تمنّيك المغفرة في عمل المعصية عن سعيد بن جبير وقيل كل شيء غرَّك حتى تعصي الله وتترك ما أمرك الله به فهو غرور شيطاناً كان أو غيره عن أبي عبيدة وفي الحديث الكَيِّس من دان نفسه وعمل لها بعد الموت والفاجر من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله وفي الشواذ قراءة سماك بن حرب الغُرور بضم الغين وعلى هذا فيكون المعنى ولا يغرنكم غرور الدنيا بخدعها الباطلة أو غرور النفس بشهواتها الموبقة ﴿ إن الله عنده علم الساعة ﴾ أي استأثر سبحانه به ولم يطلع عليه أحد من خلقه فلا يعلم وقت قيام الساعة سواه ﴿ وينزل الغيث ﴾ فيما يشاء من زمان أو مكان والصحيح أن معناه ويعلم نزول الغيث في مكانه وزمانه كما جاء في الحديث إن مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله وقرأ هذه الآية ﴿ ويعلم ما في الأرحام ﴾ أي ويعلم ما في أرحام الحوامل أذكر أم أنثى أصحيح أم سقيم واحد أو أكثر ﴿وما تدري نفس ماذا تكسب غدا﴾ أي ماذا تعمل في المستقبل وقيل ما يعلم بقاءه غداً فكيف يعلم تصرفه ﴿وما تدري نفس بأيّ أرض تموت﴾ أي في أيّ أرض يكون موته وقيل أنه إذا رفع خطوة لم يدر أنه يموت قبل أن يضع الخطوة أم لا وإنما قال بأيّ أرض لأنه أراد بالأرض المكان ولو قال بأيّة أرض لجاز وروي أن ذلك قراءة أبي وقد روي عن أئمة الهدى (ع) أن هذه الأشياء الخمسة لا يعلمها على التفصيل والتحقيق غيره تعالى ﴿ إن الله عليم ﴾ بهذه الأشياء ﴿ خبير ﴾ بها .



وسمّيت أيضاً سجدةُ لقمان لئلا تلتبس بحم السجدة وهي مكية ما خلا ثلاث آيات فإنها نزلت بالمدينة أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون إلى تمام الآيات .

[عدد آيها] تسع وعشرون آية بصري وثلاثون في الباقين .

[إختلافها] آيتان ألم كوفي جديد حجازي شامي .

[فضلها] أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ومن قرأ ألم تنزيل وتبارك الذي بيده الملك فكأنما أحيا ليلة القدر وروى ليث بن أبي الزبير عن جابر قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا ينام حتى يقرأ ألم تنزيل وتبارك الذي بيده الملك قال ليث فذكرت ذلك لطاوس فقال فضلتا على كل سورة في القرآن ومن قرأهما كتب له ستون حسنة ومحي عنه ستون سيئة ورفع له ستّون درجة وروى الحسين بن أبي العلا عن أبي عبد الله (ع) قال من قرأ سورة السجدة في كل ليلة جمعة أعطاه الله كتابه بيمينه ولم يحاسبه بما كان منه وكان من رفقاء محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته (ع) .

[تفسيرها] ختم الله سبحانه السورة التي قبلها بدلائل الربوبية وافتتح هذه السورة أيضاً بها فقال :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ الْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَٰلَمِينَ ۝٢
أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن

نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾

[الإعراب] تنزيل الكتاب خبر مبتدأ محذوف وتقديره هذا تنزيل ويجوز أن يكون تنزيل الكتاب مبتدأ ولا ريب فيه خبره وعلى القول الأول يكون لا ريب فيه في موضع نصب على الحال أو في موضع رفع على أنه خبر بعد خبر وقوله ﴿ من رب العالمين ﴾ يحتمل الوجهين أيضاً أم يقولون افتراء أم هاهنا إستفهام مستأنف والتقدير بل أيقولون وقوله ﴿ من ربك ﴾ يجوز أن يتعلق بالحق على تقدير هو الذي حق من ربك ويجوز أن يكون في موضع نصب على الحال أي كائناً من ربك والعامل فيه الحق وذو الحال الضمير المستكن فيه . لتنذر اللام يتعلق بما يتعلق به من قوله ﴿ ما لكم من دونه من وليّ ﴾ من الثانية زائدة والتقدير ما ولي ثبت لكم ومن دونه في موضع نصب على الحال مما يتعلق به اللام في لكم .

[المعنى] ﴿ آلم ﴾ مفسَّر في أول البقرة ﴿ تنزيل الكتاب ﴾ أي هذه الآيات تنزيل الكتاب الذي وعدتم به ﴿ لا ريب فيه ﴾ أي لا شك فيه أنه وحي ﴿ من رب العالمين ﴾ والمعنى أنه لا ريب فيه للمهتدين وإن كان قد ارتاب فيه خلق من المبطلين لا يعتدُّ بهم لأنه ليس بموضع الشك وقيل معناه أنه زال الشك في أنه كلام رب العزة لعجزهم عن الإتيان بمثله وقيل أن لفظه الخبر ومعناه النهي أي لا ترتابوا فيه والريب أقبح الشك ﴿ أم يقولون ﴾ أي بل يقولون ﴿ أفتريه ﴾ وليس الأمر على ما يقولون ﴿ بل هو الحق ﴾ نزل عليك ﴿ من ربك ﴾ والحق هو كل شيء من اعتقده كان معتقده على ما هو به مما يدعو العقل إلى إستحقاق المدح عليه وتعظيمه فالكتاب حقٌّ لأن من إعتقد أنه من عند الله كان معتقده على ما هو به والباطل نقيض الحق ﴿ لينذر قوماً ما أتيهم من نذير من قبلك ﴾ يعني قريشاً إذ لم يأتهم نبيٌّ قبل نبينا صلى الله عليه وآله وسلم وإن أتى غيرهم من قبائل العرب مثل خالد بن سنان العبسي وقيل يعني أهل الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم فكانوا

كأنهم في غفلة عما لزمهم من حق نعم الله وما خلقهم له من العبادة عن ابن عباس ﴿ لعلهم يهتدون ﴾ أي ليهتدوا ثم ذكر سبحانه الدلالة على وحدانيته فقال ﴿ الله الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ﴾ أي فيما قدّره ستة أيام لأن قبل الشمس لم يكن ليل ولا نهار ﴿ ثم إستوى على العرش ﴾ بالقهر والإستعلاء وهو مفسّر في سورة الأعراف ﴿ ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع ﴾ أي ليس لكم من دون عذابه وليّ أي قريب ينفعكم ويردّ عذابه عنكم ولا شفيع يشفع لكم وقيل من وليّ أي من ناصر ينصركم من دون الله ﴿ أفلا تتذكرون ﴾ أي أفلا تتفكرون فيما قلناه وتعتبرون به فتعلموا صحة ما بيّناه لكم ﴿ يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ﴾ أي خلقهما وما بينهما في هذه المدة يدبّر الأمور كلها ويقدّرها على حسب إرادته فيما بين السماء والأرض وينزله مع الملك إلى الأرض ﴿ ثم يعرج إليه ﴾ الملك أي يصعد إلى المكان الذي أمره الله تعالى أن يصعد إليه ﴿ في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون ﴾ أي يوم كان مقداره لو ساره غير الملك ألف سنة مما يعدُّه البشر خمس مائة عام نزوله وخمس مائة عام صعوده وقوله يعرج إليه يعني إلى الموضع الذي أمره بالعروج إليه كقول إبراهيم إني ذاهب إلى ربي سيهدين أي إلى أرض الشام التي أمرني ربي بالذهاب إليها وقوله ﴿ ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ﴾ يعني إلى المدينة ولم يكن الله سبحانه بالشام ولا بالمدينة ومعناه أنه ينزل الملك بالتدبير أو الوحي ويصعد إلى السماء فيقطع في يوم واحد من أيام الدنيا مسافة ألف سنة مما تعدّونه أنتم لأن ما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام لابن آدم وهذا معنى قول ابن عباس والحسن والضحاك وقتادة وهو إختيار الجبائي وقيل معناه أنه يدبر الأمر سبحانه ويقضي أمر كل شيء لألف سنة في يوم واحد ثم يلقيه إلى ملائكته فإذا مضى الألف سنة قضى لألف سنة أخرى ثم كذلك أبداً عن مجاهد وقيل معناه يدبر أمر الدنيا فينزل القضاء والتدبير من السماء إلى الأرض مدة أيام الدنيا ثم يرجع الأمر ويعود التدبير إليه بعد إنقضاء الدنيا وفنائها حتى يتقطع أمر الأمراء وحكم الحكام وينفرد الله بالتدبير في يوم كان مقداره ألف سنة وهو يوم القيامة فالمدة المذكورة مدة يوم القيامة إلى أن يستقر الخلق في الدارين عن ابن عباس أيضاً فأما قوله ﴿ في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ﴾ فإنه أراد سبحانه على الكافر جعل الله ذلك اليوم مقدار خمسين ألف سنة فإن المقامات في يوم القيامة مختلفة وقيل إن المراد بالأول إن مسافة الصعود والنزول إلى السماء الدنيا في يوم واحد للملك مقدار مسيرة ألف سنة لغير الملك من بني آدم وإلى السماء السابعة مقدار مسيرة خمسين ألف سنة وقيل إن الألف سنة للنزول والعروج والخمسين ألف سنة لمدة القيامة .

﴿ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ
ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٦ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ
ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ
مَّهِينٍ ۝٨ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ
وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۝٩ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى
ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۚ بَلْ هُم بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ۝١٠

[القراءة] قرأ أهل الكوفة ونافع وسهل خَلَقَه بفتح اللام والباقون خَلْقه بسكون اللام وفي الشواذ قراءة الزهري وبدأ خلق الإنسان بغير همز وقرأ علي وابن عباس وابان بن سعيد بن العاص والحسن بخلاف أإذا ضللنا بالضاد مكسورة اللام وقرأ الحسن صللنا بالصاد أيضاً مفتوحة اللام .

[الحجة] قال أبو علي خلقه منتصب على أنه مصدر دلَّ عليه ما تقدَّم من قوله ﴿ أحسن كل شيء ﴾ فأما الضمير الذي أضيف خلق إليه فلا يخلو من أن يكون ضمير إسم الله تعالى أو يكون كناية عن المفعول فالذي يدل عليه نظائره أن الضمير لإسم الله تعالى لأنه مصدر لم يسند الفعل المنتصب عنه إلى فاعل ظاهر وما كان من هذا النحو أضيف المصدر فيه إلى الفاعل نحو صنع الله ووعد الله وكتاب الله عليكم فكما أضيف هذه المصادر إلى الفاعل فكذلك يكون خلقه مضافاً إلى ضمير الفاعل لأن قوله ﴿ أحسن كل شيء خلقه ﴾ يدل على خلق كل شيء . فإن قلت كيف يدل قوله أحسن كل شيء على خلق كل شيء وقد نجد أشياء حسنة مما لم يخلقها قيل هذا كما قال خالق كل شيء فاطلق اللفظ عاماً وروي أن عكرمة سئل عن قوله تعالى أحسن كل شيء خلقه فقال إن است القرد ليست بحسنة ولكنَّه أبرم خلقها أي أتقن وما قلناه من أن إنتصاب خلقه من المصدر الذي دلَّ عليه فعل متقدم مذهب سيبويه ويجوز أن يكون خلقه بدل من قوله كل شيء فيصير التقدير الذي أحسن خلق كل شيء ومن قال احسن كل شيء خَلْقَه كان خلقه وصفاً للنكرة المتقدمة وموضع الجملة يحتمل وجهين النصب على أن يكون صفة لكل والجر على أن يكون صفة لشيء وترك الهمزة في بدأ محمول على البدل لا على التخفيف القياسي ومثله بيت الكتاب .

رَاحَتْ بِمُسْلِمَةَ الْبِغَالُ عَشِيَّةً فَارْعِي فَزَارَةُ لاَ هَنَاكَ الْمَرْتَعُ[1]

وتقول على البدل أبديت إذا أخبرت عن نفسك وتقول على التخفيف بدأت بالألف بلا همزة وقد مرَّ القول في اختلافهم في قوله ﴿ أإذا ضللنا في الأرض أإنا لفي خلق جديد ﴾ وموضع إذا نصب بما دلَّ عليه قوله أإنا لفي خلق جديد لأن هذا الكلام يدل على نعاد والتقدير نعاد إذا ضللنا في الأرض قال أبيو عبيدة معناه همدنا في الأرض وقال غيره صرنا تراباً فلم يتبين شيء من خلقنا وقوله ﴿ صللنا ﴾ بالصاد من قولهم صل اللحم إذا نتن يصل ويصُل والمعنى إذا دفنا في الأرض وصلت أجسامنا وقيل أن معناه من الصلة وهي الأرض اليابسة ومنه الصلصال .

[المعنى] ثم أكَّد سبحانه ما تقدَّم من دلائل وحدانيته وإعلام ربوبيته فقال ﴿ ذلك عالم الغيب والشهادة ﴾ أي الذي يفعل ذلك ويقدر عليه هو العالم بما يشاهد وما لا يشاهد وبما غاب عن الخلق وما حضر ﴿ العزيز ﴾ المنيع في ملكه ﴿ الرحيم ﴾ بأهل طاعته ﴿ الذي أحسن كل شيء خلقه ﴾ أي أحكم كل شيء خلقه وأتقنه عن ابن عباس ومجاهد وقيل معناه علم كيف يخلق كل شيء قبل أن خلقه من غير أن يعلمه أحد عن مقاتل والسدي من قولهم فلان يحسن كذا أي يعلمه وقيل الذي جعل كل شيء في خلقه حسناً حتى جعل الكلب في خلقه حسناً عن ابن عباس والمعنى أنه أحسن خلقه من جهة الحكمة فكل شيء خلقه وأوجده فيه وجه من وجوه الحكمة تحسنه وفي هذا دلالة على أن الكفر والقبائح لا يجوز أن يكون من خلقه ﴿ وبدأ خلق الإنسان من طين ﴾ أي إبتدأ خلق آدم الذي هو أول البشر من طين كان تراباً ثم صار طيناً ثم صلصالاً ثم حيواناً ﴿ ثم جعل نسله ﴾ أي نسل الإنسان الذي هو آدم يعني ولده ﴿ من سلالة ﴾ وهي الصفوة التي تنسل من غيرها ويسمى ماء الرجل سلالة لانسلاله من صلبه ﴿ من ماء مهين ﴾ أي ضعيف عن قتادة وقيل حقير مهان أشار إلى أنه من شيء حقير لا قيمة له وإنما يصير ذا قيمة بالعلم والعمل ﴿ ثم سوّيه ﴾ أي جعله بشراً سوياً وعدله ورتَّب جوارحه ﴿ ونفخ فيه ﴾ أي في ذلك المخلوق ﴿ من روحه ﴾ أضاف الروح إلى نفسه إضافة اختصاص وملك على وجه التشريف ثم قال سبحانه مخاطباً لذريته ﴿وجعل لكم ﴾ أيها الخلق ﴿ السمع والأبصار ﴾ لتسمعوا المسموعات وتبصروا

---

(١) البيت منسوب إلى الفرزدق يهجو به عمر بن هبيرة الفزاري أي المنسوب إلى فزارة ويخاطبهم يقول راحت البغال بمسلمة ـ وهو مسلمة بن عبد الملك على ما قيل ـ فصفى لك العيش يا فزارة ثم يدعو عليهم ويقول : لا يكن المرعى لك هنيئاً .

المبصرات ﴿ والأفئدة ﴾ أي وجعل لكم القلوب لتعقلوا بها ﴿ قليلاً ما تشكرون ﴾ أي تشكرون نعم الله قليلاً من كثير وما مزيدة ويجوز أن يكون ما مصدرية فيكون تقديره قليلاً شكركم لهذه النعم ﴿ وقالوا ﴾ يعني منكري البعث ﴿ أإذا ضللنا في الأرض ﴾ أي غبنا في الأرض وصرنا تراباً وكل شيء غلب عليه غيره حتى يغيب فيه فقد ضلّ قال الأخطل :

فَكُنْتَ الْقَذَا فِي مَوْجِ أكْدَرَ مَزْبَدٍ قَذَفَ الأَتِيُّ بِهِ فَضَلَّ ضَلالاً[1]

وقيل إن معنى ضللنا هلكنا عن قتادة ومجاهد ﴿ أإنا لفي خلق جديد ﴾ أي نبعث ونحيي فهو إستفهام معناه الإنكار والمعنى كيف نخلق جديداً ونعاد بعد أن هلكنا وتفرّقت أجسامنا ثم قال سبحانه ﴿ بل هم ﴾ أي هؤلاء الكفار ﴿ بلقاء ربهم ﴾ أي ما وعد ربهم به من الثواب والعقاب ﴿ كافرون ﴾ أي جاحدون فلهذا قالوا هذا القول .

﴿ * قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ ۖ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾

(١) القذى : ما يحمله السيل من تبن ونحوه ومزبد اي ذو زبد والآتي : السيل . الجدول قذف رجلاً بقلة حنانه في الحرب وإنه كان في تلك الحرب بمنزلة القذى في الماء الكدر الذي يقذف به السيل أو بعض الجداول ، لا يرى له عين ولا أثر .

[اللغة] التوفي أخذ الشيء على تمام قال الراجز :

إنَّ بَنِي ذارِم لَيْسُوا مِنْ أحَدْ وَلا تَوَفَّتْهُمْ قُرَيْشٌ فِي الْعَدَدْ

يقال استوفى الدين إذا قبضه على كماله والتوكيل تفويض الأمر إلى غيره للقيام به والنكس قلبك الشيء على رأسه ويقال في المرض النُكس بضم النون وأما النِكس بكسر النون فهو السهم ينكس فيجعل أعلاه أسفله .

[الإعراب] ولو ترى إذ المجرمون يجوز أن يكون مفعول ترى محذوفاً فيكون تقديره ولو ترى المجرمين إذ هم ناكسوا رؤوسهم ويجوز أن يكون المعنى لو رأيت ببصرك مثل قوله ﴿ وإذا رأيت ثم رأيت نعيماً ﴾ فيكون ترى عاملاً في إذ وجواب لو محذوف تقديره لو رأيت المجرمين على تلك الحالة رأيت ما تعتبر به غاية الإعتبار فذوقوا أي فيقال لهم ذوقوا العذاب بنسيانكم وهذا في موضع جرّ على أنه صفة ليومكم .

[المعنى] ثم أمر سبحانه نبيَّه صلى الله عليه وآله وسلم فقال ﴿ قل ﴾ يا محمد للمكلّفين ﴿ يتوفيكم ﴾ أي يقبض أرواحكم أجمعين وقيل يقبضكم واحداً واحداً حتى لا يبقى منكم أحداً ﴿ ملك الموت الذي وكل بكم ﴾ أي وكل بقبض أرواحكم عن ابن عباس قال جعلت الدنيا بين يدي ملك الموت مثل جام يأخذ منها ما شاء إذا قضى عليه الموت من غير عناء وخطوته ما بين المشرق والمغرب وقيل إن له أعواناً كثيرة من ملائكة الرحمة وملائكة العذاب عن قتادة والكلبي فعلى هذا المراد بملك الموت الجنس ويدل عليه قوله ﴿ توفته رسلنا ﴾ وقوله ﴿ تتوفيهم الملائكة ﴾ وأما إضافة التوفي إلى نفسه في قوله ﴿ الله يتوفى الأنفس حين موتها ﴾ فلأنها سبحانه خلق الموت ولا يقدر عليه أحد سواه ﴿ ثم إلى ربكم ترجعون ﴾ أي إلى جزاء ربكم من الثواب والعقاب تردون وجعل ذلك رجوعاً إليه تفخيماً للأمر وتعظيماً للحال وروى عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الأمراض والأوجاع كلها بريد للموت ورسل للموت فإذا حان الأجل أتى ملك الموت بنفسه فقال يا أيها العبد كم خبر بعد خبر وكم رسول بعد رسول وكم بريد بعد بريد أنا الخبر الذي ليس بعدي خبر وأنا الرسول أجب ربك طائعاً أو مكرهاً فإذا قبض روحه وتصارخوا عليه قال على من تصرخون وعلى من تبكون فوالله ما ظلمت له أجلاً ولا أكلت له رزقاً بل دعاه ربه فليبك الباكي على نفسه فإن لي فيكم عودات وعودات حتى لا أبقي منكم أحداً ثم أخبر سبحانه عن حالهم في القيامة وعند الحساب فقال ﴿ ولو ترى ﴾ يا محمد أو أيها الإنسان ﴿ إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم ﴾ أي يوم القيامة حين يكون المجرمون متطأطئي رؤوسهم

ومطرقيها حياء وندماً وذلاً ﴿ عند ربهم ﴾ أي عندما يتولى الله سبحانه حساب خلقه يقولون ﴿ ربنا أبصرنا وسمعنا ﴾ أي أبصرنا الرشد وسمعنا الحق وقيل معناه أبصرنا صدق وعدك وسمعنا منك تصديق رسلك وقيل معناه إنا قد كنا بمنزلة العمي فأبصرنا وبمنزلة الصمّ فسمعنا ﴿ فارجعنا ﴾ أي فارددنا إلى دار التكليف ﴿ نعمل صالحاً ﴾ من الصالحات ﴿ إنا موقنون ﴾ اليوم لا نرتاب شيئاً من الحق والرسالة ثم قال سبحانه ﴿ ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ﴾ بأن نفعل أمراً من الأمور يلجئهم إلى الإقرار بالتوحيد ولكن ذلك يبطل الغرض بالتكليف لأن المقصود به استحقاق الثواب والإلجاء لا يثبت معه استحقاق الثواب قال الجبائي ويجوز أن يكون المراد به ولو شئنا لأجبناهم إلى ما سألوا من الردّ إلى دار التكليف ليعملوا بالطاعات ولكن حق القول مني أن أجازيهم بالعقاب ولا أردّهم وقيل معناه ولو شئنا لهديناهم إلى الجنة ﴿ ولكن حق القول مني ﴾ أي الخبر والوعيد ﴿ لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ﴾ أي من كلا الصنفين بكفرهم بالله سبحانه وجحدهم وحدانيته وكفرانهم نعمته والقول من الله سبحانه بمنزلة القسم فلذلك أتى بجواب القسم وهو قوله ﴿ لأملأن جهنم ﴾ ثم حكى سبحانه ما يقال لهؤلاء الذين طلبوا الرجعة إلى دار التكليف إذا جعلوا في العذاب بقوله ﴿ فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا ﴾ أي بما فعلتم فعل من نسي لقاء جزاء هذا اليوم فتركتم ما أمركم الله به وعصيتموه والنسيان الترك ومنه قتل النابغة « سَفُودُ شَرْبٍ نَسُوهُ عِنْدَ مُفْنَادِ »[1] أي تركوه فلم يستعملوه قال المبرد لأنه لو كان المراد النسيان الذي هو ضدّ الذكر لجاز أن يكونوا استعملوه ﴿ إنا نسيناكم ﴾ أي فعلنا معكم فعل من نسيكم من ثوابه أي تركناكم من نعيمه جزاء على تركهم طاعتنا ﴿ وذوقوا عذاب الخلد ﴾ الذي لا فناء له ﴿ بما كنتم تعملون ﴾ من الكفر والمعاصي ثم أخبر سبحانه عن حال المؤمنين فقال ﴿ إنما يؤمن بآياتنا ﴾ أي يصدّق بالقرآن وسائر حججنا ﴿ الذين إذا ذكروا بها ﴾ تذكروا واتعظوا بمواعظها بأن ﴿ خروا سجداً ﴾ أي ساجدين شكراً لله سبحانه على أن هداهم بمعرفته وأنعم عليهم بفنون نعمته ﴿ وسبّحوا بحمد ربهم ﴾ أي نزّهوه عما لا يليق به من الصفات وعظّموه وحمدوه ﴿ وهم لا يستكبرون ﴾ عن عبادته ولا يستنكفون من طاعته ولا يأنفون أن يعفروا وجوههم صاغرين له .

---

(١) هذا عجز بيت يصف فيه فرسه وقبله « كأنه خارجاً من جنب صفحته » وهو من قصيدة قالها في مدح نعمان بن المنذر ويعتذر إليه مما وشى له به المنخل اليشكري من شأن امرأته المتجردة ، واعتبر بعض العلماء هذه القصيدة من المعلقات . سفود : حديدة يشوى عليها اللحم . والشرب : القوم المجتمعون للشراب . والمفتأد : موضع الوقود وقد مر في المجلد الثالث أيضاً .

﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ
ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾
فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟
يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟
يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن
يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم
بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾

[القراءة] قرأ حمزة ويعقوب ما أخفي لهم ساكنة الياء والباقون بفتحها وروي في الشواذ عن النبي ﷺ وأبي هريرة وابي الدرداء وابن مسعود قرّات أعين .

[الحجة] قال أبو علي الذي يقوّي بناء الفعل للمفعول به قوله ﴿ فلهم جنات المأوى نزلاً ﴾ فأبهم ذلك كما أبهم قوله ﴿ أخفي لهم ﴾ ولم يسند إلى فاعل بعينه ولو كان أخفي لكان أعطاهم جنات المأوى ويقوّي قراءة حمزة إن أخفى مثل آتينا كل نفس هديها وقوله ﴿ حق القول مني ﴾ وقوله ﴿ مما رزقناهم ينفقون ﴾ وأما ما في قوله ﴿ ما أخفى ﴾ فالأبين فيه أن يكون استفهاماً وهو عندي قياس قول الخليل فمن قال أُخْفِيَ كان ما عنده مرفوعاً بالإبتداء والذكر الذي في أخفى يعود إليه والجملة التي هي ما أُخفِيَ في موضع نصب ويعلم هو الذي يتعدّى إلى مفعولين كما أن قوله ﴿ إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء ﴾ كذلك ومن قال ما أُخفِي لهم فإن ما في موضع نصب بأخفي والجملة في موضع نصب بيعلم كما كان في الأول كذلك ومثله قوله ﴿ فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار وسوف يعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ﴾ وما أشبه ذلك يحمل فيه العلم على التعدي إلى مفعولين ومن بعده للإستفهام وأما قوله ﴿ قرّات أعين ﴾ فإن القرّة مصدر وكان القياس أن لا يجمع

لأن المصدر إسم الجنس والأجناس أبعد شيء من الجمعية لكن جعلت القرة نوعاً هاهنا فجمع كما يقال نحن في أشغال ولنا علوم .

[اللغة] التجافي تعاطي الإرتفاع عن الشيء ومثله النمو يقال جفا عنه يجفو جفاء وتجافى عنه تجافياً إذا نبا عنه قال الشاعر :

وَصَاحِبِي ذَاتُ هِبَابٍ دَمْشَقُ وَابْنُ مِلاطٍ مُتَجَافٍ إِزْفَقُ[1]

والمضجع موضع الإضطجاع وقال عبد الله بن رواحة يصف النبي صلى الله عليه وآله وسلم :

بَيِيتُ يُجَافِي جَنْبَهُ عَنْ فِرَاشِهِ إِذَا اسْتَثْقَلَتْ بِالْمُشْرِكِينَ الْمَضَاجِعُ

[الإعراب] خوفاً وطمعاً مفعول له كما يقال فعلت ذلك مخافة الشر قال الزجاج وحقيقته أنه في موضع المصدر لأن يدعون ربهم هنا يدل على أنهم يخافون عذابه ويرجون رحمته فهو في تأويل يخافون خوفاً ويطمعون طمعاً وقوله ﴿ جزاء ﴾ منصوب أيضاً بأنه مفعول له لا يستوون جواب الاستفهام أي لا يكون كذلك والواو الثانية في يستوون فاعل من وجهٍ مفعول من وجهٍ لأن المعنى لا يساوي هؤلاء أولئك ولا أولئك هؤلاء ولو قال لا يستويان لكان جائزاً ولكنّه جاء على معنى لا يستوي المؤمنون والكافرون ويجوز أن يكون لا يستوون للإثنين لأن معنى الإثنين جماعة . نزلاً نصب على الحال والعامل فيه ما يتعلق به اللام من لهم . كلما ظرف زمان لأعيدوا .

[المعنى] ثم وصف سبحانه المؤمنين المذكورين في الآية المتقدمة فقال ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع﴾ أي ترتفع جنوبهم عن مواضع اضطجاعهم لصلاة الليل وهم المتهجّدون بالليل الذين يقومون عن فرشهم للصلاة عن الحسن ومجاهد وعطا وهو المروي عن أبي جعفر وابي عبد الله (ع) وروى الواحدي بالإسناد عن معاذ بن جبل قال بينما نحن مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك وقد أصابنا الحرّ فتفرق القوم فإذا رسول الله ﷺ اقربهم مني فدنوت منه فقلت يا رسول الله أنبئني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار قال لقد سألت عن عظيم وانه ليسير على من يسّره الله عليه تعبد الله ولا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة المكتوبة

(١) الهباب : النشاط . والدمشق : الناقة الخفيفة السريعة والملاط : الجنب وابن الملاط : عضد البعير لأنه يلي الجنب :

وتؤدي الزكاة المفروضة وتصوم شهر رمضان قال وإن شئت أنبأتك بأبواب الخير قال قلت أجل يا رسول الله قال الصوم جنة والصدقة تكفر الخطيئة وقيام الرجل في جوف الليل يبتغي وجه الله ثم قرأ هذه الآية تتجافى جنوبهم عن المضاجع وبالإسناد عن بلال قال قال رسول الله ﷺ عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم وان قيام الليل قربة إلى الله ومنهاة عن الإثم وتكفير للسيئات ومطردة الداء عن الجسد وقيل هم الذين لا ينامون حتى يصلوا العشاء الآخرة قال أنس نزلت فينا معاشر الأنصار كنا نصلي المغرب فلا ترجع إلى رحلنا حتى نصلي العشاء الآخرة مع النبي ﷺ وقيل هم الذين يصلّون ما بين المغرب والعشاء الآخرة وهي صلاة الأوابين عن قتادة وقيل هم الذين يصلّون العشاء والفجر في جماعة ﴿يدعون ربهم خوفاً﴾ من عذاب الله ﴿وطمعاً﴾ في رحمة الله ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ في طاعة الله وسبيل ثوابه ووجه المدح في هذه الآية ان هؤلاء المؤمنين يقطعهم اشتغالهم بالصلاة والدعاء عن طيب المضجع لانقطاعهم إلى الله تعالى فآمالهم مصروفة اليه واتكالهم في كل الأمور عليه ثم ذكر سبحانه جزاءهم فقال ﴿فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة أعين﴾ أي لا يعلم أحد ما خبيء لهؤلاء الذين ذكروا مما تقرُّ به اعينهم قال ابن عباس عفا ما لا تفسير له فالأمر اعظم وأجلّ مما يعرف تفسيره وقد ورد في الصحيح عن النبي ﷺ انه قال أن الله يقول أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بَلْهَ[1] مااطلعتكم عليه اقرؤا إن شئتم فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين رواه البخاري ومسلم جميعاً وقد قيل في فائدة الاخفاء وجوه (أحدها) ان الشيء إذا عظم خطره وجلّ قدره لا تستدرك صفاته على كنهه إلا بشرح طويل ومع ذلك فيكون ابهامه ابلغ (وثانيها) ان قرة العيون غير متناهية فلا يمكن إحاطة العلم بتفاصيلها (وثالثها) انه جعل ذلك في مقابلة صلاة الليل وهي خفيّة فكذلك ما بازائها من جزائها ويؤيّد ذلك ما روي عن أبي عبد الله (ع) انه قال ما من حسنة إلا ولها ثواب مبيّن في القرآن إلا صلاة الليل فإن الله عز اسمه لم يبين ثوابها لعظم خطرها قال فلا تعلم نفس الآية وقرة العين رؤية ما تقرُّ به العين يقال أقرَّ الله عينك أي صادف فؤادك ما يرضيك فتقرَّ عينك حتى لا تطمح بالنظر إلى ما فوقه وقيل هي من القرّ أي البرد لأن المستبشر الضاحك يخرج من شؤون عينيه دمع بارد والمحزون المهموم يخرج من عينيه دمع حار ومنه قولهم سخنت عينه وهو قرير العين وسخين العين وإنما أضاف القرة إلى الأعين

(١) قال ابن الاثير : في حديث نعيم الجنة : ولا خطر على قلب بشر بله مت اطلعتم عليه : بله من اسماء الافعال بمعنى دع واترك والمعنى : دع ما اطلعتم عليه من نعيم الجنة وعرفتموه من لذاتها. ونقل في اللسان عن ابن الاعرابي انه قال : بله بمعنى كيف رمعناه : كيف بما اطلعتم عليه.

على الإطلاق لا إلى اعينهم تنبيهاً على انها غاية في الحسن والكمال فتقرُّبها كل عين ﴿جزاء بما كانوا يعملون﴾ من الطاعات في دار الدنيا ﴿أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً﴾ هذا استفهام يراد به التقرير اي أيكون من هو مصدق بالله على الحقيقة عارفاً بالله وبأنبيائه عاملاً بما أوجبه الله عليه وندبه اليه مثل من هو فاسق خارج عن طاعة الله مرتكب لمعاصي الله ثم قال ﴿لا يستوون﴾ لأن منزلة المؤمن درجات الجنان ومنزلة الفاسق دركات النيران ثم فسّر ذلك بقوله ﴿أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى﴾ يأوون اليها ﴿نزلاً بما كانوا يعملون﴾ أي عطاء بما كانوا يعملون عن الحسن وقيل ينزلهم الله فيها نزلاً كما ينزل الضيف يعني انهم في حكم الأضياف ﴿وأما الذين فسقوا فمأويهم﴾ الذي يأوون اليه ﴿النار﴾ نعوذ بالله منها ﴿كلما أرادوا أن يخرجوا منها﴾ أي كلما همُّوا بالخروج منها لما يلحقهم من ألم العذاب ﴿أعيدوا﴾ اي ردُّوا ﴿فيها﴾ وقد مر بيانه في سورة الحج ﴿وقيل لهم﴾ مع ذلك ﴿ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون﴾ أي لا تصدقون به وتجحدونه وفي هذا دلالة على ان المراد بالفاسق هنا الكافر المكذب قال ابن ابي ليلى نزل قوله أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً الآيات في علي بن أبي طالب (ع) ورجل من قريش وقال غيره نزلت في علي بن أبي طالب (ع) والوليد بن عقبة فالمؤمن علي والفاسق الوليد وذلك انه قال لعلي (ع) أنا ابسط منك لساناً وأحدُّ منك سناناً فقال علي (ع) ليس كما تقول يا فاسق قال قتادة لا والله ما استووا لا في الدنيا ولا عند الموت ولا في الآخرة .

﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَـٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾

[القراءة] قرأ حمزة والكسائي ورويس عن يعقوب لِمَا صبروا بكسر اللام والباقون لَمَّا بالتشديد وفتح اللام .

[الحجة] قال أبو علي من قرأ لَمَّا فإنه جعله للمجازات إلا ان الفعل المتقدم أغنى عن الجواب كما انك إذا قلت أجيئك إذا جئت تقديره إن جئت أجئك فاستغنيت عن الجواب بالفعل المتقدم على الشرط فكذلك المعنى هنا لمّا صبروا جعلناهم أئمة ومن قال لِمَا صبروا علّق الجار بجعلنا والتقدير جعلنا منهم أئمة لصبرهم .

[المعنى] ثم اقسم سبحانه في هذه الآية فقال ﴿ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الاكبر﴾ اما العذاب الأكبر فهو عذاب جهنم في الآخرة واما العذاب الأدنى في الدنيا واختلف في فقيل انه المصائب والمحن في الانفس والأموال عن أبي بنّ كعب وابن عباس وابي العالية والحسن وقيل هو القتل يوم بدر بالسيف عن ابن مسعود وقتادة والسدي وقيل هو ما ابتلوا به من الجوع سبع سنين بمكة حتى أكلوا الجيف والكلاب عن مقاتل وقيل هو الحدود عن عكرمة وابن عباس وقيل هو عذاب القبر عن مجاهد وروي ايضاً عن أبي عبد الله (ع) والأكثر في الرواية عن أبي جعفر (ع) وأبي عبد الله (ع) ان العذاب الأدنى الدابة والدجال ﴿لعلهم يرجعون﴾ أي ليرجعوا إلى الحق ويتوبوا من الكفر وقيل ليرجع الآخرون عن أن يذنبوا مثل ذنوبهم ﴿ومن اظلم كمن ذكّر بآيات ربه﴾ أي لا أحد أظلم لنفسه ممن نبّه على حجج الله التي توصله إلى معرفته ومعرفة ثوابه ﴿ثم اعرض عنها﴾ جانباً ولم ينظر فيها ﴿إنا من المجرمين﴾ الذين يعصون الله تعالى بقطع طاعاته وتركها ﴿منتقمون﴾ بأن نحلّ العقاب بهم ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾ يعني التوراة ﴿فلا تكن في مرية من لقائه﴾ أي في شك من لقائه ابي من لقائك موسى ليلة الاسراء بك إلى السماء عن ابن عباس وقد ورد في الحديث انه قال رأيت ليلة اسري بي موسى بن عمران رجلاً آدم طوالاً جعداً كأنه من رجال شنؤة[1] ورأيت عيسى بن مريم رجلاً مربوع الخلق إلى الحمرة والبياض سبط الرأس فعلى هذا فقد وعد ﷺ انه سيلقي موسى قبل ان يموت وبه قال مجاهد والسدي وقيل فلا تكن في مرية من لقاء موسى إياك في الآخرة وقيل معناه فلا تكن يا محمد في مرية من لقاء موسى الكتاب عن الزجاج وقيل معناه فلا تكن في شك من لقاء الاذى كما لقي موسى الأذى عن الحسن فكأنه قال فلا تك في مرية من أن تلقى كما لقي موسى ﴿وجعلناه هدى لبني إسرائيل﴾ اي وجعلنا موسى هادياً لهم عن قتادة وقيل وجعلنا الكتاب هادياً لهم عن الحسن

(١) قبيلة من اليمن .

﴿وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا﴾ أي وجعلنا منهم رؤساء في الخير يقتدي بهم يهدون إلى افعال الخير بإذن الله عن قتادة وقيل هم الانبياء الذين كانوا فيهم يدلُّون الناس على الطريق المستقيم بأمر الله ﴿لما صبروا﴾ أي لما صبروا وجعلوا أئمة ﴿وكانوا بآياتنا يوقنون﴾ لا يشكّون فيها ﴿إن ربك هو يفْصل بينهم يوم القيمة﴾ أي يحكم بين المؤمن والكافر والفاسق ﴿ فيما كانوا فيه يختلفون﴾ من التصديق برسل الله والإيمان بالبعث والنشور وغير ذلك من اعمالهم وأمور دينهم .

[النظم] وجه اتصال ذكر موسى (ع) بما قبله ان المراد بالآية كما آتيناك القرآن يا محمد فكذّبوك كذلك آتينا موسى التوراة فكذّبوه فهو تسلية للنبي ﷺ ووعيد للمكذبين به .

﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا
مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ
لَءَايَٰتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى
ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ
أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾
قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ
يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾

[القراءة] قرأ زيد أو لم نهد بالنون والقراءة كلهم على الياء وقد ذكرناه في سورة الاعراف وفي الشواذ قراءة ابن السميقع يمشون بضم الياء وتشديد الشين وانهم منتظرون بفتح الظاء .

[الحجة] قال ابن جني دفع أبو حاتم فتح الظاء واستدل على ذلك بقوله فارتقب انهم مرتقبون وقوله يُمَشَّون للكثرة وقال :

يُمَشِّي بَيْنَنَا حَانُوتُ كَرْمٍ مِنَ الْخُرْسِ الصَّرَاصِرَةِ القِطَاطِ(١)

[اللغة] يقال هداه في الدين يهديه هدى وإلى طريق هداية واهتدى إذا قبل الهداية والواجب من الهدى هو ما يؤدّي إلى ما ليس للعبد عنه غنى في دينه فاللطف على هذا هدى والنظر المؤدّي إلى معرفة الله تعالى هدى. والسوق الحث على السير ساقه يسوقه. والجرز الأرض اليابسة التي ليس فيها نبات لانقطاع الامطار عنها واشتقاقه من قولهم سيف جزار أي قطاع لا يبقى شيئاً إلا قطعه وناقة جراز إذا كانت تأكل كل شيء فلا تبقي شيئاً إلا قطعته بفيها ورجل جروز أي أكول قال الراجز (خَبٌّ جَرُوزٌ وَإِذَا جَاعَ بَكَى)(٢) وفي الجرز اربع لغات بضم الجيم والراء وبفتحهما وبضم الجيم واسكان الراء وفتح الجيم واسكان الراء .

[الإعراب] فاعل يهدِ مضمر يدل عليه قوله كم أهلكنا وتقديره أو لم يهد لهم اهلاكنا من اهلكناه من القرون الخالية ولا يجوز أن يكون فاعله كم أهلكنا لأن ما قبل كم لا يجوز ان يعمل فيه إلا حروف الإضافة لأن كم على تقدير الاستفهام الذي له صدر الكلام فهو في محل النصب لأنه مفعول اهلك ويمشون في محل النصب على الحال.

[المعنى] ثم نبّه الله سبحانه خلقه على الاعتبار بمن تقدّمهم من القرون فقال ﴿أو لم يهد لهم﴾ أي أو لم يبصرهم ويبين لهم ﴿كم اهلكنا من قبلهم من القرون﴾ الماضية جزاء على كفرهم بالله وارتكابهم لمعاصيه ﴿يمشون في مساكنهم﴾ ويرون آثارهم وقيل معناه انا اهلكناهم بغتة وهم مشاغيل بنفوسهم يمشون في منازلهم ﴿إن في ذلك لآيات﴾ أي في اهلاكنا لهم دلالات واضحات على الحق ﴿افلا يسمعون﴾ اي افلا يسمع هؤلاء الكفار ما يوعظون به من المواعظ ثم نبّههم سبحانه على وجه آخر فقال ﴿أو لم يروا﴾ اي أو لم يعلموا ﴿أنا نسوق الماء﴾ بالمطر والثلج وقيل بالانهار والعيون ﴿إلى الأرض الجرز﴾ أي اليابسة

(١) قائله المتنخل الهذلي والبيت من قصيدة طويلة رواها في ديوان الهذليين ج ٢ : ٢١ ونقله في جمهرة اشعار العرب ايضاً وقد اختلفت رواياتهم في هذا البيت ففي بعضها «يمشي» بالياء و «خمر» بدل «كرم» وفي بعضها «الخرص» بالصاد ويختلف المعنى حسب هذا الاختلاف قال صاحب اللسان في مادة «حنت» و «خرس» يريد صاحب حانوت فاختصر الكلام وقال غيره كان الاصل «إلى حانوت» وهذا القائل يجعل الصراصرة فاعل «تمشي» ومعناها نبط الشام يعني انا كنا قاصدين حانوت الخمر وتمشي بيننا نساء حسان الشعور من نبط الشام و «الخرس» الدن الذي فيه الخمر وقال: اراد بالكرم : الخمرة مجازاً لكن الظاهر ان قوله ساقط والصحيح ما قاله صاحب اللسان وغيره ان المراد يمشي بيننا صاحب حانوت خمر من الخرس الصراصرة - بالسين - وهم خدم عجم لا يفصحون فلذلك جعلهم خرساً.

(٢) الخب: الخداع.

التي لا نبات فيها وقيل نسوق الماء بالسيول اليها لأنها مواضع عالية وهي قرى بين الشام واليمن عن ابن عباس ﴿فنخرج به زرعاً تأكل منه﴾ اي من ذلك الزرع ﴿انعامهم وأنفسهم﴾ والمعنى ان هذه الأرض تنبت ما يأكله الناس والانعام ﴿افلا يبصرون﴾ نعم الله تعالى عليهم ﴿ويقولون متى هذا الفتح إن كنتم صادقين﴾ قال الفراء المراد به فتح مكة وقال السدي الفتح هو القضاء بعذابهم في الدنيا وهو يوم بدر وقال مجاهد وهو الحكم بالثواب والعقاب يوم القيامة وكانوا يسمعون المسلمين يستفتحون بالله عليهم فقالوا لهم متى هذا الفتح اي متى هذا الحكم فينا ﴿قل﴾ يا محمد ﴿يوم الفتح﴾ يوم ﴿لا ينفع الذين كفروا إيمانهم﴾ بيّن سبحانه ان يوم الفتح يكون يوم القيامة وذلك اليوم لا ينفع الكافرين ايمانهم ﴿ولا هم ينظرون﴾ أي لا يؤخر عنهم العذاب يعني الذين قتلوا يوم بدر لم ينفعهم إيمانهم بعد القتل ﴿فاعرض عنهم﴾ يا محمد فإنه لا ينجع فيهم الدعاء والوعظ وقيل اعرض عن أذاهم وانتظر حكم الله فيهم قال ابن عباس نسخت آية السيف ﴿وانتظر﴾ موعدي لك بالنصر على اعدائك ﴿انهم منتظرون﴾ بك حوادث الزمان من موت او قتل فيستريحون منك وقيل معناه انهم سيأتيهم ما وعد الله فيهم فكأنهم ينتظرونه.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى



مدنية وهي ثلاث وسبعون آية بالاجماع .

[فضلها] ابي بن كعب عن النبي ﷺ قال زمن قرأ سورة الأحزاب وعلّمها اهله وما ملكت يمينه اعطي الامان من عذاب القبر وروى عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله (ع) قال من كان كثير القراءة لسورة الأحزاب كان يوم القيامة في جوار محمد وآله وأزواجه .

[تفسيرها] امره سبحانه في مختتم تلك السورة بالانتظار ثم أمره هنا ان يكون في انتظاره متقياً ونهاه عن طاعة الكفار فقال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ۚ إِنَّ اللَّهَ
كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ
بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝٢ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ۝٣ مَّا
جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ
اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ۚ
ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ ۖ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ۝٤

﴿ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥﴾

[القراءة] قرأ أبو عمرو بما يعملون خبيراً بالياء والباقون بالتاء وقرأ ابن عامر واهل الكوفة اللائي مهموزة ممدودة مشبعة بعدها ياء وفي سورة المجادلة والطلاق مثله وقرأ نافع ويعقوب اللاء مهموزة ممدودة مختلسة لا ياء بعدها والباقون اللاي بغير همزة ولا مدّ حيث كانت قرأ عاصم تظاهرون بضم التاء وتخفيف الظاء وقرأ بفتح التاء وتخفيف الظاء أهل الكوفة غير عاصم وقرأ ابن عامر تظاهرون بفتح التاء وتشديد الظاء وقرأ الباقون تظهرون بغير الف وتشديد الظاء والهاء .

[الحجة] قال ابو علي من قرأ بما يعملون بالياء فعلى لا تطع الكافرين انه بما يعملون والتاء على المخاطبة ويدخل فيه الغيب واللائي اصله فاعل مثل شائي فالقياس ان يثبت الياء فيه كما يثبت في الشائي والنائي وقد حذفوا الياء في حروف من ذلك قولهم ما بالبيت به بالة ومنه جابة وكذا إذا حذفت من اللأئي يصير اللاء فإن خففت الهمزة فالقياس ان تجعل بين بين وقد حكى سيبويه حذف الياء من اللاي ومن قرأ تَظَّهَّرون فإنه تتظهرون فادغم التاء في الظاء ومن قرأ تظاهرون مضمومة التاء فهو من ظاهر من امرأته ويقوّي ذلك قولهم في مصدره الظهار ومن قرأ تظاهرون خفيفة الظاء فمعناه تتظاهرون فحذف تاء تتفاعلون التي ادغمها غيره وهو من قرأ تظاهرون بتشديد الظاء مع الألف .

[النزول] نزلت في ابي سفيان بن حرب وعكرمة بن أبي جهل وابي الأعور السلمي قدموا المدينة ونزلوا على عبد الله بن ابي بعد غزوة احد بأمان من رسول الله ﷺ ليكلّموه فقاموا وقام معهم عبد الله بن أبي وعبد الله بن سعد بن أبي سرح وطعمة بن ابيرق فدخلوا على رسول الله ﷺ فقالوا يا محمد ارفض ذكر آلهتنا اللات والعزى ومنات وقل ان لها شفاعة لمن عبدها وندعك وربك فشقَّ ذلك على النبي ﷺ فقال عمر بن الخطاب إئذن لنا يا رسول الله في قتلهم فقال اني اعطيتهم الأمان وامر ﷺ فأخرجوا من المدينة ونزلت الآية ولا تطع الكافرين من اهل مكة ابا سفيان وابا الأعور وعكرمة والمنافقين ابن ابي وابن سعد وطعمة وقيل نزلت في ناس من ثقيف قدموا على رسول الله ﷺ فطلبوا منه ان يمتعهم باللات والعزى

سنة قالوا لتعلم قريش منزلتنا منك وقوله ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه نزلت في ابي معمر جميل بن معمر بن حبيب الفهري وكان لبيباً حافظاً لما يسمع وكان يقول إنَّ في جوفي لقلبين اعقل بكل واحد منهما افضل من عقل محمد فكانت قريش تسميّة ذا القلبين فلما كان يوم بدر وهزم المشركون وفيهم ابو معمر وتلقاه ابو سفيان بن حرب وهو آخذ بيده احدى نعليه والأخرى في رجله فقال له يا أبا معمر ما حال الناس قال انهزموا قال فما بالك أحدى نعليك في يدك والأخرى في رجلك فقال أبو معمر ما شعرت إلا انهما في رجلي فعرفوا يومئذ انه لم يكن له إلا قلب واحد لما نسي نعله في يده .

[المعنى] خاطب سبحانه نبيَّه ﷺ فقال ﴿يا ايها النبي اتق الله﴾ أي اثبت على تقوى الله ودم عليه وقيل معناه اتق الله في اجابة المشركين إلى ما التمسوه وقيل ان بعض المسلمين همّوا بقتل اولئك الذين قدموا المدينة بأمان فقال اتق الله في نقض العهد ﴿ولا تطع الكافرين والمنافقين﴾ مرَّ بيانه وقيل انه عام وهو الوجه والكافر هو الذي يظهر الكفر ويبطنه والمنافق هو الذي يظهر الإيمان ويبطن الكفر ﴿إن الله كان عليماً﴾ بما يكون قبل كونه ﴿ حكيماً ﴾ فيما يخلقه ولما نهاه عن متابعة الكفار واهل النفاق امره باتباع اوامره ونواهيه على الاطلاق فقال ﴿واتبع ما يوحي اليك من ربك﴾ من القرآن والشرائع فبلّغه واعمل به ﴿إن الله كان بما تعملون خبيراً﴾ أي لا يخفي عليه شيء من اعمالكم فيجازيكم بحسبها إن خيراً فخير وإن شرّاً فشر ﴿وتوكل على الله﴾ أي فوّض أمورك إلى الله حتى لا تخاف غيره ولا ترجو إلا خيره ﴿وكفى بالله وكيلاً﴾ اي قائماً بتدبيرك حافظاً لك ودافعاً عنك ﴿ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه﴾ فإن أمر الرجل الواحد لا ينتظم ومعه قلبان فكيف تنتظم أمور العالم وله إلهان معبودان وقيل انه نزل في أبي معمر على ما مرَّ بيانه عن مجاهد وقتادة واحدى الروايتين عن ابن عباس وقيل ان المنافقين كانوا يقولون ان لمحمد قلبين ينسبونه إلى الدهاء فأكذبهم الله تعالى بذلك عن ابن عباس وقيل ان رجلاً كان يقول ان ليس نفسين نفساً تنهاني فنزل ذلك فيه عن الحسن وقيل هو ردٌّ على المنافقين والمعنى ليس لاحد قلبان يؤمن بأحدهما ويكفر بالآخر وإنما هو قلب واحد فإما أن يؤمن وإما ان يكفر عن أبي مسلم وقيل انه يتصل بقوله وما جعل ادعياءكم أبنائكم والتقدير انه كما لم يجعل لرجل قلبين في جوفه لم يجعل ابن الانسان ابنا لغيره وقيل بل يتصل بما قبله والمعنى انه لا يمكن الجمع بين اتباعين متضادين اتباع الوحي والقرآن واتباع اهل الكفر والطغيان فكنى عن ذلك بذكر القلبين لان الاتباع يصدر عن الاعتقاد والاعتقاد من افعال القلوب فكما لا يجتمع قلبان في جوف واحد لا

يجتمع اعتقادان متضادان في قلب واحد وقال ابو عبد الله (ع) ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه يحب بهذا قوماً ويحب بهذا اعداءهم واختلف العلماء في انه هل يجوز ان يكون لإنسان واحد قلبان فمنع بعضهم من ذلك وقال إن ذلك يؤدي إلى ان لا ينفصل إنسان من إنسانين لأنه يصحّ أن يريد بأحد قلبيه ما يكرهه بالقلب الآخر فيصير كشخصين وجوّز بعضهم ذلك وقال كما ان الانسان الواحد يجوز ان يكون له قلب كثير الأجزاء ويمتنع ان يريد ببعض الأجزاء ما يكرهه البعض الآخر لأن الإرادة والكراهة وإن وجدتا في جزئين من القلب فالحالتان الصادرتان عنهما يرجعان إلى الجملة وهي جملة واحدة فاستحال اجتماع معنيين ضدّين في حيّ واحد ويجوز ان يكون معنيان مختلفان أو مثلان في جزئين من القلب ويوجبان الصفتين للحي الواحد فكذلك القياس إذا كان المعنيان في قلبين إذا كان ما يوجد فيهما يرجع إلى حيّ واحد إلا ان السمع ورد بالمنع من ذلك ﴿وما جعل ازواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم﴾ يقال ظاهر من امرأته وتظاهر وتظهر وهو ان يقول لها أنت عليّ كظهر أمي وكانت العرب تطلق نساءها في الجاهلية بهذا اللفظ فلما جاء الإسلام نهوا عنه وأوجبت الكفارة على من ظاهر من امرأته وسنذكره في سورة المجادلة والمعنى ان الله تعالى اعلمنا ان الزوجة لا تصير أما فقال وما جعل نساءكم اللائي تقولون هُنَّ علينا كظهر امهاتنا أمهاتكم لأن امهاتكم على الحقيقة هن اللائي ولدنكم وارضعنكم ﴿وما جعل ادعيائكم ابنائكم﴾ الأدعياء جمع الدعي وهو الذي يتبنّاه الإنسان بيّن سبحانه انه ليس باين على الحقيقة ونزلت في زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي من بني عبدود تبنّاه النبي ﷺ قبل الوحي وكان قد وقع عليه السبي فاشتراه رسول الله ﷺ بسوق عكاظ فلما نبيء رسول الله ﷺ دعاه إلى الإسلام فأسلم فقدم ابو حارثة مكة وأتى أبا طالب وقال سل ابن أخيك فإما أن يبيعه وإما ان يعتقه فلما قال ذلك ابو طالب لرسول الله قال هو حرٌّ فليذهب حيث شاء فأبى زيد أن يفارق رسول الله ﷺ فقال حارثة يا معشر قريش اشهدوا انه ليس ابني فقال رسول الله ﷺ اشهدوا انه ابني يعني زيداً فكان يدعي زيد بن محمد فلمّا تزوّج النبي ﷺ زينب بنت جحش فكانت تحت زيد بن حارثة قالت اليهود والمنافقون تزوّج محمد امرأة ابنه وهو ينهي الناس عنها فقال الله سبحانه ما جعل الله من تدعونه ولداً وهو ثابت النسب من غيركم ولداً لكم ﴿ذلكم قولكم بأفواهكم﴾ أي أن قولكم الدعي ابن الرجل شيء تقولونه بألسنتكم لا حقيقة له عند الله تعالى ﴿والله يقول الحق﴾ الذي يلزم اعتقاده وله حقيقة وهو ان الزوجة لا تصير بالظهار وأما والدعي لا يصير بالتبني ابناً ﴿وهو يهدي السبيل﴾ اي يرشد إلى طريق الحق ويدل عليه ﴿ادعوهم لآبائهم﴾ الذين ولدوهم وانسبوهم اليهم أو إلى من ولدوا على فراشهم

﴿هو اقسط عند الله﴾ أي اعدل عند الله قولاً وحكماً وروى سالم عن ابن عمر قال ما كنا ندعو زيد بن حارثة إلا زيد بن محمد حتى نزل في القرآن ادعوهم لآبائهم هو اقسط عند الله أورده البخاري في الصحيح ﴿فإن لم تعلموا آبائهم﴾ أي لم تعرفوا بأعيانهم ﴿فإخوانكم في الدين﴾ اي فهم اخوانكم في الملة فقولوا يا اخي ﴿ومواليكم﴾ اي بنو اعمامكم قال الزجاج ويجوز ان يكون المراد أولياءكم في الدين في وجوب النصرة وقيل معناه معتقوكم ومحرروكم إذا اعتقتموهم من رقّ فلكم ولاؤهم ﴿وليس عليكم جناح فيما اخطأتم به﴾ اي ليس عليكم حرج في نسبته إلى المتبني إذا ظننتم انه ابوه ولم تعلموا انه ليس بابن له فلا يؤاخذكم الله به ﴿ولكن ما تعمدت قلوبكم﴾ أي ولكن الإثم والجناح فيما تعمّدت قلوبكم يعني في الذي تعمدته قلوبكم وقصدتموه من دعائهم إلى غير آبائهم فإنكم تؤاخذون به وقيل ما أخطأتم قبل النهي وما تعمدتموه بعد النهي عن مجاهد ﴿وكان الله غفوراً﴾ لما سلف من قولكم ﴿رحيماً﴾ بكم وفي هذه الآية دلالة على انه لا يجوز الانتساب إلى غير الأب وقد وردت السنة بتغليظ الأمر فيه قال (ع) من انتسب إلى غير أبيه أو انتمى إلى غير مواليه فعليه لعنة الله .

﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ

وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ﴿١٠﴾

[القراءة] قرأ اهل المدينة وابن عامر وأبو بكر وقتيبة الظنونا والرسولا والسبيلا بألف في الوصل والوقف وقرأ اهل البصرة وحمزة بغير الف في الوصل والوقف والباقون بالألف في الوقف وبغير الف في الوصل .

[الحجة] قال ابو علي وجه قول من أثبت في الوصل انها في المصحف كذلك وهو رأس آية ورؤوس الآيات تشبه بالقوافي من حيث كانت مقاطع فلمّا شبه اكثرَ من واهابن بالقوافي في حذف الياء منهن كما حذف في نحو قوله «مِنْ خَذَرِ الْمَوْتِ أَنْ يَأْتِيَنْ» «وَإِذا ما انْتَسَبْتُ لَهُ أَنْكَرَنْ»(١) كذلك يشبه هذا في اثبات الألف بالقوافي فأما من طرح الالف في الوصل فإنه ذهب إلى ان ذلك في القوافي وليس رؤوس الآي بقواف فيحذف في الوصل كما يحذف غيرها مما يثبت في الوقف نحو التشديد الذي يلحق الحرف الموقوف عليه وهذا إذا أثبت في الخط فينبغي ان لا يحذف كما لا يحذف هاء الوقف من حسابِيَهْ وكتابِيَه وان يجري مجرى الموقوف عليه ولا يوصل

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

[الإعراب] أن تفعلوا موصول وصلة في موضع رفع بالابتداء إلا انه استثناء منقطع وخبره محذوف تقديره لكن فعلكم إلى أوليائكم معروفاً جائز وإذا اخذنا العامل في الظرف هنا محذوف تقديره واذكر نعمة الله عليكم كائنة وقت مجيء جنود إذ جاؤكم بدل من إذ الأولى وإذ زاغت كذلك .

[النزول] قال الكلبي آخى رسول الله ﷺ بين الناس فكان يؤاخي بين الرجلين فإذا مات أحدهما ورثه الثاني منهما دون اهله فمكثوا بذلك ما شاء الله حتى نزلت ﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين﴾ فنسخت هذه الآية الموارثة بالمؤاخاة والهجرة وورث الأدنى فالأدنى من القرابات وقال قتادة كان المسلمون يتوارثون بالهجرة وكان لا يرث الاعرابي المسلم من المهاجرين شيئاً فنزلت هذه الآية فصار المواريث بالقرابات .

[المعنى] ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾ أي هو أولى بهم منهم بأنفسهم وقيل

(١) والاصل يأتيني وانكرني .

في معناه اقوال (أحدها) انه احقُّ بتدبيرهم وحكمه انفذ عليهم من حكمهم على انفسهم خلاف ما يحكم به لوجوب طاعته التي هي مقرونة بطاعة الله تعالى عن ابن زيد (وثانيها) انه اولى بهم في الدعوة فإذا دعاهم النبي ﷺ إلى شيء ودعتهم انفسهم إلى شيء كانت طاعته اولى بهم من طاعة انفسهم عن ابن عباس وعطا وهذا قريب من الأول (وثالثها) ان حكمه أنفذ عليهم من حكم بعضهم على بعض كقوله فسلّموا على أنفسكم فإذا كان هو أحق بهم وهو لا يرث أمته بما له من الحق فكيف يرث من توجبون حقه بالتبني وروي ان النبي ﷺ لما أراد غزوة تبوك وأمر الناس بالخروج قال قوم نستأذن آباءنا وأمهاتنا فنزلت هذه الآية وروي عن أبي وابن مسعود وابن عباس انهم كانوا يقرؤون النبي أولى بالمؤمنين من انفسهم وأزواجه امهاتهم وهو أب لهم وكذلك هو في مصحف أبي وروي ذلك عن أبي جعفر وابي عبد الله (ع) قال مجاهد وكل نبي أب لأمته ولذلك صار المؤمنون أخوة لأن النبي ﷺ أبوهم في الدين وواحدة الأنفس نفسي وهي خاصة الحيوان الحساسة الداركة التي هي انفس ما فيه ويحتمل ان يكون اشتقاقه من التنفس الذي هو التروح ويحتمل ان يكون من النفاسة لأنه أجل ما فيه واكرمه ﴿وأزواجه أمهاتهم﴾ المعنى انهن للمؤمنين كالأمهات في الحرمة وتحريم النكاح ولسن أمّهات لهم على الحقيقة إذ لو كن كذلك لكانت بناته اخوات المؤمنين على الحقيقة فكان لا يحلّ للمؤمن التزويج بهنّ فثبت ان المراد به يعود إلى حرمة العقد عليهن لا غير لأنه لم يثبت شيء من احكام الأمومة بين المؤمنين وبينهن سوى هذه الواحدة الا ترى انه لا يحلّ للمؤمنين رؤيتهن ولا يرثن المؤمنين ولا يرثونهن ولهذا قال الشافعي وازواجه امهاتهم في معنى دون معنى وهو انهن محرمات على التأبيد وما كنّ محارم في الخلوة والمسافرة وهذا معنى ما رواه مسروق عن عائشة ان امرأة قالت لها يا أمّه فقالت لست لك بأم إنما انا أمّ رجالكم فعلى هذا لا يجوز ان يقال لإخوانهن واخواتهن اخوال المؤمنين وخالات المؤمنين قال الشافعي تزوّج الزبير اسماء بنت ابي بكر ولم يقل هي خالة المؤمنين ﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين﴾ وهو مفسّر في آخر الأنفال وأولوا الأرحام هم ذوو الأنساب . لمّا ذكر سبحانه ان ازواج النبي ﷺ امهات المؤمنين عقّبه بهذا وبيّن انه لا توارث إلا بالولادة والرحم والمعنى ان ذوي القرابات بعضهم أولى بميراث بعض من المؤمنين أي من الانصار والمهاجرين أي الذين هاجروا من مكة إلى المدينة وقيل معناه من المؤمنين والمتواخين والمهاجرين فصارت هذه الآية ناسخة للتوارث بالهجرة والمؤاخاة في الدين دالة على ان الميراث بالقرابة فمن كان اقرب في قرباه فهو أحق بالميراث من الأبعد ﴿إلا أن تفعلوا إلى اوليائكم معروفاً﴾ هذا استثناء منقطع ومعناه لكن إن فعلتم إلى اوليائكم المؤمنين

وخلفائكم ما يعرف حسنه وصوابه فهو حسن قال السدي عنى بذلك وصية الرجل لأخوانه في الدين وقال غيره لما نسخ التوارث بالمؤاخاة والهجرة أباح الوصية فيوصي لمن يتولاه بما أحبَّ من الثلث فمعنى المعروف هنا الوصية وحكي عن محمد بن الحنفية وعكرمة وقتادة ان معناه الوصية لذوي القرابات من المشركين وقيل ان هذا لا يصح لأنه تعالى نهى عن ذلك بقوله لا تتخذوا عدّوي وعدوّكم اولياء وقد أجاز كثير من الفقهاء الوصية للقرابة الكافرة وقال اصحابنا انها جائزة للوالدين والولد ﴿كان ذلك﴾ أي نسخ الميراث بالهجرة وردّه إلى اولي الأرحام من القرابات ﴿في الكتاب﴾ أي في اللوح المحفوظ وقيل في القرآن وقيل في التوراة ﴿مسطوراً﴾ اي مكتوباً ومن في قوله من المؤمنين والمهاجرين يحتمل امرين (أحدهما) ما ذكرناه (والآخر) ان يكون التقدير وأولوا الأرحام من المؤمنين والمهاجرين أولى بالميراث ﴿وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم﴾ اي واذكر يا محمد حين أخذ الله الميثاق على النبيين خصوصاً بأن يصدق بعضهم بعضاً ويتبع بعضهم بعضاً عن قتادة وقيل اخذ ميثاقهم على ان يعبدوا الله ويدعوا إلى عبادة الله وان يصدق بعضهم بعضاً وان ينصحوا لقومهم عن مقاتل ﴿ومنك﴾ يا محمد وإنما قدّمه لفضله وشرفه ﴿ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم﴾ خصَّ هؤلاء بالذكر لأنهم اصحاب الشرائع ﴿واخذنا منهم ميثاقاً غليظاً﴾ أي عهداً شديداً على الوفاء بما حملوا من اعباء الرسالة وتبليغ الشرائع وقيل على ان يعلنوا ان محمداً رسول الله ﷺ ويعلن محمد ﷺ انه لا نبي بعده وإنما أعاد ذكر الميثاق على وجه التغليظ وذكره في اول الآية مطلقاً وفي آخرها مقيداً بزيادة صفة ثم بيَّن سبحانه الفائدة في اخذ الميثاق فقال ﴿ليسئل الصادقين عن صدقهم﴾ قيل معناه إنما فعل ذلك ليسأل الأنبياء المرسلين ما الذي جاءت به أممكم عن مجاهد وقيل ليسأل الصادقين في توحيد الله وعدله والشرائع عن صدقهم أي عما كانوا يقولونه فيه تعالى فيقال لهم هل ظلم الله تعالى احداً هل جازى كل إنسان بفعله هل عذب بغير ذنب ونحو ذلك فيقولون نعم عدل في حكمه وجازى كُلاًّ بفعله وقيل معناه ليسأل الصادقين في اقوالهم عن صدقهم في افعالهم وقيل ليسأل الصادقين ماذا قصدتم بصدقكم وجه الله أو غيره ويكون فيه تهديد للكاذب قال الصادق (ع) إذا سأل عن صدقه على أيّ وجه قاله فيجازي بحسبه فكيف يكون حال الكاذب ثم قال سبحانه ﴿واعدَّ للكافرين عذاباً أليماً﴾ أي مؤلماً ثم خاطب سبحانه المؤمنين فقال ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم﴾ ذكّرهم سبحانه عظيم نعمته عليهم في دفع الأحزاب عنهم ﴿إذ جاءتكم جنود﴾ وهم الذين تحزَّبوا على رسول الله ﷺ ايام الخندق ﴿فأرسلنا عليهم ريحاً﴾ وهي الصبا ارسلت عليهم حتى اكفأت قدورهم ونزعت فساطيطهم ﴿وجنوداً

لم تروها﴾ من الملائكة وقيل ان الملائكة لم يقاتلوا يومئذ ولكن كانوا يشجّعون المؤمنين ويجبّنون الكافرين ﴿وكان الله بما تعملون بصيراً﴾ من قرأ بالتاء وجّه الخطاب إلى المؤمنين ومن قرأ بالياء أراد ان الله عالم بما يعمله الكفار ثم قال ﴿إذ جاؤكم﴾ أي واذكروا حين جاءكم جنود المشركين ﴿من فوقكم﴾ أي من فوق الوادي قبل المشرق قريظة والنضير وغطفان ﴿ومن اسفل منكم﴾ اي من قبل المغرب من ناحية مكة ابو سفيان في قريش ومن تبعه ﴿وإذا زاغت الأبصار﴾ اي مالت عن كل شيء فلم تنظر إلا إلى عدوّها مقبلاً من كل جانب وقيل معناه عدلت الأبصار عن مقرّها من الدهش والحيرة كما يكون الجبان فلا يعلم ما يبصر ﴿وبلغت القلوب الحناجر﴾ والحنجرة جوفَ الحلقوم اي شخصت القلوب من مكانها فلولا انه ضاق الحلقوم عنها ان تخرج لخرجت عن قتادة وقال أبو سعيد الخدري قلنا يوم الخندق يا رسول الله هل من شيء نقوله فقد بلغت القلوب الحناجر فقال قولوا اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا قال فقلناها فضرب وجوه اعداء الله بالريح فهزموا قال الفراء المعنى في قوله بلغت القلوب الحناجر انهم جبنوا وجزع اكثرهم وسبيل الجبان إذ اشتدَّ خوفه أن ينتفخ سَحْرُه والسحر الرئة فإذا انتفخت الرئة رفعت القلوب إلى الحنجرة ﴿وتظنون بالله الظنونا﴾ أي اختلفت الظنون فظنَّ بعضكم بالله النصر وبعضكم ليس وقنط وقيل تظنون ظنوناً مختلفة فظن المنافقون انه يستأصل محمد وظن المؤمنون انه ينصر عن الحسن وقيل ان من كان ضعيف القلب والإيمان ظنَّ ما ظنّه المنافقون إلا انه ذلك وقيل اختلاف ظنونهم ان بعضهم ظن ان الكفار تغلبهم فظن بعضهم انهم يستولون على المدينة وظنَّ بعضهم ان الجاهلية تعود كما كانت وظنَّ بعضهم ان ما وعد الله ورسوله من نصرة الدين وأهله غرور فاقسام الظنون كثيرة خصوصاً ظن الجبناء .

[النظم] اتصل قوله النبي أولى بالمؤمنين بقوله وما جعل ادعيائكم ابنائكم فإنه سبحانه لما بيّن ان التبني عليه لا يجوز بيّن عقيبه انه مع ذلك اولى بالمؤمنين من انفسهم من حيث انه ولّاه الله أمرهم فيلزمهم طاعته والانقياد له واصل الولاية لله تعالى كما قال هنالك الولاية لله فلاحظَّ فيها لأحد إلا لمن ولّاه سبحانه وإلى هذا المعنى اشار النبي ﷺ يوم الغدير في قوله ألست أولى بكم منكم بأنفسكم فلما قالوا بلى قال من كنت مولاه فعليٌّ مولاه والمولى بمعنى الأولى بدلالة قوله مأواكم النار هي مولاكم أي اولى بكم وقول لبيد .

فَغَدَتْ كِلَا الْفَرْجَيْنِ تَحْسَبُ أَنَّهُ مَوْلَى الْمَخَافَةِ خَلْفُهَا وَأَمَامُهَا(١)

(١) البيت من المعلقات ، والفرج: ما بين قوائم الدواب فما بين اليدين فرج وما بين الرجلين فرج ، يصف بقرة وحشية =

أي أولى بالمخافة ثم عاد سبحانه إلى الكلام في تأكيد نبوة نبينا ﷺ بذكر ما اخذ على النبيين من الميثاق في هذا الباب وعقّب ذلك ببيان آياته ومعجزاته يوم الأحزاب وذكر ما انعم عليه وعلى المؤمنين من النصر مع ما اعدّه لهم من الثواب .

[قصة غزوة الخندق]

ذكر محمد بن كعب القرظي وغيره من اصحاب السير قالوا كان من حديث الخندق أن نفراً من اليهود منهم سلام بن أبي الحقيق وحيي بن اخطب في جماعة من بني النضير الذين اجلاهم رسول الله ﷺ خرجوا حتى قدموا على قريش بمكة فدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ وقالوا إنا سنكون معكم عليهم حتى نستأصلهم فقالت لهم قريش يا معشر اليهود إنكم اهل الكتاب الأول فديننا خير أم دين محمد قالوا بل دينكم خير من دينه فأنتم أولى بالحق منه فهم الذين انزل الله فيهم ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلاً إلى قوله وكفى بجهنم سعيراً فسرّ قريشاً ما قالوا ونشطوا لما دعوهم إليه فاجمعوا لذلك واتعدوا له ثم خرج أولئك النفر من اليهود حتى جاءوا غطفان فدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ واخبروهم انهم سيكونون معهم عليه ﷺ وان قريشاً قد بايعوهم على ذلك فأجابوهم فخرجت قريش وقائدهم أبو سفيان بن حرب وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصين بن حذيفة بن بدر في فزارة والحرث بن عوف في بني مرة ومسعر بن جبلة الأشجعي فيمن تابعه من اشجع وكتبوا إلى حلفائهم من بني اسد فأقبل طليحة في من اتبعه من بني اسد وهما حليفان اسد وغطفان وكتب قريش إلى رجال من بني سليم فأقبل ابو الأعور السلمي فيمن اتبعه من بني سليم مدداً لقريش فلما علم بذلك رسول الله ﷺ ضرب الخندق على المدينة وكان الذي اشار عليه سلمان الفارسي (ره) وكان اول مشهد شهده سلمان مع رسول الله ﷺ وهو يومئذ حُرٌّ قال يا رسول الله إنا كنا بفارس إذا حوصرنا خندقنا علينا فعمل فيه رسول الله ﷺ والمسلمون حتى احكموه فمما ظهر من دلائل النبوة في حفر الخندق ما رواه ابو عبد الله الحافظ بإسناده عن كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزني قال حدثني أبي عن ابيه قال خطّ رسول الله ﷺ الخندق عام الاحزاب اربعين ذراعاً بين عشرة فاختلف المهاجرون والانصار في سلمان الفارسي وكان رجلاً قوياً فقال الانصار سلمان منا وقال المهاجرون سلمان منا فقال رسول الله ﷺ سلمان منا اهل البيت قال

■ سمعت صوتاً. يقول فغدت البقرة وهي تحسب ان كل فرج من فرجيها أولى بالمخافة منه ولم تقف على ان صاحب الصوت خلفها ام امامها.

عمرو بن عوف فكنت انا وسلمان وحذيفة بن اليمان والنعمان بن مقرن وستة من الانصار نقطع اربعين ذراعاً فحفرنا حتى إذا بلغنا الثرى اخرج الله من بطن الخندق صخرة بيضاء مدورة فكسرت حديدنا وشقت علينا فقلنا يا سلمان ارقَ إلى رسول الله ﷺ فأخبره عن الصخرة فإما ان نعدل عنها فإن المعدل قريب وإما ان يأمرنا فيه بأمره فإنا لا نحبّ ان نجاوز خطّه فرقى سلمان حتى اتى رسول الله ﷺ وهو مضروب عليه قبة فقال يا رسول الله خرجت صخرة بيضاء من الخندق مدوّرة فكسرت حديدنا وشقّت علينا حتى ما يحك فيها قليل ولا كثير فمرنا فيها بأمرك فهبط رسول الله ﷺ مع سلمان في الخندق واخذ المعول[1] وضرب به ضربة فلمعت منها برقة اضاءت ما بين لابتيها[2] يعني لأبتي المدينة حتى لكأن مصباحاً في جوف ليل مظلم فكبّر رسول الله ﷺ تكبيرة فتح فكبّر المسلمون ثم ضرب ضربة اخرى فلمعت برقة اخرى ثم ضرب به الثالثة فلمعت برقة أخرى فقال سلمان بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما هذا الذي أرى فقال اما الاولى فإن الله عز وجل فتح علي بها اليمن وأما الثانية فإن الله فتح علي بها الشام والمغرب وأما الثالثة فإن الله فتح علي بها المشرق فاستبشر المسلمون بذلك وقالوا الحمد لله موعد صادق قال وطلعت الأحزاب فقال المؤمنون هذا ما وعدنا الله ورسوله وَصدق الله ورسوله وقال المنافقون الا تعجبون يحدثكم ويعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر في يثرب قصور الحيرة[3] ومدائن كسرى وانها تفتح لكم وانتم تحفرون الخندق ولا تستطيعون ان تبرزوا ومما ظهر فيه أيضاً من آيات النبوة ما رواه أبو عبد الله الحافظ بالإسناد عن عبد الواحد بن ايمن المخزومي قال حدثني ايمن المخزومي قال سمعت جابر بن عبد الله قال كنا يوم الخندق نحفر الخندق فعرضت فيه كُدْيَة[4] وهي الجبل فقلنا يا رسول الله إن كدية عرضت فيه فقال رسول الله ﷺ رَشُّوا عليها ماء ثم قام فأتاها وبطنه معصوب بحجر من الجوع فأخذ المعول أو المسحاة فسمّى ثلاثا ثم ضرب فعادت كثيباً أَهْيَل[5] فقلت له إئذن لي يا رسول الله إلى المنزل ففعل فقلت للمرأة هل عندك من شيء فقالت عندي صاع من شعير وعَناق[6] فطحنت الشعير وعجنته وذبحت العَناق وسلختها

(١) المعول: الفأس العظيمة التي ينقر بها الصخر.

(٢) اللابة: الحرة وهي الارض ذات الحجارة السود التي قد ألبستها لكثرتها. والمدينة المنورة ما بين حرتين عظيمتين.

(٣) قال الحموي: الحيرة. مدينة كانت على ثلاثة اميال من الكوفة على موضع يقال له النجف.

(٤) هذا هو الظاهر الموافق لسيرة ابن هشام ج ٢: ٢١٧ والبخاري ج ٥ ـ ٩٠ وغيره لكن في الاصل «كذانة» قال ابن الأثير: في حديث الخندق فعرضت فيه كدية فاخذ المسحاة... اه والكدية قطعة غليظة صلبة لا يعمل فيها الفأس.

(٥) اي رملاً سائلاً.

(٦) العناق: الانثى من اولاد المعز قبل استكمال الحول.

وخليت بين المرأة وبين ذلك ثم اتيت الى رسول الله ﷺ فجلست عنده ساعة ثم قلت إئذن لي يا رسول الله ففعل فأتيت المرأة فإذا العجين واللحم قد أمكنا فرجعت الى رسول الله ﷺ فقلت ان عندنا طعيما لنا فقم يا رسول الله انت ورجلان من اصحابك فقال وكم هو قلت صاع من شعير وعَناق فقال للمسلمين جميعاً قوموا إلى جابر فقاموا فلقيت من الحياء ما لا يعلمه الا الله فقلت جاء بالخلق على صاع شعير وعَناق فدخلت على المرأة وقلت قد افتضحت جاءك رسول الله ﷺ بالخلق اجمعين فقالت هل كان سألك كم طعامك قلت نعم فقالت الله ورسوله اعلم قد اخبرناه ما عندنا فكشفت عنّي غمّاً شديداً فدخل رسول الله ﷺ فقال خذي ودعيني من اللحم فجعل رسول الله ﷺ يثرد ويفرّق اللحم ثم يحمّ هذا ويحمّ[1] هذا فما زال يقرب إلى الناس حتى شبعوا اجمعين ويعود التنور والقدر املأ ما كانا ثم قال رسول الله ﷺ كلي واهدي فلم نزل نأكل ونهدي قومنا اجمع أورده البخاري في الصحيح وعن البراء بن عازب قال كان رسول الله ﷺ ينقل معنا التراب يوم الاحزاب وقد وارى التراب بياض بطنه وهو يقول «اَللّٰهُمَ لَوْلاَ أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنا وَلاَ تَصَدَّقْنا وَلاَ صَلَّيْنا فَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنا وَثَبِّتِ الاَقْدامَ إِنْ لاَقَيْناه إِنَّ الأولى قَدْ بَغَوْ عَلَيْنا إِذا أَرادُوا فَتْنَةً أَبينا[2]» يرفع بها صوته رواه البخاري ايضاً في الصحيح عن أبي الوليد عن شعبة عن أبي إسحاق عن البراء قالوا ولما فرغ رسول الله ﷺ من الخندق اقبلت قريش حتى نزلت بين الجُرْف والغابة[3] في عشرة آلاف من احابيشهم [4] ومن تابعهم من بني كنانة واهل تهامة واقبلت غطفان ومن تابعهم من اهل نجد حتى نزلوا إلى جانب احد وخرج رسول الله ﷺ والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع [5] في ثلاثة آلاف من المسلمين فضرب هناك عسكره والخندق بينه وبين القوم وأمر بالذراري والنساء فرفعوا في الاطام [6] وخرج عدو الله حيي بن اخطب النضيري حتى اتى كعب بن اسد القرظي صاحب بني قريظة وكان قد وادع رسول الله ﷺ على قومه وعاهده على ذلك فلما سمع كعب صوت ابن اخطب اغلق دونه حصنه فاستأذن عليه فأبى ان يفتح له

---

(١) كذا في النسخ ولم اظفر له على معنى يناسب المقام والسياق في اللغة جم الاناء ملاه وفي صحيح البخاري ج ٥: ٩٠ ما نصه «ويخمر (اي يغطي) التنور إذا اخذ منه ويقرب إلى اصحابه . . اه».

(٢) قائلها عبد الله بن رواحة ارتجز بها رسول الله ﷺ.

(٣) الجرف: موضع على ثلاثة اميال من المدينة نحو الشام. والغابة أيضاً بينها وبين جبل سلع ثمانية اميال قاله الحموي في المعجم.

(٤) حابيس: الجماعة من الناس ليسوا من قبيلة واحدة.

(٥) سلع: جبل بالمدينة.

(٦) الاطام: الابنية المرتفعة كالحصون.

فناداه يا كعب افتح لي فقال ويحك يا حيي انك رجل مشؤوم اني قد عاهدت محمداً ﷺ ولست بناقض ما بيني وبينه ولم أر منه إلا وفاء وصدقاً قال ويحك افتح لي اكلّمك قال ما انا بفاعل قال ان اغلقت دوني إلا على حشيشة تكره ان آكل منها معك فاحفظ الرجل (١) ففتح له فقال ويحك يا كعب جئتك بعزّ الدهر وببحر طامّ(٢) جئتك بقريش على قادتها وسادتها وبغطفان على سادتها وقادتها قد عاهدوني أن لا يبرحوا حتى يستأصلوا محمداً ومن معه فقال كعب جئتني والله بذلّ الدهر بجهام (٣) قد هراق ماؤه يرعد ويبرق وليس فيه شيء فدعني ومحمداً وما انا عليه فلم أر من محمد إلا صدقاً ووفاء فلم يزل حيي بكعب يفتل منه في الذروة والغارب(٤) حتى سمح له على ان اعطاه عهداً وميثاقاً لئن رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمداً أن ادخل معك في حصنك حتى يصيبني ما اصابك فنقض كعب عهده وبرىء مما كان عليه فيما بينه وبين رسول الله ﷺ فلما انتهى الخبر إلى رسول الله ﷺ بعث سعد بن معاذ بن النعمان بن امرء القيس أحد بني عبد الاشهل وهو يومئذ سيد الاوس وسعد ابن عبادة أحد بني ساعدة بن كعب بن الخزرج وهو يومئذ سيد الخزرج ومعهما عبد الله بن رواحة وخوّات بن جبير فقال انطلقوا حتى تنظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا فإن كان حقاً فالحنوا لنا لحناً نعرفه ولا تفتوا اعضاد الناس وإن كانوا على الوفاء فاجهروا به للناس وخرجوا حتى أتوهم فوجدوهم على اخبث مما بلغهم عنهم قالوا لا عقد بيننا وبين محمد ولا عهد فشامهم سعد بن عبادة وشاتموه وقال سعد بن معاذ دع عنك مشاتمتهم فإن ما بيننا وبينهم اعظم من المشاتمة ثم اقبلوا إلى رسول الله ﷺ وقالوا عضل والقارة (٥) لغدرِ عضل والقارة باصحاب رسول الله خُبَيب بن عدي واصحاب الرجيع فقال رسول الله ﷺ الله اكبر ابشروايا معشر المسلمين وعظم عند ذلك البلاء واشتدّ الخوف وأتاهم عدوّهم من فوقهم ومن اسفل منهم حتى ظنّ المؤمنون كل ظنّ وظهر النفاق من بعض المنافقين فأقام رسول الله ﷺ واقام المشركون عليه بضعاً وعشرين ليلة لم يكن بينهم قتال إلا الرمي بالنبل إلا ان فوارس من قريش منهم عمرو بن عبدود اخو بني عامر بن لؤي وعكرمة بن أبي جهل وضرار بن

(١) أحفظه بمعنى أغضبه.

(٢) طم الماء: كثر.

(٣) الجهام: السحاب.

(٤) أي يدور من وراء خديعته.

(٥) قال الجوهري عضل قبيلة وهو عضل بن الهون بن خزيمة أخو الديش، ويقال لهما القارة. أي غدروا كغدر عضل والقارة وقصة غدرهما بالسبعة نفر الذين بعثهم رسول الله معهم خبيب في الموضع الذي يقال له الرجيع معروف.

الخطاب وهبيرة بن ابي وهب ونوفل بن عبد الله قد تلبسوا للقتال وخرجوا على خيولهم حتى مروا بمنازل بني كنانة فقالوا تهيأوا للحرب يا بني كنانة فستعلمون اليوم من الفرسان ثم اقبلوا تعنق [1] بهم خيولهم حتى وقفوا على الخندق فقالوا والله ان هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها ثم تيمموا امكانا ضيقاً من الخندق فضربوا خيولهم فاقتحموا فجالت بهم في السبخة بين الخندق وسلع وخرج علي بن أبي طالب (ع) في نفر من المسلمين حتى اخذ عليهم الثغرة التي منها اقتحموا واقبلت الفرسان نحوهم وكان عمرو بن عبود فارس قريش وكان قد قاتل يوم بدر حتى ارتث واثبته الجراح ولم يشهد احداً فلما كان يوم الخندق خرج معلماً ليرى مشهده وكان يعد بألف فارس وكان يسمى فارس بليل لأنه اقبل في ركب من قريش حتى إذا كانوا ببليل وهو واد قريب من بدر عرضت لهم بنو بكر في عدد فقال لأصحابه امضوا فمضوا فقام في وجوه بني بكر حتى منعهم من ان يصلوا إليه فعرف بذلك وكان اسم الموضع الذي حفر فيه الخندق والمذاد وكان اول من طفره عمرو واصحابه فقيل في ذلك :

عَمْرُو بْنُ عَبْدٍ كان أَوَّلَ فارِسٍ ... جَزَعَ الْمَذادَ وَكانَ فارِسَ يَلْيَلِ

وذكر ابن إسحاق أن عمرو بن عبدود كان ينادي من يبارز فقام علي (ع) وهو مقنع في الحديد فقال اقاعله يا نبي الله فقال انه عمرو اجلس ونادى عمرو الأرجل وهو يؤنبهم [2] ويقول أين جنتكم التي تزعمون أن من قتل منكم دخلها فقام علي (ع) فقال أنا له يا رسول الله ثم نادى الثالثة فقال .

وَلَقَدْ بَحَحْتُ [3] مِنَ النِّدَاءِ ... بِجَمْعِكُمْ هَلْ مِنْ مُبارِزِ
وَوَقَفْتُ إِذْ جَبُنَ الْمُشَجَّعُ ... مَوْقِفَ الْبَطَلِ الْمُنَاجِزِ
إِنَّ السَّماحَةَ وَالشَّجا ... عَةَ فِي الْفَتَى خَيْرُ الْغَرائِزِ

فقام علي فقال يا رسول الله انا فقال انه عمرو فقال وان كان عمراً فاستأذن رسول الله أذن له رسول الله وفيما رواه لنا السيد أبو محمد الحسيني القايني عن الحاكم أبي القاسم لحسكاني بالإسناد عن عمرو بن ثابت عن أبيه عن جده عن حذيفة قال فألبسه رسول الله ﷺ درعه ذات الفضول واعطاه سيفه ذا الفقار وعمّمه عمامة السحاب على رأسه تسعة أكوار ثم

(١) من العنق وهو ضرب من السير .
(٢) أنّبه : لامه .
(٣) البحاح : غلظ في الصوت وخشونة .

قال له تقدَّم فقال لما ولّى : اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوق رأسه ومن تحت قدميه قال ابن اسحاق فمشى إليه وهو يقول :

لَا تَعْجَلَنْ فَقَدْ أَتَا ... كَ مُجِيبُ صَوْتِكَ غَيْرَ عَاجِزْ
ذُو نِيَّةٍ وَبَصِيرَةٍ ... وَالصِّدْقُ مُنْجِي كُلَّ فَائِزْ
إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أُقِيـ ... ـمَ عَلَيْكَ نَائِحَةَ ٱلْجَنَائِزْ
مِنْ ضَرْبَةٍ نَجْلَاءَ يَبْقَى ... ذِكْرُهَا عِنْدَ الْهَزَاهِزْ[1]

قال له عمرو من أنت قال أنا علي قال ابن عبد مناف فقال أنا علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف فقال غيرك يا ابن أخي من أعمامك من هو أسنُّ منك فإني أكره ان أُهرق دمك فقال علي (ع) لكني والله ما أكره ان أُهرق دمك فغضب ونزل وسلّ سيفه كأنه شعلة نار ثم أقبل نحو عليّ مغضباً فاستقبله علي بِدَرَقَتِه[2] فضربه عمرو بالدرقة فقدَّها وأثبت فيها السيف وأصاب رأسه فشجّه وضربه عليٌّ على حبل العاتق فسقط وفي رواية حذيفة وتسيف على رجليه بالسيف من أسفل فوقع على قفاه وثارت بينهما عجاجة فسُمِع عليٌّ يكبّر فقال رسول الله ﷺ قتله والذي نفسي بيده فكان أول من ابتدر العجاج عمر بن الخطاب فإذا عليٌّ يمسح سيفه بدرع عمرو فكبّر عمر بن الخطاب وقال يا رسول الله قتله فحزَّ عليٌّ[3] رأسه وأقبل نحو رسول الله ووجهه يتهلل فقال عمر بن الخطاب هلّا استلبته درعه فإنه ليس للعرب درع خير منها فقال ضربته فاتقاني بسواته فاستحييت ابن عمي أن استلبه قال حذيفة فقال النبي ﷺ أبشر يا علي فلو وزن اليوم عملك بعمل امة محمد لرجح عملك بعملهم وذلك انه لم يبق بيت من بيوت المشركين إلا وقد دخله وهن بقتل عمرو ولم يبق بيت من بيوت المسلمين إلا وقد دخله عزّ بقتل عمرو وعن الحاكم أبي القاسم أيضاً بالإسناد عن سفيان الثوري عن زبيد الثاني عن مرة عن عبد الله بن مسعود قال كان يقرأ وكفى الله المؤمنين القتال بعلي وخرج أصحابه منهزمين حتى طفرت خيولهم الخندق وتبادر المسلمون فوجدوا نوفل بن عبد العزى جوف الخندق فجعلوا يرمونه بالحجارة فقال لهم قتلة أجمل من هذه ينزل بعضكم أقاتله فقتله الزبير بن العوام وذكر ابن اسحاق ان علياً (ع) طعنه في ترقوته حتى اخرجها من مراقه فمات في الخندق وبعث المشركون إلى رسول

(١) ضربة نجلاء: واسعة . والهزاهز بمعنى الحروب .
(٢) الدرقة: الترس من الحديد .
(٣) حز الشيء: قطعه .

الله ﷺ يشترون جيفته بعشرة آلاف فقال النبي ﷺ هو لكم لا نأكل ثمن الموتى وذكر علي (ع) أبياتاً منها .

نَصَرَ الْحِجَارَةَ مِنْ سَفَاهَةِ رَأْيِهِ ... وَنَصَرْتُ رَبَّ مُحَمَّدٍ بِصَوَابِ
فَضَرَبْتُهُ وَتَرَكْتُهُ مُتَجَدِّلاً ... كَالْجِذْعِ بَيْنَ دَكَادِكٍ وَرَوَابِ (١)
وَعَفَفْتُ عَنْ أَثْوَابِهِ وَلَوْ أَنَّنِي ... كُنْتُ الْمُقَطَّرَ بَزَّنِي أَثْوَابِي (٢)

وروى عمرو بن عبيد عن الحسن البصري قال ان علياً (ع) لما قتل عمرو بن عبدود حمل رأسه فألقاه بين يدي رسول الله ﷺ فقام أبو بكر وعمر فقبّلا رأس علي (ع) وروي عن أبي بكر بن عياش أنه قال ضرب علي ضربة ما كان في الإسلام اعز منها يعني ضربة عمرو بن عبدود وضُرِب عليٌّ ضربة ما كان في الإسلام ضربة أشأم منها يعني ضربة ابن ملجم عليه لعائن الله . قال ابن إسحاق ورمى حيان بن قيس بن العرفة سعد بن معاذ بسهم وقال خذها وأنا ابن العرفة فقطع أكحله فقال سعد عرف الله وجهك في النار اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئاً فأبقني لها فإنه لا قوم أحبَّ إليَّ أن أجاهد من قوم آذوا رسولك وكذّبوه وأخرجوه وان كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعله لي شهادة ولا تمتني حتى تقرَّ عيني من بني قريظة قال وجاء نعيم بن مسعود الاشجعي إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله إني قد أسلمت ولم يعلم أبي احد من قومي فمرني بأمرك فقال له رسول الله ﷺ إنما أنت فينا رجل واحد فخَذِّل (٣) عنا ما استطعت فإنما الحرب خدعة فانطلق نعيم بن مسعود حتى أتى بني قريظة فقال لهم إني لكم صديق والله ما أنتم وقريش وغطفان من محمد ﷺ بمنزلة واحدة إن البلد بلدكم وبه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم وإنما قريش وغطفان بلادهم غيرها وإنما جاءوا حتى نزلوا معكم فإن رأوا فرصة انتهزوها وإن رأوا غير ذلك رجعوا إلى بلادهم وخلّوا بينكم وبين الرجل ولا طاقة لكم به فلا تقاتلوا حتى تأخذوا رهناً من أشرافهم تستوثقون به ان لا يبرحوا حتى يناجزوا محمداً فقالوا له قد أشرت برأي ثم ذهب فأتى أبا سفيان وأشراف قريش فقال يا معشر قريش إنكم قد عرفتم وُدّي إياكم وفراقي محمداً ودينه وإني قد جئتكم بنصيحة فاكتموا عليّ فقالوا له قد أشرت برأي ثم ذهب فأتى أبا سفيان وأشراف قريش فقال يا معشر قريش إنكم قد عرفتم وُدّي إياكم وفراقي محمداً ودينه وإني قد جئتكم بنصيحة

(١) دكادك جمع دكدك الرمل اللين ورواب جمع رابية : ما ارتفع من الأرض .
(٢) المقطر : الملقى على احد قطريه أي جنبيه وبزه : سلبه .
(٣) امر من خذله : حمله على الفشل وترك القتال .

فاكتموا عليّ فقالوا نفعل ما أنت عندنا بمتهم فقال تعلمون ان بني قريظة قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد فبعثوا إليه أنه لا يرضيك عنا إلا أن نأخذ من القووم رهناً من أشرافهم وندفعهم إليك فتضرب أعناقهم ثم نكون معك عليهم حتى نخرجهم من بلادك فقال بلى فإن بعثوا إليكم يسألونكم نفراً من رجالكم فلا تعطوهم رجلاً واحداً واحذروا ثم جاء غطفان وقال يا معشر غطفان إني رجل منكم ثم قال لهم ما قال لقريش فلما أصبح أبو سفيان وذلك يوم السبت في شوال سنة خمس من الهجرة بعث إليهم أبو سفيان عكرمة بن أبي جهل في نفر من قريش ان ابا سفيان يقول لكم يا معشر اليهود ان الكراع والخف[1] قد هلكا وانا لسنا بدار مقام فاخرجوا إلى محمد حتى نناجزه فبعثوا إليه ان اليوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه شيئاً ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم حتى تعطونا رهناً من رجالكم نستوثق بهم لا تذهبوا وتدعونا حتى نناجز محمد فقال أبو سفيان والله قد حذرنا هذا نعيم فبعث إليهم أبو سفيان انا لا نعطيكم رجلاً واحداً فإن شئتم أن تخرجوا وتقاتلوا وإن شئتم فاقعدوا فقالت اليهود هذا والله الذي قال لنا نعيم فبعثوا إليهم انا والله لا نقاتل حتى تعطونا رهناً وخذّل الله بينهم وبعث سبحانه عليهم الريح في ليال شاتية باردة شديدة البرد حتى انصرفوا راجعين قال محمد بن كعب قال حذيفة بن اليمان والله لقد رأيتنا يوم الخندق وبنا من الجهد والجوع والخوف ما لا يعلمه إلا الله وقام رسول الله ﷺ فصلّى ما شاء الله من الليل ثم قال ألا رجل يأتينا بخبر القوم يجعله الله رفيقي في الجنة قال حذيفة فوالله ما قام منا احد مما بنا من الخوف والجهد والجوع فلما لم يقم أحد دعاني فلم أجد دُاً من اجابته قلت لبيك قال اذهب فجئني بخبر القوم ولا تحدثّني شيئاً حتى ترجع قال وأتيت القوم فإذا ريح الله وجنوده يفعل بهم ما يفعل ما يستمسك لهم بناء ولا تثبت لهم نار ولا تطمئن لهم قدر فإني لكذلك إذا خرج أبو سفيان من رحله ثم قال يا معشر قريش لينظر احدكم من جليسه قال حذيفة فبدأت بالذي عن يميني فقلت من أنت قال انا فلان [2] ثم عاد أبو سفيان براحلته فقال يا معشر قريش والله ما أنتم بدار مقام هلك الخف والحافر واخلفتنا بنو قريظة وهذه الريح لا يستمسك لنا معها شيء ثم عجل فركب راحلته وانها لمعقولة ما حلّ عقالها إلا بعد ما ركبها قال قلت في نفسي لو رميت عدوّ الله فقتلته كنت قد صنعت شيئاً فوترت قوسي ثم وضعت السهم في كبد القوس وأنا أريد أن أرميه فأقتله فذكرت قول رسول الله ﷺ لا تحدثن شيئاً حتى ترجع قال فحططت

(١)، يريد بالكراع: الخيل وبالخف) الابل .

(٢) وفي المنقول عن شرح المواهب « فضربت بيدي على الذي عن يميني فأخذت بيده فقلت: من أنت؟ قال: معاوية بن أبي سفيان، ثم ضربت بيدي على الذي عن شمالي فقلت :من انت قال: عمرو بن العاص» .

القوس ثم رجعت إلى رسول الله ﷺ وهو يصلّي فلما سمع حسي فرّج بين رجليه فدخلت تحته وأرسل عليّ طائفة من مِرْطة [1] فركع وسجد ثم قال ما الخبر فأخبرته وروى الحافظ بالإسناد عن عبد الله بن أبي أوفى قال دعا رسول الله ﷺ على الأحزاب فقال اللهم انت منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الأحزاب اللهم اهزمهم وزلزلهم وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان يقول لا إله إلا الله وحده وحده أعزّ جنده ونصر عبده وغلب الأحزاب وحده فلا شيء بعده وعن سليمان بن صرد قال قال رسول الله ﷺ حين أجلى عنه الأحزاب الآن نغزوهم ولا يغزوننا فكان كما قال ﷺ فلم تغزهم قريش بعد ذلك وكان هو يغزوهم حتى فتح الله عليهم مكة .

﴿ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا
شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ
مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ
يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ
ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا
فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَـَٔاتَوْهَا
وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ
لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ
ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا
قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا
أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾

(١) المرط بالكسر : الكساء .

﴿ * قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾

[القراءة] قرأ حفص لا مُقام لكم بضم الميم والباقون بفتحها وقرأ أهل الحجاز لأتوها بغير مدّ والباقون لآتوها بالمد وقرأ يعقوب يسألون بالتشديد والمدّ والباقون يسئلون بالتخفيف وفي الشواذ قراءة ابن عباس وابن يعمر وقتادة ان بيوتنا عَورة وما هي بعورة بكسر الواو في الموضعين وقراءة الحسن ثم سولوا الفتنة مرفوعة السين ولا يجعل فيها ياء ولا يمدها وقراءة ابن عباس لو انهم بُدّىً في الإعراب .

[الحجة] قال أبو علي المقام يحتمل أمرين (أحدهما) لا موضع إقامة لكم وهذا أشبه لأنه في معنى لا مقام بفتح الميم أي ليس لكم موضع تقومون فيه (والآخر) لا اقامة لكم ومن قصر لأتوها فلأنك تقول أتيت الشيء إذا فعلته تقول أتيت الخير وتركت الشر ومعنى ثم سئلوا الفتنة لأتوها سئلوا فعل الفتنة لفعلوها ومن قرأ لآتوها فالمعنى لأعطوها أي لم يمتنعوا فيها والمعنى لو قيل لهم كونوا على المسلمين ومع المشركين لفعلوا ذلك ومن قرأ يسّاءلون فإنه يتساءلون أي يسأل بعضهم بعضاً فأدغم التاء في السين ومن قرأ عورة بكسر الواو فإنه شاذ من طريق الاستعمال وذلك لتحرك الواو بعد الفتحة والقياس ان تقول عارة كما قالوا رجل مال وامرأة مالة وكبش صاف ونعجة صافة ومثل عَورة في صحة الواو وقولهم رجل عَوِز لا مال له وقول الأعشى .

وَقَدْ غَدَوْتُ إِلَى الحَانُوتِ يَتْبَعُنِي شَاوٍ مِشَلٌّ شَلُولٌ شُلْشُلٌ شَوِلُ (١)

وقوله سولوا من قولهم سال يسال كخاف يخاف فالعين على هذه اللغة واو وحكى أبو زيد قولهم هما يتساولان كما يقال يتقاومان والأقيس على هذا ان يقال سيلوا كعيدوا وقيل واللغة الأخرى إشمام الضمة نحو سئلوا واللغة الثالثة سولوا على اخلاص ضمة فُعِل إلا أنه أردأ اللغات قال الشاعر « وقُولَ لا اهل له ولا مال » (٢) أي وقيل وقال آخر « لُوطَ الى صلب شديد الحل» أي نيط وقوله بُدّى جمع باد فهو مثل غاز وغُزّى .

[اللغة] يقال هنا للقريب من المكان وهنالك للبعيد وهناك للمتوسط بين القريب والبعيد وسبيله سبيل ذا وذلك وذاك والزلزال الاضطراب العظيم والزلزلة اضطراب الأرض وقيل انه مضاعفٌ زلَّ وزلزله غيره والشدة قوة تدرك بالحاسة لأن القوة التي هي القدرة لا تدرك بالحاسة وإنما تعلم بالدلالة فلذلك يوصف تعالى بأنه قويٌّ ولا يوصف بأنه شديد والغرور ايهام المحبوب بالمكروه والغرور الشيطان قال الحرث بن حلزة :

لَمْ يَغُرُّوكُمْ غُرُوراً وَلَكِنْ يَرْفَعُ الآلُ جَمْعَهُمْ وَالضُّحَاءُ (٣)

ويثرب اسم أرض المدينة قال أبو عبيدة ان مدينة الرسول في ناحية من يثرب وقيل يثرب هي المدينة نفسها وذكر المرتضى علم الهدى قدس الله روحه أن من اسماء المدينة يثرب وطيبة وطابة والدار والسكينة وجائزة المحبورة والمحبة والمحبوبة والعذراء والمرحومة والقاصمة ويندد فذلك ثلاثة عشر أسماً والعورة كل شيء يتخوف منه في ثغر أو حرب ومكان معور ودار معورة إذا لم تكن حريزة. القطر الناحية والجانب وجمعه الأقطار ويقال طعنه فقطره إذا ألقاه على أحد قطريه أي احد شقيه والتعويق التثبيت والعوق الصرف ورجل عوق وعوقة يعوق الناس عن الخير. والبأس الحرب وأصله الشدة. والاشحة جمع شحيح والشح البخل مع حرص يقال شحَّ يشُحُّ ويشَحُّ بضم الشين وفتحها. والسلق أصله الضرب وسلق أي صاح ومنه خطيب مِسْلق ومِصْلق فصيح وسلقته بالكلام اسمعته المكروه وفي الحديث

(١) من أبيات اعتبرها بعض من المعلقات والحانوت بيت الخمار والشاوي: الذي يشوي اللحم والمشل المستحث والجيد السوق، وقيل: الذي يشل اللحم في السفود. والشلول مثل المشل . وشلشل: الخفيف في العمل والخدمة، وشول: الذي يشول بالشيء الذي يشتريه صاحبه أي يرفعه، وقال في اللسان محكياً عن بعض ان الألفاظ متقاربة. اريد بذكرها المبالغة .

(٢) هذا عجز بيت وقبله « وابتدأت غضبي وام الرحال » .

(٣) الال: السراب والضحاء ارتفاع النهار الأعلى .

ليس منا من سلق او حلق أو رفع صوته عند المصيبة وقيل هو ان تصكَّ وجهها ومعنى حلق أي يحلق رأسه وشعره عند المصيبة. والحديد ضد الكليل والجمع خداد. والأحزاب الجماعات واحدها حزب وتحزَّبوا أي تجمَّعوا من مواضع والبادي الذي ينزل البادية ومنه الحديث من بدا جفا أي من نزل البادية كان فيه جفوة الاعراب والبداوة الخروج إلى البادية بفتح الباء وكسرها قال القطامي

وَمَنْ تَكُنِ الْحَضَارَةُ أَعْجَبَتْهُ فَأَيُّ أُناسِ بادِيَةٍ تَرانا (١)

[الإعراب] الضمير في دخلت عائد إلى البيوت الا يسيراً تقديره إلا تلبساً يسيراً أو زماناً يسيراً فهو صفة ظرف زمان محذوف واذا لا تمتعون لم يعمل إذا لوقوعه بين الواو والفعل وقد أعملت بعد انَّ في قول الشاعر

لا تَتْرُكَنِّي فِيهِم شَطِيرا إِنِّي إِذاً أَهْلِكَ أَوْ أَطِيرا (٢)

ولا يأتون جملة معطوفة على صلة الموصول أي الذين يعوّقون ولا يأتون وقوله إلا قليلاً تقديره إلا زماناً قليلاً وان شئت الا اتياناً قليلاً اشحَّة منصوب على الحال في الموضعين وقيل هو نصب على الذم كالذي يغشى عليه من الموت أي تدور أعينهم دوراناً مثل دوران أعين الذي يغشى عليه من الموت فالكاف صفة مصدر محذوف وقد حذف بعد الكاف المضاف والمضاف إليه. هلمَّ معناه أقبل وتعال وأهل الحجاز يقولون للواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث هلم بلفظ الواحد وإنما هي لُمَّ ضمت اليها هاء التي للتنبيه ثم حذفت الألف منها إذا صارا شيئاً واحداً كقولهم ويلُمّه وأصله ويل لأمه فلما جعلوهما شيئاً واحداً حذفوا وغيّروا وأما بنو تميم فيصرفونه تصريف الفعل يقولون هلم يا رجل وهلما وهلموا وهلمي يا امرأة وهلما وهلممن يا نساء إلا أنهم يفتحون آخر الواحد البتة.

[المعنى] لما وصف سبحانه شدة الأمر يوم الخندق قال ﴿هنالك ابتلي المؤمنون﴾ أي اختبروا وامتحنوا ليظهر لك حسن إيمانهم وصبرهم على ما أمرهم الله به من جهاد اعدائه فظهر من كان ثابتاً قوياً في الإيمان ومن كان ضعيفاً فيه ﴿وزلزلوا زلزالاً شديداً﴾ أي حرّكوا بالخوف تحريكاً شديداً وأزعجوا ازعاجاً عظيماً وذلك ان الخائف يكون قلقاً مضطرباً لا يستقر على مكانه قال الجبائي منهم من اضطرب خوفاً على نفسه من القتل ومنهم من اضطرب عليه دينه

(١) الحضارة: الاقامة في الحضر.

(٢) الشطير: الغريب والبعيد و « أطير » متكلم من طار بمعنى تفرق وانتشر.

﴿وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض﴾ أي شكّ عن الحسن وقيل ضعف في الإيمان ﴿ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً﴾ قال ابن عباس ان المنافقين قالوا يعدنا محمد ان يفتح مدائن كسرى وقيصر ونحن لا نأمن ان نذهب الى الخلاء هذا والله الغرور ﴿وإذ قالت طائفة منهم﴾ يعني عبد الله بن أبي وأصحابه عن السدي وقيل هم بنو سالم من المنافقين عن مقاتل وقيل ان القائل لذلك اوس بن قبطي ومن وافقه على رأيه عن يزيد بن رومان ﴿يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا﴾ أي لا اقامة لكم هاهنا او لا مكان لكم تقومون فيه للقتال إذا فتح الميم فارجعوا إلى منازلكم بالمدينة وأرادوا الهرب من عسكر رسول الله ﷺ ﴿ويستأذن فريق منهم النبي﴾ في الرجوع إلى المدينة وهم بنو حارثة وبنو سلمة ﴿يقولون ان بيوتنا عورة﴾ليست بحريزة، مكشوفة ليست بحصينة عن ابن عباس ومجاهد وقيل معناه بيوتنا خالية من الرجال نخشى عليها السراق عن الحسن وقيل قالوا بيوتنا مما يلي العدو ولا نأمن على أهلينا عن قتادة فكذّبهم الله تعالى فقال ﴿وما هي بعورة﴾ بل هي رفيعة السمك حصينة عن الصادق (ع) ﴿ان يريدون﴾ أي ما يريدون ﴿إلا فراراً﴾ وهرباً من القتال ونصرة المؤمنين ﴿ولو دخلت﴾ أي ولو دخلت البيوت أو دخلت المدينة ﴿عليهم﴾ أي ولو دخل هؤلاء الذين يريدون القتال وهم الأحزاب على الذين يقولون ان بيوتنا عورة وهم المنافقون ﴿من أقطارها﴾ أي من نواحي المدينة أو البيوت ﴿ثم سئلوا الفتنة لآتوها﴾ أي ثم دعوا هؤلاء إلى الشرك لأشركوا فالمراد بالفتنة الشرك عن ابن عباس ﴿وما تلبثوا بها إلا يسيراً﴾ أي وما احتبسوا عن الاجابة إلى الكفر إلا قليلاً عن قتادة وقيل معناه وما اقاموا بالمدينة بعد اعطائهم الكفر إلا قليلاً حتى يعاجلهم الله بالعذاب عن الحسن والفراء ثم ذكرهم الله سبحانه عهدهم مع النبي ﷺ بالثبات في المواطن فقال ﴿ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل﴾ أي من قبل الخندق ﴿لا يولون الأدبار﴾ أي بايعوا النبي ﷺ وحلفوا له انهم ينصرونه ويدفعون عنه كما يدفعون عن نفوسهم ولا يرجعون عن مقاتلة العدو ولا ينهزمون قال مقاتل يريد ليلة العقبة ﴿وكان عهد الله مسئولاً﴾ يسألون عنهم في الآخرة وإنما جاء بلفظ الماضي تأكيداً ثم قال سبحانه ﴿قل﴾ يا محمد للذين استأذنوك في الرجوع واعتلّوا بأن بيوتهم يخاف عليها ﴿لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل﴾ إن كان حضرت آجالكم فإنه لا بدّ من واحد منهما وان هربتم فالهرب لا يزيد في آجالكم ﴿وإذا لا تمتعون إلا قليلاً﴾ معناه وان لم تحضر آجالكم وسلمتم من الموت أو القتل في هذه الوقعة لم تمتعوا في الدنيا إلا أياماً قلائل وإنما فرّق بين الموت والقتل لأن القتل غير الموت فإن الموت ضد الحياة عند من أثبته معنى وانتفاء الحياة عند من لم يثبته معنى والقتل هو نقض البنية الحيوانية فالقتل يقدر عليه غير

الله تعالى والموت لا يقدر عليه غيره ﴿قل﴾ يا محمد ﴿من ذا الذي يعصمكم من الله﴾ أي يدفع عنكم قضاء الله ويمنعكم من الله ﴿إن أراد بكم سوءاً﴾ أي عذاباً وعقوبة ﴿أو أراد بكم رحمة﴾ أي نصراً وعزّاً فإن أحداً لا يقدر على ذلك ﴿ولا يجدون لهم من دون الله ولياً﴾ يلي أمورهم ﴿ولا نصيراً﴾ ينصرهم ويدفع عنهم ثم قال سبحانه ﴿قد يعلم الله المعوقين منكم﴾ وهم الذين يعوقون غيرهم عن الجهاد مع رسول الله ﷺ ويثبطونهم ويشغلونهم لينصرفوا عنه وذلك بأنهم قالوا لهم ما محمد وأصحابه إلا أكلة رأس ولو كانوا لحمالا لتهمهم (١) أبو سفيان وهؤلاء الأحزاب ﴿والقائلين لاخوانهم﴾ يعني اليهود قالوا لاخوانهم المنافقين ﴿هلم إلينا﴾ أي تعالوا وأقبلوا إلينا ودعوا محمداً وقيل القائلون هم المنافقون قالوا لاخوانهم من ضعفة المسلمين لا تحاربوا وخلّوا محمداً فإنا نخاف عليكم الهلاك ﴿ولا يأتون البأس﴾ أي ولا يحضرون القتال في سبيل الله ﴿إلا قليلاً﴾ يخرجون رياء وسمعة قدر ما يوهمون أنهم معكم يعلم الله سبحانه احوالهم لا يخفى عليه شيء منها عن السدي وقيل معناه ولا يحضرون القتال إلا كارهين تكون قلوبهم مع المشركين عن قتادة ﴿أشحة عليكم﴾ أي لا يأتون الناس اشحة عليكم أي بخلاء بالقتال معكم وقيل بخلاء بالنفقة في سبيل الله والنصرة عن قتادة ومجاهد ومعناه لا ينصرونكم ثم أخبر عن جبنهم فقال ﴿فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى﴾ أي كعين الذي يغشى ﴿عليه من الموت﴾ وهو الذي قرب من حال الموت وغشيته اسبابه فيذهل ويذهب عقله ويشخص بصره فلا يطرف كذلك هؤلاء تشخص أبصارهم وتحار أعينهم من شدة خوفهم فإذا ذهب الخوف والفزع وجاء الأمن والغنيمة ﴿سلقوكم بألسنة حداد﴾ أي آذوكم بالكلام وخاصموكم بألسنة سليطة ذربة عن الفراء وقيل معناه بسطوا ألسنتهم فيكم وقت قسمة الغنيمة يقولون اعطونا اعطونا فلستم بأحق بها منا عن قتادة قال فأما عند البأس فأجبن قوم وأخذلهم للحق واما عند الغنيمة فأشح قوم وهو قوله ﴿أشحة على الخير﴾ أي بخلاء بالغنيمة يشاحون المؤمنين عند القسمة وقيل معناه بخلاء بأن يتكلموا بكلام فيه خير عن الجبائي ﴿أولئك﴾ يعني من تقدم وصفهم ﴿لم يؤمنوا﴾ كما آمن غيرهم وإلا لما فعلوا ذلك ﴿فأحبط الله أعمالهم﴾ لأنها لم تقع على الوجوه التي يستحق عليها الثواب إذ لم يقصدوا بها وجه الله تعالى وفي هذا دلالة على صحة مذهبنا في الاحباط (٢) لأن المنافقين ليس لهم ثواب فيحبط فليس إلا أن

(١) التهمة : ابتلعه بمرة.

(٢) وهو القول بان كل من الايمان والكفر يتحقق بتحقق شروط المقارنة ، وليس شيء عن استحقاق الثواب والعقاب مشروطاً بشرط متأخر بل ان تحقق الايمان تحقق استحقاق الثواب وكذا في الكفر، فان كفر بعد الايمان كان كفره =

جهادهم الذي لم يقارنه إيمان لم يستحقّوا عليه ثواباً ﴿وكان ذلك﴾ الاحباط او كان نفاقهم ﴿على الله يسيراً﴾ أي هيّناً ثم وصف سبحانه هؤلاء المنافقين فقال ﴿يحسبون الأحزاب لم يذهبوا﴾ أي يظنّون ان الجماعات من قريش وغطفان وأسد واليهود الذين تحزّبوا على رسول الله ﷺ لم ينصرفوا وقد انصرفوا وإنما ظنّوا ذلك لجبنهم وفرط حبّهم قهر المسلمين ﴿وإن يأت الأحزاب﴾ أي وإن يرجع الأحزاب إليهم ثانية للقتال ﴿يودّوا لو انهم بادون في الاعراب يسئلون عن أنبائكم﴾ أي يود هؤلاء المنافقون ان يكونوا في البادية مع الأعراب يسألون عن أخباركم ولا يكونوا معكم حذراً من القتل وتربّصاً للدوائر ﴿ولو كانوا فيكم ماقاتلوا إلا قليلاً﴾ أي ولو كان هؤلاء المنافقون معكم وفيكم لم يقاتلوا معكم إلا قدراً يسيراً ليوهموا انهم في جملتكم لا لينصروكم ويجاهدوا معكم وقيل معناه قتالاً قليلاً رياء وسمعة من غير احتساب ولو كان هؤلاء المنافقون معكم وفيكم لم يقالتوا معكم إلا قدراً يسيراً ليوهموا انهم في جملتكم لا لينصروكم ويجاهدوا معكم وقيل معناه قتالاً قتليلاً رياء وسمعة من غير احتساب ولو كان الله تعالى لم يكن قليلاً عن الجبائي ومقاتل .

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ
ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ
كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا
ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا
وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ
فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾
لِّيَجْزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ

= اللاحق كاشفاً عن أنه لم يكن مؤمناً سابقاً ولم يكن مستحقاً للثواب عليه واطلاق المؤمن عليه بحسب اللفظ الظاهر، وهذا مذهب جمع من الإمامية رضوان الله عليهم في الاحباط وإن شئت مزيد تحقيق في الباب فراجع كتاب بحار الأنوار ج ١٥ : ص ١٦٩ .

أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا ۚ وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ ۚ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾

[القراءة] قرأ عاصم أسوة بضم الألف حيث كان في جميع القرآن والباقون بكسر الألف وهما لغتان ومعناهما قدوة.

[اللغة] النحب النذر قال بشر بن ابي حازم .

وَإِنِّي وَالْهِجَاءُ لِآلِ لَأْمٍ كَذَاتِ النَّحْبِ تُوفِي بِالنُّذُورِ

والنحب الموت قال ذو الرمة :

عَشِيَّةَ مَرَّ الْحَارِثِيُّونَ بَعْدَمَا قَضَى نَحْبَهُ فِي مُلْتَقَى الْخَيْلِ هَوْبَرُ

وهوبر اسم رجل والنحب الخطر قال جرير :

بِطِخْفَةَ جَالَدْنَا الْمُلُوكَ وَخَيْلُنَا عَشِيَّةَ بِسْطَامٍ جَرَيْنَ عَلَى نَحْبِ (١)

أي على خطر والنحبْ المد في السير يوماً وليلة .

[المعنى] ثم حثَّ سبحانه على الجهاد والصبر عليه فقال ﴿لقد كان لكم﴾ معاشر المكلفين ﴿في رسول الله أسوة حسنة﴾ أي قدوة صالحة يقال لي في فلان أسوة أي لي به اقتداء والأسوة من الإتساء كما ان القدرة من الاقتداء اسم وضع موضع المصدر والمعنى كان لكم برسول الله اقتداء لو اقتديتم به في نصرته والصبر معه في مواطن القتال كما فعل هو يوم أحد إذ انكسرت رباعيته وشجَّ حاجبه وقتل عمّه فواسكم مع ذلك بنفسه فهلاّ فعلتم مثل ما فعله هو وقوله لمن كان يرجو الله بدل من قوله لكم وهو تخصيص بعد العموم للمؤمنين يعني ان الأسوة برسول الله إنما تكون ﴿لمن كان يرجوا الله﴾ أي يرجو ما عند الله من الثواب والنعيم عن ابن عباس وقيل معناه يخشى الله ويخشى البعث الذي فيه جزاء الأعمال وهو قوله ﴿واليوم الآخر﴾ عن مقاتل ﴿وذكر الله كثيراً﴾ أي ذكراً كثيراً وذلك ان ذاكر الله متّبع لأوامره بخلاف الغافل عن ذكره ثم عاد سبحانه إلى ذكر الأحزاب فقال ﴿ولما رأى المؤمنون

(١) طخفة: اسم موضع . والمجالدة: المضاربة .

الأحزاب﴾ أي ولمّا عاين المصدّقون بالله ورسوله الجماعة التي تحزّبت على قتال النبي ﷺ مع كثرتهم ﴿قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله﴾ اختلف في معناه على قولين (أحدهما) ان النبي ﷺ كان قد اخبرهم انه يتظاهر عليهم الأحزاب ويقاتلونهم ووعدهم الظفر بهم فلما رأوهم تبيّن لهم مصداق قوله وكان ذلك معجزاً له ﴿وما زادهم﴾ مشاهدة عدوّهم ﴿إلا إيماناً﴾ أي تصديقاً بالله ورسوله ﴿وتسليماً﴾ لأمره عن الجبائي (والآخر) ان الله تعالى وعدهم في سورة البقرة بقوله ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا﴾ الى قوله ﴿إن نصر الله قريب﴾ ﴿ما سيكون من الشدة التي تلحقهم من عدوّهم فلما رأوا الأحزاب﴾ يوم الخندق قالوا هذه المقالة علما منهم انه لا يصيبهم إلا ما أصاب الأنبياء والمؤمنين قبلهم وزادهم كثرة المشركين تصديقاً ويقيناً وثباتاً في الحرب عن قتادة وغيره ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾ أي بايعوا أن لا يفرّوا فصدّقوا في لقائهم العدو ﴿فمنهم من قضى نحبه﴾ أي مات أو قتل في سبيل الله فأدرك ما تمنى فذلك قضاء النحب وقيل قضى نحبه معناه فرغ من عمله ورجع إلى ربه يعني من استشهد يوم أحد عن محمد بن إسحاق وقيل معناه قضى أجله على الوفاء والصدق عن الحسن وقال ابن قتيبة أصل النحب النذر وكان قوماً نذروا إن يلقوا العدو أن يقاتلوا حتى يقتلوا أو يفتح الله فقتلوا فقيل فلان قضى نحبه إذا قتل وروي عن أنس بن مالك ان عمّه غاب عن قتال بدر فقال غبت عن اول قتال قاتله رسول الله مع المشركين لئن أراني الله قتالاً للمشكرين ليرين الله ما أصنع فلما كان يوم احد انكشف المسلمون فقال اللهم اني عتذر اليك مما صنع هؤلاء يعني المسلمين وابرأ اليك مما جاء به هؤلاء يعني المشركين ثم تقدّم فلقيه سعد دون أحد فقال أنا معك قال سعد فلم استطع ان اصنع ما صنع فوجد فيه بضع وثمانون ما بين ضربة بسيف وطعنة برمح ورمية بسهم كنّا نقول فيه وفي اصحابه نزلت فمنهم من قضى نحبه ﴿ومنهم من ينتظر﴾ رواه البخاري في الصحيح عن محمد بن سعيد المخزامي عن عبد الأعلى عن حميد بن أنس وقال ابن إسحاق فنهم من قضى نحبه من استشهد يوم بدر وأحد ومنهم من ينتظر ما وعد الله من نصرة أو شهادة على ما مضى عليه اصحابه ﴿وما بدّلوا تبديلاً﴾ أي ما غيّروا العهد الذي عاهدوا ربهم كما غيّر المنافقون قال ابن عباس من قضى نحبه حمزة بن عبد المطلب ومن قتل معه وأنس بن النضر واصحابه وقال الكلبي ما بدّلوا العهد بالصبر ولا نكثوه بالفرار وروي الحاكم ابو القاسم الحسكاني بالإسناد عن عمرو بن ثابت عن أبي إسحاق عن علي (ع) قال فينا نزلت رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فأنا والله المنتظر وما بدّلت تبديلاً ﴿ليجزي الله الصادقين بصدقهم﴾ أي صدق المؤمنون في عهودهم ليجزيهم الله بصدقهم ﴿ويعذب

المنافقين﴾ بنقض العهد ﴿إن شاء أو يتوب عليهم﴾ إن تابوا ويكون معناه انه سبحانه إن شاء قبل توبتهم واسقط عقابهم وإن شاء لم يقبل توبتهم وعذّبهم فإن اسقاط العذاب على المذهب الصحيح بالتوبة فتضل من الله تعالى لا يجب عقلاً وإنما علمنا ذلك بالسمع والاجماع على ان الله سبحانه يفعل ذلك فالآية قاضية بما يقتضيه العقل من الحكم ويؤكّد ذلك قوله ﴿إن الله كان غفوراً رحيماً﴾ لأن المدح إنما يحصل إذا رحم سبحانه من يستحق العقاب ويغفر ما جاز له المؤاخذة به ولا مدح في مغفرة ورحمة من يجب عليه غفرانه ورحمته وقيل معناه ويعذّب المنافقين بعذاب عاجل في الدنيا إن شاء أو يتوبوا عن الجبائي ثم عاد سبحانه إلى تعداد نعمه فقال ﴿وردَّ الله الذين كفروا﴾ يعني الأحزاب أبا سفيان وجنوده وغطفان ومن معهم من قبائل العرب ﴿بغيظهم﴾ أي بغمّهم الذي جاءوا به وحنقهم لم يشفوا بنيل ما أرادوا و ﴿لم ينالوا خيراً﴾ أملوه وأرادوه من الظفر بالنبي والمؤمنين وإنما سمّاه خيراً لأن ذلك كان خيراً عندهم وقيل أراد بالخير المال كما في قوله وانه لحب الخير لشديد ﴿وكفى الله المؤمنين القتال﴾ أي مباشرة القتال بما أنزل الله على المشركين من الريح الشديد الباردة التي أزعجتهم عن أماكنهم وبما ارسل من الملائكة وبما قذف في قلوبهم من الرعب وقيل بعلي بن أبي طالب (ع) وقتله عمرو بن عبدود وكان ذلك سبب هزيمة القوم عن عبد الله بن مسعود وهو المروي عن أبي عبد الله (ع) ﴿وكان الله قوياً﴾ أي قادراً على ما يشاء ﴿عزيزاً﴾ لا يمتنع عليه شيء من الأشياء وقيل قوياً في ملكه وسلطانه عزيزاً في قهره وانتقامه.

﴿ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ
مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ
وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ
وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾

[اللغة] المظاهرة المعاونة وهي زيادة القوة بأن يكون المعاون ظهيراً لصاحبه في الدفع عنه والظهير المعين والصياصي الحصون التي يمتنع بها واحدتها صيصية يقال جذ الله صيصية فلان أي حصنة الذي يمتنع به وكل ما امتنع به فهو صيصية ومنه يقال لقرون البقر

والظباء صياصي ويقال ايضاً لشوكة الديك وشوكة الحايك صيصية قال «كَوَقْعِ الصَّيَاصِي فِي النَّسِيجِ الْمُمَدَّدِ»[١] .

[المعنى] ثم ذكر سبحانه ما فعل باليهود من بني قريظة فقال ﴿وأنزل الذي ظاهروهم﴾ أي عاونوا المشركين من الأحزاب ونقضوا العهد الذي بينهم وبين رسول الله ﷺ ان لا ينصروا عليه عدوّاً من أهل الكتاب يعني من اليهود واتّفق المفسرون على انهم بنو قريظة إلا الحسن فإنه قال هم بنو النضير والأول أصح وأليق بسياق الآيات لأن بني النضير لم يكن لهم في قتال أهل الأحزاب شيء وكانوا قد انجلوا قبل ذلك ﴿من صياصيهم﴾ أي من حصونهم ﴿وقذف في قلوبهم الرعب﴾ أي القى في قلوبهم الخوف من النبي ﷺ واصحابه المؤمنين ﴿فريقاً تقتلون﴾ منهم يعني الرجال ﴿تأسرون فريقاً﴾ يعني الذراري والنساء ﴿وأورثكم ارضهم﴾ أي واعطاكم ارضهم ﴿وديارهم واموالهم وارضا لم تطؤوها﴾ أي وأورثكم ارضاً لم تطؤوها بأقدامكم بعد وسيفتحها الله عليكم وهي خيبر فتحها الله عليهم بعد بني قريظة عن ابن زيد ويزيد بن رومان ومقاتل وقيل هي مكة عن قتادة وقيل هي الروم وفارس عن الحسن وقيل هي كل ارض تفتح إلى يوم القيامة عن عكرمة وقيل هي ما افاء الله على رسوله مما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب عن أبي مسلم ﴿وكان الله على كل شيء قديراً﴾ ظاهر المعنى . . .

[القصة] روي الزهري عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه قال لما انصرف النبي ﷺ مع المسلمين عن الخندق ووضع عنه اللّأمة[٢] واغتسل واستحم تبدّي له جبرائيل (ع) فقال عذيرك من محارب[٣] ألا اراك قد وضعت عنك اللّأمة وما وضعناها بعد فوثب رسول الله ﷺ فزعاً فعزم على الناس أن لا يصلّوا صلاة العصر حتى يأتوا قريظة فلبس الناس السلاح فلم يأتوا بنو قريظة حتى غربت الشمس واختصم الناس فقال بعضهم ان رسول الله ﷺ عزم علينا ان لا نصلي حتى نأتي قريظة فإنما نحن في عزمة رسول الله فليس علينا اثم وصلّى طائفة من الناس احتساباً وتركت طائفة منهم الصلاة حتى غربت الشمس فصلّوها حين جاءوا بني قريظة احتساباً فلم يعنف رسول الله ﷺ واحداً من الفريقين

(١) هذا عجز بيت لدريد بن صمة في قصيدة له يقولها في رثاء اخيه وصدره «نظرت اليه والرماح تنوشه» وفي اللسان «فجئت اليه والرماح . . . .» وتنوشه : اي تتنازله من قريب شبه وقوع الرماح على أخيه بوقوع شوك النساج في نسيجه.

(٢) اللامة : الدرع وقيل السلاح .

(٣) عذيرك من فلان أي هات من يعذرك فيه، فعيل بمعنى فاعل.

وذكر عروة انه بعث علي بن ابي طالب (ع) على المقدم ودفع اليه اللواء وأمره أن ينطلق حتى يقف بهم على حصن بني قريظة ففعل وخرج رسول الله ﷺ على آثارهم فمرّ على مجلس من الانصار في بني غنم ينتظرون رسول الله ﷺ فزعموا انه قال مرّ بكم الفارس آنفاً فقالوا مرّ بنا دحية الكلبي على بغلة شهباء تحته قطيفة ديباج فقال رسول الله ﷺ ليس ذلك بدحية ولكنّه جبرائيل (ع) ارسل إلى بني قريظة ليزلزلهم ويقذف في قلوبهم الرعب قالوا وسار علي (ع) حتى إذا دنا من الحصن سمع منهم مقالة قبيحة لرسول الله ﷺ فرجع حتى لقي رسول الله ﷺ بالطريق فقال يا رسول الله لا عليك ان لا تدنو من هؤلاء الأخابث قال اظنّك سمعت لي منهم اذى فقال نعم يا رسول الله فقال لو قد رأوني لم يقولوا من ذلك شيئاً فلما دنا رسول الله ﷺ من حصونهم قال يا اخوة القردة والخنازير هل اخزاكم الله وانزل بكم نقمته فقالوا يا ابا القاسم ما كنت جهولاً وحاصرهم رسول الله ﷺ خمسا وعشرين ليلة حتى اجهدهم الحصار وقذف الله في قلوبهم الرعب وكان حيي بن اخطب دخل مع بني قريظة في حصنهم حين رجعت قريش وغطفان فلما ايقنوا ان رسول الله ﷺ غير منصرف عنهم حتى يناجزهم قال كعب بن أسد يا معشر يهود قد نزل بكم من الأمر ما ترون واني عارض عليكم خلالاً ثلاثا فخذوا ايّها شئتم قالوا ما هنّ قال نبايع هذا الرجل ونصدقّه فوالله لقد تبيّن لكم انه نبيٌّ مرسل وانه الذي تجدونه في كتابكم فتأمنوا على دمائكم واموالكم ونسائكم فقالوا لا نفارق حكم التوراة ابداً ولا نستبدل به غيره قال فإذا أبيتم علي هذا فهلمّوا فلنقتل ابناءنا ونساءنا ثم نخرج إلى محمد رجالاً مصلتين بالسيوف ولم نترك وراءنا ثقلاً يهمّنا حتى يحكم الله بيننا وبين محمد فإن نهلك نهلك ولم نترك وراءنا نسلاً يهمّنا وان نظهر لنجدنّ النساء والابناء فقالوا نقتل هؤلاء المساكين فما خير في العيش بعدهم قال فإذا ابيتم علي هذه فإن الليلة ليلة السبت وعسى أن يكون محمد واصحابه قد امنوا فيها فانزلوا فعلّنا نصيب منهم غرة فقالوا نفسد سبتّنا ونحدث فيها ما احدث من كان قبلنا فأصابهم ما قد علمت من المسخ فقال ما بات رجل منكم منذ ولدته امه ليلة واحدة من الدهر حازماً قال الزهري وقال رسول الله ﷺ حين سألوه ان يحكم فيهم رجلاً اختاروا من شئتم من اصحابي فاختاروا سعد بن معاذ فرضي بذلك رسول الله ﷺ فنزلوا على حكم سعد بن معاذ فأمر رسول الله ﷺ بسلاحهم فجعل في قبته وامر بهم فكتفوا واوثقوا وجعلوا في دار اسامة وبعث رسول الله ﷺ إلى سعد بن معاذ فجيء به فحكم فيهم بأن يقتل مقاتليهم وتسبى ذراريهم ونساؤهم وتغنم اموالهم وان عقارهم للمهاجرين دون الانصار وقال للانصار انكم ذوو عقار وليس للمهاجرين عقار فكبّر رسول الله وقال لسعد لقد حكمت فيهم بحكم الله عز وجل وفي بعض الروايات لقد حكمت فيهم

بحكم الله من فوق سبعة ارقعة وارقعة جمع رقيع اسم سماء الدنيا فقتل رسول الله ﷺ مقاتليهم وكانوا فيما زعموا ستمائة مقاتل وقيل قتل منهم اربع مائة وخمسين رجلاً وسبى سبعمائة وخمسين وروي انهم قالوا لكعب بن اسد وهمُ يذهب بهم الى رسول الله ﷺ ارسالاً يا كعب ما ترى يصنع بنا فقال كعب أفي كل موطن تقولون الا ترون ان الداعي لا ينزع ومن يذهب منكم لا يرجع هو والله القتل وأتى بحيي بن اخطب عدوّ الله عليه حلّة فاختية قد شقّها عليه من كل ناحية كموضع الأنملة لئلا يسلبها مجموعة يداه إلى عنقه بحبل فلما بصر برسول الله ﷺ فقال اما والله مالمت نفسي على عداوتك ولكنه من يخذل الله يخذل ثم قال ايها الناس انه لا بأس بأمر الله كتاب الله وقدره ملحمة كتبت على بني اسرائيل ثم جلس فضرب عنقه ثم قسّم رسول الله ﷺ نساءهم وابناءهم واموالهم على المسلمين وبعث بسبايا منهم إلى نجد مع سعد بن زيد الانصاري فابتاع بهم خيلاً وسلاحاً قالوا فلما انقضى شأن بني قريظة انفجر جرح سعد بن معاذ فرجعه رسول الله ﷺ إلى خيمته التي ضربت عليه في المسجد وروي عن جابر بن عبد الله قال جاء جبرائيل (ع) إلى رسول الله ﷺ فقال من هذا العبد الصالح الذي مات فتحت له ابواب السماء وتحرّك له العرش فخرج رسول الله ﷺ فإذا سعد بن معاذ قد قبض .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ * وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾

[القراءة] قرأ ابن كثير وابن عامر نضعف بالنون والتشديد العذاب بالنصب وقرأ ابو

جعفر وأهل البصرة يضعف بالياء والتشديد العذاب بالرفع والباقون يضاعف ، بالياء والألف وفتح العين وقرأ أهل الكوفة غير عاصم ومن يقنت ويعمل صالحاً يؤتها الجميع بالياء وقرأ روح وزيد من تأت ومن تقنت وتعمل كلها بالتاء تؤتها بالنون والباقون من يات ومن يقنت بالياء وتعمل بالتاء ونؤتها بالنون .

[الحجة] قال أبو علي ضاعف وضعف بمعنى فمن لم يسم الفاعل اسند الفعل الى العذاب ومن قرأ بكسر العين فالفعل مسند إلى ضمير اسم الله تعالى ومعنى يضاعف لها العذاب ضعفين انها لما تشاهد من الزواجر الرادعة عن مواقعة الذنوب ينبغي ان يمتنع منها اكثر مما يمتنع من لا يشاهد ذلك وقال يضاعف لها العذاب فعاد الضمير إلى معنى من دون لفظه ولو عاد على لفظه لذكّره ومن قرأ يقنت بالياء فلأن الفعل مسند إلى ضمير من ولم يتبين فاعل الفعل بعد فلما ذكر ما دلّ على ان الفعل لمؤنث حمل على المعنى فأنّث وكذلك قوله من آمن بالله ثم قال فلا خوف عليهم ومن قرأ كل ذلك بالياء فإنه حمل على اللفظ دون المعنى ومن قرأ من تأت بالتاء حمل على المعنى فكأنه قال أيّة امرأة منكن اتت بفاحشة أو تأت بفاحشة ومثله في الكلام كثير للبيان كقوله سبحانه ومنهم من يستمعون اليك وقول الفرزدق.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

تَعَشَّ فَإِنْ عَاهَدْتَنِي لا تَخُونُنِي نَكُنْ مِثْلَ مَنْ يَا ذِئْبُ يَصْطَحِبَانِ(١)

أي مثل اللذين يصطحبان قال ابن جني ان تكون من هنا على الصلة اولى من ان تكون على الصفة.

[اللغة] الضعف مثل الشيء الذي يضمّ اليه يقال ضاعفته أي زدت عليه مثله ومنه الضعف وهو نقصان القوة بأن يذهب احد ضعفيها فهو ذهاب ضعف القوة .

[النزول] قال المفسّرون ان ازواج النبي ﷺ سألنه شيئاً من عرض الدنيا وطلبن منه زيادة في النفقة وآذينه لغيرة بعضهن على بعض فآلى رسول الله ﷺ منهن شهراً فنزلت آية التخيير وهو قوله قل لأزواجك وكُنَّ يومئذ تسعاً عائشة وحفصة وأم حبيبة بنت أبي سفيان وسودة بنت زمعة وأم سلمة بنت أبي أميةفهؤلاء من قريش وصفية بنت حيي الخيبرية وميمونة بنت

(١) تعش امر من تعشى : اكل العشاء وفي رواية سيبويه في الكتاب ج ١ ص ٤٠٤ «تعال» مكان «تعيش» وهذا البيت من أبيات قالها في وصف ذئب اتاه ليلاً في بعض اسفاره لما رأى ناره ثم رمى اليه وكان يخاطبه ويقول له : فان عاهدتني لا تؤذيني نكن كالرجلين المصطحبين اي كالصاحبين بأن لا تؤذيني ولا او.

الحارث الهلالية وزينب بنت جحش الأسدية وجويرية بنت الحارث المصطلقية وروى الواحدي بالاسناد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان رسول الله ﷺ جالساً مع حفصة فتشاجرا بينهما فقال لها هل لك ان اجعل بيني وبينك رجلاً قالت نعم فأرسل الى عمر فلما ان دخل عليهما قال لها تكلّمي فقالت يا رسول الله تكلم ولا تقل إلا حقاً فرفع عمر يده فوجأ وجهها ثم رفع يده فوجأ وجهها فقال له النبي ﷺ كفّ فقال عمر يا عدوة الله النبي لا يقول إلا حقاً والذي بعثه بالحق لولا مجلسه ما رفعت يدي حتى تموتي فقام النبي ﷺ فصعد إلى غرفة فمكث فيها شهراً لا يقرب شيئاً من نسائه يتغدّى ويتعشّى فيها فأنزل الله تعالى هذه الآيات .

[المعنى] ثم عاد سبحانه إلى ذكر نساء النبي ﷺ فقال مخاطباً لنبيّه ﷺ آمراً له أن يخيّر ازواجه فقال ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها﴾ أي سعة العيش في الدنيا وكثرة المال﴿فتعالين أمتعكن﴾ أي اعطكن متعة الطلاق وقد مرَّ بيانها في سورة البقرة وقيل امتعكن بتوفير المهر ﴿واسرحكن﴾ اي اطلقكن ﴿سراحاً جميلا﴾ والسراح الجميل الطلاق من غير خصومة ولا مشاجرة بين الزوجين ﴿وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة﴾ أي وان اردتن طاعة الله وطاعة رسوله والصبر على ضيق العيش والجنة ﴿فإن الله أعد للمحسنات﴾ اي العارفات المريدات الإحسان المطيعات له ﴿منكن أجراً عظيماً﴾ واختلف في هذا التخيير فقيل انه خيرّهنَّ بين الدينا والآخرة فإن هنَّ اخترن الدنيا ومحبتها استأنف حينئذ طلاقهن بقوله امتعكن واسرحكن سراحاً جميلاً عن الحسن وقيل خيرّهن بين الطلاق والمقام معه عن مجاهد والشعبي وجماعة من المفسرين واختلف العلماء في حكم التخيير على اقوال (أحدها) ان الرجل إذا خيرَّ امرأته فاختارت زوجها فلا شيء وإن اختارت نفسها تقع تطليقة واحدة وهو قول عمر بن الخطاب وابن مسعود واليه ذهب أبو حنيفة واصحابه (وثانيها) انه إذا اختارت نفسها تقع ثلاث تطليقات وإن اختارت زوجها تقع واحدة وهو قول زيد بن ثابت واليه ذهب مالك (وثالثها) انه ان نوى الطلاق كان طلاقاً وإلا فلا وهو مذهب الشافعي (ورابعها) انه لا يقع بالتخيير طلاق وإنما كان ذلك للنبي ﷺ خاصة ولو اخترن انفسهن لمّا خيرّهن لبنَّ منه فأما غيره فلا يجوز له ذلك وهو المروي عن ائمتنا (ع) ثم خاطب سبحانه نساء النبي ﷺ فقال ﴿يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة﴾ اي بمعصية ظاهرة ﴿يضاعف لها العذاب﴾ في الآخرة ﴿ضعفين﴾ اي مثلي ما يكون على غيرهنَّ وذلك لأن نعم الله سبحانه عليهن اكثر لمكان النبي ﷺ منهن ولنزول الوحي في بيوتهن فإذا كانت النعمة عليهن اعظم واوفر كانت المعصية منهن افحش والعقوبة بها اعظم واكثر وقال ابو عبيدة الضعفان ان يجعل الواحد ثلاثة فيكون عليهن ثلاثة حدود لأن ضعف

لواحد مثله وضعفي الشيء مثلاه وقال غيره المراد بالضعف المثل فالمعنى انها يزاد في عذابها ضعف كما زيد في ثوابها ضعف في قوله نؤتها أجرها مرتين ﴿وكان ذلك على الله يسيراً﴾ اي كان عذابها على الله هيّنا عن مقاتل ﴿ومن يقنت منكن لله ورسوله﴾ اي ومن يطع الله ورسوله والقنوت الطاعة وقيل معناه من يواظب منكن على الطاعة لله ولرسوله ومنه القنوت في الصلاة وهو المداومة على الدعاء المعروف ﴿وتعمل صالحاً﴾ فيما بينها وبين ربّها ﴿نؤتها أجرها مرتين﴾ أي نؤتها ثوابها مثلي ثواب غيرها وروى ابو حمزة الثمالي عن زيد بن علي (ع) انه قال اني لأرجو للمحسن منّا أجرين وأخاف على المسيء منا أن يضاعف له العذاب ضعفين كما وعد ازواج النبي ﷺ وروى محمد بن ابي عمير عن إبراهيم ابن عبد الحميد عن علي بن عبد الله بن الحسين عن ابيه عن علي بن الحسين زين العابدين انه قال له رجل انكم اهل بيت مغفور لكم قال فغضب وقال نحن احرى ان يجزي فينا ما أجرى الله في ازواج النبيّ ﷺ من أن نكون كما تقول إنا نرى لمحسننا ضعفين من الأجر ولمسيئنا ضعفين من العذاب ثم قرأ الآيتين ﴿وأعتدنا لها رزقاً كريماً﴾ أي عظيم القدر رفيع الخيار وقيل ان الرزق الكريم ما سلم من كل آفة وقيل هو الثواب الذي لا يحسن الابتداء بمثله .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ

وَالصَّٰدِقَٰتِ وَالصَّٰبِرِينَ وَالصَّٰبِرَٰتِ وَالْخَٰشِعِينَ
وَالْخَٰشِعَٰتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَٰتِ وَالصَّٰٓئِمِينَ
وَالصَّٰٓئِمَٰتِ وَالْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَٰفِظَٰتِ وَالذَّٰكِرِينَ
اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾

[القراءة] قرأ أهل المدينة وعاصم وقرن بفتح القاف وقرأ الباقون وهبيرة عن حفص عن عاصم وقرن بكسر القاف وفي الشواذ قراءة الأعرج وابان بن عثمان فيطمع الذي بكسر العين .

[الحجة] قال أبو علي قوله وقِرْنَ لا يخلو أما أن يكون من القرار أو من الوقار فإن كان من الوقار فهو مثل عِدن وكِلن مما يحذف فيه الفاء وهي واو فيبقى من الكلمة عِلْنَ وإن كان من القرار فيكون الأمر اقررن فيبدل من العين الياء كراهة التضعيف كما أبدل في قيراط ودينار فيصير لها حركة الحرف المبدل منه ثم تلقى الحركة على الفاء فتسقط همزة الوصل لتحرك ما بعدها فتقول قرن لأن حركة الراء كانت كسرة في تقرأ لا ترى أن القاف متحرك بها وأما من فتح فقال قَرْنَ فمن لم يجز قررت بالمكان أقر وإنما يقول قررت أقِرُّ فإن فتح الفاء عنده لا يجوز ومن أجاز ذلك جاز على قوله قرن كما جاز قرن وهي لغة حكاها الكسائي وقال أبو عثمان يقال قررت به عيناً أقر ولا يقال قررت في هذا المعنى وقررت في المكان فأنا أقر فيه يقال قررت في هذا المعنى ومن قرأ فيطمع الذي بالكسر فهو معطوف على فلا تخضعن أي فلا يطمع الذي في قلبه مرض فكلاهما منهي عنه إلا أن النصب أقوى لأنه يكون بمعنى أن طمعه مسبب عن خضوعهن بالقول وإذا كان عطفاً كان نهياً لهن وله وليس فيه دليل على أن الطمع واقع من أجلهن .

[اللغة] التبرج إظهار المرأة محاسنها مأخوذ من البرج وهو السعة في العين وطعنة برجاء واسعة وفي أسنانه برج إذا تفرق ما بينها .

[الإعراب] قوله ليذهب اللام يتعلق بمحذوف تقديره وإرادته ليذهب ويجوز أن يتعلق بيريد . أهل البيت منصوب على المدح تقديره أعني أهل البيت ويجوز أن يكون منادى مضافاً ويجوز في العربية جرّ اللام ورفعها فالجرّ على أن يكون بدلاً من كم والرفع

على المدح .

[المعنى] ثم أظهر سبحانه فضيلتهن على سائر النسوان بقوله ﴿ يا نساء النبي لستن كأحد من النساء ﴾ قال الزجاج لم يقل كواحدة من النساء لأن أحداً للنفي العام وقال ابن عباس معناه ليس قدركنّ عندي كقدر غيركن من النساء الصالحات أنتن أكرم عليَّ فأنا بكنّ أرحم وثوابكنّ أعظم لمكانكنّ من رسول الله ﷺ ﴿ إن اتقيتنّ ﴾ الله شرط عليهن التقوى ليبيّن سبحانه أن فضيلتهن بالتقوى لا باتصالهن بالنبي ﷺ ﴿ فلا تخضعن بالقول ﴾ أي لا ترققن القول ولا تلنّ الكلام للرجال ولا تخاطبن الأجانب مخاطبة تؤدّي إلى طمعهم فتكن كما تفعل المرأة التي تظهر الرغبة في الرجال ﴿ فيطمع الذي في قلبه مرض ﴾ أي نفاق وفجور عن قتادة وقيل من في قلبه شهوة للزنا عن عكرمة وقيل أن المرأة مندوبة إذا خاطبت الأجانب إلى الغلظة في المقالة لأن ذلك أبعد من الطمع في الريبة ﴿ وقلن قولاً معروفاً ﴾ أي مستقيماً جميلاً بريئاً من التهمة بعيداً من الريبة موافقاً للدين والإسلام ﴿ وقرن في بيوتكن ﴾ أمرهنّ بالاستقرار في بيوتهن والمعنى اثبتن في منازلكن والزمنها وإن كان من وقر يقر فمعناه كنّ أهل وقار وسكينة ﴿ ولا تبرّجن تبرّج الجاهلية الأولى ﴾ أي لا تخرجن على عادة النساء اللاّتي في الجاهلية ولا تظهرن زينتكنّ كما كنّ يظهرن ذلك وقيل التبرج التبختر والتكبّر في المشي عن قتادة ومجاهد وقيل هو أن تلقي الخمار على رأسها ولا تشدّه فتواري قلائدها وقرطيها فيبدو ذلك منها عن مقاتل والمراد بالجاهلية الأولى ما كان قبل الإسلام عن قتادة وقيل ما كان بين آدم (ع) ونوح (ع) ثمان مائة سنة عن الحكم وقيل ما بين عيسى ومحمد عن الشعبي قال وهذا لا يقتضي أن يكون بعدها جاهلية في الإسلام لأن الأول اسم للسابق تأخّر عنه غيره أو لم يتأخر وقيل أن معنى تبرج الجاهلية الأولى أنهم كانوا يجوّزون أن تجمع امرأة واحدة زوجاً وخِلاً فتجعل لزوجها نصفها الأسفل ولخلّها نصفها الأعلى يقبّلها ويعانقها ثم قال ﴿ وأقمن الصلاة ﴾ أي أدّينها في أوقاتها بشرائطها ﴿ وآتين الزكاة ﴾ المفروضة في أموالكن ﴿ وأطعن الله ورسوله ﴾ فيما يأمرانكنّ به وينهانكنّ عنه ثم قال عز وجل ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً ﴾ قال ابن عباس الرجس عمل الشيطان وما ليس لله فيه رضى والبيت التعريف فيه للعهد والمراد به بيت النبوة والرسالة والعرب تسمي ما يلتجأ إليه بيتاً ولهذا سمّوا الأنساب بيوتاً وقالوا بيوتات العرب يريدون النسب قال :

أَلا يَا بَيْتُ بِالعَلْيَاءِ بَيْتُ ... وَلَوْلا حُبُّ أَهْلِكَ مَا أَتَيْتُ[1]

(١) العلياء : رأس الجبل . المكان العالي .

أَلا يَا بَيْتُ أَهْلُكَ أَوْعَدُونِي كَأَنِّي كُلَّ ذَنْبِهِمُ جَنَيْتُ

يريد بيت النسب وبيت النبوة والرسالة كبيت النسب قال الفرزدق :

بَيْتٌ زُرَارَةُ مُحْتَبٍ بِفِنَائِهِ وَمُجَاشِعٌ وَأَبُو الفَوَارِسِ نَهْشَلُ[1]
لا يَحْتَبِي بِفِنَاءِ بَيْتِكَ مِثْلُهُمْ أَبَداً إِذَا عُدَّ الفِعَالُ الأَكْمَلُ

وقيل البيت بيت الحرام وأهله هم المتقون على الإطلاق لقوله أن أولياؤه إلا المتقون وقيل البيت مسجد رسول الله ﷺ وأهله من مكّنه رسول الله ﷺ فيه ولم يخرجه ولم يسدَّ بابه وقد اتفقت الأمة بأجمعها على أن المراد بأهل البيت في الآية أهل بيت نبينا ﷺ ثم اختلفوا فقال عكرمة أراد أزواج النبي لأن أول الآية متوجّه إليهنّ وقال أبو سعيد الخدري وأنس بن مالك وواثلة بن الأسقع وعائشة وأم سلمة أن الآية مختصة برسول الله ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ذكر أبو حمزة الثمالي في تفسيره حدثني شهر بن حوشب عن أم سلمة قالت جاءت فاطمة (ع) الى النبي ﷺ تحمل حريرة لها فقال ادعي زوجك وابنيك فجاءت بهم فطعموا ثم ألقى عليهم كساءً له خيبرياً فقال اللهم هؤلاء أهل بيتي وعترتي فاذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً فقلت يا رسول الله وأنا معهم قال أنت إلى خير وروى الثعلبي في تفسيره أيضاً بالإسناد عن أم سلمة أن النبي ﷺ كان في بيتها فأتته فاطمة (ع) ببُرمة[2] فيها حريرة فقال لها ادعي زوجك وابنيك فذكرت الحديث نحو ذلك ثم قالت فأنزل الله تعالى ﴿ إنما يريد الله ﴾ الآية قالت فأخذ فضل الكساء فغشّاهم به ثم أخرج يده فألوى يده بها إلى السماء ثم قال اللهم هؤلاء أهل بيتي وحامتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً فأدخلت رأسي البيت وقلت وأنا معكم يا رسول الله قال إنك إلى خير أنك إلى خير وبإسناده قال مجمع دخلت مع أمي على عائشة فسألتها أمي أرأيت خروجك يوم الجمل قالت أنه كان قدراً من الله فسألتها عن علي (ع) فقالت تسأليني عن أحبّ الناس كان إلى رسول الله ﷺ وزوج أحبّ الناس كان إلى رسول الله ﷺ لقد رأيت علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً (ع) وجمع رسول الله ﷺ بثوب عليهم ثم قال اللهم هؤلاء أهل بيتي وحامتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً قالت فقلت يا رسول الله أنا من أهلك قال تنحّي فإنك إلي خير وبإسناده عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال نزلت هذه الآية في خمسة فيَّ وفي علي وحسن وحسين وفاطمة (ع) وأخبرنا السيد أبو الحمد قال حدثنا الحاكم أبو القاسم الحسكاني قال حدثونا عن أبي

---

(١) الاحتباء هو أن يجمع بين ظهره وساقيه بثوب ونحوه .
(٢) البرمة : القدر من الحجر .

بكر السبيعي قال حدثنا أبو عروة الحراني قال حدثنا ابن مصفي قال حدثنا عبد الرحيم بن واقد عن أيوب بن سيار عن محمد بن المنكدر عن جابر قالت نزلت هذه الآية على النبي ﷺ وليست في البيت إلا فاطمة والحسن والحسين (ع) وعليّ (ع) إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت فقال النبي ﷺ اللهم هؤلاء أهلي وحدثنا السيد أبو الحمد قال حدثنا الحاكم أبو القاسم بإسناده عن زاذان عن الحسن بن علي (ع) قال لما نزلت آية التطهير جمعنا رسول الله ﷺ وإياه في كساء لأم سلمة خيبري ثم قال اللهم هؤلاء أهل بيتي وعترتي والروايات في هذا كثيرة من طريق العامة والخاصة. لو قصدنا إلى إيرادها لطال الكتاب وفيما أوردناه كفاية واستدلت الشيعة على اختصاص الآية بهؤلاء الخمسة(ع) بأن قالوا إن لفظة إنما محققة لما أثبت بعدها، نافية لما لم يثبت فإن قول القائل إنما لك عندي درهم وإنما في الدار زيد يقتضي أنه ليس عنده سوى الدرهم وليس في الدار سوى زيد وإذا تقرر هذا فلا تخلو الإرادة في الآية أن تكون هي الإرادة المحضة أو الإرادة التي يتبعها التطهير واذهاب الرجس ولا يجوز الوجه الأول لأن الله تعالى قد أراد من كل مكلف هذه الإرادة المطلقة فلا اختصاص لها بأهل البيت دون سائر الخلق ولأن هذا القول يقتضي المدح والتعظيم لهم بغير شك وشبهة ولا مدح في الإرادة المجردة فثبت الوجه الثاني وفي ثبوته ثبوت عصمة المعنيّين بالآية من جميع القبائح وقد علمنا أن من عدا من ذكرناه من أهل البيت غير مقطوع على عصمته فثبت أن الآية مختصة بهم لبطلان تعلّقها بغيرهم ومتى قيل أن صدر الآية وما بعدها في الأزواج فالقول فيه أن هذا لا ينكره من عرف عادة الفصحاء في كلامهم فإنهم يذهبون من خطاب إلى غيره ويعودون إليه والقرآن من ذلك مملوء وكذلك كلام العرب وأشعارهم ثم عاد سبحانه إلى ذكر الأزواج فقال ﴿ واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة ﴾ معناه واشكرن الله تعالى إذ صيركنّ في بيوت يتلى فيها القرآن والسنة عن قتادة وقيل اذكرن أي احفظن ذلك وليكن منكنّ على بال أبداً لتعملن بموجبه وهذا حثّ لهنّ على حفظ القرآن والأخبار ومذاكرتهنّ بهما والخطاب وإن اختص بهنّ فغيرهنّ يشاركهن فيه لأن بناء الشريعة على القرآن والسنة ﴿ إن الله كان لطيفاً ﴾ بأوليائه ﴿ خبيراً ﴾ بجميع خلقه وقيل لطيفاً في تدبير خلقه وإيصال المنافع إليهم خبيراً بما يكون منهم ومصالحهم ومفاسدهم فيأمرهم بفعل ما فيه صلاحهم واجتناب ما فيه فسادهم قال مقاتل بن حيان لما رجعت أسماء بنت عميس من الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب (ع) دخلت على نساء رسول الله ﷺ فقالت هل نزل فينا شيء من القرآن قلن لا فأتت رسول الله ﷺ فقالت يا رسول الله إن النساء لفي خيبة وخسار فقال ﷺ ومم ذلك قالت لإنهن لا يذكرن بخير كما يذكر الرجال فأنزل الله تعالى هذه

الآية ﴿ إن المسلمين والمسلمات ﴾ أي المخلصين الطاعة لله والمخلصات من قوله ورجلاً سلماً لرجل أي خالصاً وقيل معناه إن الداخلين في الإسلام من الرجال والنساء وقيل يعني المستسلمين لأوامر الله والمنقادين له من الرجال والنساء ﴿ والمؤمنين والمؤمنات ﴾ أي والمصدقين بالتوحيد والمصدقات والإسلام والإيمان واحد عند أكثر المفسرين وإنما كرّر لاختلاف اللفظين وقيل انهما مختلفان فالإسلام الاقرار باللسان والإيمان التصديق بالقلب ويعضده قوله قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا وقيل الإسلام هو اسم الدين والإيمان التصديق به قال البلخي فسُر رسول الله ﷺ المسلم والمؤمن بقوله المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمؤمن من أمن جاره بوائقه[1] وما آمن بي من بات شبعان وجاره طاوٍ[2] ﴿ والقانتين والقانتات ﴾ يعني الدائمين على الأعمال الصالحات والدائمات وقيل يعني الداعين والداعيات ﴿ والصادقين ﴾ في إيمانهم وفيما ساءهم وسرُّهم ﴿ والصادقات والصابرين ﴾ على طاعة الله وعلى ما ابتلاهم الله به ﴿ والصابرات والخاشعين ﴾ أي المتواضعين الخاضعين لله تعالى ﴿ والخاشعات ﴾ وقيل معناه والخائفين والخائفات ﴿ والمتصدقين ﴾ أي المخرجين الصدقات والزكوات ﴿ والمتصدقات والصائمين ﴾ لله تعالى بنيّة صادقة ﴿ والصائمات والحافظين فروجهم ﴾ من الزنا وارتكاب الفجور ﴿ والحافظات ﴾ فروجهن فحذف لدلالة الكلام عليه ﴿ والذاكرين الله كثيراً والذاكرات ﴾ الله كثيراً وحذف أيضاً للدلالة عليه ﴿ أعدَّ الله لهم ﴾ أي لهؤلاء الموصوفين بهذه الصفات والخصال ﴿ مغفرة ﴾ لذنوبهم ﴿ وأجراً عظيماً ﴾ في الآخرة وروى أبو سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال إذا أيقظ الرجل أهله من الليل فتوضّئا وصليّا كتبا من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات وقال مجاهد لا يكون العبد من الذاكرين الله كثيراً حتى يذكر الله قائماً وقاعداً ومضطجعاً وروي عن أبي عبد الله (ع) أنه قال من بات على تسبيح فاطمة (ع) كان من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ

(١) أي غوائله وشروره واحدها بائقة وهي الداهية (٢) طوى يطوى بمعنى جاع فهو طاو أي خالي البطن جائع .

عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ
مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا
وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ
أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾
مَّا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ ۖ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ
خَلَوْا مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ
رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ
حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ
وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾

[القراءة] قرأ أهل الكوفة وهشام أن يكون بالياء والباقون بالتاء وقرأ عاصم وحده وخاتم النبيين بفتح التاء والباقون بكسرها .

[الحجة] قال أبو علي التذكير والتأنيث حسنان وهذه الآية تدل على أن ما في قوله يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة نفي وليست بموصولة ومن كسر التاء من خاتم فإنه ختمهم فهو خاتمهم ومن فتح التاء فمعناه آخر النبيين لا نبي بعده قال الحسن خاتم الذي ختم به قال المبرد خاتم فعل ماض على فاعل وهو في معنى ختم النبيين ونصب النبيين على هذا الوجه بأنه مفعول به وفي حرف عبد الله ولكن نبياً وختم النبيين .

[اللغة] قال الزجاج الخيرة التخيير وقال علي بن عيسى الخيرة إرادة اختيار الشيء على غيره والوطر الأرب والحاجة وقضاء الشهوة قال :

وَكَيْفَ ثَوَائِي فِي الْمَدِينَةِ بَعْدَمَا ... قَضَى وَطَراً مِنْهَا جَمِيلُ بْنُ مَعْمَرِ(١)

(١) ثوى ثواءاً بالمكان وفيه : أقام .

قال الخليل الوطر كل حاجة يكون لك فيها همة فإذا بلغها البالغ قيل قد قضى وطره وأربه .

[الإعراب] سنة الله منصوب على المصدر تقديره سنَّ الله له سنة. الذين يبلّغون يجوز أن يكون رفعاً على المدح تقديره هم الذين يبلغون رسالات الله ويجوز أن يكون نصباً على أعني الذين. ولكن رسولَ الله تقديره ولكن كان رسولَ الله وكان خاتمَ النبيين ولو قرىء رسولُ الله وخاتمُ النبيين بالرفع لجاز أي ولكن هو رسول الله وخاتم النبيين .

[النزول] نزلت في زينب بنت جحش الأسدية وكانت بنت أميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ فخطبها رسول الله ﷺ على مولاه زيد بن حارثة ورأت أنه يخطبها على نفسه فلما علمت أنه يخطبها على زيد أبت وأنكرت وقالت أنا ابنة عمتك فلم أكن لأفعل وكذلك قال أخوها عبد الله بن جحش فنزل ﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة ﴾ الآية يعني عبد الله بن جحش واخته زينب فلما نزلت الآية قالت رضيت يا رسول الله وجعلت أمرها بيد رسول الله ﷺ وكذلك أخوها فأنكحها رسول الله ﷺ زيداً فدخل بها وساق إليها رسول الله ﷺ عشرة دنانير وستين درهماً مهراً وخماراً وملحفة ودرعاً وإزاراً وخمسين مداً من طعام وثلاثين صاعاً من تمر عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وقالت زينب خطبني عدة من قريش فبعثت أختي حمنة بنت جحش إلى رسول الله ﷺ أستشيره فأشار بزيد فغضبت أختي وقالت تزوج بنت عمتك مولاك ثم أعلمتني فغضبت أشدّ من غضبها فنزلت الآية فأرسلت إلى رسول الله ﷺ وقلت زوّجني ممَّن شئت فزوّجني من زيد وقيل نزلت في أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط وكانت وهبت نفسها للنبي ﷺ فقال قد قبلت وزوّجها زيد بن حارثة فسخطت هي وأخوها وقالا إنما أردنا رسول الله ﷺ فزوّجنا عبده فنزلت الآية عن ابن زيد وذكر علي بن إبراهيم في تفسيره أن رسول الله ﷺ كان شديد الحبّ لزيد وكان إذا أبطأ عليه زيد أتى منزله فيسأل عنه فأبطأ عليه يوماً فأتي رسول الله ﷺ منزله فإذا زينب جالسة وسط حجرتها تسحق طيباً بفهر لها[1] قال فدفع رسول الله ﷺ الباب فلما نظر إليها قال سبحان الله خالق النور تبارك الله أحسن الخالقين ورجع فجاء زيد وأخبرته زينب بما كان فقال لها لعلك وقعت في قلب رسول الله ﷺ فهل لك أن أطلقك حتى يتزوجك رسول الله ﷺ فقالت أخشى إن تطلقني ولا يتزوجني فجاء زيد إلى رسول الله ﷺ تمام القصة فنزلت الآية وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه الآية .

(١) الفهر: الحجر قدر ما يدق به الجوز أو يملأ الكف .

[المعنى] لمّا تقدّم ذكر نساء النبي ﷺ عقّبه سبحانه بذكر زيد وزوجته فقال ﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله ﴾ أي إذا أوجب الله ورسوله ﴿ أمراً ﴾ وألزماه وحكما به ﴿ أن يكون لهم الخيرة ﴾ أي الاختيار ﴿ من أمرهم ﴾ على اختيار الله تعالى والمعنى أن كل شيء أمر الله تعالى به أو حكم به فليس لأحد مخالفته وترك ما أمر به إلى غيره ﴿ ومن يعص الله ورسوله ﴾ فيما يختاران له ﴿ فقد ضل ضلالاً مبيناً ﴾ أي ذهب عن الحق ذهاباً ظاهراً ثم خاطب النبي ﷺ فقال ﴿ وإذ تقول ﴾ أي واذكر يا محمد حين تقول ﴿ للذي أنعم الله عليه ﴾ بالهداية إلى الإيمان ﴿ وأنعمت عليه ﴾ بالعتق وقيل أنعم الله عليه بمحبة رسوله وأنعم الرسول عليه بالتبني عن السدي والثوري وهو زيد بن حارثة ﴿ أمسك عليك زوجك ﴾ يعني زوجك زينب تقول أحبسها ولا تطلقها وهذا الكلام يقتضي مشاجرة جرت بينهما حتى وعظه الرسول وقال له أمسكها ﴿ واتق الله ﴾ في مفارقتها ومضارتها ﴿ وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشيه ﴾ والذي أخفاه في نفسه هو أنه أن طلّقها زيد تزوّجها وخشي لائمة الناس أن يقولوا أمره بطلاقها ثم تزوّجها وقيل أن الذي أخفاه في نفسه هو أن الله سبحانه أعلمه أنها ستكون من أزواجه وأن زيداً سيطلّقها فلما جاء زيد وقال له أريد أن أطلق زينب قال له أمسك عليك زوجك فقال سبحانه لم قلت امسك عليك زوجك وقد أعلمتك أنها ستكون من أزواجك روي ذلك عن علي بن الحسين (ع) وهذا التأويل مطابق لتلاوة الآية وذلك أنه سبحانه أعلم أنه يبدي ما أخفاه ولم يظهر غير التزويج قال زوّجناكها فلو كان الذي أضمره محبتها أو إرادة طلاقها لأظهر الله تعالى ذلك مع وعده بأنه يبديه فدلّ ذلك على أنه إنما عوتب على قوله أمسك عليك زوجك مع علمه بأنها ستكون زوجته وكتمانه ما أعلمه الله به حيث استحيا أن يقول لزيد أن التي تحتك ستكون امرأتي قال البلخي ويجوز أن يكون أيضاً على ما يقولونه أن النبي استحسنها فتمنى أن يفارقها زيد فيتزوجها وكتم ذلك لأن هذا التمني قد طبع عليه البشر ولا حرج على أحد في أن يتمنى شيئاً استحسنه وقيل أنه إنما أضمر أن يتزوجها أن طلقها زيد من حيث أنها كانت ابنة عمته فأراد ضمّها إلى نفسه لئلا يصيبها ضيعة كما يفعل الرجل بأقاربه عن الجبائي قال فأخبر الله سبحانه الناس بما كان يضمره من إيثار ضمها إلى نفسه ليكون ظاهره مطابقاً لباطنه ولهذا المعنى قال ﷺ لأصحابه يوم فتح مكة وقد جاءه عثمان بعبد الله بن سعد بن أبي سرح يستأمنه منه وكان ﷺ قبل ذلك قد أهدر دمه وأمر بقتله فلما رأى عثمان استحيا من ردّه وسكت طويلاً ليقتله بعض المؤمنين ثم آمنه بعد تردد المسألة من عثمان وقال أما كان منكم رجل رشيد يقوم إلى هذا فيقتله فقال له عباد بن بشر يا رسول الله إن عيني ما زالت في عينك انتظار

أن تؤمي إليَّ فأقتله فقال أن الأنبياء لا تكون لهم خائنة أعين فلم يستحب الإشارة إلى قتل كافر وإن كان مباحاً وقيل كان النبي ﷺ يريد أن يتزوج بها إذا فارقها ولكنه عزم أن لا يتزوجها مخافة أن يطعنوا عليه فأنزل الله هذه الآية كيلا يمتنع عن فعل المباح خشية الناس ولم يرد بقوله ﴿ والله أحق أن تخشاه خشية التقوى ﴾ لأنه ﷺ كان يتقي الله حق تقاته ويخشاه فيما يجب أن يخشى فيه ولكنه أراد خشية الاستحياء لأن الحياء كان غالباً على شيمته الكريمة ﷺ كما قال سبحانه ﴿ ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحي منكم ﴾ وقيل أن زينب كانت شريفة فزوَّجها رسول الله ﷺ من زيد مولاه ولحقها بذلك بعض العار فأراد ﷺ أن يزيدها شرفاً بأن يتزوجها لأنه كان السبب في تزويجها من زيد فعزم أن يتزوج بها إذا فارقها وقيل أن العرب كانوا ينزلون الادعياء منزلة الأبناء في الحكم فأراد ﷺ أن يبطل ذلك بالكلية وينسخ سنة الجاهلية فكان يخفي في نفسه تزويجها لهذا الغرض كيلا يقول الناس أنه تزوَّج بامرأة ابنه ويقرفونه بما هو منزَّه عنه ولهذا قال أمسك عليك زوجك عن أبي مسلم ويشهد لهذا التأويل قوله فيما بعد ﴿ فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهم وطراً ﴾ ومعناه فلما قضى زيد حاجته من نكاحها فطلَّقها وانقضت عدتها ولم يكن في قلبه ميل إليها ولا وحشة من فراقها فإن معنى القضاء هو الفراغ من الشيء على التام زوجناكها أي أذنا لك في تزويجها وإنما فعلنا ذلك توسعة على المؤمنين حتى لا يكون عليهم إثم في أن يتزوّجوا أزواج أدعيائهم الذين تبنوهم إذا قضى الادعياء منهن حاجتهم وفارقوهن فبيَّن سبحانه أن الغرض في ذلك أن لا يجري المتبنى في تحريم امرأته إذا طلَّقها على المتبني مجرى الإبن من النسب والرضاع في تحريم امرأته إذا طلقها على الأب ﴿ وكان أمر الله مفعولاً ﴾ أي كائناً لا محالة وفي الحديث أن زينب كانت تفتخر على سائر نساء النبي وتقول زوَّجني الله من النبي وأنتن إنما زوَّجكنَّ أولياؤكن وروى ثابت عن أنس بن مالك قال لما انقضت عدة زينب قال رسول الله ﷺ لزيد اذهب فاذكرها علي قال زيد فانطلقت فقلت يا زينب أبشري قد أرسلني رسول الله ﷺ يذكرك ونزل القرآن وجاء رسول الله ﷺ فدخل عليها بغير إذن لقوله تعالى ﴿ زوجناكها ﴾ وفي رواية أخرى قال زيد فانطلقت فإذا هي تخمر عجينها فلما رأيتها عظمت في نفسي حتى ما أستطيع أن أنظر إليها حين علمت أن رسول الله ﷺ ذكرها فوليتها ظهري وقلت يا زينب أبشري أن رسول الله ﷺ يخطبك ففرحت بذلك وقالت ما أنا بصانعة شيئاً حتى أوامر ربي فقامت إلى مسجدها ونزل زوجناكها فتزوجها رسول الله ﷺ ودخل بها وما أولم على امرأة من نسائه ما أولم عليها ذبح شاة وأطعم الناس الخبز واللحم حتى امتد النهار وعن الشعبي قال كانت زينب تقول

للنبي ﷺ إني لأدل عليك بثلاث ما من نسائك امرأة تدل بهن جدّي وجدّك واحد وإني أنكحنيك الله في السماء وأن السفير لي جبرائيل (ع) ثم قال سبحانه ﴿ ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له ﴾ أي ما كان على النبي من اثم وضيق فيما أحلَّ الله له من التزويج بامرأة الابن المتبنى وقيل فيما فرض وأوجب عليه من التزويج بها ليبطل حكم الجاهلية في الادعياء ﴿ سنة الله في الذين خلوا من قبل ﴾ أي كسنة الله في الأنبياء الماضين وطريقته وشريعته فيهم في زوال الحرج عنهم وعن أممهم بما أحلَّ سبحانه لهم من ملاذهم وقيل في كثرة الأزواج كما فعله داود وسليمان (ع) وكان لداود مائة امرأة ولسليمان ثلاثمائة امرأة وسبعمائة سرية وقيل أشار بالسنة إلى أن النكاح من سنة الأنبياء كما قال النكاح من سنتي فمن رغب عنه فقد رغب عن سنتي ﴿ وكان أمر الله قدراً مقدورا ﴾ أي كان ما ينزله الله على أنبيائه من الأمر الذي يريده قضاء مقضياً وقيل معناه جارياً على مقدار لا يكون فيه تفاوت من جهة الحكمة وقيل أن القدر المقدر هو ما كان على مقدار ما تقدم من غير زيادة ولا نقصان وعليه قول الشاعر :

وَاعْلَمْ بِأَنَّ ذَا ٱلْجَلَالِ قَدْ قَدَرْ ... فِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُلَى ٱلَّتِي كَانَ سَطَرْ

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ثم وصف سبحانه الأنبياء الماضين واثنى عليهم فقال ﴿الذين يبلّغون رسالات الله﴾ اي يؤدّونها إلى من بعثوا اليهم ولا يكتمونها ﴿ويخشونه﴾ اي ويخافون الله مع ذلك في ترك ما أوجبه عليهم ﴿ولا يخشون احداً إلا الله﴾ ولا يخافون من سوى الله فيما يتعلق بالاداء والتبليغ وفي هذا دلالة على ان الأنبياء لا يجوز عليهم التقية في تبليغ الرسالة ومتى قيل فكيف ما قال لنبينا ﷺ وتخشى الناس فالقول انه لم يكن ذلك فيما يتعلق بالتبليغ وإنما خشي المقالة القبيحة فيه والعاقل كما يتحرز عن المضار يتحرز من اساءة الظنون به والقول السيء فيه ولا يتعلق شيء من ذلك بالتكليف ﴿وكفى بالله حسيباً﴾ أي حافظاً لأعمال خلقه ومحاسباً مجازياً عليها ولمّا تزوّج زينب بنت جحش قال الناس إن محمداً تزوج امرأة ابنه فقال سبحانه ﴿ما كان محمد ابا أحد من رجالكم﴾ الذين لم يلدهم وفي هذا بيان انه ليس بأب لزيد فتحرم عليه زوجته فإن تحريم زوجة الابن معلق بثبوت النسب فمن لا نسب له لا حرمة لامرأته ولهذا اشار اليهم فقال من رجالكم وقد ولد له ﷺ اولاد ذكور إبراهيم والقاسم والطيب والمطهر فكان اباهم وقد صحَّ انه قال للحسن ان ابني هذا سيد وقال ايضاً للحسن والحسين ابناي هذان إمامان قاما أو قعدا وقال ﷺ ان كل بني بنت ينتسبون الى أبيهم إلا اولاد فاطمة فإني أنا ابوهم وقيل اراد بقوله رجالكم البالغين من رجال ذلك الوقت ولم يكن

أحد من ابنائه رجلاً في ذلك الوقت ﴿ولكن رسول الله﴾ أي ولكن كان رسول الله لا يترك ما أباحه الله تعالى بقول الجهال وقيل ان الوجه في اتصاله بما قبله انه اراد سبحانه ليس يلزم طاعته وتعظيمه لمكان النسب بينه وبينكم ولمكان الأبوة بل إنما يجب ذلك عليكم لمكان النبوة ، ﴿وخاتم النبيين﴾ أي وآخر النبيين ختمت النبوّة به فشريعته باقية إلى يوم الدين وهذا فضيلة له صلوات الله عليه وآله اختصّ بها من بين سائر المرسلين فإن قيل ان اليهود يدعون في موسى مثل ذلك فالجواب ان بعض اليهود يدّعون ان شريعته لا تنسخ وهم مع ذلك يجوزون ان يكون بعده أنبياء ونحن إذا أثبتنا نبوة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم بالمعجزات القاهرة وجب نسخ شريعته بذلك ﴿وكان الله بكل شيء عليماً﴾ لا يخفى عليه شيء من مصالح العباد وصحّ الحديث عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ قال إنما مثلي في الانبياء كمثل رجل بني داراً فأكلها وحسنها موضع لبنة فكان من دخل فيها فنظر اليها قال ما احسنها إلا موضع هذه اللبنة قال ﷺ فأنا موضع اللبنة ختم بي الانبياء أورده البخاري ومسلم في صحيحيهما .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى
يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ
بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا
كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾
وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم
مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ
أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾

[المعنى] ثم خاطب سبحانه المؤمنين فقال ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً﴾ روى ابن عباس عن النبي ﷺ قال من عجز عن الليل ان يكابده وجبن عن العدو ان

يجاهده ويبخل بالمال ان ينفقه فليكثر ذكر الله عز وجل ثم اختلف في معنى الذكر الكثير فقيل هو أن لا ينساه ابداً عن مجاهد وقيل هو ان يذكره سبحانه بصفاته العلى واسمائه الحسنى وينزهه عما لا يليق به وقيل هو ان يقول سبحان الله والحمد لله ولا آله إلا الله والله اكبر على كل حال عن مقاتل وقد ورد عن أئمتنا (ع) انهم قالوا من قالها ثلاثين مرة فقد ذكر الله ذكراً كثيراً . وعن زرارة وحمران ابني اعين عن ابي عبد الله (ع) قال من سبّح تسبيح فاطمة الزهراء (ع) فقد ذكر الله ذكراً كثيراً وروى الواحدي بإسناده عن الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس قال جاء جبرائيل (ع) إلى النبي ﷺ فقال يا محمد قل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله عدد ما علم وزنة ما علم وملء ما علم فإنّ من قالها كتب الله له بها ست خصال كتب من الذاكرين الله كثيراً وكان أفضل من ذكره بالليل والنهار وكن له غرساً في الجنة وتحاتت[1] عنه خطاياه كما تحات ورق الشجرة اليابسة وينظر الله اليه ومن نظر الله اليه لم يعذّبه ﴿وسبّحوه بكرة وأصيلاً﴾ اي ونزّهوه سبحانه عن جميع مالا يليق به بالغداة والعشي والأصيل العشي وقيل يعني به صلاة الصبح وصلاة العصر عن قتادة صلاة الصبح وصلاة العشاء الآخرة خصّهما بالذكر لأن لهما مزية على غيرهما من حيث أن ملائكة الليل والنهار يجتمعون فيهما وقال الكلبي اما بكرة فصلاة الفجر واما اصيلا فصلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة وسمى الصلاة تسبيحاً لما فيها من التسبيح والتنزيه ﴿وهو الذي يصلّي عليكم وملائكته﴾ الصلاة من الله تعالى المغفرة والرحمة عن سعيد بن جبير والحسن وقيل الثناء عن ابي العالية وقيل هي الكرامة عن سفيان واما صلاة الملائكة فهي دعاؤهم عن ابن عباس وابي العالية وقيل طلبهم انزال الرحمة من الله تعالى ﴿ليخرجكم من الظلمات إلى النور﴾ اي من الجهل بالله سبحانه إلى معرفته فشبّه الجهل بالظلمات وشبّه المعرفة بالنور لأن هذا يقود الى الجنة وذلك يقود إلى النار وقيل من الضلالة إلى الهدى بالطافه وهدايته وقيل من ظلمات النار إلى نور الجنة ﴿وكان بالمؤمنين رحيماً﴾ خصّ المؤمنين بالرحمة دون غيرهم لأنه سبحانه جعل الإيمان بمنزلة العلة في ايجاب الرحمة والنعمة العظيمة التي هو الثواب ﴿تحيتهم يوم يلقونه سلام﴾ اي يحيّي بعضهم بعضاً يوم يلقون ثواب الله بأن يقولوا السلامة لكم من جميع الآفات ولقاء الله سبحانه معناه لقاء ثوابه كما سبق القول فيه وروي عن البراء بن عازب انه قال يوم يلقون ملك الموت لا يقبض روح مؤمن إلا سلّم عليه فعلى هذا يكون المعنى تحية المؤمنين من ملك الموت يوم يلقونه ان يسلّم عليهم وملك الموت

(١) تحات الورق من الشجر: تناثر وتساقط.

مذكور في الملائكة ﴿وأعدَّ لهم اجراً كريماً﴾ أي ثواباً جزيلاً ثم خاطب نبيَّه ﷺ فقال ﴿يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً﴾ على امتك فيما يفعلونه من طاعة أو معصية وإيمان او كفر لتشهد لهم وعليهم يوم القيامة ونجازيهم بحسبه ﴿ومبشراً﴾ اي ومبشّراً لمن اطاعني واطاعك بالجنة ﴿ونذيراً﴾ لمن عصاني وعصاك بالنار ﴿وداعياً﴾ أي وبعثناك داعياً إلى الله والاقرار بوحدانيته وامتثال اوامره ونواهيه ﴿بإذنه﴾ اي بعلمه وأمره ﴿وسراجاً منيراً﴾ يهتدي بك في الدين كما يهتدي بالسراج والمنير الذي يصدر النور من جهته إما بفعله وإما لأنه سبب له فالقمر منير والسراج منيربهذا المعنى والله منير السماوات والأرض وقيل عنى بالسراج المنير القرآن والتقدير وبعثناك ذا سراج منير فحذف المضاف عن الزجاج ﴿وبشّر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً﴾ زيادة على ما يستحقونه من الثواب ﴿ولا تطع الكافرين والمنافقين﴾ هو مفسَّر في اول السورة ﴿ودع اذيهم﴾ اي وأعرض عن اذاهم فإني سأكفيك امرهم إذا توكلت عليَّ وعملت بطاعتي فإن جميعهم في سلطاني بمنزلة ما هو في قبضة عبدي وقيل معناه كفّ عن اذاهم وقتالهم وذلك قبل ان يؤثر بالقتال عن الكلبي ﴿وتوكل على الله﴾ اي واسند امرك إلى الله ينصرك عليهم ﴿وكفى بالله وكيلاً﴾ أي كافياً ومتكفلاً بما يسند اليه .

[النظم] إنما اتصلت الآية بما تقدَّمها من قوله ولكن رسول الله فإنه منَّ عليهم به ثم امرهم بأن يشكروه على ذلك وقوله هو الذي يصلّي عليكم يتصل بما قبله من الأمر بالذكر والتقدير ان الله عزَّ اسمه مع غناه عنكم يذكركم فأنتم اولى بأن تذكروه وتقبلوا عليه مع احتياجكم اليه وقيل انه سبحانه عدَّد نعمه على المؤمنين وعدَّد من جملتها صلاته عليهم ثم بيَّن ارساله النبي اليهم مع جلالة قدره وعلوّ أمره .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ
فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا
جَمِيلًا ﴿٤٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ
أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَٰتِ عَمِّكَ
وَبَنَٰتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَٰتِ خَالِكَ وَبَنَٰتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِى هَاجَرْنَ

مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ
أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۗ قَدْ عَلِمْنَا مَا
فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ
حَرَجٌ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾

[القراءة] في الشواذ قراءة ابي بن كعب والحسن والثقفي ان وهبت بفتح الألف .

[الحجة] قال ابن جني تقديره لأن وهبت نفسها أي انها تحل له من أجل ان وهبت نفسها له وليس يعني بذلك امرأة بعينها قد كانت وهبت نفسها له وإنما محصولة انه ان وهبت امرأة نفسها للنبي حلّت له من أجل هبتها إياه فالحل إنما هو مسبب عن الهبة متى كانت ويؤكدّ ذلك القراءة بالكسر فصحّ به الشرط .

[الاعراب] العامل في الظرف من قوله إذا نكحتم ما يتعلق به لكم والتقدير إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن لم يجب لكم عليهن عدة . مما أفاء الله عليك الجار والمجرور في موضع نصب على الحال من الضمير المحذوف في قوله وما ملكت يمينك أي ما ملكته. إن وهبت نفسها للنبي جزاء شرط محذوف تقديره ان وهبت نفسها للنبي أحللناها له وجزاء الشرط الذي هو إن أراد النبي أن يستنكحها الشرط والجزاء المتقدم تقديره إن اراد النبي ان يستنكحها إن وهبت نفسها له احللناها له وان يستنكحها في موضع نصب بأنه مفعول اراد. خالصة لك نصب على الحال والهاء فيه للمبالغة .

[المعنى] ثم عاد سبحانه إلى ذكر النساء فقال ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن﴾ أي من قبل ان تدخلوا بهن ﴿فمالكم عليهن من عدة تعتدونها﴾ أي تستوفونها بالعدد وتحصون عليها بالاقراء وبالأشهر اسقط الله سبحانه العدة عن المطلقة قبل المسيس لبراءة رحمها فإن شاءت تزوجت من يومها ﴿فمتعوهن﴾ قال ابن عباس هذا إذا لم يكن سمّى لها صداقاً فإذا فرض لها صداقاً فلها نصفه ولا تستحق المتعة وهو المروي عن أئمتنا (ع) فالآية محمولة عندنا على التي لم يسم لها مهراً فيجب لها المتعة ﴿وسرّحوهنّ سراحاً جميلاً﴾ أي طلّقوهن طلاقاً للسنة من غير ظلم عليهن عن الجبائي وقيل سرّحوهنّ عن البيت فإنه ليس عليها عدة فلا يلزمها المقام في منزل الزوج سراحاً جميلاً بغير

جفوة ولا أذية وقيل السراح الجميل هو رفع المتعة بحسب الميسرة والعسرة عن حبيب بن أبي ثابت قال كنت قاعداً عند علي بن الحسين (ع) فجاءه رجل فقال اني قلت يوم اتزوج فلانه فهي طالق فقال اذهب فتزوجها فإن الله تعالى بدأ بالنكاح قبل الطلاق وقرأ هذه الآية ثم خاطب النبي ﷺ فقال ﴿يا أيها النبي انا احللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن﴾ أي اعطيت مهورهن والإيتاء قد يكون بالاداء وقد يكون بالالتزام ﴿وما ملكت يمينك﴾ اي وأحللنا لك ما ملكت يمينك من الإماء﴿مما أفاء الله عليك﴾ من الغنائم والأنفال فكانت من الغنائم مارية القبطية أمّ ابنه ابراهيم ومن الأنفال صفية وجويرية اعتقهما وتزوجهما ﴿وبنات عمك﴾ أي واحللنا لك بنات عمك ﴿وبنات عماتك﴾ يعني نساء قريش ﴿وبنات خالك وبنات خالاتك﴾ يعني نساء بني زهرة ﴿واللاّتي هاجرن معك﴾ إلى المدينة وهذا إنما كان قبل تحليل غير المهاجرات ثم نسخ شرط الهجرة في التحليل ﴿وامرأة مؤمنةإن وهبت نفسها للنبي﴾ أي وأحللنا لك امرأة مصدقةبتوحيد الله تعالى وهبت نفسها منك بغير صداق وغير المؤمنة إن وهبت نفسها منك لا تحل لك ﴿إن اراد النبي أن يستنكحها﴾ أي آثر النبي ﷺ نكاحها ورغب فيها ﴿خالصة لك من دون المؤمنين﴾ اي خالصة لك دون غيرك قال ابن عباس يقول لا يحل هذا لغيرك وهو لك حلال وهذا من خصائصه في النكاح فكان ينعقد النكاح له بلفظ الهبة ولا ينعقد ذلك لأحد غيره واختلف في انه هل كانت عند النبي ﷺ امرأة وهبت نفسها له أم لا فقيل انه لم يكن عنده امرأة وهبت نفسيها له عن ابن عباس ومجاهد وقيل بل كانت عنده ميمونة بنت الحرث بلا مهر قد وهبت نفسها للنبي في رواية أخرى عن ابن عباس وقتادة وقيل هي زينب بنت خزيمة أم المساكين امرأة من الانصار عن الشعبي وقيل هي امرأةمن بني أسد يقال لها أم شريك بنت جابر عن علي بن الحسين (ع) والضحاك ومقاتل وقيل هي خولة بنت حكيم عن عروة بن الزبير وقيل انها لما وهبت نفسها للنبي ﷺ قالت عائشة ما بال النساء يبذلن انفسهن بلا مهر فنزلت الآية فقالت عائشة ما أرى الله تعالى إلا يسارع في هواك فقال رسول الله ﷺ وانك إن اطعت الله سارع في هواك ﴿قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم﴾ معناه قد علمنا ما أخذنا على المؤمنين في ازواجهم من المهر والحضر بعدد محصور ووضعناه عنك تخفيفاً عنك ﴿وما ملكت أيمانهم﴾ أي وما أخذنا عليهم في ملك اليمين ان لا يقع لهم الملك إلا بوجوه معلومة من الشراء والهبة والإرث والسبي وأبحنا لك غير ذلك وهو الصفي الذي تصطفيه لنفسك من السبي وإنما خصّصناك على علم منا بالمصلحة فيه من غير محاباة ولا جزاف ﴿لكيلا يكون عليك حرج﴾ أي ليرتفع عنك الحرج وهو الضيق والإثم ﴿وكان الله غفوراً﴾ لذنوب عباده ﴿رحيماً﴾ بهم أو رحيماً بك في رفع الحرج عنك . .

﴿ * تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ
وَتُـْٔوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ
عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ
كُلُّهُنَّ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾ لَّا يَحِلُّ
لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ
حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا ﴿٥٢﴾
يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ
إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَـٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَـٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا
طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ
يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ وَإِذَا
سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَـٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ
وَقُلُوبِهِنَّ ۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟
أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ إِن
تُبْدُوا۟ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾ لَّا جُنَاحَ
عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ
وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُنَّ ۚ وَٱتَّقِينَ
ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾

القرآءة] قرأ أهل الكوفة غير ابي بكر إلا الأعشى وعباس واهل المدينة ترجي بغير همز والباقون بالهمز وقرأ ابو عمرو ويعقوب لا تحل بالتاء والباقون بالياء وسهل ابو حاتم يجيز فيهما .

[الحجة] قال أبو علي جاء في هذا الحرف الهمز وغيره وكذلك ارجئه وارجه فالقراءة بكل واحد من الأمرين حسنة والتاء والياء في لا تحل حسنان لأن النساء تأنيثه غير حقيقي إنما هو تأنيث الجمع فالتأنيث حسن والتذكير كذلك .

[اللغة] الإرجاء هو التأخير ويكون من تبعيد وقت الشيء عن وقت غيره ومنه الإرجاء في فساق أهل الصلاة وهو تأخير حكمهم بالعقاب إلى الله تعالى والإيواء ضم القادر غيره من الأحياء هم الذين من جنس مايعقل إلى ناحيته يقال آويت الإنسان آويه إيواء وأوى هو يأوي اويا إذا انضم إلى مأواه ويقال اني الطعام يأتي إنىً مقصوراً إذا بلغ حالة النضج وأدرك وقته وإذا فتح مدّ فقيل أناءً قال الحطيئة «وَآنَيْتُ الْعَشاءَ إلىٰ سُهَيْلٍ * أَوِ الشِّعْرىٰ فَطالَ بيَ الأَناءُ»(١) والاستئناس ضد الاستيحاش والانس ضد الوحشة .

[الاعراب] ذلك أدنى ان تقرّ تقديره من أن تقرّ او إلى ان تقرّ اعينهن . كلهن تأكيد للضمير وهو النون في يرضين ولو نصبت جاز على تأكيد قوله هنّ في آتيتهن . غير ناظرين منصوب على الحال ولا مستأنسين معطوف عليه فهو حال معطوف على حال قبله وتقديره ولا تدخلوا مستأنسين لحديث .

[النزول] نزلت الآية الأولى حين غار بعض امهات المؤمنين على النبي ﷺ وطلب بعضهن زيادة النفقة فهجرهن شهراً حتى نزلت آية التخيير فأمره الله تعالى ان يخيرهن بين الدنيا والآخرة وان يخلّي سبيل من اختار الدنيا ويمسك من اختار الله تعالى ورسوله على انهن امهات المؤمنين ولا ينكحن ابداً وعلى انه يؤوي من يشاء منهن ويرجي من يشاء منهن ويرضين به قسم لهن أو لم يقسم أو قسم لبعضهن ولم يقسم لبعضهن أو فضل بعضهن على بعض في النفقة والقسمة والعشرة او سوّى بينهن والأمر في ذلك اليه يفعل ما يشاء وهذه من خصائصه ﷺ فرضين بذلك كله واخترنه على هذا الشرط فكان ﷺ يسوّي بينهن مع هذا إلا امرأة منهن أراد طلاقها وهي سودة بنت زمعة فرضيت بترك القسم وجعلت يومها لعائشة عن ابن زيد وغيره وقيل لما نزلت آية التخيير اشفقن ان يطلقن فقلن يا نبي الله اجعل لنا من مالك

(١) آنيت الشيء : أخرته .

ونفسك ما شئت ودعنا على حالنا فنزلت الآية وكان ممن ارجي منهن سودة وصفية وجويرية وميمونة وام حبيبة فكان يقسم لهن ما شاء كما شاء وكان ممن آوى إليه عائشة وحفصة وأم سلمة وزينب وكان يقسم بينهن على السواء لا يفضل بعضهن على بعض عن ابن رزين ونزلت آية الحجاب لما بنى رسول الله ﷺ بزينب بنت جحش وأولم عليها قال انس أولم عليها بتمر وسويق وذبح شاة وبعثت اليه امي أم سليم بحَيْس في تور[٢] من حجارة فأمرني رسول الله ﷺ ان ادعو اصحابه الى الطعام فدعوتهم فجعل القوم يجيئون ويأكلون ويخرجون ثم يجيء القوم فيأكلون ويخرجون قلت يا نبي الله قد دعوت حتى ما أجد أحداً أدعوه فقال ارفعوا طعامكم فرفعوا طعامهم وخرج القوم وبقي ثلاثة نفر يتحدثون في البيت فأطالوا المكث فقام ﷺ وقمت معه لكي يخرجوا فمشى حتى بلغ حجرة عائشة ثم ظن انهم قد خرجوا فرجع ورجعت معه فإذا هم جلوس مكانهم فنزلت الآية وروي مثل ذلك عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال وكان رسول الله ﷺ يريد أن يخلو له المنزل لأنه كان حديث عهد بعرس وكان محباً لزينب وكان يكره أذي المؤمنين وقيل كان رسول الله ﷺ يطعم معه بعض أصحابه فأصابت يد رجل منهم يد عائشة وكانت معهم فكره ﷺ ذلك فنزلت آية الحجاب عن مجاهد ونزل قوله وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله إلى آخر الآية في رجل من الصحابة قال لئن قبض رسول الله ﷺ لأنكحنّ عائشة بنت أبي بكر عن ابن عباس قال مقاتل وهو طلحة بن عبيد الله وقيل ان رجلين قالا أينكح محمد نساءنا ولا ننكح نساءه والله لئن مات لنكحنا نساءه وكان أحدهما يريد عائشة والآخر يريد أم سلمة عن أبي حمزة الثمالي .

[المعنى] ثم خاطب سبحانه نبيَّه ﷺ يخيّره في نسائه فقال ﴿ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء﴾ أي تؤخر وتبعد من تشاء من ازواجك وتضم اليك من تشاء منهن واختلف في معناه على اقوال (أحدها) ان المراد تقدم من تشاء من نسائك في الايواء اليك وهو الدعاء إلى الفراش وتؤخر من تشاء في ذلك وتدخل من تشاء منهن في القسم ولا تدخل من تشاء عن قتادة قال وكان رسول الله ﷺ يقسم بين أزواجه وأباح الله له ترك ذلك (وثانيها) ان المراد تعزل من تشاء منهن بغير طلاق وترد إليك من تشاء منهن بعد عزلك اياها بلا تجديد عقد عن مجاهد والجبائي وابي مسلم (وثالثها) ان المراد تطلق من تشاء منهن وتمسك من تشاء عن ابن عباس (ورابعها) ان المراد تترك نكاح من تشاء من نساء امتك وتنكح منهن من تشاء عن الحسن قال وكان ﷺ إذا خطب امرأة لم يكن لغيره ان يخطبها حتى يتزوجها أو

(١) الحيس : تمر يخلط بسمن واقط فيعجن ويدلك شديداً حتى يمتزج ثم ينتر نواه والتور: اناء صغير .

يتركها (وخامسها) تقبل من تشاء من المؤمنات اللآئي يهبن انفسهن لك فتؤويها اليك وتترك من تشاء منهن فلا تقبلها عن زيد بن اسلم والطبري قال أبو جعفر وابو عبد الله (ع) من ارجى لم ينكح ومن اوى فقد نكح ﴿ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك﴾ أي إن اردت ان تؤوي اليك امرأة ممن عزلتهن عن ذلك وتضمّها اليك فلا سبيل عليك بلوم ولا عتب ولا أثم عليك في ابتغائها اباح الله سبحانه له ترك القسم في النساء حتى يؤخرّ من يشاء عن وقت نوبتها ويطأ من يشاء في غير وقت نوبتها وله ان يعزل من يشاء وله ان يرد المعزولة ان شاء فضّله الله تعالى بذلك على جميع الخلق ﴿ذلك ادنى ان تقرّ أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن﴾ معناه انهن إذا علمن ان له ردّهن إلى فراشه بعدما اعتزلهن قرّت اعينهن ولم يحزن ويرضين بما يفعله النبي ﷺ من التسوية والتفضيل لأنهنّ يعلمن انهنّ لم يطلّقن عن ابن عباس ومجاهد وقيل معناه ذلك اطيب لنفوسهن واقل لحزنهن إذا علمن أنّ لك الرخصة بذلك من الله تعالى ويرضين بما يفعله النبي ﷺ من التسوية والتفضيل عن قتادة وقرة العين عبارة عن السرور وقيل ذلك المعرفة منهن بأنك إذا عزلت واحدة كان لك ان تؤويها بعد ذلك ادنى بسرورهن وقرة اعينهن عن الجبائي وقيل معناه نزول الرخصة من الله تعالى اقرّ لأعينهنّ وادنى إلى رضاهنّ بذلك لعلمهنّ بما لهنّ في ذلك من الثواب في طاعة الله تعالى ولو كان ذلك من قبلك لحزنّ وحملن ذلك على قبلك إلى بعضهن ﴿والله يعلم ما في قلوبكم﴾ من الرضا والسخط والميل إلى بعض النساء دون بعض ﴿وكان الله عليماً﴾ بمصالح عباده ﴿حليماً﴾ في ترك معاجلتهم بالعقوبة ﴿لا يحل لك النساء من بعد﴾ أي من بعد النساء اللواتي احللناهن لك في قوله انا احللنا لك ازواجك اللاتي آتيت اجورهنّ الآية وهنّ ستة اجناس النساء اللاتي آتاهن اجورهن اي اعطاهنّ مهورهنّ وبنات عمّه وبنات عمّاته وبنات خاله وبنات خالاته اللّاتي هاجرن معه ومن وهبت نفسها له يجمع ما شاء من العدد ولا تحلّ له غيرهنّ من النساء عن أبي بن كعب وعكرمة والضحاك وقيل يريد المحرمات في سورة النساء عن ابي عبد الله (ع) وقيل معناه لا تحل لك اليهوديات ولا النصرانيات ﴿ولا ان تبدّل بهنّ﴾ ولا ان تبدل الكتابيات بالمسلمات لأنه لا ينبغي ان يكنّ امهات المؤمنين ﴿إلا ما ملكت يمينك﴾ من الكتابيات فأحلّ له ان يتسراهنّ عن مجاهد وسعيد بن جبير وقيل معناه لا يحلّ لك النساء من بعد نسائك اللاتي خيرّتهن فاخترن الله ورسوله وهنّ التسع صرت مقصوراً عليهن وممنوعاً من غيرهنّ ومن ان تستبدل بهن غيرهن ﴿ولو اعجبك حسنهن﴾ أي وقع في قلبك حسنهن مكافأة لهن على اختيارهن الله ورسوله عن الحسن والشعبي وقيل ان التي اعجّبه حسنها اسماء بنت عميس بعد قتل جعفر بن ابي طالب عنها وقيل انه منع من

طلاق من اختارته من نسائه كما امر بطلاق من لم تختره فأما تحريم النكاح عليه فلا عن الضحاك وقيل أيضاً إن هذه الآية منسوخة وابيح له بعدها تزويج ما شاء فروي عن عائشة انها قالت ما فارق رسول الله ﷺ الدنيا حتى حلّل له ما أراد من النساء وقوله ولا ان تبدّل بهنّ من ازواج فقيل ايضاً في معناه ان العرب كانت تتبادل بأزواجهم فيعطي احدهم زوجته رجلاً فيأخذ بها زوجة منه بدلا عنها فنهى عن ذلك وقيل في قوله ولو اعجبك حسنهن يعني إن اعجبك حسن ما حرم عليك من جملتهن ولم يحللن لك وهو المروي عن أبي عبد الله (ع) ﴿وكان الله على كل شيء رقيباً﴾ اي عالماً حافظاً عن الحسن وقتادة ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين اناه﴾ نهاهم سبحانه عن دخول دار النبي ﷺ بغير اذن وهو قوله إلا ان يؤذن لكم اي في الدخول يعني إلا ان يدعوكم إلى طعام فادخلوا غير ناظرين اناه اي غير منتظرين ادراك الطعام فيطول مقامكم في منزله والمعنى لا تدخلوا بغير اذن وقيل نضج الطعام انتظار لنضجه فيطول لبثكم ومقامكم ﴿ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا﴾ اي فإذا اكلتم الطعام فتفرّقوا واخرجوا ﴿ولا مستأنسين لحديث﴾ أي ولا تدخلوا فتقعدوا بعد الأكل متحدثين يحدث بعضكم بعضاً ليؤنسه ثم بيّن المعنى في ذلك فقال ﴿إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم﴾ اي طول مقامكم في منزل النبي ﷺ يؤذيه لضيق منزله فيمنعه الحياء أن يأمركم بالخروج من المنزل ﴿والله لا يستحيي من الحق﴾ أي لا يترك إبانة الحق فيأمركم بتعظيم رسوله وترك دخول بيته من غير اذن والامتناع عما يؤدّي إلى اذاه وكراهيته قالت عائشة يحسب الثقلاء ان الله سبحانه لم يحتملهم فقال فإذا طعمتم فانتشروا وقال بعض العلماء هذا أدب أدبَّ الله به الثقلاء ﴿وإذا سألتموهن متاعاً فسئلوهن من وراء حجاب﴾ يعني فإذا سألتم ازواج النبي ﷺ شيئاً تحتاجون اليه فاسألوهن من وراء الستر قال مقاتل أمر الله المؤمنين ألا يكلّموا نساء النبي ﷺ إلا من وراء حجاب وروى مجاهد عن عائشة قالت كنت آكل مع النبي ﷺ حَيْساً في قَعْب[1] فمرَّ بنا عمر فدعاه فأكل فأصابت اصبعه اصبعي فقال حَسٌ[2] لو أُطاعُ فيكنَّ ما رأتكنَّ عين فنزل الحجاب ﴿ذلكم﴾ أي سؤالكم اياهن المتاع من وراء حجاب ﴿اطهر لقلوبكم وقلوبهن﴾ من الريبة ومن خواطر الشيطان التي تدعو إلى ميل الرجال الى النساء والنساء إلى الرجال ﴿وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله﴾ اي ليس لكم ايذاء رسول الله ﷺ بمخالفة ما امر به في

(١) مرّ معنى الحيس قريباً. والقعب: القدح الضخم الغليظ.

(٢) حَسٌ : كلمة يقولها الانسان عند التوجع مما أذاه مثل «أوّه».

نسائه ولا في شيء من الأشياء ﴿ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابداً﴾ أي من بعد وفاته المعنى ولا يحلّ لكم ان تزوّجوا واحدة من نسائه بعد مماته كما لا تحلّ لكم ان تؤذوه في حال حياته وقيل من بعده أي من بعد فراقه في حياته كما قال بئسما خلفتموني من بعدي ﴿إن ذلكم كان عند الله عظيماً﴾ اي ايذاء الرسول بما ذكرنا كان ذنباً عظيم الموقع عند الله تعالى ﴿إن تبدوا شيئاً أو تخفوه﴾ أي تظهروا شيئاً أو تضمروه مما نُهيتم عنه من تزويجهنّ ﴿فإن الله كان بكل شيء عليماً﴾ من الظواهر والسرائر وهذا تهديد وروي عن حذيفة انه قال لامرأته تريدي أن تكوني زوجتي في الجنة فلا تتزوجي بعدي فإن المرأة لآخر أزواجها فلذلك حرّم الله تعالى على ازواج النبي ﷺ ان يتزوجن بعده وروي عن النبي سئل عن المرأة تكون لها زوجان فتموت فتدخل الجنة فلأيّهما تكون قال لأحسنهما خلقاً كان معها في الدنيا ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة ولما نزلت آية الحجاب قال الآباء والابناء والأقارب يا رسول الله ونحن أيضاً نكلمهن من وراء حجاب فأنزل الله تعالى قوله ﴿لا جناح عليهن في آبائهن ولا ابنائهن ولا اخوانهن ولا ابناء أخوانهن ولا ابناء اخواتهن﴾ ان يروهن ولا يحتجبن عنهم ﴿ولا نسائهن﴾ قيل نريد نساء المؤمنين لا نساء اليهود ولا النصارى فيصفن نساء رسول الله لأزواجهن إن رأينهن عن ابن عباس وقيل يريد جميع النساء ﴿ولا ما ملكت ايمانهن﴾ يعني العبيد والإماء ﴿واتقين الله﴾ أي اتركن معاصية وقيل اتقين عقاب الله من دخول الأجانب عليكن ﴿إن الله كان على كل شيء شهيداً﴾ اي حفيظاً لا يغيب عنه شيء قال الشعبي وعكرمة وإنما لم يذكر العم والخال لئلا ينعتاهن لابنائهما.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ
عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ
لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ
مَا ٱكْتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحْتَمَلُواْ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل
لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ

ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾
* لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ
فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾
مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ
خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾

[القراءة] في الشواذ قراءة الحسن فصلّوا عليه .

[الحجة] إنما جاز دخول الفاء لما في الكلام من معنى الشرط وذلك ان الصلاة إنما وجبت عليه منا لأن الله قد صلّى عليه وملائكته فجرى مجرى قول القائل قد اعطيتك فخذ أي إنما وجب عليك الأخذ من أجل العطية .

[اللغة] الجلبات خمار المرأة الذي يغطي رأسها ووجهها إذا خرجت لحاجة والارجاف اشاعة الباطل للإغتمام به وأصله الإضطراب ومنه يقال للبحر رجاف لاضطرابه فارجاف الناس بالشيء اضطرابهم بالخوض فيه ومنه ترجف الراجفة والاغراء الدعاء إلى تناول الشيء بالتحريض عليه يقال اغراه بالشيء اغراء فغري به أي اولع به .

[الاعراب] يدنين في موضع جزم بأنه جواب شرط مقدر وتقديره قل لأزواجك ادنين عليكن من جلابيبكن فإنك إن تقل ذلك يدنين . ملعونين نصب على الذم . أينما ثقفوا أخذوا شرط وجزاء وأين ظرف لثقفوا ومعمول له وإنما جاز ذلك لأن الجازم في الأصل ان المحذوفة فصار أينما يتضمنها فيغني عنها ويقوم مقامها ولا يجوز أن يعمل فيه أخذوا لأنه جواب الشرط ولا يعمل الجواب فيما قبل الشرط .

[المعنى] لمّا صدّر سبحانه هذه السورة بذكر النبي ﷺ وقرّر في اثناء السورة ذكر تعظيمه ختم ذلك بالتعظيم الذي ليس يقاربه تعظيم ولا يدانيه فقال ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي﴾ معناه إن الله يصلي على النبي ﷺ ويثني عليه بالثناء الجميل ويبجّله بأعظم التبجيل وملائكته يصلّون عليه [يثنون عليه][1] بأحسن الثناء ويدعون له بأزكى الدعاء ﴿يا

(١) ما بين المعقفتين غير موجود في المخطوطتين .

أيها الذين آمنوا صلّوا عليه وسلّموا تسليماً﴾ قال أبو حمزة الثمالي حدّثني السدي وحميد بن سعد الأنصاري وبريد بن أبي زياد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن كعب بن عجرة قال لما نزلت هذه الآية قلنا يا رسول الله هذا السلام عليك قد عرفناه فكيف الصلاة عليك قال قولوا اللهم صلّ على محمد وآل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد وبارك على محمدوآل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد (ث) عن عبد الله بن مسعود قال إذا صليتم على النبي ﷺ فأحسنوا الصلاة عليه فإنكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه قالوا فعلمنا قال قولوا اللهم اجعل صلاتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وإمام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك إمام الدين وقائد الخير ورسول الرحمة اللهم ابعثه مقاماً محموداً يغبطه به الأولون والآخرون اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد (ث) عن أبي بصير قال سألت أبا عبد الله (ع) عن هذه الآية فقلت كيف صلاة الله على رسوله فقال يا أبا محمد تزكيته له في السماوات العلى فقلت قد عرفت صلواتنا عليه فكيف التسليم فقال هو التسليم له في الامور فعلى هذا يكون معنى قوله وسلموا تسليماً انقادوا لأوامره وابذلوا الجهد في طاعته وفي جميع ما يأمركم به وقيل معناه سلموا عليه بالدعاء أي قولوا السلام عليك يا رسول الله (الحديث) وحدث عن انس بن مالك عن أبي طلحة قال دخلت على النبي ﷺ فلم أره اشدّ استبشاراً منه يومئذ ولا اطيب نفساً قلت يا رسول الله ما رأيتك قط اطيب نفساً ولا اشد استبشاراً منك اليوم فقال وما يمنعني وقد خرج آنفاً جبرائيل من عندي قال قال الله تعالى من صلّى عليك صلاة صلّيت بها عليه عشر صلوات ومحوت عنه عشر سيئات وكتبت له عشر حسنات ﴿إن الذين يؤذون الله ورسوله﴾ قيل هم المنافقون والكافرون والذين وصفوا الله بما لا يليق به وكذبوا رسله وكذبوا عليه فعلى هذا يكون معنى يؤذون الله يخالفون أمره ويصفونه بما هو منزّه عنه ويشبّهونه بغيره فإن الله عزّ اسمه لا يلحقه اذى ولكن لما كانت مخالفة الأمر فيما بيننا تسمى ايذاء خوطبنا بما نتعارفه وقيل يؤذون الله يلحدون في اسمائه وصفاته وقيل معناه يؤذون رسول الله فقدّم ذكر الله على وجه التعظيم إذ جعل اذى رسوله أذى له تشريفاً له وتكريماً فكأنه يقول لو جاز ان يناله اذى من شيء لكان ينالني من هذا واتصاله بما قبله انه كأنه يقول صلّوا عليه ولا تؤذوا فإن من آذاه فهو كافر ثم اوعد عليه بقوله ﴿لعنهم الله في الدنيا والآخرة﴾ اي يبعدهم الله من رحمته ويحل بهم وبال نقمته بحرمان زيادات الهدى في الدنيا والخلود في النار في الآخرة ﴿واعدّ لهم﴾ في الآخرة ﴿عذاباً مهيناً﴾ أي مذلاً لهم حدثنا السيد أبو الحمد قال حدثنا الحاكم ابو القاسم الحسكاني قال حدثنا أبو عبد الله الحافظ قال

حدثنا احمد بن محمد بن ابي دارم الحافظ قال حدثنا علي بن أحمد العجلي قال حدثنا عباد ابن يعقوب قال حدثنا ارطاة بن حبيب قال حدثنا أبو خالد الواسطي وهو اخذ بشعره قال حدثني زيد بن علي بن الحسين (ع) وهو آخذ بشعره قال حدثني علي بن الحسن وهو آخذ بشعره قال حدثني الحسين بن علي بن ابي طالب (ع) وهو آخذ بشعره قال حدثني علي بن أبي طالب وهو آخذ بشعره قال حدثني رسول الله ﷺ وهو آخذ بشعره فقال من آذى شعرة منك فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله فعليه لعنة الله ﴿والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما كتسبوا﴾ أي يؤذونهم من غير أن عملوا ما يوجب اذاهم ﴿فقد احتملوا بهتاناً﴾ أي فقد فعلوا ما هو اعظم الأثم مع البهتان وهو الكذب على الغير يواجهه به فجعل ايذاء المؤمنين والمؤمنات مثل البهتان وقيل يعني بذلك أذية اللسان فيتحقق فيها البهتان ﴿وأثماً مبيناً﴾ أي ومعصية ظاهرة قال قتادة والحسن اياكم واذى المؤمنين فإن الله تعالى يغضب له وقيل نزلت في قوم من الزناة كانوا يمشون في الطرقات ليلاً فإذا رأوا امرأة غمزوها وكانوا يطلبون الإماء عن الضحاك والسدي والكلبي ثم خاطب النبي ﷺ فقال ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلا بيبهن﴾ أي قل لهؤلاء فليسترن موضع الجيب بالجلباب وهو الملاءة التي تشتمل بها المرأة عن الحسن وقيل الجلباب مقنعة المرأة أي يغطين جباههنّ ورؤوسهنّ إذا خرجن لحاجة بخلاف الإماء اللاتي يخرجن مكشفات الرؤوس والجباه عن ابن عباس ومجاهد وقيل أراد بالجلابيب الثياب والقميص والخمار وما تستتر به المرأة عن الجبائي وابي مسلم ﴿ذلك ادنى ان يعرفن فلا يؤذين﴾ أي ذلك اقرب إلى ان يعرفن بزيّهن انهنّ حرائر ولسن بإماء فلا يؤذيهن اهل الريبة فإنهم كانوا يمازحون الإماء وربما كان يتجاوز المنافقون إلى ممازحة الحرائر فإذا قيل لهم في ذلك قالوا حسبناهنّ اماء فقطع الله عذرهم وقيل معناه ذلك اقرب الى ان يعرفن بالستر والصلاح فلا يتعرض لهن لأن الفاسق اذا عرف امرأة بالستر والصلاح لم يتعرض لها عن الجبائي ﴿وكان الله غفوراً﴾ أي ستاراً لذنوب عباده ﴿رحيماً﴾ بهم ثم اوعد سبحانه هؤلاء الفساق فقال ﴿لئن لم ينته المنافقون﴾ اي لئن لم يمتنع المنافقون ﴿والذين في قلوبهم مرض﴾ اي فجور وضعف في الإيمان وهم الذين لا دين لهم عما ذكرناه من مراودة النساء وايذائهن ﴿والمرجفون في المدينة﴾ وهم المنافقون ايضاً الذين كانوا يرجفون في المدينة بالاخبار الكاذبة المضعفة لقلوب المسلمين بأن يقولوا اجتمع المشركون في موضع كذا قاصدين لحرب المسلمين ونحو ذلك ويقولوا لسرايا المسلمين انهم قتلوا وهزموا وفي الكلام حذف وتقديره لئن لم ينته هؤلاء عن اذى المسلمين وعن الارجاف بما يشغل قلوبهم ﴿لنغرينك بهم﴾ اي لنسلطنّك

عليهم يا محمد عن ابن عباس والمعنى أمرناك بقتلهم حتى تقتلهم وتخلي عنهم المدينة وقد حصل الإغراء بهم بقوله جاهد الكفار والمنافقين عن أبي مسلم وقيل لم يحصل الاغراء بهم لانهم انتهوا عن الجبائي قال ولو حصل الإغراء لقتلوا وشردوا واخرجوا عن المدينة ﴿ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا﴾ اي ثم لا يساكنونك في المدينة الا يسيراً وهو ما بين الأمر بالقتل وما بين قتلهم ﴿ملعونين﴾ أي مطرودين منفيين عن المدينة مبعدين عن الرحمة وقيل ملعونين على السنة المؤمنين ﴿اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا﴾ اي اينما وجدوا وظفر بهم اخذوا وقتلوا ابلغ القتل ﴿سنة الله في الذين خلوا من قبل﴾ والسنة الطريقة في تدبير الحكم وسنة رسول الله ﷺ طريقته التي اجراها بأمر الله تعالى فأضيفت اليه ولا يقال سنته إذا فعلها مرة او مرتين لأن السنة الطريقة الجارية والمعنى سنَّ الله في الذين ينافقون الأنبياء ويرجفون بهم ان يقتلوا حيثما ثقفوا عن الزجاج ﴿ولن تجد لسنة الله تبديلا﴾ اي تحويلاً وتغييراً اي لا يتهيأ لأحد تغييرها ولا قلبها من جهتها لأنه سبحانه القادر الذي لا يتهيأ لأحد منعه مما أراد فعله .

﴿ يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ
عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ
قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾
خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ
وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَـٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا ﴿٦٦﴾
وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا ﴿٦٧﴾
رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾
يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ
مِمَّا قَالُوا۟ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾

[القراءة] قرأ ابن عامر ويعقوب وسهل ساداتنا بالألف وكسر التاء والباقون سادتنا بغير الف وقرأ عاصم كبير بالباء والباقون كثيراً بالثاء وفي الشواذ قراءة عيسى بن عمر يوم تقلب وجوههم وقراءة ابن مسعود والأعمش وكان عبداً لله وجيهاً . .

[الحجة] قال أبو علي سادة فعلة مثل كتبة وفجرة قال:

سَلِيلُ قُرُومٍ سَادَةٌ مِثْلُ ذَادَةٍ يَبُذُّونَ أَهْلَ ٱلجَمْعِ يَوْمَ ٱلمُحَصَّبِ(١)

ووجه الجمع بالالف والتاء انهم قد قالوا الطرقات والمعنات في المعن جمع معين قال الأعشى:

جُنْدُكَ التَّالِدُ الطَّرِيفُ مِنَ السَّا دَاتِ أَهْلُ ٱلسِّبَابِ وَالأَكْسَالِ(٢)

قال ابو الحسن هي غريبة والكبر مثل العظم والكثرة اشبه بالموضع لأنهم يلعنون مرة بعد مرة وقد جاء يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون فالكثرة اشبه بالمرار المتكررة من الكبر وقوله يوم تقلّب وجوههم تقديره يوم تقلب السعير وجوههم نسب الفعل إلى النار لما كان التقليب فيها كما قال مكر الليل والنهار لوقوع المكر فيهما وعليه قول رؤبة «فَنَامَ لَيْلي وَتَجَلّى هَمّي»(٣) وقوله عبداً لله وجيهاً لا يُهم منه وجاهته عند الله فقراءة الناس المشهورة اقوى منه لإسناده وجاهته إلى الله سبحانه . .

[المعنى] ثم قال سبحانه ﴿يسئلك﴾ يا محمد ﴿الناس عن الساعة﴾ يعني القيامة ﴿قل إنما علمها عند الله﴾ لا يعلمها غيره ﴿وما يدريك﴾ يا محمد اي أيّ شيء يعلمك من امر الساعة ومتى يكون قيامها أي انت لا تعرفه ثم قال ﴿لعل الساعة تكون قريباً﴾ اي قريباً مجيئها ويجوز ان يكون امره ان يجيب كل من يسأله عن الساعة بهذا فيقول لعل ما تستبطئه قريب وما تنكره كائن ويجوز ان يكون تسلية له ﷺ اي فاعلم انه قريب فلا يضيقن صدرك باستهزائهم باخفائها ﴿إن الله لعن الكافرين واعدَّ لهم تسلية له﴾ أي ناراً تستعر وتلتهب ﴿خالدين فيها ابداً لا يجدون ولياً ولا نصيراً﴾ اي ولياً ينصرهم يدفع عنهم ﴿يوم تقلب

(١) القروم هنا بمعنى السادات ويذّ القوم: سبقهم وغلبهم اي يسبقون اهل عرفات ومنى واراد بيوم المحصّب يوم رمي الجمار في منى .

(٢) التالد: القديم. والطريف: الحديث والقباب جمع القبة. وآكال الجند أطماعهم. وفي بعض النسخ «جدك» بدل «جندك».

(٣) هذا عجزبيت وصدره «وكنت ذاهمّ وراعى نجم» وراع النجوم: راقبها وانتظر مغيبها.

وجوههم في النار﴾ العاملي في يوم تقلب قوله واعدٌ لهم سعيراً والتقليب تصريف الشيء في الجهات ومعناه تقلب وجوه هؤلاء السائلين عن الساعة واشباههم من الكفار فتسودُّ وتصفر وتصير كالحة بعد ان لم تكن وقيل معناه تنقل وجوههم من جهة إلى جهة في النار فيكون ابلغ فيما يصل اليها من العذاب ﴿يقولون﴾ متمنّين متأسّفين ﴿يا ليتنا اطعنا الله﴾ فيما امرنا به ونهانا عنه ﴿واطعنا الرسولا﴾ فيما دعانا اليه ﴿وقالوا ربنا انا اطعنا﴾ فيما فعلناه ﴿سادتنا وكبرائنا﴾ والسد المالك المعظّم الذي يملك تدبير السواد الأعظم وهو الجمع الأكثر قال مقاتل هم المُطعِمون في غزوة بدر[1] وقال طاوس هم العلماء والوجه ان المراد جميع قادة الكفر وائمة الضلال ﴿فأضلّونا السبيلا﴾ اي اضلّنا هؤلاء عن سبيل الحق وطريق الرشاد ﴿ربنا آتهم ضعفين من العذاب﴾ بضلالهم في نفوسهم واضلالهم ايانا اي عذّبهم مثلي ما تعذب غيرهم ﴿والعنهم لعناً كبيراً﴾ مرة بعد أخرى وزدهم غضباً إلى غضبك وسخطاً إلى سخطك ثم خاطب سبحانه المظهرين للإيمان فقال ﴿يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرّأه الله مما قالوا﴾ اي لا تؤذوا محمداً ﷺ كما آذى بنو اسرائيل موسى فإن حق النبي ﷺ ان يعظمّ ويبجّل لا ان يؤذي واختلفوا فيما أوذي به موسى على اقوال (أحدها) ان موسى وهارون صعدا الجبل فمات هارون فقالت بنو إسرائيل انت قتلته فأمر الله الملائكة فحملته حتى مرّوا به على بني إسرائيل وتكلمت الملائكة بموته حتى عرفوا انه قد مات وبرّأه الله من ذلك عن علي (ع) وابن عباس واختاره الجبائي (وثانيها) ان موسى كان حيياً ستيراً يغتسل وحده فقالوا ما يستتر منا إلا لعيب بجلده اما برص واما آدرة فذهب مرّة يغتسل فوضع ثوبه على حجر فمر الحجر بثوبه فطلبه موسى فرآه بنو إسرائيل عرياناً كأحسن الرجال خلقاً فبرّأه الله مما قالوا رواه أبو هريرة مرفوعاً وقال قوم ان ذلك لا يجوز لأن فيه اشهار النبي وابداء سوأته على رؤوس الاشهاد وذلك ينفر عنه (وثالثها) ان قارون استأجر مُومِسة[2] لتقذف موسى بنفسها على رأس الملأ فعصمه الله تعالى من ذلك على ما مرّ ذكره عن أبي العالية (ورابعها) انهم آذوه من حيث انهم نسبوه إلى السحر والجنون والكذب بعد ما رأوا الآيات عن ابي مسلم ﴿وكان عند الله وجيهاً﴾ اي عظيم القدر رفيع المنزلة يقال وجه وجاهة فهو وجيه إذا كان ذا جاه وقدر قال ابن عباس كان عند الله خطيراً لا يسأله شيئاً إلّا أعطاه.

---

(١) وهم على ما ذكره المؤرخون اثنا عشر نفراً من كبراء قريش: عباس بن عبد المطلب، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبيّ ابن خلف: وحكيم بن حزام، ونضر ابن الحارث، وزمعة بن الاسود، وأبو جهل وأبو البختري ابنا هشام وحارث بن عامر بن نوفل ونبيه ومنبه ابنا الحجاج فكل يوم كان كفيل اطعام جيش المشركين واحد منهم.

(٢) امرأة مومسة اي فاجرة.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ
لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾
إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن
يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾
لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ
وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۚ وَكَانَ
ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

[المعنى] ثم أمر الله سبحانه أهل الإيمان والتوحيد بالتقوى والقول السديد فقال ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله﴾ أي اتقوا عقاب الله باجتناب معاصيه وفعل واجباته ﴿وقولوا قولاً سديداً﴾ أي صواباً بريئاً من الفساد خالصاً من شائقة الكذب واللغو موافق الظاهر وللباطن وقال الحسن وعكرمة صادقاً يعني كلمة التوحيد لا إلّه إلا الله وقال مقاتل هذا يتصل بالنهي عن الايذاء أي قولوا قولاً صواباً ولا تنسبوا رسول الله ﷺ إلى ما لا يجمل ولا يليق به ﴿يصلح لكم أعمالكم﴾ معناه إن فعلتم ذلك يصلح لكم أعمالكم بأن يلطف لكم فيها حتى تستقيموا على الطريقة المستقيمة السليمة من الفساد ويوفّقكم لما فيه الصلاح والرشاد وقيل معناه يزكّي أعمالكم ويتقبّل حسناتكم عن ابن عباس ومقاتل ﴿ويغفر لكم ذنوبكم﴾ باستقامتكم في الأقوال والأفعال ﴿ومن يطع الله ورسوله﴾ في الأوامر والنواهي ﴿فقد فاز فوزاً عظيماً﴾ أي فقد أفلح افلاحاً عظيماً وقيل فقد ظفر برضوان الله وكرامته ﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال﴾ اختلف في معنى الأمانة فقيل هي ما أمر الله به من طاعته ونهى عنه من معصيته عن أبي العالية وقيل هي الأحكام والفرائض التي أوجبها الله تعالى على العباد عن ابن عباس ومجاهد وهذان القولان متقاربان وقيل هي أمانات الناس والوفاء بالعهود فأولها إئتمان آدم ابنه قابيل على أهله وولده حين أراد التوجه إلى مكة عن أمر ربه فخان قابيل

إذ قتل هابيل عن السدي والضحاك واختلف في معنى عرض الأمانة على هذه الأشياء وقيل فيه أقوال (أحدها) ان المراد العرض على أهلها فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه وعرضها عليهم هو تعريفه إياهم أنَّ في تضييع الأمانة الإثم العظيم وكذلك في ترك اوامر الله تعالى وأحكامه فبيَّن سبحانه جرأة الإنسان على المعاصي واشفاق الملائكة من ذلك فيكون المعنى عرضنا الأمانة على أهل السماوات والأرض والجبال من الملائكة والجن والإنس ﴿فأبين أن يحملنها﴾ أي فأبى أهلهن أن يحملوا تركها وعقابها والمأثم فيها ﴿وأشفقن منها﴾ أي وأشفقن أهلهن من حملها ﴿وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً﴾ لنفسه بارتكاب المعاصي ﴿جهولاً﴾ بموضع الأمانة في استحقاق العقاب على الخيانة فيها عن أبي علي الجبائي وقال إذا لم يصح حمله على نفس السماوات والأرض والجبال فلا بدَّ أن يكون المراد به أهلها لأنَّه يجب أن يكون المراد به المكلفين دون غيرهم لأن ذلك لا يصح إلا فيهم ولا بدَّ من أن يكون المراد بحمل الأمانة تضييعها لأن نفس الأمانة قد حملتها الملائكة وقامت بها قال الزجاج كل من خان الأمانة فقد حملها ومن لم يحمل الأمانة فقد أدّاها وكذلك كل من أثم فقد احتمل الإثم قال الله سبحانه وليحملن أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم فقد أعلم الله سبحانه أنَّ من باء بالإثم يسمى حاملاً للإثم وهو قول الحسن لأنه قال الكافر والمنافق حملا الأمانة أي خانا ولم يطيعا وأنشد بعضهم في حمل الأمانة بمعنى الخيانة قول الشاعر

إذا أنتَ لَمْ تَبْرَحْ تُؤَدِّي أَمانَةً وتَحْمِلُ أُخْرىٰ أَفْرَحَتْكَ الوَدائِعُ[1]

وأقول أن الظاهر لا يدل على ذلك لأنه لايجوز أن يكون المراد بالحمل هنا قبول الأمانة لأن الشاعر جعله في مقابلة الاداء فكأنه قال إذا كنت لا تزال تقبل أمانة وتؤدّي أخرى شغلت نفسك بقبول الودايع وأدائها فأثقلتك (وثانيها) ان معنى عرضنا عارضنا وقابلنا فإن عرض الشيء على الشيء ومعارضته به سواء والأمانة ما عهد الله سبحانه إلى عباده من أمره ونهيه وأنزل فيه الكتب وأرسل الرسل وأخذ عليه الميثاق والمعنى ان هذه الأمانة في جلالة موقعها وعظم شأنها لو قيست بالسماوات والأرض والجبال وعورضت بها لكانت هذه الأمانة أرجح وأثقل وزناً ومعنى قوله فأبين أن يحملنها ضعفن عن حملها كذلك وأشفقن منها لأن الشفقة ضعف القلب ولذلك صار كناية عن الخوف الذي يضعف عنده القلب ثم قال ان هذه الأمانة التي من صفتها انها أعظم من هذه الأشياء العظيمة تقلدها الإنسان فلم يحفظها بل

---

(١) فمعنى قوله « وتحمل اخرى » اي تخونها ولا تؤديها يدل على ذلك قوله « افرحتك الودائع » أي أثقلتك الامانات التي تخونها ولا تؤديها . وهذا احد المعنيين في البيت والمعنى الآخر ما ذكره المصنف (ره) .

حملها وضيّعها لظلمه على نفسه وجهله بمبلغ الثواب والعقاب عن أبي مسلم (وثالثها) انه على وجه التقدير إلا أنه أجري عليه لفظ الواقع لأن الواقع أبلغ من المقدر. معناه لو كانت السماوات والأرض والجبال عاقلة ثم عرضت عليها الأمانة وهي وظائف الدين أصولاً وفروعاً وما ذكرناه من الأقاويل فيها بما فيها من الوعد والوعيد عرض تخيير لاستثقلت ذلك مع كبر أجسامها وشدتها وقوتها ولامتنعت من حملها خوفاً من القصور عن اداء حقّها ثم حملها الإنسان مع ضعف جسمه ولم يخف الوعيد لظلمه وجهله وعلى هذا يحمل ما روي عن ابن عباس انها عرضت على نفس السماوات والأرض فامتنعت من حملها (ورابعها) ان معنى العرض والإباء ليس هو ما يفهم بظاهر الكلام بل المراد تعظيم شأن الأمانة لا مخاطبة الجماد والعرب تقول سألت الربع وخاطبت الدار فامتنعت عن الجواب وانما هو اخبار عن الحال عبّر عنه بذكر الجواب والسؤال وتقول أتى فلان بكذب لا تحمله الجبال وقال سبحانه فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين وخطاب من لا يفهم لا يصحّ وقال الشاعر

فَأَجْهَشْتُ لِلْبُوبَاةِ حِينَ رَأَيْتُهُ ... وَكَبَّرَ لِلرَّحْمٰنِ حِينَ رَآنِي[1]
فَقُلْتُ لَهُ أَيْنَ الَّذِينَ عَهِدْتُهُمْ ... بِجَنْبِكَ فِي خَفْضٍ وَطِيبِ زَمَانِ[2]
فَقَالَ مَضَوْا وَاسْتَوْدَعُونِي بِلَادَهُمْ ... وَمَنْ ذَا الَّذِي يَبْقَى عَلَى الْحَدَثَانِ

وقال آخر

فَقَالَ لِيَ الْبَحْرُ إِذْ جِئْتُهُ ... وَكَيْفَ يُجِيبُ ضَرِيرٌ ضَرِيراً

فالأمانة على هذا ما أودع الله السماوات والأرض والجبال من الدلائل على وحدانيته وربوبيته فأظهرتها والإنسان الكافر كتمها وجحدها لظلمه وجهله وبالله التوفيق ولم يرد بقوله الإنسان جميع الناس بل هو مثل قوله ﴿إن الإنسان لفي خسر وإن الإنسان لربه لكنود﴾ وأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه والأنبياء والأولياء والمؤمنون عن عموم هذه الآية خارجون ولا يجوز أن يكون الإنسان محمولاً على آدم (ع) لقوله ﴿إن الله اصطفى آدم﴾ وكيف يكون من اصطفاه الله من بين خلقه موصوفاً بالظلم والجهل ثم بيّن سبحانه الغرض الصحيح والحكمة

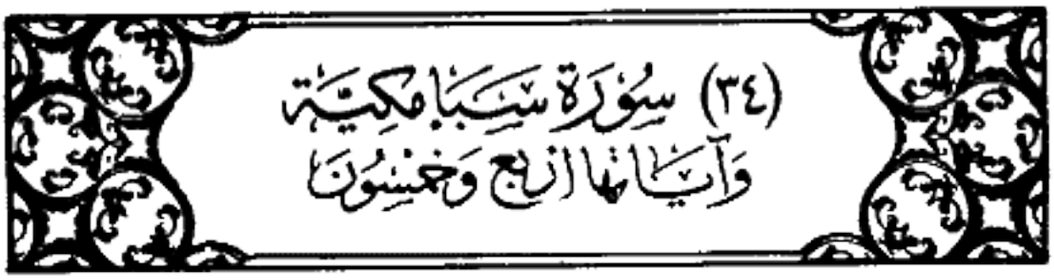
---

(١) نسب الأبيات في الأغاني الى مجنون قوله « فأجهشت للبوباة » كذا في النسخ وأجهشت أي فرغت، والبوباة: الفلاة وعقبة كؤد بطريق اليمن. لكن في امالي الشريف (ره) ج ٢ ٣١٠ ومعجم البلدان ج ٢: ٥٥ والأغاني ج ١: ١٧٩ « للتوباذ » وقال في المعجم انه جبل في نجد. ويحتمل التصحيف.

(٢) وفي بعض النسخ « وطول زمان ».

البالغة في عرضه هذه الأمانة فقال ﴿ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات﴾ يعني بتضييع الأمانة قال الحسن هما اللذان حملاهما ظلماً وجهلاً ﴿ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات﴾ بحفظهم الأمانة ووفائهم وهذا هو الغرض بالتكليف عند من عرف المكلف والمكلف فالمعنى انا عرضنا ذلك ليظهر نفاق المنافق وشرك المشرك فيعذّبهم الله ويظهر إيمان المؤمن فيتوب الله عليه إن حصل منه تقصير في بعض الطاعات ﴿وكان الله غفوراً﴾ أي ستّاراً لذنوب المؤمنين ﴿رحيماً﴾ بهم .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی



[عدد آيها]

خمس وخمسون آية شامي اربع في الباقون .

[إختلافها] آية عن يمين وشمال .

[فضلها] أُبيّ بن كعب عن النبي ﷺ قال من قرأ سورة سبأ لم يبق نبي ولا رسول إلا كان له يوم القيامة رفيقاً ومصافحاً وروى ابن اذينة عن أبي عبد الله (ع) قال من قرأ الحمدين جميعاً سبأ وفاطر في ليلة لم يزل ليلته في حفظ الله تعالى وكلائه فإن قرأهما في نهاره لم يصبه في نهاره مكروه وأعطي من خير الدنيا وخير الآخرة ما لم يخطر على قلبه ولم يبلغ مناه .

[تفسيرها] لمّا ختم الله سبحانه سورة الأحزاب ببيان الغرض في التكليف وانه سبحانه يجزي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته افتتح هذه السورة بالحمد له على نعمته وكمال قدرته فقال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ

ٱلْغَفُورُ ﴿٤﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى
لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى
كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥﴾ لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٦﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ ءَايَٰتِنَا
مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿٧﴾

[القراءة] قرأ أهل المدينة والشام عالمُ الغيب بالرفع وقرأ حمزة والكسائي علام الغيب بالجر واللام قبل الألف والباقون عالم الغيب بالجرّ وقرأ ابن كثير وحفص ويعقوب من رجز اليم هنا وفي الجاثية ايضاً بالرفع والباقون بالجر .

[الحجة] قال أبو علي الجر على قوله الحمد لله عالم الغيب وقال غيره عالم الغيب بالجر صفة لقوله وربي أو بدل منه فأما الرفع فيجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف تقديره هو عالم الغيب وان يكون ابتداء وخبره لا يعزب وعلام أبلغ من عالم والرجز العذاب دلالة قوله لئن كشفت عنا الرجز وانزلنا على الذين ظلموا رجزاً من السماء فإذا كان العذاب يوصف بأليم كما أنه نفس العذاب جاز أن يوصف به والجرّ في أليم ابين لأنه إذا كان عذاب من عذاب أليم كان العذاب الأول أليماً وإذا جرى الاليم على العذاب كان المعنى عذاب اليم من عذاب والأول أكثر فائدة .

[اللغة] الحمد هو الوصف بالجميل على جهة التعظيم ونقيضه الذم وهو الوصف بالقبيح على جهة التحقير ثم ينقسم فمنه ما هو أعلى ومنه ما هو أدنى والأعلى ما يقع على وجه العبادة ولا يستحقها إلا الله سبحانه لأن احسان الله عزّ اسمه لا يوازيه احسان أحد من المخلوقين ويستحق الحمد على الإحسان والانعام فلا يستحق أحد من المخلوقين مثل ما يستحقه سبحانه والولوج الدخول والعروج الصعود والمعارج الدرج من هذا وعزب عنه يعزُب ويعزِب إذا بعد وفي الحديث من قرأ القرآن في أربعين ليلة فقد عزب اي بعد عهده بما ابتدأ منه وأبطأ في تلاوته .

[الإعراب] ليجزي الذين آمنوا يتعلق بقوله لا يعزب .

[المعنى] ﴿الحمد لله﴾ معناه قولوا الحمد لله وهو تعريف لوجوب الشكر على نعم الله سبحانه وتعليم لكيفية الشكر ﴿الذي له ما في السموات وما في الأرض﴾ أي الذي يملك التصرف في جميع ما في السماوات وجميع ما في الأرض ليس لأحد الاعتراض عليه ولا منعه ﴿وله الحمد في الآخرة﴾ أي هو المستحق للحمد على أفعاله الحسنى في الدارين لكونه منعماً فيهما والآخرة وإن كانت ليست بدار تكليف فلا يسقط فيها الحمد والاعتراف بنعم الله تعالى بل العباد ملجأون إلى ذلك لمعرفتهم الضرورِي بنعم الله عليهم من الثواب والعوض وضروب التفضل ومن حمد أهل الجنة قولهم الحمد لله الذي هدانا لهذا والحمد لله الذي صدقنا وعده وقيل إنما يحمده اهل الجنة لا على جهة التعبد لكن على جهة السرور والتلذذ بالحمد ولا يكون بالحمد عليهم فيه تعب ولا مشقة وقيل يحمده اهل الجنة على نعمه وفضله ويحمده أهل النار على عدله ﴿وهو الحكيم﴾ في جميع أفعاله لأنها كلها واقعة على وجه الحكمة ﴿الخبير﴾ بجميع المعلومات ﴿يعلم ما يلج في الأرض﴾ أي ما يدخل فيها من مطر وكنز أو ميت ﴿وما يخرج منها﴾ من زرع ونبات أو جواهر أو حيوان ﴿وما ينزل من السماء﴾ من مطر أو رزق أو ملك ﴿وما يعرج﴾ أي يصعد ﴿فيها﴾ من الملائكة وأعمال العباد فهو يجري جميع ذلك على تقدير تقتضيه الحكمة وتدبير توجبه المصلحة ﴿وهو الرحيم﴾ بعباده مع علمه بما يعملون من المعاصي فلا يعاجلهم بالعقوبة ويمهلهم للتوبة ﴿الغفور﴾ أي الساتر عليهم ذنوبهم في الدنيا المتجاوز عنها في العقبى كما قال ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴿وقال الذين كفروا﴾ يعني منكري البعث والنشور ﴿لا تأتينا الساعة﴾ يعني القيامة ﴿قل﴾ لهم يا محمد ﴿بلى وربي﴾ أي وحق الله ربي الذي خلقني وأوجدني ﴿لتأتينكم﴾ القيامة ﴿عالم الغيب﴾ يعمل كل شيء يغيب عن العباد علمه ﴿لا يعزب عنه﴾ أي لا يفوته ﴿مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض﴾ بل هو عالم بجميع ذلك ﴿ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين﴾ يعني اللوح المحفوظ وقد مضى هذا مفسراً في سورة يونس كذَّب الله سبحانه في هذه الآية الكفار الجاحدة للبعث وبيَّن أن القيامة آتية كائنة لا محالة وأمَرَ رسوله ﷺ بأن يحلف على ذلك تأكيداً له ثم مدح نفسه بأنه يعلم ما غاب عن العباد علمه مما هو كائن أو سيكون ولم يوجد بعد ثم قال ﴿ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ أي إنما أثبت ذلك في الكتاب المبين ليكافئهم بما يستحقونه من الثواب على صالح أعمالهم ﴿أولئك لهم مغفرة﴾ لذنوبهم وستر لها ﴿ولهم﴾ مع ذلك ﴿رزق كريم﴾ أي هنيء لا تنغيص فيه ولا تكدير وقيل هو الجنة عن قتادة ﴿والذين سعوا في آياتنا معاجزين﴾ أي والذين

عملوا بجهدهم وجدّهم في ابطال حججنا وفي تزهيد الناس عن قبولها مقدرين اعجاز ربهم وظانين انهم يفوتونه وقيل معاجزين مسابقين ومعجزين ومثبطين وقد مضى تفسير هذه الآية في سورة الحج ﴿أولئك لهم عذاب من رجز﴾ أي سيء العذاب عن قتادة ﴿اليم﴾ أي مؤلم .

[النظم] وجه اتصال قوله عالم الغيب بما قبله أنه سبحانه لما حكى عن المشركين ما يضاد الاقرار له بالربوبية والاعتراف بالنعمة من انكار القيامة ذكر بعده ان من يعلم أفعال العباد وما يستحقونه من الجزاء لو لم يجعل داراً أخرى يجازي فيها المحسن على احسانه والمسيء على اساءته وينتصف للمظلوم من الظالم كان ذلك خروجاً عن موجب الحكمة .

﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌ ۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ ﴿٨﴾ أَفَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٩﴾

[القراءة] قرأ حمزة والكسائي وخلف ان يشأ يخسف بهم الأرض أو يسقط بالياء في الجميع والباقون كل ذلك بالنون وادغم الكسائي وحده الفاء في الباء في يخسف بهم .

[الحجة] قال أبو علي حجة النون قوله ﴿ولقد آتينا داود﴾ فالنون أشبه بآتينا وحجة الياء قوله افترى على الله كذباً فحمل على اسم الله تعالى قال وادغام الفاء في الباء لا يجوز لأن الفاء من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا وانحدر الصوت به إلى الفم حتى اتصل

بمخرج الثاء حتى جاء مثل الجدث والجدف والمغاثير والمغافير فتعاقبا للمقاربة بينهما فلما اتصلت بمخرج الثاء صارت بمنزلة حرف من تلك الحروف فلم يجز ادغامها في الباء لأنه إذا اتصل بما ذكرنا صار كحرف من ذلك الموضع فكما أن ذلك الحرف الذي اتصل بالفاء لا يدغم في الباء كذلك الفاء لا يدغم في الباء وكذلك لا يجوز أن يدغم الفاء في الباء لزيادة صوتها المتصل بحرف من حروف الفم .

[الإعراب] ويرى يحتمل أن يكون منصوباً عطفاً على ليجزي ويحتمل ان يكون مرفوعاً على الاستئناف والذي أنزل اليك في موضع نصب لأنه مفعول يرى وهو فصل والحق مفعول ثان ليرى وقوله إذا مزقتم قال الزجاج إذا في موضع نصب بمزقتم ولا يجور أن يعمل فيها جديد لأن ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها والتأويل هل ندلكم على رجل يقول لكم إذا مزقتم تبعثون ويكون إذا بمنزلة ان الجزاء يعمل فيها الذي يليها قال قيس بن الخطيم

إذا قَصُرَتْ أَسْيافُنا كانَ وَصْلُها خِطانا إلىٰ أَعْدائِنا فَنُضارِب[1]

والمعنى يكن وصلها والدليل عليه جزم فنضارب ويجوز أن يكون العامل في إذا مضمراً يدل عليه انكم لفي خلق جديد ويكون المعنى هل ندلكم على رجل يقول لكم إذا مزقتم بعثتم قال أبو علي ان جعل موضع إذا نصباً بمزقتم لزم أن يحكم على موضعه بالجزم لأن إذا هذه لا يجوز أن ينتصب به حتى يقدر جزم الفعل الذي هو الشرط بها والجزم بها لا يسوغ ان يحمل عليه الكتاب لأن ذلك إنما يكون في ضرورة الشعر فإن حمل موضع إذا على انه نصب والفعل غير مقدر في موضعه الجزم لم يجز لأنه إذا لم يجازَ بها اضيفت الى الفعل والمضاف اليه لا يعمل في المضاف ولا فيما قبله وموضع الفعل الواقع بعد إذا خفض فلما لم يجز زيداً غلام ضارب عندك تريد غلام ضارب زيداً عندك فكذلك لا يجوز أن يكون موضع إذا نصباً بمزقتم فالتقدير ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق بعثتم اونشرتم أو ما أشبه ذلك من الأفعال التي يكون قوله انكم لفي خلق جديد دالاً عليه ومفسّراً له وان قدّر هذا الفعل قبل إذا كان سائغاًفيكونالتقدير ينبئكم فيقول لكم تبعثون إذا مزقتم كل ممزق ويكون جواب إذا على هذا التقدير مضمراً كأنه تبعثون إذا مزقتم كل ممزق بعثتم فيستغنى اذا عن اظهار الجواب إذا تقدَّمها ما يدل عليه نحو انت ظالم ان فعلت وكذلك يحذف الشرط لدلالة الجزاء عليه إذا وقع بعد كلام غير واجب نحو الأمر والاستفهام وما أشبه ذلك فافهم ذلك فإنه فصل جليل

---

(١) يعني ان قصرت أسيافنا نتدارك قصرها بخطواتنا الى الأعداء .

الموقع في النحو استخرجته من كلام أبي علي. افترى اصله افترى دخلت همزة الاستفهام على همزة الوصل فأسقطتها .

[المعنى] ثم ذكر سبحانه المؤمنين واعترافهم بما جحده من تقدّم ذكرهم من الكافرين فقال ﴿ويرى الذين اوتوا العلم﴾ أي ويعلم الذين اعطوا المعرفة بوحدانية الله تعالى وهم اصحاب محمد ﷺ عن قتادة وقيل هم المؤمنون من اهل الكتاب عن الضحاك وقيل هم كل من أوتي العلم بالدين وهذا أولى لعمومه ﴿الذي أنزل إليك من ربك﴾ يعني القرآن ﴿هو الحق﴾ أي يعلمونه الحق لأنهم يتدبّرونه ويتفكرون فيه فيعلمون بالنظر والاستدلال انه ليس من قبل البشر فهؤلاء لطف الله سبحانه لهم بما أدّاهم إلى العلم فكأنه سبحانه قد أتاهم العلم وقوله ﴿ويهدي﴾ أي ويعلمون أنه يهدي إلى القرآن ويرشد ﴿إلى صراط العزيز الحميد﴾ أي دين القادر الذي لا يغالب المحمود على جميع أفعاله وهو الله تعالى وفي هذه الآية دلالة على فضيلة العلم وشرف العلماء وعظم اقدارهم ثم عاد سبحانه إلى الحكاية عن الكفار فقال ﴿وقال الذين كفروا﴾ أي بعضهم لبعض او القادة للأتباع على وجه الاستبعاد والتعجب ﴿هل ندلكم على رجل﴾ يعنون محمداً ﷺ ﴿ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق انكم لفي خلق جديد﴾ أي يزعم إنكم تبعثون بعد أن تكونوا عظاماً ورفاتاً وتراباً وهو قوله إذا مزقتم كل ممزق أي فرّقتم كل تفريق وقطعتم كل تقطيع وأكلتكم الأرض والسباع والطيور والجديد المستأنف المعاد والمعنى إنكم يجدّد خلقكم بأن تنشروا وتبعثوا ﴿أفترى على الله كذباً﴾ معناه هل كذب على الله متعمداً حين زعم أنا نبعث بعد الموت وهو استفهام تعجب وانكار ﴿أم به جنة﴾ أي جنون فهو يتكلم بما لا يعلم ثم ردَّ سبحانه عليهم قولهم فقال ﴿بل﴾ ليس الأمر على ما قالوا من الافتراء والجنون ﴿الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ أي هؤلاء الذين لا يصدّقون بالبعث والجزاء والثواب والعقاب ﴿في العذاب﴾ في الآخرة ﴿والضلال البعيد﴾ من الحق في الدنيا ثم وعظهم سبحانه ليعتبروا فقال ﴿أفلم يروا﴾ أي أفلم ينظر هؤلاء الكفار ﴿إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض﴾ كيف أحاطت بهم وذلك ان الإنسان حيث ما نظر رأى السماء والأرض قدامه وخلفه وعن يمينه وعن شماله فلا يقدر على الخروج منها وقيل معناه أفلم يتدبروا ويتفكروا في السماء والأرض فيستدلّوا بذلك على قدرة الله تعالى ثم ذكر سبحانه قدرته على اهلاكهم فقال ﴿ان نشأ نخسف بهم الأرض﴾ كما خسفنا بقارون ﴿أو نسقط عليهم كسفاً من السماء﴾ أي قطعة من السماء تغطّيهم وتهلكهم ﴿إن في ذلك لآية﴾ معناه ان فيما ترون من السماء والأرض لدلالة على قدرة الله على البعث

وعلى ما يشاء من الخسف بهم ﴿لكل عبد منيب﴾ أناب إلى الله ورجع إلى طاعته أفلا يرتدع هؤلاء عن التكذيب بآيات الله والانكار لقدرته على البعث .

﴿ * وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ
أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ
وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾
وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ
ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ
عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ
مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟
ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا
عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ
فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى
ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾

[القراءة] قرأ يعقوب وعبيد بن عمير والأعرج والطير بالرفع وقرأ سائر القراء والطير بالنصب وقرأ أبو بكر ولسليمان الريحُ بالرفع والباقون بالنصب وقرأ ابن كثير وأبو عمرو كالجوابي بالياء في الوصل إلا ابن كثير وقف بياء وأبو عمرو بغير ياء والباقون بغير ياء في الوصل والوقف وقرأ أهل المدينة وأبو عمرو وابن فليح وزيد عن يعقوب منساته بغير همز وقرأ ابن عامر منسأته بهمزة ساكنة والباقون بهمزة مفتوحة وقرأ يعقوب تُبِّينَت الجن بضم التاء والباء وكسر الياء والباقون تَبَيَّنَت بفتح الجميع وفي الشواذ قراءة ابن عباس والضحاك تبينت الانس

وهو قراءة علي بن الحسين زين العابدين (ع) وأبي عبد الله (ع).

[الحجة] قال الزجاج أما الرفع في والطير ففيه وجهان (أحدهما) أن يكون نسقاً على الياء في أوّبي المعنى يا جبال رجعي التسبيح أنت معه والطير (والآخر) أن يكون معطوفاً على لفظ جبال التقدير يا جبال والطير وأما النصب ففيه ثلاثة أوجه (أحدها) أن يكون عطفاً على فضلاً أي آتينا داود منا فضلاً والطير بمعنى وسخرنا له الطير حكى ذلك أبو عبيدة عن أبي عمرو بن العلاء (والثاني) أن يكون نصباً على النداء ويكون معطوفاً على محل جبال كأنه قال ادعو الجبال والطير (والثالث) أن يكون منصوباً على معنى مع والمعنى أوبي معه ومع الطير قال أبو علي من قرأ ولسليمان الريحَ بالنصب حمله على التسخير في قوله ﴿ فسخّرنا له الريح تجري بأمره ﴾ ويقوّي ذلك قوله ﴿ ولسليمان الريح عاصفة ﴾ ووجه الرفع أن الريح إذا سخرت لسليمان جاز أن يقال له الريح على معنى له تسخير الريح فالرفع على هذا يؤول إلى معنى النصب لأن المصدر المقدر في تقدير الإضافة إلى المفعول به قال والقياس في الجوابي أن يثبت الياء مع الألف واللام وإنما وقف أبو عمرو بغير ياء لأنه فاصلة أي مشبّه بها من حيث تمّ الكلام ومن حذف الياء في الوصل والوقف فلأن هذا النحو قد يحذف كثيراً والقياس في همزة منسأته إذا خففت الهمزة منها أن تجعل بين بين إلا أنهم خففوا همزتها على غير القياس قال الشاعر أنشده أبو الحسن :

إذا دَبَبْتَ عَلَى الْمِنْسَاةِ مِنْ هَرَمٍ فَقَدْ تَبَاعَدَ عَنْكَ اللَّهْوُ وَالْغَزَلُ[1]

وأما قوله تبينت الانس فمعناه تبينت الانس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب وهكذا هو في مصحف عبد الله ويؤول إلى هذا المعنى قراءة يعقوب تُبُيِّنت الجن .

[اللغة] التأويب الترجيع بالتسبيح قال سلامة بن جندل :

يَوْمَانِ يَوْمُ مَقَامَاتٍ وَأَنْدِيَةٍ وَيَوْمُ سَيْرٍ إلى الأَعْدَاءِ تَأْوِيبِ[2]

أي رجوع بعد رجوع والسابغ التام من اللباس وسرد الحديد نظمه قال الشاعر :

عَلَى ابْنِ أَبِي الْعَاصِي دِلَاصٌ حَصِينَةٌ أَجَادَ الْمُسَدِّي سَرْدَهَا وَأَذَالَهَا[3]

(١) دبَّ الشيخ : مشى مشياً رويداً . والمنساة: العصا .

(٢) وقبل هذا البيت قوله : « إن الشباب الذي مجد عواقبه * فيه تلذُّ ولا لذات للشيب » فسّر الشاعر العواقب بقوله : « يومان » والأندية بمعنى الأفنية وأراد بها أماكن اللهو التي يصرف فيها الشبان شبابهم . و« تأويب » صفة سير .

(٣) قائله كثير من قصيدة يمدح فيها عبد الملك بن مروان . وابن أبي العاصي هو عبد الملك بن مروان بن الحكم بن =

وقال أبو ذؤيب :

وَعَلَيْهِمَا مَسْرُودَتَانِ قَضَاهُمَا ... دَاوُدُ أَوْ صَنَعُ السَّوَابِغِ تُبَّعُ(١)

وهو مأخوذ من سرد الكلام يسرد سرداً إذا تابع بين بعض حروفه وبعض قال المبرد لا يسمى محراباً إلا ما يرتقى إليه بدرج قال عدي بن زيد :

كَدُمَى العَاجِ فِي المَحَارِيبِ أَوْ كَالْبِيـ ... ـضِ فِي الرَّوْضِ زَهْرُهُ مُسْتَنِيرُ(٢)

وقال وضاح اليمن :

رَبَّةَ مِحْرَابٍ إِذَا جِئْتُهَا ... لَمْ أُلْقَهَا أَوْ أَرْتَقِي سُلَّمَا

والتماثيل صور الأشياء واحدها تمثال وأصلها من المثول وهو القيام كأنه نصب قائماً ومنه الحديث من سرَّه أن يمثل له الناس فليتبوء مقعده من النار والجوابي جمع جابية وهي الحوض العظيم يجبى فيه الماء قال الأعشى :

تَرُوحُ عَلَى آلِ المُحَلَّقِ جَفْنَةٌ ... كَجَابِيَةِ الشَّيْخِ العِرَاقِيِّ تَفْهَقُ(٣)

والمنسأة العصا الكبيرة التي يسوق بها الراعي غنمه مفعلة من نسأت الناقة والبعير إذا زجرته .

[الإعراب] إن أعمل سابغات أن هاهنا في تأويل التفسير والقول وهي تدعى المفسرة بمعنى أي كأنه قيل وألنّا له الحديد أي اعمل سابغات والتقدير قلنا له اعمل ويكون في معنى لأن يعمل ولنا تصل أن هذه بلفظ الأمر ومثله في الكلام أرسل إليه أن قم إلى فلان وقدر مفعوله محذوف أي قدر الحلق والمسامير وقوله غدوّها شهر ورواحها شهر في موضع نصب على الحال والتقدير غدوّها مسيرة شهر ورواحها كذلك فحذف المضاف والعامل في الحال

= أبي العاصي . ودلاص : وصف للدرع اللينة ، والحصينة : المحكمة المتدانية الحلق يكون صاحبها في حصن مما يصيبه وسدى الدرع : نسجها وأذال الدرع : أطال ذيلها .

(١) من قصيدة قالها في رثاء ابنه وقد مر البيت في ج ٢

(٢) دمى العاج الأصنام . الكلابي وبناته وصارت سبب تزويج الناس بهنّ وغناء المحلق بعد فقره في قصة ذكرها في جامع الشواهد باب التاء بعده الشين وفي مقدمة المعلقات العشر في ترجمة الأعشى ميمون فراجع :

(٣) الجفنة : القصعة الكبيرة و«تفهق» من الفهق بمعنى الاتساع والامتلاء ، قال ابن منظور : خصّ العراقي لجهله بالمياه لأنه حضري فإذا وجدها ملأ جابيته واعدها ولم يدر متى يجد الماء وأما البدوي فهو عالم بالمياه فهو لا يبالي ان يعدها وقال بعض لكثرة الماء في العراق فحياضهم واسعة ، ويروى «كجابية السيح» وهو الماء الجاري .

معنى التسخير في قوله ولسليمان الريح ومن يعمل في موضع نصب على تقدير وسخرنا من الجن من يعمل . شكراً يجوز أن يكون مفعول اعملوا على تقدير اشكروا شكراً كما تقول أحمد الله شكراً فيكون مفعولاً مطلقاً وهو المصدر ويجوز أن يكون مفعولاً له ومفعول اعمل محذوف وتقديره اعملوا الطاعة شكراً وقوله أن لو كانوا يعلمون الغيب أن هذه مخففة من الثقيلة على تقدير أنهم لو كانوا يعلمون الغيب قال أبو علي والتقدير فلما خرَّ تبيَّن أمر الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب فحذف المضاف فإنَّ لو كانوا بدل من الجن ولفظ تبيَّن هنا لازم غير متعدٍّ مثله في قوله وتبيَّن لكم كيف فعلنا بهم وقوله فلما تبيَّن له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير والمعنى فلما خرَّ انكشف للانس أمر الجن من جهلهم بالغيب وذلك لأن الجن ما ادّعوا علم الغيب وإنما اعتقد الانس فيهم أنهم يعلمون الغيب فأبطل الله عقيدتهم فيهم بموت سليمان .

[المعنى] لمّا تقدَّم ذكر عباد الله المنيبين إليه وصله سبحانه بذكر داود وسليمان فقال ﴿ ولقد آتينا داود منا فضلاً ﴾ معناه ولقد أعطينا داود من عندنا نعمة واحساناً اي فضَّلناه على غيره بما أعطيناه من النبوة والكتاب وفصل الخطاب والمعجزات ثم فصَّل سبحانه ما أعطاه فقال ﴿ يا جبال أوّبي معه والطير ﴾ أي قلنا للجبال يا جبال سبّحي معه إذا سبّح عن ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد قالوا أمر الله الجبال أن تسبّح معه إذا سبّح فسبحت معه وتأوله عند أهل اللغة رجعي معه التسبيح من آب يؤوب ويجوز أن يكون سبحانه فعل في الجبال ما يأتي به منها التسبيح معجزاً له وأما الطير فيجوز أن يسبّح ويحصل له من التمييز ما يتأتى منه ذلك بأن يزيد الله في فطنته فيفهم ذلك وقيل معناه سيّري معه فكانت الجبال والطير تسير معه أينما سار وكان ذلك معجزاً له عن الجبائي والتأويب السير بالنهار وقيل معناه ارجعي إلى مراد داود فيما يريده من حفر بئر واستنباط عين واستخراج معدن ووضع طريق ﴿ وألنّا له الحديد ﴾ فصار في يده كالشمع يعمل به ما شاء من غير أن يدخله النار ولا أن يضربه بالمطرقة عن قتادة ﴿ ان أعمل سابغات ﴾ أي قلنا له اعمل من الحديد دروعاً تامات وإنما ألان الله تعالى الحديد لداود لأنه أحبَّ أن يأكل من كسب يده فألان الحديد له وعلَّمه صنعة الدرع وكان أول من اتَّخذها وكان يبيعها ويأكل من ثمنها ويطعم عياله ويتصدق منه وروي عن الصادق (ع) قال ان الله أوحى إلى داود (ع) نعم العبد أنت إلا أنك تأكل من بيت المال فبكى داود أربعين صباحاً فألان الله له الحديد وكان يعمل كل يوم درعاً فيبيعها بألف درهم فعمل ثلاثمائة وستين درعاً فباعها بثلاثمائة وستين ألفاً فاستغنى عن بيت المال ﴿ وقدّر في السرد ﴾ أي عدل في نسج الدروع ومنه قيل لصانعها سراد وزراد والمعنى لا تجعل

المسامير دقاقاً فتضلق ولا غلاظاً فتكسر الحلق وقيل السرد المسامير التي في حلق الدروع عن قتادة حكي أن لقمان حضر داود عند أول درع عملها فجعل يتفكر فيها ولا يدري ما يريد ولم يسأله حتى فرغ منها ثم قام فلبسها وقال نعم جنة الحرب هذه فقال لقمان عند ذلك الصمت حكمة وقليل فاعله ﴿ واعملوا صالحاً ﴾ أي وقلنا اعمل أنت وأهلك الصالحات وهي الطاعات شكراً لله سبحانه على عظيم نعمه ﴿ إني بما تعملون بصير ﴾ أي أنا عالم بما تفعلونه لا يخفى عليَّ شيء من أعمالكم ثم ذكر سبحانه سليمان وما أتاه من الفضل والكرامة فقال ﴿ ولسليمان الريح ﴾ أي وسخَّرنا لسليمان الريح ﴿ غدوّها شهر ورواحها شهر ﴾ أي مسير غدو تلك الريح المسخرة له مسيرة شهر ومسير رواح تلك الريح مسيرة شهر والمعنى أنها كانت تسير في اليوم مسيرة شهرين للراكب قال قتادة كان يغدو مسيرة شهر إلى نصف النهار ويروح مسيرة شهر إلى آخر النهار وقال الحسن كان يغدو من دمشق فيقيل باصطخر من أرض أصفهان وبينهما مسيرة شهر للمسرع ويروح من اصطخر فيبيت بكابل وبينهما مسيرة شهر تحمله الريح مع جنوده أعطاه الله الريح بدلاً من الصافنات الجياد ﴿ وأسلنا له عين القطر ﴾ أي أذبنا له عين النحاس وأظهرناها له قالوا أجريت له عين الصفر ثلاثة أيام بلياليهن جعلها الله له كالماء وإنما يعمل الناس بما أعطي سليمان منه ﴿ ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ﴾ المعنى وسخَّرنا له من الجن من يعمل له بحضرته وأمام عينه ما يأمرهم به من الأعمال كما يعمل الآدمي بين يدي الآدمي بأمر ربه تعالى وكان يكلّفهم الأعمال الشاقة مثل عمل الطين وغيره وقال ابن عباس سخَّرهم الله لسليمان وأمرهم بطاعته فيما يأمرهم به وفي هذا دلالة على أنه قد كان من الجن من هو غير مسخّر له ﴿ ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير ﴾ لمعنى ومن يعدل من هؤلاء الجن الذين سخَّرناهم لسليمان عما أمرناهم به من طاعة سليمان نذقه من عذاب السعير أي عذاب النار في الآخرة عن أكثر المفسرين وفي هذا دلالة على أنهم قد كانوا مكلفين وقيل معناه نذيقه العذاب في الدنيا وأن الله سبحانه وكّل بهم ملكاً بيده سوط من نار فمن زاغ منهم عن طاعة سليمان ضربه ضربة أحرقته ﴿ يعملون له ما يشاء من محاريب ﴾ وهي بيوت الشريعة وقيل هي القصور والمساجد يتعبد فيها عن قتادة والجبائي قال وكان ممّا عملوه بيت المقدس وقد كان الله عزَّ وجل سلَّط على بني إسرائيل الطاعون فهلك خلق كثير في يوم واحد فأمرهم داود أن يغتسلوا ويبرزوا إلى الصعيد بالذراري والأهلين ويتضرعون إلى الله لعله يرحمهم وذلك صعيد بيت المقدس قبل بناء المسجد وارتفع داود فوق الصخرة فخرَّ ساجداً يبتهل إلى الله سبحانه وسجدوا معه فلم يرفعوا رؤوسهم حتى كشف الله عنهم الطاعون فلما أن شفَّع الله داود في بني إسرائيل

جمعهم داود بعد ثلاث وقال لهم أن الله تعالى قد منَّ عليكم ورحمكم فجدِّدوا له شكراً بأن تتخذوا من هذا الصعيد الذي رحمكم فيه مسجداً ففعلوا وأخذوا في بناء بيت المقدس وكان داود ينقل الحجارة لهم على عاتقه وكذلك خيار بني إسرائيل حتى رفعوه قامة ولداود يومئذ سبع وعشرون ومائة سنة فأوحى الله إلى داود أن تمام بنائه يكون على يدي ابنه سليمان فلما صار داود ابن أربعين ومائة سنة توفاه الله واستخلف سليمان فأحبَّ اتمام بيت المقدس فجمع الجن والشياطين وقسَّم عليهم الأعمال يخصُّ كل طائفة منهم بعمل فأرسل الجن والشياطين في تحصيل الرخام والمها[1] الأبيض الصافي من معادنه وأمر ببناء المدينة من الرخام والصُفَّاح[2] وجعلها اثني عشر رَبَضاً[3] وانزل كل ربض منها سبطاً من الأسباط ولما فرغ من بناء المدينة ابتدأ في بناء المسجد فوجَّه الشياطين فرقاً فرقة يستخرجون الذهب والياقيت من معادنها وفرقة يقلعون الجواهر والأحجار من أماكنها وفرقة يأتون بالمسك والعنبر وسائر الطيب وفرقة يأتون بالدر من البحار فأوتي من ذلك بشيء لا يحصيه إلا الله تعالى ثم أحضر الصناع وأمرهم بنحت تلك الأحجار حتى صيَّروها الواحاً ومعالجة تلك الجواهر واللآلىء قال وبنى سليمان المسجد بالرخام الأبيض والأصفر والأخضر وعمده بأساطين المها الصافي وسقفه بألواح الجواهر وفضض سقوفه وحيطانه باللآلىء والياقيت والجواهر وبسط أرضه بألواح الفيروزج فلم يكن في الأرض بيت أبهى ولا أنور من ذلك المسجد كان يضيء في الظلمة كالقمر ليلة البدر فلما فرغ منه جمع إليه أحبار بني إسرائيل فأعلمهم أنه بناه الله تعالى واتخذ ذلك اليوم الذي فرغ منه عيداً فلم يزل بيت المقدس على ما بناه سليمان حتى غزا بخت نصر بني إسرائيل فخرب المدينة وهدمها ونقض المسجد وأخذ ما في سقوفه وحيطانه من الذهب والفضة والدر والياقيت والجواهر فحملها إلى دار مملكته من أرض العراق قال سعيد بن المسيب لما فرغ سليمان من بناء بيت المقدس تغلقت أبوابه فعالجها سليمان فلم تنفتح حتى قال في دعائه بصلوات أبي داود إلا فتحت الأبواب ففتحت ففرغ له سليمان عشرة آلاف من قراء بني إسرائيل خمسة آلاف بالليل وخمسة آلاف بالنهار فلا تأتي ساعة من ليل ولا نهار إلا ويعبد الله فيها ﴿ وتماثيل ﴾ يعني صوراً من نحاس وشبه[4] وزجاج ورخام كانت الجن تعملها ثم اختلفوا فقال بعضهم كانت صور للحيوانات وقال آخرون كانوا يعملون صور

---

(١) المها جمع المهاة : البلور .

(٢) الصفاح : الحجارة العريضة الرقيقة .

(٣) الربض : سور المدنية . الناحية كل ما يؤوى إليه ويستراح لديه من مال وبيت ونحوه .

(٤) الشبه : النحاس الأصفر .

السباع والبهائم على كرسيه ليكون أهيب له فذكروا أنهم صوّروا أسدين أسفل كرسيه ونسرين فوق عمودي كرسيه فكان إذا أراد أن يصعد الكرسي بسط الأسدان ذراعيهما وإذا علا على الكرسي نشر النسران أجنحتهما فظلّلاه من الشمس ويقال أن ذلك كان مما لا يعرفه أحد من الناس فلما جاول بخت نصر صعود الكرسي بعد سليمان حين غلب على بني إسرائيل لم يعرف كيف كان يصعد سليمان فرفع الأسد ذراعيه فضرب ساقه فقدّها فوقع مغشياً عليه فما جَسَرَ أحد بعده أن يصعد ذلك الكرسي قال الحسن ولم تكن يومئذ التصاوير محرمة وهي محظورة في شريعة نبينا ﷺ فإنه قال لعن الله المصوّرين ويجوز أن يكره ذلك في زمن دون زمن وقد بيّن الله سبحانه أن المسيح كان يصوّر بأمر الله من الطين كهيئة الطير وقال ابن عباس كانوا يعملون صور الأنبياء والعُبّاد في المساجد ليُقتدى بهم وروي عن الصادق (ع) أنه قال والله ما هي تماثيل النساء والرجال ولكنّه الشجر وما أشبهه ﴿ وجفان كالجواب ﴾ أي صحاف كالحياض التي يجبى فيها الماء أي يجمع وكان سليمان (ع) يصلح طعام جيشه في مثل هذه الجفان فإنه لم يمكنه أن يطعمهم في مثل قصاع الناس لكثرتهم وقيل أنه كان يجمع على كل جفنة ألف رجل يأكلون بين يديه ﴿ وقدور راسيات ﴾ أي ثابتات لا يزلن عن أمكنتهن لعظمهن عن قتادة وكانت باليمن وقيل كانت عظيمة كالجبال يحملونها مع أنفسهم وكان سليمان يطعم جنده ثم نادى سبحانه آل داود وأمرهم بالشكر على ما أنعم به عليهم من هذه النعمة العجيبة لأن نعمته على سليمان نعمة عليهم فقال ﴿ اعملوا آل داود شكراً ﴾ أي قلنا لهم يا آل داود اعملوا بطاعة الله شكراً له على ما آتاكم من النعم عن مجاهد وفي هذا دلالة على وجوب شكر النعمة وأنّ الشكر طاعة المنعم وتعظيمه وفيه إشارة أيضاً إلى أن لقرابة أنبياء الله تعالى أثراً في القرب إلى رضى الله حين خصّ آل داود بالأمر ﴿وقليل من عبادي الشكور ﴾ والفرق بين الشكور والشاكر أن الشكور من تكرر منه الشكر والشاكر من وقع منه الشكر قال ابن عباس أراد به المؤمن الموحد وفي هذا دلالة على أن المؤمن الشاكر يقلّ في كل عصر ﴿ فلما قضينا عليه الموت ﴾ أي فلما حكمنا على سليمان بالموت وقيل معناه أوجبنا على سليمان الموت ﴿ ما دلّهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته ﴾ أي ما دلّ الجن على موته إلا الأرضة ولم يعلموا موته حتى أكلت عصاه فسقط فعلموا أنه ميت وقيل أن سليمان كان يعتكف في مسجد بيت المقدس السنة والسنتين والشهر والشهرين وأقلّ وأكثر يدخل فيه طعامه وشرابه ويتعبّد فيه فلما كان في المرة التي مات فيها لم يكن يصبح يوماً إلا وتنبت شجرة كان يسألها سليمان فتخبره عن إسمها ونفعها وضرّها فرأى يوماً نبتاً فقال ما اسمك قال الخرنوب قال لأيّ شيء أنت قال للخراب فعلم أنه سيموت فقال اللهم عمّ على

الجن موتي ليعلم الانس أنهم لا يعلمون الغيب وكان قد بقي من بنائه سنة وقال لأهله لا تخبروا الجن بموتي حتى يفرغوا من بنائه ودخل محرابه وقام متكئاً على عصاه فمات وبقي قائماً سنة وتمّ البناء ثم سلّط الله على منسأته الأرضة حتى أكلتها فخرّ ميتاً فعرف الجن موته وكانوا يحسبونه حياً لما كانوا يشاهدون من طول قيامه قبل ذلك وقيل أن في إماتته قائماً وبقائه كذلك أغراضاً منها اتمام البناء ومنها أن يعلم الإنس أن الجن لا تعلم الغيب وأنهم في ادّعاء ذلك كاذبون ومنها أن يعلم أن من حضر أجله فلا يتأخر إذ لم يؤخر سليمان مع جلالته وروي أنه أطلعه الله سبحانه على حضور وفاته فاغتسل وتحنط وتكفن والجن في عملهم وروى أبو بصير عن أبي جعفر (ع) قال أن سليمان أمر الشياطين فعملوا له قبة من قوارير فبينا هو قائم متكيء على عصاه في القبة ينظر إلى الجن كيف يعملون وهم ينظرون إليه ولا يصلون إليه إذا رجل معه في القبة فقال من أنت فقال أنا الذي لا أقبل الرشى ولا أهاب الملوك فقبضه وهو قائم متكيء على عصاه في القبة قال فمكثوا سنة يعملون له حتى بعث الله الأرضة فأكلت منسأته وفي حديث آخر عن أبي عبد الله (ع) قال فكان آصف يدبّر أمره حتى دبّت الأرضة ﴿ فلما خرّ ﴾ أي سقط سليمان ميتاً ﴿ تبينت الجن ﴾ أي ظهرت الجن فانكشف للناس ﴿ أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين ﴾ معناه في الأعمال الشاقة وإنما سمّاها عذاباً للمشاق التي فيها لا أنه كان عذاباً فليس ذلك إلا أن يكون عبادة له أو بمنزلة ما يعوضون عليه أي ما عملوا مسخرين لسليمان وهو ميت وهم يظنون أنه حيّ وقيل أن المعنى تبينت عامة الجن وضعفتهم أن رؤساءهم لا يعلمون الغيب لأنهم كانوا يوهمونهم أنهم يعلمون الغيب وقيل معناه تبينت الانس أن الجن كانوا لا يعلمون الغيب فإنهم كانوا يوهمون الإنس إنا نعلم الغيب وإنما قال تبينت الجن كما يقول من يناظر غيره ويلزمه الحجة هل تبين لك أنك على باطل وعلى هذا تدل قراءة من قرأ تبينت الانس وقد مضى بيانه وذكر أهل التاريخ أن عمر سليمان كان ثلاثاً وخمسين سنة مدة ملكه منها أربعون سنة وملك يوم ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة وابتدأ في بناء بيت المقدس لاربع سنين مضين من ملكه والله أعلم وأما الوجه في عمل الجن تلك الأعمال العظيمة فهو أن الله تعالى زاد في أجسامهم وقوتهم وغيّر خلقهم عن خلق الجن الذين لا يرون للطافتهم ورقة أجسامهم على سبيل الاعجاز الدال على نبوة سليمان فكانوا بمنزلة الأسراء في يده وكانوا تتهيّأ لهم الأعمال التي كان يكلّفها إياهم ثم لما مات (ع) جعل الله خلقهم على ما كانوا عليه فلا يتهيأ لهم في هذا الزمان شيء من ذلك .

﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ

عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ
وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم
بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾
ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا ۖ وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١٧﴾
وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا
فِيهَا السَّيْرَ ۖ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ
بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ
مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾

[القراءة] قرأ مسكنهم على التوحيد بفتح الكاف حمزة وحفص وبكسر الكاف الكسائي وخلف والباقون مساكنهم على الجمع وقرأ أكل خمط مضاف غير منوّن أهل البصرة وقرأ الباقون غير مضاف بالتنوين وقرأ أهل الكوفة غير أبي بكر ويعقوب وهل نجازي بالنون وكسر الزاي إلا الكفور بالنصب وادغم الكسائي اللام من هل في النون وغيره لم يدغم والباقون يجازي بالياء وفتح الزاي والكفور بالرفع وقرأ أبو عمرو وابن كثير وهشام بَاعِدْ بين أسفارنا بالتشديد على لفظ الأمر وقرأ يعقوب وسهل ربنا بالضم باعد بالألف وفتح الباء والعين والدال مخففة وهو قراءة محمد بن علي الباقر (ع) وابن عباس وقرأ الباقون ربنا بالنصب باعد بالألف على الدعاء وفي الشواذ قراءة ابن يعمر ومحمد بن السميفع ربنا بالنصب بَعُدَ بفتح الباء والدال وضم العين بين أسفارنا بالرفع .

[الحجة] قال أبو علي من قرأ مساكنهم أتى باللفظ وفقاً للمعنى لأن لكل ساكن مسكناً ومن قرأ مسكنهم فيشبه ان يكون جعل المسكن مصدراً وحذف المضاف والتقدير في مواضع سكناهم فلما جعل المسكن كالسكنى والسكون أفرد كما يفرد المصدر وهذا أشبه من أن تحمله على نحو «كلوا في بعض بطنكم»[1] وعلى هذا قوله تعالى ﴿في مقعد صدق﴾ أي في

(١) هذا جزء بيت وتمامه « كلوا في بعض بطنكم تعفوا ● فان زمانكم زمن خميص » قوله « تعفوا » اي تعفوا عن السؤال =

موضع قعود ألا ترى ان لكل واحد من المتقين موضع قعود والأشبه في الكاف الفتح لأن اسم المكان والمصدر من باب يفعل على المفعل وقد يشذ على القياس نحو هذا كما جاء المسجد وسيبويه يحمله على اسم البيت وكذلك المطلع إلا أن أبا الحسن يقول ان المسكن إذا كسرته لغة كثيرة وهي لغة الناس اليوم والفتح لغة أهل الحجاز فأما الاضافة في أكل خمط فان أبا عبيدة قال الخمط كل شجرة مرة ذات شوكة والأكل الجنى فعلى هذا التفسير تحسن الاضافة وذلك ان الاكل اذا كان الجنى فإن جنى كل شجرة منه وغير الاضافة ليس في حسن الاضافة لأن الخمط إنما هو اسم شجرة وليس بوصف فإذا لم يكن وصفاً لم يجر على ما قبله كما يجري الوصف على الموصوف والبدل ليس بالسهل أيضاً لأنه ليس هو هو ولا بعضه لأن الجنى من الشجر وليس الشجر من الجنى فيكون اجراؤه عليه على وجه العطف البيان كأنه بيّن ان الجنى لهذا الشجر ومنه قال أبو الحسن الأحسن في كلام العرب أن يضيفوا ما كان من نحو هذا مثل دار آجر وثوب خز قال فأكل خمط قراءة كثيرة وليست بجيدة في العربية وحجة من قرأ وهل نجازي بالنون قوله جزيناهم ومن قرأ يجازى على بناء الفعل للمفعول فإن المجازي ايضاً هو الله تعالى وانما خصّ الكفور بالجزاء لأن المؤمن قد يكفر عن سيئاته قال سبحانه ونتجاوز عن سيئاتهم وقال إن الحسنات يذهبن السيئات وليس كذلك الكافر فإنه يجازى بكل سوء يعمله واما ادغام الكسائي اللام في النون فجائز حكاه سيبويه والبيان احسن واما قوله ربنا باعد بين اسفارنا فذكر سيبويه ان فاعل وفعل يجيئان بمعنى كقولهم ضاعف وضعف وقارب وقرب واللفظان جميعاً على معنى الطلب والدعاء قال ابن جني بين منصوب نصب المفعول به أي بعد وباعد مسافة أسفارنا وليس نصبه على الظرف يدلّك على ذلك قراءة من قرأ بعد بين اسفارنا كما تقول بعد مدى اسفارنا فرفعه دليل كونه اسماً وعليه قوله

كَأَنَّ رِمَاحَهُمْ أَشْطَانُ بِئْرٍ بَعِيدٌ بَيْنَ جَالَيْهَا جَرُورِ[1]

أي بعيد مدى جاليها أو مسافة جاليها .

[اللغة] العرم المسناة التي تحبس الماء واحدها عرمة أخذ من عرامة الماء وهي ذهابه كل مذهب قال الأعشى

فَفِي ذَاكَ لِلْمُؤْتَسِي أُسْوَةٌ وَمَأْرِبُ قَفَّى عَلَيْهِ الْعَرِمْ[2]

= وزمن خميص : ذو مجاعة .

(١) الاشطان جمع الشطن : الحبل الطويل يستقى به والجال : جدار البئر . وبئر جرور : بعيدة القعر .

(٢) مأرب : موضع وقفى عليه العرم أي ذهب به السيل .

رُخَامٌ بَنَتْهُ لَهُ حِمْيَرٌ إِذَا جَاءَ مَاؤُهُمُ لَمْ يَرِمْ(١)

وقيل العرم اسم واد كان يجتمع فيه سيول من أودية شتى وقيل العرم هنا اسم الجُرَذ الذي نقب السِكْر(٢) عليهم وهو الذي يقال له الخُلْد وقيل العرم المطر الشديد .

[الإعراب] آية اسم كان. جنتان رفع على انه بدل من آية ويجوز أن يكون خبراً لمبتدأ محذوف كأنه قيل ما الآية فقال الآية جنتان وعن يمين وشمال صفة لجنتان وعلى هذا تقف على قوله آية وتبتدىء بقوله جنتان. كلوا من رزق ربكم اي يقال كلوا من رزق ربكم منهما فحذف العائد من الصفة إلى الموصوف كما حذف القول. بلدة طيبة تقديره هذه بلدة طيبة والله رب غفور .

[المعنى] ثم أخبر سبحانه عن قصة سبأ بما دلّ على حسن عاقبة الشكور وسوء عاقبة الكفور فقال ﴿لقد كان لسبأ﴾ وهو أبو عرب اليمن كلها وقد تسمى به القبيلة وفي الحديث عن فروة بن مسيك انه قال سألت رسول الله ﷺ عن سبأ أرجل هو أم امرأة فقال هو رجل من العرب ولد له عشرة تيامن منهم ستة وتشاءم منهم أربعة فأما الذين تيامنوا فالازد وكندة ومذحج والاشعرون وانمار وحمير فقال رجل من القوم ما انمار قال الذين منهم خثعم وبجيلة واما الذين تشاءموا فعاملة وجذام ولخم وغسان فالمراد بسبأ هاهنا القبيلة الذين هم اولاد سبأ ابن يشجب بن يعرب بن قحطان ﴿في مسكنهم﴾ أي في بلدهم ﴿آية﴾ أي حجة على وحدانية الله عزَّ اسمه وكمال قدرته وعلامة على سبوغ نعمه ثم فسّر سبحانه الآية فقال ﴿جنتان عن يمين وشمال﴾ أي بستانين عن يمين من أتاهما وشماله وقيل عن يمين البلد وشماله وقيل أنه لم يرد جنتين اثنتين والمراد كانت ديارهم على وتيرة واحدة إذا كانت البساتين عن يمينهم وشمالهم متصلة بعضها ببعض وكان من كثرة النعم ان المرأة كانت تمشي والمكتل على رأسها فيمتلىء بالفواكه من غير أن تمس بيدها شيئاً وقيل الآية المذكورة هي أنه لم يكن في قريتهم بعوضة ولا ذباب ولا برغوث ولا عقرب ولا حية وكان الغريب إذا دخل بلدهم وفي ثيابه قمل ودواب ماتت عن ابن زيد وقيل ان المراد بالآية خروج الأزهار والثمار من الأشجار على اختلاف الوانها وطعومها وقيل إنما كانت ثلاث عشرة قرية في كل قرية نبيٌ يدعوهم إلى الله سبحانه يقولون لهم ﴿كلوا من رزق ربكم واشكروا له﴾ أي كلوا مما رزقكم الله في هذه الجنان واشكروا له يزيدكم من نعمه واستغفروه يغفر لكم ﴿بلدة

(١) الرخام: حجر ابيض سهل رخو ولم يرم اي لم يزل عن مكانه .

(٢) الجرذ كصرد: ضرب من الفار. والسكر: اسم من سكر النهر اي سده .

طيبة﴾ أي هذه بلدة مخصبة نزهة ارضها عذبة تخرج النبات وليست بسبخة وليس فيها شيء من الهوام المؤذية قيل اراد به صحة هواها وعذوبة مائهاوسلامة تربتها وانه ليس فيها حرّ يؤذي في القيظ ولا برد يؤذي في الشتاء ﴿ورب غفور﴾ أي كثير المغفرة للذنوب ﴿فأعرضوا﴾ عن الحق ولم يشكروا الله سبحانه ولم يقبلوا من دعاهم إلى الله من أنبيائه ﴿فأرسلنا عليهم سيل العرم﴾ وذلك ان الماء كان يأتي أرض سبأ من أودية اليمن وكان هناك جبلان يجتمع ماء المطر والسيول بينهما فسدّوا ما بين الجبلين فإذا احتاجوا إلى الماء نقبوا السدّ بقدر الحاجة فكانوا يسقون زروعهم وبساتينهم فلما كذّبوا رسلهم وتركوا امر الله بعث الله جرذا نقبت ذلك الردم وفاض الماء عليهم فأغرقهم عن وهب وقد مرّ تفسير العرم وقال ابن الاعرابي العرم السيل الذي لا يطاق ﴿وبدّلناهم بجنتيهم﴾ اللتين فيهما انواع الفواكه والخيرات ﴿جنتين﴾ أخراوين سمّاهما جنتين لازدواج الكلام كما قال ومكروا ومكر الله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه ﴿ذواتي أكل خمط وأثل﴾ أي صاحبتي اكل وهو اسم لثمر كل شجرة وثمر الخمط البرير قال ابن عباس والخمط هو الاراك وقيل هو شجر الغضا وقيل هو كل شجر له شوك والاثل الطرفاء عن ابن عباس وقيل ضرب من الخشب عن قتادة وقيل هو السمر ﴿وشيء من سدر قليل﴾ يعني .ان الاثل والخمط كانا اكثر فيهما من السدر وهو النبق قال قتادة كان شجرهم خير شجر فصيّره الله شرّ شجر بسوء أعمالهم ﴿ذلك﴾ أي ما فعلنا بهم ﴿جزيناهم بما كفروا﴾ أي بكفرهم ﴿وهل نجازي﴾ بهذا الجزاء ﴿إلا الكفور﴾ الذي يكفر نعم الله وقد استدل الخوارج بهذا على ان مرتكب الكبيرة كافر وهذا الاستدلال غير سديد من حيث انه سبحانه إنما بيّن بذلك انه لا يجازي بهذا النوع من العذاب الذي هو الاستئصال إلا الكافر ويجوز أن يعذّب الفاسق بغير ذلك العذاب وقيل ان معناه هل نجازي بجميع سيّئاته إلا الكافر لأن المؤمن قد يكفر عنه بعض سيّئاته وقيل ان المجازاة من التجازي وهو التقاضي أي لا يقتضي ولا يرتجع ما أعطي إلا الكافر وانهم لما كفروا النعمة اقتضوا ما اعطوا أي ارتجع منهم عن أبي مسلم ﴿وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة﴾ أي وقد كان من قصتهم انا جعلنا بينهم وبين قرى الشام التي باركنا فيها بالماء والشجر قرى متواصلة وكان متجرهم من أرض اليمن إلى الشام وكانوا يبيتون بقرية ويقيلون بأخرى حتى يرجعوا وكانوا لا يحتاجون إلى زاد من وادي سبأ إلى الشام ومعنى الظاهرة ان الثانية كانت ترى من الأولى لقربها منها ﴿وقدرنا فيها السير﴾ أي جعلنا السير من القرية إلى القرية مقداراً واحدا نصف يوم وقلنا لهم ﴿سيروا فيها﴾ أي في تلك القرى ﴿ليالي وأياماً﴾ أي ليلاً شئتم المسير أو نهاراً ﴿آمنين﴾ من الجوع والعطش والتعب ومن السباع وكل المخاوف وفي هذا اشارة الى تكامل

نعمه عليهم في السفر كما انه كذلك في الحضر ثم اخبر سبحانه انهم بطروا وبغوا فقالوا ﴿ربنا باعد بين اسفارنا﴾ أي اجعل بيننا وبين الشام فلوات ومفاوز لنركب اليها الرواحل ونقطع المنازل وهذا كما قالت بنو اسرائيل لما ملوا النعمة أخرج إلينا مما تنبت الأرض من بقلها بدلاً من المن والسلوى ﴿وظلموا أنفسهم﴾ بارتكاب المعاصي والكفر ﴿فجعلناهم أحاديث﴾ لمن بعدهم يتحدثون بأمرهم وشأنهم ويضربون بهم المثل فيقولون تفرقوا ايادي سبأ إذا تشتتوا اعظم التشتت ﴿ومزقناهم كل ممزق﴾ أي فرّقناهم في كل وجه من البلاد كل تفريق ﴿إن في ذلك لآيات﴾ أي دلالات ﴿لكل صبار﴾ على الشدائد ﴿شكور﴾ على النعماء وقيل لكل صبار عن المعاصي شكور للنعم بالطاعات .

[القصة] عن الكلبي عن أبي صالح قال ألقت طريفة الكاهنة إلى عمرو بن عامر الذي يقال له مزيقياء بن ماء السماء وكانت قد رأت في كهانتها ان سدّ مأرب سيخرب وانه سيأتي سيل العرم فيخرب الجنتين فباع عمرو بن عامر امواله وسار هو وقومه حتى انتهوا إلى مكة فأقاموا بها وما حولها فأصابتهم الحمى وكانوا ببلد لا يدرون فيه ما الحمى فدعوا طريفة فشكوا إليها الذي أصابهم فقالت لهم قد أصابني الذي تشكون وهو مفرّق بيننا قالوا فماذا تأمرين قالت من كان منكم ذا هم بعيد وجمل شديد ومزاد جديد فليلحق بقصر عمان المشيد وكانت ازدعمان ثم قالت من كان منكم ذا جلد وقسر وصبر على ازمات الدهر فعليه بالاراك من بطن مر وكانت خزاعة ثم قالت من كان منكم يريد الراسيات في الوحل المطعمات في المحل فليلحق بيثرب ذات النخل وكانت الاوس والخزرج ثم قالت من كان منكم يريد الخمر والخمير والملك والتأمير وملابس التاج والحرير فليلحق ببصرى وغوير وهما من أرض الشام وكان الذين سكنوها آل جفنة بن غسان ثم قالت من كان منكم يريد الثياب الرقاق والخيل العتاق وكنوز الأرزاق والدم المهراق فليلحق بأرض العراق وكان الذين سكنوها آل جذيمة الأبرش ومن كان بالحيرة وآل محرق .

﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ
عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ
لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا
فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم

مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ * قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۙ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾

[القراءة] قرأ أهل الكوفة صدق بتشديد الدال والباقون بتخفيفها وقرأ يعقوب وسهل صدق بالتشديد ابليس بالنصب ظنه بالرفع وقرأ أبو عمرو وأهل الكوفة غير عاصم الا الأعشى والبرجمي أُذن بضم الهمزة والباقون بفتحها وقرأ ابن عامر ويعقوب فَزِع بفتح الفاء والزاي والباقون بضم الفاء وكسر الزاي وفي الشواذ قراءة الحسن بخلاف وقتادة فَزَّعَ بفتح الفاء والزاي والعين والتشديد وعن الحسن ايضاً فُزِّع بضم الفاء وكسر الزاي والتشديد وعنه عن قتادة فُزِع بضم الفاء وكسر الزاي والتخفيف .

[الحجة] قال أبو علي معنى التخفيف في صدق أنه صدق ظنه بهم من متابعتهم إياه إذا أغواهم وذلك نحو قوله فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم ولأوغينهم أجمعين فهذا ظنه لأنه لم يقل ذلك عن يقين فظنه على هذا ينتصب انتصاب المفعول به ويجوز أن ينتصب انتصاب الظرف أي في ظنّه وقد يقال أصاب الظن وأخطأ الظن وقال الشاعر

إِنْ يَكُ ظَنِّي صَادِقاً وَهْوَ صَادِقُ بِشَمْلَةَ يَحْبِسْهُمْ بِهَا مَحْبَساً وَعْرَا[1]

(١) البيت منسوب إلى مكبرة بنت بردام شملة تقول:
ان يك ظني بشميلة صادقاً يحبسهم اي القوم الذين قتلوا اباه بتلك المعركة محبساً صعباً يدركه فيه ثأر أبيه .

فعدّاه إلى المفعول به ومن قرأ بالتشديد نصب الظن على أنه مفعول به ومن قرأ صدق عليهم ابليس بالنصب ظنه بالرفع فالمعنى ان ابليس كان سوّلت له نفسه شيئاً فصدّقه ظنّه ومن قرأ إلا لمن أذن له فالمعنى لمن أذن الله له ان يشفع ومن قرأ اذن له فبنى الفعل للمفعول به فهو يريد هذا المعنى ايضاً كما ان قوله حتى إذا فُزِع عن قلوبهم وفزع وهل نجازي إلا الكفور وهل يجازي إلا الكفور واحد في المعنى وان اختلفت الألفاظ .

[اللغة] يقال صدّقت زيداً وصَدَقته وكذّبته وكذَبته وينشد الأعشى « وَصَدَقْتُهُ وَكَذَبْتُهُ والْمَرْءُ يَنْفَعُهُ كِذَابُهُ » أبو عبيدة فزع عن قلوبهم نفس عنها يقال فزع وفزع إذا أزيل الفزع عنها .

[الإعراب] لنعلم قال الزجاج معناه ما امتحناهم في إبليس إلا لنعلم ذلك علم وقوعه منهم وهو الذي يجازون عليه . لا يملكون الأجودان يكون جملة مستأنفة ويجوز أن يكون حالاً وقوله وانا اواياكم لعلى هدى او في ضلال مبين تقديره وانا لعلى هدى أو في ضلال مبين وانكم لعلى هدى أو في ضلال مبين .

[المعنى] ثم قال سبحانه ﴿ولقد صدّق عليهم ابليس ظنّه﴾ الضمير في عليهم يعود إلى أهل سبأ وقيل إلى الناس كلهم إلا من أطاع الله عن مجاهد والمعنى ان ابليس كان قال لأوغينّهم ولأضلّنهم وما كان ذلك عن علم وتحقيق وإنما قاله ظناً فلما تابعه اهل الزيغ والشرك صدّق ظنّه وحقّقه ﴿فاتبعوه﴾ فيما دعاهم إليه ﴿إلا فريقاً من المؤمنين﴾ من هنا للتبيين يعني المؤمنين كلهم عن ابن عباس أي علموا قبح متابعته فلم يتبعوه واتبعوا امر الله تعالى ﴿وما كان له عليهم من سلطان﴾ أي ولم يكن لإبليس عليهم من سلطنة ولا ولاية يتمكن بها من اجبارهم على الغي والضلال وإنما كان يمكنه الوسوسة فقط كما قال وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي ﴿إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك﴾ المعنى انا لم نمكنه من اغوائهم ووسوستهم إلا لنميّز بين من يقبل منه ومن يمتنع ويأبى متابعته فنعذّب من تابعه ونثيب من خالفه فعبّر عن التمييز بين الفريقين بالعلم وهذا التمييز متجدّد لأنه لا يكون إلا بعد وقوع ما يستحقّون به ذلك واما العلم فبخلاف ذلك فإنه سبحانه كان عالماً بأحوالهم وبما يكون منهم فيما لم يزل وقيل معناه لتعلم طاعاتهم موجودة او معاصيهم ان عصوا فنجازيهم بحسبها لأنه سبحانه لا يجازي احداً على ما يعلم من حاله إلا بعد ان يقع ذلك منه وقيل معناه لنعامله معاملة من كأنه لا يعمل وإنما يعلم ليعلم من يصدق بالآخرة ويعترف بها ممن يرتاب فيها أو يشكّ ﴿وربك﴾ يا محمد ﴿على كل

شيء حفيظ﴾ أي عالم لا يفوته علم شيء من أحوالهم ثم قال سبحانه ﴿قل﴾ يا محمد لهؤلاء المشركين ﴿ادعوا الذين زعمتم من دون الله﴾ أنهم آلهة وانهم شركاء الله تعالى وأنهم شفعاؤكم وانها تستحق الإلهية هل يستجيبون لكم إلى ما تسألونهم وهذا نوع توبيخ لا امر ليعلموا ان أوثانهم لا تنفعهم ولا تضرّهم ﴿لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض﴾ أي لا يملكون زنة ذرة من خير وشرّ ونفع وضرّ فيهما ﴿وما لهم فيهما﴾ أي وليس لهم في خلق السماوات والأرض ﴿من شرك﴾ ونصيب ﴿وما لهم منهم من ظهير﴾ أي ليس لله سبحانه منهم معاون على خلق السماوات والأرض ولا على شيء من الأشياء ﴿ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له﴾ المعنى أنه لا تنفع الشفاعة عند الله تعالى إلا لمن رضيه الله وارتضاه وأذن له في الشفاعة مثل الملائكة والأنبياء والأولياء ويجوز أن يكن المعنى إلا لمن أذن الله في أن يشفع له فيكون مثل قوله ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وإنما قال سبحانه ذلك لأن الكفار كانوا يقولون نعبدهم ليقرّبونا إلى الله زلفى وهؤلاء شفعاؤنا عند الله فحكم الله تعالى ببطلان اعتقاداتهم ﴿حتى إذا فزع عن قلوبهم﴾ أي كشف الفزع عن قلوبهم وفزع كشف الله الفزع عن قلوبهم واختلف في الضمير في قوله في قلوبهم فقيل يعود إلى المشركين الذين تقدّم ذكرهم فيكون المعنى حتى إذا أخرج عن قلوبهم الفزع وقت الفزع ليسمعوا كلام الملائكة ﴿قالوا﴾ أي قالت الملائكة لهم ﴿ماذا قال ربكم قالوا﴾ أي قال هؤلاء المشركون مجيبين لهم ﴿الحق﴾ أي قال الحق فيعترفون ان ما جاء به الرسل كان حقاً عن ابن عباس وقتادة وابن زيد وقيل ان الضمير يعود إلى الملائكة ثم اختلف في معناه على وجوه (أحدها) ان الملائكة إذا صعدوا بأعمال العباد ولهم زجل وصوت عظيم فتحسب الملائكة انها الساعة فيخرّون سجّداً ويفزعون فإذا علموا أنه ليس ذلك قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق (وثانيها) ان الفترة لما كانت بين عيسى (ع) ومحمد ﷺ وبعث الله محمداً ﷺ أنزل الله سبحانه جبرائيل بالوحي فلما نزل ظنت الملائكة انه نزل بشيء من أمر الساعة فصعقوا لذلك فجعل جبرائيل يمرّ بكل سماء ويكشف عنهم الفزع فرفعوا رؤوسهم وقال بعضهم لبعض ماذا قال ربكم قالوا الحق يعني الوحي عن مقاتل والكلبي (وثالثها) ان الله تعالى إذا اوحى الى بعض ملائكته لحق الملائكة غشى عند سماع الوحي ويصعقون ويخرُّون سجّداً للآية العظيمة فإذا فزع عن قلوبهم سألت الملائكة ذلك الملك الذي أوحي إليه ماذا قال ربك أو يسأل بعضهم بعضاً فيعلمون ان الأمر في غيرهم عن ابن مسعود واختاره الجبائي ﴿وهو العلي﴾ أي السيد القادر المطاع وقيل العلي في صفاته ﴿الكبير﴾ في قدرته ﴿قل من يرزقكم من السماوات والأرض﴾ فإنهم لا يمكنهم أن يقولوا ترزقنا آلهتنا التي نعبدها ثم عند

ذلك ﴿قل الله﴾ الذي يرزقكم ﴿وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين﴾ إنما قال ذلك على وجه الانصاف في الحجاج دون الشك كما يقول القائل لغيره احدنا كاذب وان كان هو عالماً بالكاذب وعلى هذا يقول أبو الاسود الدئلي يمدح اهل البيت (ع).

يَقُولُ الأَرْذَلُونَ بَنُو قُشَيْرٍ طَوالَ الدَّهْرِ لا تَنْسَىٰ عَلِيّا[1]
بَنُو عَمِّ النَّبِيِّ وأَقْرَبُوهُ أَحَبُّ النَّاسِ كُلُّهِمُ إلَيّا
فَإنْ يَكُ حُبُّهُمْ رُشْداً أُصِبْهُ وَلَسْتُ بِمُخْطِئٍ إنْ كَانَ غَيّا

لم يقل هذا لكونه شاكاً في محبتهم وقد أيقن ان محبتهم رشد وهدى وقيل انه جمع بين الخبرين وفوّض التمييز الى العقول فكأنه قال أنا على هدى وأنتم على ضلال كقول امرىء القيس .

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْباً وَيابِساً لَدَى وَكْرِهَا الْعُنَّابُ وَالْحَشَفُ الْبالي[2]

فجمع بين القلوب الرطبة واليابسة وجمع بين العناب والحشف البالي وقيل انما قاله على وجه الاستعطاف والمداراة ليسمع الكلام وهذا من احسن ما ينسب به المحق نفسه إلى الهدى وخصمه إلى الضلال لأنه كلام من لا يكاشف خصمه بالتضليل بل ينسبه إليه على أحسن وجه ويحثه على النظر ولا يجب النظر إلا بعد التردد ﴿قل﴾ يا محمد إذا لم ينقادوا للحجة ﴿لا تسئلون﴾ أيها الكفار ﴿عما أجرمنا﴾ أي اقترفنا من المعاصي ﴿ولا نسئل﴾ نحن ﴿عما تعملون﴾ أي تعملونه انتم بل كل إنسان يسأل عما يعمله ويجازى على فعله دون فعل غيره وفي هذا دلالة على أن أحداً لا يجوز أن يؤخذ بذنب غيره .

﴿ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا
بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِ
شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً

(١) بنو قشير: قبيلة من القيس كان ينزل أبو الأسود فيهم وكانوا يخالفونه في المذهب لأن ابا الاسود كان شيعياً فكانوا يؤذونه وأنشأ هذه الأبيات في قصة ذكرها الشريف المرتضى (ره) في الأمالي راجع ج ١) ٤٩٢ - ٢٩٣ وذكره في الأغاني ج ١١ : ١١٣ مع اختلاف في ترتيب الأبيات وبعض الفاظها.

(٢) البيت من قصيدة يصف فيها العقاب بكثرة الاصطياد والوكر: عش الطائر. والضمير في وكرها للعقاب وهو طائر معروف بأنه لا يأكل قلوب الطيور والعناب معروف. والحشف: اردء أقسام التمر والبالي: الفاسد والمندوس .

لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾
وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُل لَّكُم
مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾

[الإعراب] الذين ألحقتم به العائد من الصلة إلى الموصول محذوف والتقدير ألحقتموهم به وشركاء حال من هم المحذوف وكافة حال من الكاف في أرسلناك أي ما أرسلناك الا تكفُّهم وتردعهم وقيل في الكلام تقديم وتأخير أي وما أرسلناك إلا للناس كافة وكافة كالعافية والعاقبة وما أشبه ذلك بشيراً حال بعد حال ونذيراً معطوف عليه .

[المعنى] ثم أمر سبحانه أن يحاكمهم إلى الله لاعراضهم عن الحجة فقال ﴿قل﴾ يا محمد ﴿يجمع بيننا ربنا﴾ يوم القيامة ﴿ثم يفتح بيننا﴾ أي يحكم ﴿بالحق وهو الفتاح﴾ أي الحاكم ﴿العليم﴾ بالحكم لا يخفى عليه شيء منه ﴿قل﴾ يا محمد ﴿أروني الذين ألحقتم به شركاء﴾ إنما ذكر هذا سبحانه على وجه التعظيم والتعجيب أي أروني الذين زعمتم أنهم شركاء لله تعبدونهم معه وهذا كالتوبيخ لهم فيما اعتقدوه من الاشراك مع الله كما يقول القائل لمن افسد عملاً أرني ما عملته توبيخاً له بما افسده فإنهم سيفتضحون بذلك إذا أشاروا الى الأصنام ثم قال سبحانه ﴿كلا﴾ أي ليس كما تزعمون وقيل معناه ارتدعوا عن هذا المقال وتنبَّهوامن الغي والضلال ﴿بل هو الله العزيز﴾ أي القادر الذي لا يغالب ﴿الحكيم﴾ في جميع افعاله فكيف يكون له شريك ثم بيَّن سبحانه نبوة نبيه ﷺ فقال ﴿وما أرسلناك﴾ يا محمد بالرسالة التي حملناكها ﴿إلا كافة للناس﴾ أي عامة للناس كلهم العرب والعجم وسائر الأمم عن الجبائي وغيره ويؤيّده الحديث المروي عن ابن عباس عن النبي ﷺ اعطيت خمساً ولا أقول فخراً بعثت إلى الأحمر والأسود وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً واحلّ لي المغنم ولا يحلّ لاحد قبلي ونصرت بالرعب فهو يسير امامي مسيرة شهر وأعطيت الشفاعة فادّخرتها لأمتي يوم القيامة وقيل معناه جامعاً للناس بالانذار والدعوة وقيل كافاً للناس أي مانعاً لهم عما هم عليه من الكفر والمعاصي بالأمر والنهي والوعيد والإنذار والهاء للمبالغة عن أبي مسلم ﴿بشيراً﴾ لهم بالجنة ﴿ونذيراً﴾ بالنار ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ رسالتك لإعراضهم عن النظر في معجزتك وقيل لا يعلمون ما لهم في الآخرة في اتباعك من الثواب والنعيم وما عليهم في مخالفتك من العذاب الأليم ثم حكى سبحانه عن الكفار فقال ﴿ويقولون متى هذا الوعد﴾ الذي تعدوننا به ﴿إن كنتم صادقين﴾ فيما تقولونه يا معشر

المؤمنين ثم أمر سبحانه نبيَّه ﷺ بإجابتهم فقال ﴿قل﴾ يا محمد ﴿لكم ميعاد يوم﴾ أي ميقات يوم ينزل بكم ما وعدتم به وهو يوم القيامة وقيل يوم وفاتهم وقبض أرواحهم عن أبي مسلم ﴿لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون﴾ أي لا تتأخرون عن ذلك اليوم ولا تتقدمون عليه بأن يزاد في آجالكم أو ينقص منها .

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۚ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾

[الإعراب] بل مكر الليل والنهار فيه وجهان (أحدهما) أن يكون مكر مبتدأ وخبره محذوفاً أي مكركم في الليل والنهار صدَّنا عن ذلك حين أمرتمونا أن نكفر بالله (والآخر) أن يكون فاعل فعل محذوف تقديره بل صدَّنا مكركم في الليل والنهار والعرب تضيف الأحداث إلى الزمان على سبيل الاتساع فتقول صيام النهار وقيام الليل والمعنى أن الصيام في النهار

والقيام في الليل قال الشاعر :

لَقَدْ لُمْتِنا يا أُمَّ غَيْلانِ فِي السُّرى ... وَنِمْتِ وَما لَيْلُ الْمَطِيِّ بِنائِمِ[1]

فوصف الليل بالنوم وهذا على حدّ قولك نهارك صائم وليلك قائم .

[المعنى] ثم بيّن سبحانه حالهم في القيامة فقال حكاية عنهم ﴿ وقال الذين كفروا ﴾ وهم اليهود وقيل هم مشركو العرب وهو الأصح ﴿ لن نؤمن بهذا القران ﴾ أي لا نصدق بأنه من الله تعالى ولا بالذي بين يديه من أمر الآخرة وقيل يعنون به التوراة والانجيل وذلك أنه لما قال مؤمنو أهل الكتاب أن صفة محمد ﷺ في كتابنا وهو نبي مبعوث كفر المشركون بكتابهم ثم قال ﴿ ولو ترى ﴾ يا محمد ﴿ إذ الظالمون موقوفون عند ربهم ﴾ أي محبوسون للحساب يوم القيامة ﴿ يرجع بعضهم إلى بعض القول ﴾ أي يرد بعضهم إلى بعض القول في الجدال ﴿ يقول الذين استضعفوا ﴾ وهم الاتباع ﴿ الذين استكبروا ﴾ وهم الأشراف والقادة ﴿ لولا أنتم لكنا مؤمنين ﴾ مصدّقين بتوحيد الله أي أنتم منعتمونا من الإيمان والمعنى لولا دعاؤكم إيّانا إلى الكفر لآمنا بالله في الدنيا ﴿ قال للذين استكبروا للذين استضعفوا ﴾ أي قال المتبوعون للاتباع على طريق الانكار ﴿ أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم ﴾ أي لم نصدّكم نحن عن قبول الهدى ﴿ بل كنتم مجرمين ﴾ أي بل أنتم كفرتم ولم نحملكم على الكفر قهراً فكل واحد من الفريقين ورّك الذنب[2] على صاحبه واتّهمه ولم يضف واحد منهم الذنب إلى الله تعالى ﴿ وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا ﴾ يعني الاتباع للمتبوعين ﴿ بل مكر الليل والنهار ﴾ أي مكركم في الليل والنهار صدّنا عن قبول الهدى ﴿ إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أنداداً ﴾ أي حين أمرتمونا أن نجحد وحدانية الله تعالى ودعوتمونا إلى أن نجعل له شركاء في العبادة ﴿ وأسرّوا الندامة ﴾ فيه وجهان (أحدهما) أن معناه أظهروا الندامة (والآخر) أن المعنى أخفوها وقد فسّر الأسرار في بيت امرىء القيس :

تَجاوَزْتُ أَحْراساً إِلَيْها وَمَعْشَراً ... عَلَيَّ حِراصاً لَوْ يُسِرُّونَ مَقْتَلي[3]

على الوجهين فمن قال بالأول قال معناه أظهر المتبوعون الندامة على الإضلال وأظهر

(١) قائله جرير والبيت مذكور في جامع الشواهد وقد مر في هذا المجلد أيضاً .

(٢) ورك الذنب عليه : حمله .

(٣) البيت من المعلقات وأحراس جمع حارس . يقول تجاوزت في ذهابي إلى المحبوبة أهوالاً كثيرة قوماً يحرسونها قوماً حراصاً على قتلي لو قدروا عليه في خفية لأنهم لا يجرؤن على قتلي جهاراً أو حراصاً على قتلي لو أمكنهم قتالي ظاهراً لأن الأسرار من الأضداد .

الاتباع الندامة على الضلال وقيل معناه أقبل بعضهم على بعض يلومه ويظهر ندمه ومن قال بالثاني قال معناه أخفوا الندامة في أنفسهم خوف الفضيحة وقيل معناه أن الرؤساء أخفوا الندامة عن الاتباع ﴿ لما رأوا العذاب ﴾ أي حين رأوا نزول العذاب بهم ﴿ وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا ﴾ قال ابن عباس غلوا بها في النيران ﴿ هل يجزون إلا ما كانوا يعملون ﴾ أي لا يجزون إلا بأعمالهم التي عملوها على قدر استحقاقهم ﴿ وما أرسلنا في قرية من نذير ﴾ أي من نبيّ مخوّف بالله تعالى ﴿ إلا قال مترفوها ﴾ أي جبابرتها وأغنياؤها المتنعمون فيها ﴿ إنا بما أرسلتم به كافرون ﴾ وفي هذا بيان للنبي ﷺ أن أهل قريته جروا على منهاج الأولين وإشارة إلى أنه كان اتباع الأنبياء فيما مضى الفقراء وأوساط الناس دون الأغنياء ثم بيّن سبحانه علة كفرهم بأن قال ﴿ وقالوا نحن أكثر أموالاً وأولاداً ﴾ أي افتخروا بأموالهم وأولادهم ظنًّا بأن الله سبحانه إنما خوّلهم المال والولد كرامة لهم عنده فقالوا إذا رزقنا وحرمتم فنحن أكرم منكم وأفضل عند الله تعالى فلا يعذبنا على كفرنا بكم وذلك قوله ﴿ وما نحن بمعذبين ﴾ ولم يعلموا أن الأموال والأولاد عطاء من الله تعالى يستحق به الشكر عليهم وليس ذلك للإكرام والتفضل .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٣٩﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَٰؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾

[القراءة] قرأ حمزة وحده في الغرفة والباقون في الغرفات على الجمع وقرأ يعقوب جزاء بالنصب. الضعف بالرفع .

[الحجة] حجة من قرأ الغرفة قوله تعالى ﴿ أولئك يجزون الغرفة بما صبروا وفي الجنة غرفات وغرف ﴾ غير أن العرب قد تجتزىء بالواحد عن الجمع إذا كان اسم الجنس قالوا أهلك الناس الدينار والدرهم ومن قرأ فأولئك لهم جزاء الضعف فالتقدير فأولئك لهم الضعف جزاء في حال المجازاة فهو مصدر وضع موضع الحال أي مجزيين جزاء ويجوز أن يكون مفعولاً له وأما إضافة جزاء إلى الضعف في القراءة المشهورة فهو على إضافته إلى المفعول .

[الإعراب] زلفى في موضع نصب على المصدر تقديره تقرّبكم قربة وتقريباً وقوله ﴿ إلا من آمن ﴾ الموصول والصلة في موضع نصب على البدل من الكاف والميم في تقرّبكم ويجوز أن يكون نصباً على الاستثناء .

[المعنى] لمّا حكى الله سبحانه عن الكفار أنهم قالوا ما نحن بمعذّبين لأن الله تعالى أغنانا في الدنيا فلا يعذّبنا في الآخرة قال رادّاً عليهم ﴿ قل ﴾ يا محمد ﴿ إن ربي ﴾ الذي خلقني ﴿ يبسط الرزق لمن يشا ﴾ على ما يعلمه من مصلحته ومصلحة غيره ﴿ ويقدر ﴾ أي ويضيق أيضاً على حسب المصلحة فبسط الرزق هو الزيادة فيه على قدر الكفاية والقدر تضييقه عن قدر الكفاية ﴿ ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ ذلك بجهلهم بالله وبحكمته فيظنّون أن كثرة مال الإنسان يدلّ على كرامته عند الله تعالى ثم صرّح بهذا المعنى فقال ﴿ وما أموالكم ﴾ أي ليس أموالكم التي خوّلتموها ﴿ ولا أولادكم ﴾ التي رزقتموها ﴿ بالتي تقربكم عندنا زلفى ﴾ أي قربى عن مجاهد قال الأخفش أراد بالتي تقرّبكم عندنا تقريباً فزلفى اسم المصدر وقال الفراء التي يجوز أن يقع على الأموال والأولاد وجاء الخبر بلفظ الواحدة وأن دخل فيه الأخرى ﴿ إلا من آمن وعمل صالحاً ﴾ معناه لكن من آمن بالله وعرفه وصدّق نبيّه ﷺ وأطاعه فيما أمر به وانتهى عمّا نهاه عنه ﴿ فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا ﴾ أي يضاعف الله حسناتهم فيجزي بالحسنة الواحدة عشراً إلى ما زاد والضعف اسم جنس يدل على الكثير والقليل ويجوز أن يكون الأموال والأولاد تقرب إلى الله تعالى زلفى بأن يكسب المؤمن المال مستعيناً به على القيام بحق التكليف ويستولد الولد كذلك فيقرُّ بأنه عند الله زلفى فعلى هذا يكون الاستثناء متصلاً ولا يكون بمعنى لكن وقيل أن جزاء الضعف أن يعطيهم في الآخرة مثل ما كان لهم في الدنيا من النعيم والضعف المثل عن أبي مسلم

﴿ وهم في الغرفات ﴾ أي في غرف الجنة وهي البيوت فوق الأبنية ﴿ آمنون ﴾ فيها لا يخافون شيئاً مما يخاف مثله في دار الدنيا من الموت والغير والآفات والأحزان ﴿ والذين يسعون في آياتنا ﴾ أي يجتهدون في ابطال آياتنا وتكذيبها ﴿ معاجزين ﴾ لأنبيائنا ومعاجزين أي مثبطين غيرهم عن أفعال البر ﴿ أولئك في العذاب محضرون قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له ﴾ مرَّ تفسيره وإنما كرَّره سبحانه لاختلاف الفائدة فالأول توبيخ للكافرين وهم المخاطبون به والثاني وعظ للمؤمنين فكأنه قال ليس أغناء الكفار وأعطاؤهم بدلالة على كرامتهم وسعادتهم بل يزيدهم ذلك عقوبة واغناء المؤمنين يجوز أن يكون زيادة في سعادتهم بأن ينفقوها في سبيل الله ويدلُّ على ذلك قوله ﴿ وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه ﴾ أي وما أخرجتم من أموالكم في وجوه البرّ فإنه سبحانه يعطيكم خلفه وعوّضه إما في الدنيا بزيادة النعمة وإما في الآخرة بثواب الجنة يقال أخلف الله له وعليه إذا أبدل له ما ذهب عنه ﴿ وهو خير الرازقين ﴾ لأنه يعطي لمنافع عباده لا لدفع ضرر أو جرّ نفع لاستحالة المنافع والمضار عليه وقال الكلبي ما تصدقتم به في خير فهو يخلفه أما أن يجعله لكم في الدنيا أو يدّخر لكم في الآخرة وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ قال قال الله عز وجل لي أنفق أنفق عليك وروى أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال ينادي مناد كل ليلة لدوا للموت وينادي مناد ابنوا للخراب وينادي مناد اللهم هب للمنفق خلفاً وينادي مناد اللهم هب للممسك تلفاً وينادي مناد ليت الناس لم يخلقوا وينادي مناد ليتهم إذ خلقوا فكروا فيما له خلقوا وعن جابر عن النبي ﷺ قال كل معروف صدقة وما وقى به الرجل عرضه فهو صدقة وما أنفق المؤمن من نفقة فعلى الله خلفها ضامناً إلا ما كان من نفقة في بنيان أو معصية وعن أبي أمامة قال أنكم تؤولون هذه الآية في غير تأويلها وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول وإلا فصمتا إياكم والسرف في المال والنفقة وعليكم بالاقتصاد فما افتقر قوم قط اقتصدوا ثم قال سبحانه ﴿ ويوم نحشرهم جميعاً ﴾ يعني يوم القيامة يجمع العابدين لغير الله والمعبودين من الملائكة للحساب ﴿ ثم نقول للملائكة أهؤلاء ﴾ الكفار ﴿ إياكم كانوا يعبدون ﴾ أي كانوا يعبدونكم ويقصدونكم بالعبادة وعلى هذا وجه التقرير والاستشهاد للملائكة على اعتقادات الكفار حتى تتبرأ الملائكة منهم ومن عبادتهم كما قال سبحانه . ﴿ ءأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله ﴾ .

[النظم] وجه اتصال هذه الآية بما قبلها أنهم لما قالوا نحن أكثر أموالاً وأولاداً بيَّن أن دعواهم مردودة وأنهم معذَّبون محجوجون .

﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ
وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم
مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا
وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُم بِهَا
تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَٰذَا
إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا
هَٰذَا إِلَّا إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ
هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾ وَمَا آتَيْنَاهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ
وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ
وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي ۖ فَكَيْفَ كَانَ
نَكِيرِ ﴿٤٥﴾

[الإعراب] بينات نصب على الحال وآباؤكم فاعل يعبد واسم كان محذوف يفسّره آباؤكم والتقدير عما كان آباؤكم يعبدون. يدرسونها يجوز أن يكون في محل جرّ صفة لكتب ويجوز أن يكون في محل نصب على موضع الجار والمجرور لأن المعنى وما آتيناهم كتباً مدرسة وكيف كان نكير كيف خبر كان ونكير اسمه والنكير معتز مثل عذير في قوله « عَذِيرَ الحَيِّ مِنْ عَدْوَانَ كَانُوا حَيَّةَ الأَرْضِ »[1].

[المعنى] ﴿ قالوا ﴾ أي قالت الملائكة ﴿ سبحانك ﴾ أي تنزيهاً لك عن أن نعبد

(١) قائله ذو الأصبع العدواني واسمه حرثان؛ قوله « عذير الحي » أي هات من يعذرهم وفي هذا البيت وما بعده قصة لعبد الملك بن مروان مع جمع من قبيلة عدوان ذكرها في الأمالي الشريف المرتضى (قده) فراجع أن شئت ج ١ : ٢٤٩ ـ ٢٥٠ .

سواك ونتخذ معبوداً غيرك ﴿ أنت ﴾يا الله ﴿ ولينا ﴾ أي ناصرنا وأولى بنا ﴿ من دونهم ﴾ أي دون هؤلاء الكفار ودون كل أحد وما كنا نرضى بعبادتهم إيانا مع علمنا بأنك ربنا وربهم ﴿ بل كانوا يعبدون الجن ﴾ بطاعتهم إياهم فيما دعوهم إليه من عبادة الملائكة وقيل المراد بالجن إبليس وذريته وأعوانه ﴿ وأكثرهم بهم مؤمنون ﴾ أي مصدّقون بالشياطين مطيعون لهم ثم يقول الله سبحانه ﴿ فاليوم ﴾ يعني في الآخرة ﴿ لا يملك بعضكم لبعض ﴾ يعني العابدين والمعبودين ﴿ نفعاً ولا ضراً ﴾ أي نفعاً بالشفاعة ولا ضراً بالتعذيب ﴿ ونقول للذين ظلموا ﴾ بأن عبدوا غير الله ﴿ ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون ﴾ أي لا تعترفون بها وتجحدونها ثم عاد سبحانه إلى الحكاية عن حال الكفار في الدنيا فقال ﴿ وإذا تتلى عليهم آياتنا ﴾ أي تقرأ عليهم حججنا ﴿ بينات ﴾ أي واضحات من القرآن الذي أنزلناه على نبينا ﴿ قالوا ﴾ عند ذلك ﴿ ما هذا إلا رجل يريد أن يصدُّكم ﴾ أي يمنعكم ﴿ عما كان يعبد آباؤكم ﴾ فزعوا إلى تقليد الآباء لما أعوزتهم الحجة ﴿ وقالوا ما هذا ﴾ القرآن ﴿ إلا أفك ﴾ أي كذب ﴿ مفترى ﴾ قد تخرصه وافتراه ﴿ وقال الذين كفروا للحق ﴾ أي للقرآن ﴿ لما جاءهم إن هذا ﴾ أي كذب ﴿ مفترى ﴾ قد تخرصه وافتراه ﴿ وقال الذين كفروا للحق ﴾ أي جاءهم إن هذا﴾ أي ليس هذا ﴿إلا سحر مبين﴾ أي ظاهر ثم أخبر سبحانه أنهم لم يقولوا ذلك عن بينة فقال ﴿ وما آتيناهم من كتب يدرسونها ﴾ أي وما أعطينا مشركي قريش كتاباً قطّ يدرسونه فيعلمون بدرسه أنّ ما جئت به حق أو باطل وإنما يكذّبونك بهواهم من غير حجة ﴿ وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير ﴾ أي رسول أمرهم بتكذيبك وأخبرهم ببطلان قولك يعني أنهم لا يرجعون في تكذيبك إلا إلى الجهل والعناد واتباع الهوى ثم أخبر سبحانه عن عاقبة من كذب الرسل قبلهم تخويفاً لهم فقال ﴿ وكذب الذين من قبلهم ﴾ بمن بعث إليهم من الرسل وما آتاهم الله من الكتب ﴿ وما بلغوا معشار ما آتيناهم ﴾ أي وما بلغ قومك يا محمد معشار ما أعطينا من قبلهم من القوة وكثرة المال وطول العمر فأهلكهم الله عن ابن عباس وقتادة ﴿ فكذّبوا رسلي فكيف كان نكير ﴾ أي عقوبتي وتغييري حالهم وقيل معناه أنظر في آثارهم كيف كان انكاري عليهم بالهلاك عن ابن مسلم والمراد إنا كما أهلكنا أولئك حين كذّبوا رسلنا فليحذر هؤلاء مثل ما نزل بهم من الهلاك والاستئصال .

﴿ * قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ

لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ
لَكُمْ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ قُلْ
إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ
وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ
عَلَىٰ نَفْسِى ۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾

[الإعراب] أن تقوموا في موضع جرّ على البدل من واحدة ويجوز أن يكون في موضع نصب بحذف حرف الجر وإفضاء الفعل إليه والتقدير أعظكم بطاعة الله لأن تقوموا أو أعظكم بأن تقوموا. مثنى وفرادى نصب على الحال. ما سألتكم ما شرطية وهي في محل النصب بأنها مفعول ثان لسألت ويجوز أن تكون موصولة فيكون التقدير ما سألتكموه فيكون مع الصلة في موضع رفع بالابتداء. علام الغيوب يجوز أن يكون بدلاً من الضمير المستكن في يقذف ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف أي هو علام الغيوب ولو نصب على أنه نعت لربي لكان جائزاً لكن الرفع أجود لأنه جاء بعد تمام الكلام .

] المعنى] ثم خاطب سبحانه النبي ﷺ فقال ﴿ قل ﴾ يا محمد لهم ﴿ إنما أعظكم بواحدة ﴾ أي آمركم وأوصيكم بخصلة واحدة وقيل بكلمة واحدة وهي كلمة التوحيد وقيل بطاعة الله عن مجاهد ومن قال بالأول قال أنه فسّر الواحدة بما بعده فقال ﴿ أن تقوموا لله مثنى وفرادى ﴾ أي اثنين اثنين وواحداً واحداً ﴿ ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة ﴾ معناه أن يقوم الرجل منكم وحده أو مع غيره ثم تتساءلون هل جرَّبنا على محمد كذباً أو هل رأينا به جنة ففي ذلك دلالة على بطلان ما ذكرتم فيه وليس معنى القيام هنا القيام على الأرجل وإنما المراد به القصد للإصلاح والإقبال عليه مناظراً مع غيره ومتفكراً في نفسه لأن الحق إنما يتبين للإنسان بهما وقد تمَّ الكلام عند قوله تتفكروا وما للنفي قال قتادة أي ليس بمحمد ﷺ جنون وأن جعلت تمام الكلام آخر الآية فالمعنى ثم تتفكروا أيّ شيء بصاحبكم من الجنون أي هل رأيتم من منشأه إلى مبعثه وصمة تنافي النبوة من كذب أو ضعف في العقل أو اختلاف في القول والفعل فيدلّ ذلك على الجنون ﴿ إن هو إلا نذير لكم ﴾ أي مخوّف من معاصي الله ﴿ بين يدي عذاب شديد ﴾ يعني عذاب القيامة ثم قال للنبي ﷺ ﴿ قل ﴾ لهم يا محمد ﴿ ما

﴿ سألتكم من أجر فهو لكم ﴾ يعني لا أسألكم على تبليغ الرسالة شيئاً من عرض الدنيا فتتهموني فما طلبته منكم من أجر على إداء الرسالة وبيان الشريعة فهو لكم وهذا كما يقول الرجل لمن لا يقبل نصحه ما أعطيتني من أجر فخذه وما لي في هذا فقد وهبته لك يريد ليس لي فيه شيء ومنه النصح مجان وقال الماوردي معناه أن أجر ما دعوتكم إليه من إجابتي وذخره هو لكم دوني وهو المروي عن أبي جعفر (ع) ﴿ ان أجري إلا على الله ﴾ أي ليس ثواب عملي إلا على الله فهو يثيبني عليه ولا يضيعه ﴿ وهو على كل شيء شهيد ﴾ أي عليم به لم يغب عنه شيء فيعلم ما يلحقني من أذاكم ﴿ قل ﴾ يا محمد ﴿ إن ربي يقذف بالحق ﴾ ويلقيه إلى أنبيائه عن قتادة ومقاتل ﴿ علام الغيوب ﴾ علم جميع الخفيات وما غاب عن خلقه في الأرضين والسموات ﴿ قل ﴾ يا محمد ﴿ جاء الحق ﴾ وهو أمر الله تعالى بالإسلام والتوحيد وقيل هو الجهاد بالسيف عن ابن مسعود ﴿ وما يبدىء الباطل وما يعيد ﴾ أي ذهب الباطل ذهاباً لم يبق منه ابداء ولا إعادة ولا إقبال ولا إدبار لأن الحق إذا جاء لا يبقى للباطل بقية وقيل أن الباطل إبليس لا يبدىء الخلق ولا يعيدهم عن قتادة وقيل معناه ما يبدىء الباطل لأهله خيراً في الدنيا ولا يعيد خيراً في الآخرة عن الحسن وقال الزجاج ويجوز أن يكون ما استفهاماً في موضع نصب على معنى وأيّ شيء يبدىء الباطل وأيّ شيء يعيده قال ابن مسعود دخل رسول الله ﷺ مكة وحول البيت ثلاثمائة وستون صنماً فجعل يطعنها بعود في يده ويقول جاء الحق وزهق الباطل أن الباطل كان زهوقاً جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعيد ﴿ قل ان ضللت ﴾ عن الحق كما تدعون ﴿ فإنما أضل على نفسي ﴾ أي فإنما يرجع وبال ضلالي عليّ لأني مأخوذ به دون غيري ﴿ وإن اهتديت ﴾ إلى الحق ﴿ فبما يوحي إلي ربي ﴾ أي بفضل ربي حيث أوحى إليّ فله المنة بذلك عليّ دون خلقه ﴿ إنه سميع ﴾ لأقوالنا ﴿ قريب ﴾ منّا فلا يخفى عليه المحق والمبطل .

﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾
وَقَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾
وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۖ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾
وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ۚ
إِنَّهُمْ كَانُوا۟ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍ ﴿٥٤﴾

[القراءة] قرأ أبو عمرو وأهل الكوفة غير عاصم التناؤش بالمد والهمز والباقون بغير مد ولا همز .

[الحجة] التناؤش التناول من قولهم نشت أنوش قال الشاعر :

فَهْيَ تَنُوشُ الْحَوْضَ نَوْشاً مِنْ عَلا نَوْشاً بِهِ تَقْطَعُ أَجْوازَ الْفَلا[1]

فمن لم يهمز جعله تفاعلاً منه ومن همز احتمل أمرين (أحدهما) أنه أبدل من الواو والهمز لانضمامها مثل أُقتت وادؤر ونحو ذلك (والآخر) يكون من النأش وهو الطلب قال رؤبة :

أَقْحَمَني جارُ أَبِي الْخامُوشِ إِلَيْكَ نَأْشَ الْقِدْرِ الْمَنْثُوشِ[2]

والنأش الحركة في الابطاء قال الشاعر :

تَمَنّى نَئِيشاً أَنْ يَكُونَ أَطاعَني وَقَدْ حَدَثَتْ بَعْدَ الأُمُورِ أُمُورُ[3]

أي تمنّى مدة مديدة فنصب نئيشاً على الظرف .

[المعنى] ثم قال سبحانه ﴿ ولو ترى ﴾ يا محمد ﴿ إذ فزعوا ﴾ أي عند البعث ﴿ فلا فوت ﴾ أي فلا يفوتني منهم أحد ولا ينجو مني ظالم ﴿ وأخذوا من مكان قريب ﴾ يعني القبور وحيث كانوا فهم من الله قريب لا يفوتونه وجواب لو محذوف ويدل الكلام عليه والتقدير لرأيت أمراً عظيماً وقيل إذ فزعوا في الدنيا حين رأوا بأس الله عند معاينة الملائكة لقبض أرواحهم عن قتادة وقيل هو فزعهم يوم بدر حين ضربت أعناقهم فلم يستطيعوا فراراً من العذاب ولا رجوعاً إلى التوبة عن الضحاك والسدي وقال أبو حمزة الثمالي سمعت علي بن الحسين (ع) والحسن بن الحسن بن علي (ع) يقولان هو جيش البيداء يؤخذون من تحت أقدامهم قال وحدّثني عمرو بن مرة وحمران بن أعين أنهما سمعا مهاجراً المكي

---

(١) قائله عيلان بن حريث ، والضمير في قوله « فهي » للابل وقوله « من علا » أي من فوق يريد أنها عالية الأجسام طوال الأعناق، والأجواز جمع جوز وهو الوسط أي تتناول ماء الحوض من فوق وتشرب شرباً كثيراً وتقطع بذلك الشرب فلوات فلا يحتاج إلى ماء آخر .

(٢) قال ابن منظور أبو الخاموش رجل معروف يقال وأقحمني أي أدخلني وكأن الشاعر يذم أبا الخاموش حيث أن جاره في الاحتياج والفقر أدخل الشاعر إلى من يخاطبه لأجل طلب الطعام (عن هامش بعض المخطوطة) .

(٣) قائله نهشل بن حرى قال ابن منظور أي تمنى بعد الفوت أن لو أطاعني وقد حدثت أمور لا يستدرك بها ما فات . أي أطاعني في وقت لا تنفعه فيه الطاعة .

يقول سمعت أم سلمة تقول قال رسول الله ﷺ يعوذ عائذ بالبيت فيبعث الله إليه جيشاً حتى إذا كانوا بالبيداء بيداء المدينة خسف بهم وروي عن حذيفة بن اليمان أن النبي ﷺ ذكر فتنة تكون بين أهل المشرق والمغرب قال فبينا هم كذلك يخرج عليهم السفياني من الوادي اليابس في فور ذلك حتى ينزل دمشق فيبعث جيشين جيشاً إلى المشرق وآخر إلى المدينة حتى ينزلوا بأرض بابل من المدينة الملعونة يعني بغداد فيقتلون أكثر من ثلاثة آلاف ويفضحون أكثر من مائة امرأة ويقتلون بها ثلاثمائة كبش من بني العباس ثم ينحدرون إلى الكوفة فيخربون ما حولها ثم يخرجون متوجهين إلى الشام فيخرج راية هدى من الكوفة فيلحق ذلك الجيش فيقتلونهم لا يفلت منهم مخبر ويستنقذون ما في أيديهم من السبي والغنائم ويحل الجيش الثاني بالمدينة فينتهبونها ثلاثة أيام بلياليها ثم يخرجون متوجهين إلى مكة حتى إذا كانوا بالبيداء بعث الله جبرائيل فيقول يا جبرائيل اذهب فأبدهم فيضربها برجله ضربة يخسف الله بهم عندها ولا يفلت منهم إلا رجلان من جهينة فلذلك جاء القول « وَعِندَ جُهَيْنَةَ الخَبَرُ اليَقينُ »[1] فذلك قوله ولو ترى إذ فزعوا إلى آخره أورده الثعلبي في تفسيره وروى أصحابنا في أحاديث المهدي عن أبي عبد الله (ع) وأبي جعفر (ع) مثله ﴿ **وقالوا** ﴾ أي ويقولون في ذلك الوقت وهو يوم القيامة أو عند رؤية البأس أو عند الخسف في حديث السفياني ﴿ **آمنا به وأنى لهم التناوش** ﴾ أي ومن أين لهم الانتفاع بهذا الإيمان الذي الجئوا إليه بيّن سبحانه أنهم لا ينالون به نفعاً كما لا ينال أحد التناوش ﴿ **من مكان بعيد** ﴾ وقيل معناه أنهم طلبوا المردّ إلى الدنيا فالمراد أنهم طلبوا الأمر من حيث لا ينال ولم يرد بعد المكان وإنما أراد بعد انتفاعهم بذلك وبعدهم عن الصواب ﴿ **وقد كفروا به من قبل** ﴾ المعنى وكيف تقبل توبتهم أو يردّون إلى الدنيا وقد كفروا بالله من قبل ذلك ﴿ **ويقذفون بالغيب من مكان بعيد** ﴾ أي ويرجمون بالظن فيقولون لا جنّة ولا نار ولا بعث وهذا أبعد ما يكون من الظن عن قتادة وقيل معناه يرمون محمداً ﷺ بالظنون من غير يقين وذلك قولهم هو ساحر وهو شاعر وهو مجنون وجعله قذفاً لخروجه في غير حقّ وقيل معناه ويبعدون أمر الآخرة فيقولون لاتباعهم هيهات هيهات لما توعدون وذلك كالشيء يرى في موضع بعيد المرمى ﴿ **وحيل بينهم وبين ما يشتهون** ﴾ أي وفرّق بينهم وبين مشتهياتهم بالموت الذي حلّ بهم كما حلّ بأمثالهم عن أبي مسلم وقيل مشتهاهم هو التوبة والإيمان أو الردّ إلى الدنيا وقد منعوا منه وقيل هو نعيم الجنة عن الجبائي وقيل معناه منعوا من كل مشتهى

(١) ويروى « عند جفينة » بالجيم، وروي « حفينة » بالحاء المهملة أيضاً وهذا من الأمثال وتفصيل الكلام في المثل وتحقيقه مذكور في لسان العرب مادة « جفن » و « جهن » فراجع .

فيلحق الله تعالى فيهم النفار فلا يدركون شيئاً إلا ويتألّمون به ﴿ كما فعل مثل ذلك بأشياعهم من قبل ﴾ أي بأمثالهم من الكفار وقيل معناه بموافقيهم وأهل دينهم من الأمم الماضية حين لم تقبل منهم التوبة وقت رؤية البأس والعذاب قال الضحاك المراد بذلك أصحاب الفيل حين أرادوا خراب الكعبة ﴿ إنهم كانوا في شك ﴾ من البعث والنشور وقيل في شك من وقوع العذاب بهم ﴿ مريب ﴾ أي مشكّك كما قالوا عجب عجيب .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی



مكية قال الحسن إلا آيتين ﴿ إن الذين يتلون كتاب الله ﴾ الآية ﴿ ثم أورثنا الكتاب ﴾ الآية .

[عدد آيها]

ست وأربعون آية شامي والمدني الأخير وخمس في الباقين .

[اختلافها] سبع آيات ﴿ الذين كفروا لهم عذاب شديد ﴾ بصري شامي جديد والبصير والنور ثلاثهن غير البصري ﴿ من في القبور ﴾ غير شامي ﴿ ان تزولا ﴾ بصري تبديلاً بصري شامي والمدني الأخير .

[فضلها] أبيّ بن كعب عن النبي ﷺ قال من قرأ سورة الملائكة دعته يوم القيامة ثلاثة أبواب من الجنة أن ادخل من أيّ الأبواب شئت .

[تفسيرها] لمّا ختم الله سبحانه السورة المتقدمة بالردّ على أهل الشرك والشك والعنود افتتح هذه السورة بذكر كمال قدرته ووحدانيته ودلائل التوحيد فقال .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۚ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ

لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ
يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾
وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ
ٱلْأُمُورُ ﴿٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ
ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾

[القراءة] قرأ أهل الكوفة غير عاصم وأبو جعفر غير الله بالجر والباقون بالرفع .

[الحجة]قال أبو علي من قرأ غير الله بالجر جعله صفة على اللفظ والخبر يرزقكم من السماء والأرض ومن قرأ غير الله بالرفع احتمل وجوهاً (أحدها) أن يكون خبر المبتدأ (والآخر) أن يكون صفة على الموضع والخبر مضمر تقديره هل خالق غير الله في الوجود أو العالم (والثالث) أن يكون غير استثناء والخبر مضمر كأنه قال هل من خالق إلا الله ويدل على جواز الاستثناء قوله ﴿ ما من إله إلا الله ﴾ .

[اللغة] الفطر الشق عن الشيء بإظهاره للحس وفاطر السموات خالقها .

[الإعراب] مثنى وثلاث ورباع صفة لأجنحة معدولة عن اثنين اثنين وثلاثة ثلاثة وأربعة أربعة . ما يفتح الله ما شرطية في محل النصب لكونها مفعول يفتح .

[المعنى] ﴿ الحمد لله فاطر السماوات والأرض ﴾ أي خالقهما مبتدئاً على غير مثال سبق حَمَد سبحانه نفسه ليعلمنا كيف نحمده وليبيّن لنا أن الحمد كله له ﴿ جاعل الملائكة رسلاً ﴾ إلى الأنبياء بالرسالات والوحي ﴿ أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع ﴾ تقدّم تفسيرها وإنما جعلهم أولي أجنحة ليتمكّنوا بها من العروج إلى السماء ومن النزول إلى الأرض فمنهم من له جناحان ومنهم من له ثلاثة أجنحة ومنهم من له أربعة أجنحة عن قتادة قال ويزيد فيها ما يشاء وهو قوله ﴿ يزيد في الخلق ما يشاء ﴾ قال ابن عباس رأى رسول الله ﷺ جبرائيل ليلة المعراج وله ستمائة جناح وهذا اختيار الزجاج والفراء وقيل أراد بقوله يزيد في الخلق ما يشاء

حسن الصوت عن الزهري وابن جريج وقيل هو الملاحة في العينين عن قتادة وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ قال هو الوجه الحسن والصوت الحسن والشعر الحسن ﴿ إن الله على كل شيء قدير ﴾ لا شيء إلا وهو قادر عليه بعينه أو قادر على مثله ثم بيّن سبحانه أنعامه على خلقه فقال ﴿ ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها ﴾ أي ما يأتيهم به من مطر أو عافية أو أيّ نعمة شاء فإن أحداً لا يقدر على امساكه ﴿ وما يمسك ﴾ من ذلك ﴿ فلا مرسل له من بعده ﴾ أي فإنّ أحداً لا يقدر على إرساله وقيل معناه ما يرسل الله من رسول إلى عباده في وقت دون وقت فلا مانع له لأنّ إرسال الرسول رحمة من الله كما قال ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ وما يمسكه في زمان الفترة أو عمن يقترحه من الكفار فلا مرسل له عن الحسن واللفظ محتمل للجميع ﴿ وهو العزيز ﴾ أي القادر الذي لا يعجز ﴿ الحكيم ﴾ في أفعاله أن أنعم وأن أمسك لأنه يفعل ما تقتضيه الحكمة ثم خاطب المؤمنين فقال ﴿ يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم ﴾ الظاهرة والباطنة التي من جملتها أنه خلقكم وأوجدكم وأحياكم وأقدركم وشهّاكم[1] وخلق لكم أنواع الملاذّ والمنافع ﴿ هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض ﴾ هذا استفهام تقرير لهم ومعناه النفي ليقرّوا بأنه لا خالق إلا الله يرزق من السماء بالمطر ومن الأرض بالنبات وهل يجوز إطلاق لفظ الخالق على غير الله سبحانه فيه وجهان (أحدهما) أنه لا تطلق هذه اللفظة على أحد سواه وإنما يوصف به غيره على جهة التقييد وإن جاز إطلاق لفظ الصانع والفاعل نحوهما على غيره (والآخر) أن المعنى لا خالق يرزق ويخلق الرزق إلا الله تعالى ﴿ لا إله إلا هو ﴾ أي لا معبود يستحق العبادة سواه سبحانه ﴿ فأنى تؤفكون ﴾ أي كيف تصرفون عن طريق الحق إلى الضلال وقيل معناه أنّى يعدل بكم عن هذه الأدلة التي أقمتها لكم على التوحيد مع وضوحها ثم سلّى سبحانه نبيّه ﷺ عن تكذيب قومه إياه فقال ﴿ وإن يكذبوك ﴾ يا محمد ﴿ فقد كذبت رسل من قبلك وإلى الله ترجع الأمور ﴾ فيجازي من كَذّب رسله وينصر من كُذّب من رسله ثم خاطب الخلق فقال ﴿ يا أيها الناس أن وعد الله ﴾ من البعث والنشور والجنة والنار والجزاء والحساب ﴿ حق ﴾ صدق كائن لا محالة ﴿ فلا تغرنكم الحياة الدنيا ﴾ فتغترون بملاذّها ونعيمها ولا يخدعنكم حبّ الرياسة وطول البقاء فإن ذلك عن قليل نافد بائد ويبقى الوبال والوزر ﴿ ولا يغرنكم بالله الغرور ﴾ وهو الذي عادته أن يغرّ غيره والدنيا وزينتها بهذه الصفة لأن الخلق يغترّون بها وقيل أن الغرور الشيطان الذي هو إبليس عن الحسن ومجاهد .

---

(١) شهّاه : حمله على الشهوة .

﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ
فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ
فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ
عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ
ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ
مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ
إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ وَٱلَّذِينَ
يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ
يَبُورُ ﴿١٠﴾

[القراءة] قرأ أبو جعفر فلا تذهب بضم التاء نفسك بالنصب والباقون فلا تذهب نفسك والوجه فيهما ظاهر .

[الإعراب] حسرات مصدر فعل محذوف تقديره فلا تذهب نفسك تتحسر عليهم حسرات وجميعاً نصب على الحال والعامل فيه ما يتعلق به اللام من لله ومكر أولئك هو يبور هو فصل بين المبتدأ وخبره .

[المعنى] ثم أنه سبحانه حذّرهم الشيطان فقال ﴿ إن الشيطان لكم عدوٌ ﴾ يدعوكم إلى ما فيه الهلاك والخسر ويصرفكم عن أفعال الخير والبرّ ويدعوكم إلى الشرّ ﴿ فاتخذوه عدوّاً ﴾ أي فعادوه ولا تتّبعوه بأن تعملوا على وفق مراده وتذعنوا لانقياده ﴿ إنما يدعو

حزبه ﴾ أي اتباعه وأولياءه وأصحابه ﴿ ليكونوا من أصحاب السعير ﴾ أي النار المسعرة والمعنى أنه لا سلطان له على المؤمنين ولكنّه يدعو اتباعه إلى ما يستحقّون به النار ثم بيّن سبحانه حال من أجابه وحال من خالفه فقال ﴿ الذين كفروا لهم عذاب شديد ﴾ جزاء على كفرهم ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ﴾ من الله لذنوبهم ﴿ وأجر كبير ﴾ أي ثواب عظيم ثم قال سبحانه مقرّراً لهم ﴿ أفمن زيّن له سوء عمله فرآه حسناً ﴾ يعني الكفار زيّنت لهم نفوسهم أعمالهم السيئة فتصوّروها حسنة أو زيّنها الشيطان لهم بأن أمالهم إلى الشبه المضلّة وترك النظر في الأدلة وأغواهم حتى تشاغلوا بما فيه عاجل اللذة وطرح الكلفة وخبر قوله أفمن زيّن له سوء عمله محذوف أي أهو كمن علم الحسن والقبيح وعمل بما علم ولم يزيّن له سوء عمله وقيل تقديره كمن هداه الله وقيل كمن زيّن له صالح عمله ﴿ فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء ﴾ مرّ بيانه ﴿ فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ﴾ أي لا تهلك نفسك يا محمد عليهم حسرة ولا يغمّك حالهم إذ كفروا واستحقّوا العقاب وهو مثل قوله ﴿ لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين ﴾ والحسرة شدة الحزن على ما فات من الأمر ﴿ إن الله عليم بما يصنعون ﴾ فيجازيهم عليه ثم عاد سبحانه إلى ذكر أدلة التوحيد فقال ﴿ والله الذي أرسل الرياح فتثير سحاباً ﴾ أي تهيّجه وتزعجه من حيث هو ﴿ فسقناه ﴾ أي فسقنا السحاب ﴿ إلى بلد ميت ﴾ أي قحط وجدب لم يمطر فيمطر على ذلك البلد ﴿ فأحيينا به ﴾ أي بذلك المطر والماء ﴿ الأرض بعد موتها ﴾ بأن أنبتنا فيها الزرع والكلاء بعد أن لم يكن ﴿ كذلك النشور ﴾ أي كما فعل هذا بهذه الأرض الجدبة من أحيائها بالزرع والنبات ينشر الخلائق بعد موتهم ويحشرهم للجزاء من الثواب والعقاب ﴿ من كان يريد العزة فلله العزّة جميعاً ﴾ اختلف في معناه فقيل المعنى من كان يريد علم العزة وهي القدرة على القهر والغلبة لمن هي فإنها لله جميعاً عن الفراء وقيل معناه من أراد العزّة فليتعزّز بطاعة الله فإن الله تعالى يعزّه عن قتادة يعني أن قوله ﴿ فلله العزةجميعاً ﴾ معناه الدعاء إلى طاعة من له العزة كما يقال من أراد المال فالمال لفلان أي فليطلبه من عنده يدل على صحة هذا ما رواه أنس عن النبي ﷺ أنه قال أن ربكم يقول كل يوم أنا العزيز فمن أراد عزّ الدارين فليطع العزيز ﴿ إليه يصعد الكلم الطيب ﴾ والكلم جمع الكلمة يقال هذا كلم وهذه كلم فيذكّر ويؤنّث وكل جمع ليس بينه وبين واحده إلا الهاء يجوز فيه التذكير والتأنيث ومعنى الصعود هاهنا القبول من صاحبه والإثابة عليه وكلما يتقبّله الله سبحانه من الطاعات يوصف بالرفع والصعود لأن الملائكة يكتبون أعمال بني آدم ويرفعونها إلى حيث شاء الله تعالى وهذا كقوله ﴿ ان كتاب الأبرار لفي عليّين ﴾ وقيل معنى إليه يصعد إلى سمائه وإلى حيث لا يملك الحكم

سواه فجعل صعوده إلى سمائه صعوداً إليه تعالى كما يقال ارتفع أمرهم إلى السلطان والكلم الطيب الكلمات الحسنة من التعظيم والتقديس وأحسن الكلم لا إله إلا الله ﴿ والعمل الصالح يرفعه ﴾ قيل فيه وجوه (أحدها) العمل الصالح يرفع الكلم الطيب إلى الله فالهاء من يرفعه يعود إلى الكلم وهو معنى قول الحسن (والثاني) على القلب من الأول أي والعمل الصالح يرفعه الكلم الطيب والمعنى أن العمل الصالح لا ينفع إلا إذا صدر عن التوحيد عن ابن عباس (والثالث) أن المعنى العمل الصالح يرفعه الله لصاحبه أي يقبله عن قتادة وعلى هذا فيكون ابتداء أخبار لا يتعلق بما قبله ثم ذكر سبحانه من لا يوحّد الله سبحانه فقال ﴿ والذين يمكرون السيئات ﴾ أي يعملون السيئات عن الكلبي وقيل يمكرون أن يشركون بالله وقيل يعني الذين مكروا برسول الله ﷺ في دار الندوة عن أبي العالية وهو قوله ﴿ وإذ يمكر بك الذين كفروا ﴾ الآية ﴿ لهم عذاب شديد ﴾ في الآخرة ثم أخبر سبحانه أن مكرهم يبطل فقال ﴿ ومكر أولئك هو يبور ﴾ أي يفسد ويهلك ولا يكون شيئاً ولا ينفذ فيما أرادوه .

﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا ۚ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟

دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ * يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾

[القراءة] قرأ روح وزيد عن يعقوب ولا يَنقص بفتح الياء وهو قراءة الحسن وابن سيرين والباقون ولا يُنقص على البناء للمفعول به وقرأ قتيبة عن الكسائي والذين يدعون بالياء والباقون بالتاء وفي الشواذ قراءة عيسى الثقفي سَيْغٌ شرابه .

[الحجة] من قرأ يَنْقُص فالتقدير ولا يَنْقُص الله من عمره والقراءة المشهورة ولا يُنْقَص وهي أوفق لما تقدّمه من قوله ﴿ وما يعمّر من معمّر ﴾ وكذلك قراءة تدعون على الخطاب أوفق بما تقدّم من الكلام وما تأخّر ويدعون بالياء على الغيبة ومن قرأ سَيْغٌ شرابه فإنه على التخفيف من سَيِّغٌ بالتشديد على فيعل وأصله سيوغ مثل هَيْن وهيّن وميت وميّت .

[اللغة] النطفة الماء القليل والماء الكثير وهو من الأضداد ومنه قول أمير المؤمنين (ع) لما قيل له أن الخوارج عبروا جسر النهروان مصارعهم دون النطفة والعمر البقاء وأصله طول المدة وقولهم لَعَمر الله بالفتح لا غير والقطمير لفافة النواة وقيل الحبّة في بطن النواة والجديد القريب العهد بانقطاع العمل عنه وأصله من القطع .

[الإعراب] لا ينقص تقديره لا ينقص من عمره شيء فمفعول ما لم يسمَّ فاعله محذوف وقوله إلا في كتاب الجار والمجرور في موضع خبر لمبتدأ محذوف تقديره إلا هو كائن في كتاب . تلبسونها يجوز أن يكون جملة منصوبة الموضع على الحال من تستخرجون ويجوز أن يكون صفة لحلية أي حلية ملبوسة واللام من قوله ﴿ لتبتغوا ﴾ يتعلق بمواخر لأن المعنى أن الفلك يشق الماء للإبتغاء من فضل الله وقوله ﴿ من دونه ﴾ في موضع الحال من الضمير المحذوف من قوله ﴿ تدعون ﴾ والتقدير والذين تدعونهم كائنين من دونه .

[المعنى] ثم نسق سبحانه على ما تقدم من دلائل التوحيد فقال ﴿ والله خلقكم من تراب ﴾ بأن خلق آباكم آدم منه فإن الشيء يضاف إلى أصله وقيل أراد به آدم (ع) نفسه ﴿ ثم من نطفة ﴾ أي ماء الرجل والمرأة ﴿ ثم جعلكم أزواجاً ﴾ أي ذكوراً وإناثاً وقيل ضروباً

وأصنافاً ﴿ وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه ﴾ أي وما تحصل من الإناث حاملة ولدها في بطنها إلا بعلم الله تعالى والمعنى إلا وهو عالم بذلك ﴿ وما يعمّر من معمّر ﴾ معناه وما يمدّ في عمر معمر أي ولا يطول عمر أحد ﴿ ولا ينقص من عمره ﴾ أي من عمر ذلك المعمر بانقضاء الأوقات عليه عن أبي مالك يعني ولا يذهب بعض عمره بمضيّ الليل والنهار وقيل معناه ولا ينقص من عمر غير ذلك المعمر عن الحسن والضحاك وابن زيد وقيل هو ما يعلمه الله تعالى إن فلاناً لو أطاع لبقي إلى وقت كذا وإذا عصى نقص عمره فلا يبقى فالنقصان على ثلاثة أوجه إما أن يكون من عمر المعمر أو من عمر معمر آخر أو يكون بشرط ﴿ إلا في كتاب ﴾ أي إلا وذلك مثبت في الكتاب وهو الكتاب المحفوظ أثبته الله تعالى قبل كونه قال سعيد بن جبير مكتوب في أم الكتاب عمر فلان كذا سنة ثم يكتب أسفل ذلك ذهب يوم ذهب يومان ذهب ثلاثة أيام حتى يأتي على آخر عمره ﴿ إن ذلك على الله يسير ﴾ يعني أن تعمير من يعمره ونقصان من ينقصه وإثبات ذلك في الكتاب سهل على الله تعالى غير متعذر ثم قال ﴿ وما يستوي البحران ﴾ يعني العذب والمالح ثم ذكرهما فقال ﴿ هذا عذب فرات ﴾ أي طيب بارد ﴿ سائغ شرابه ﴾ أي جائز في الحلق هنيء ﴿ وهذا ملح أجاج ﴾ شديد الملوحة عن ابن عباس وما بعد هذا مفسّر في سورة النحل إلى آخر الآية ﴿ يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل ﴾ أي يدخل أحدهما في الآخر بالزيادة والنقصان ﴿ وسخّر الشمس والقمر ﴾ أي يجريهما كما يريد ﴿ كلّ يجري لأجل مسمى ﴾ أي لوقت معلوم وقد مضى تفسيره ﴿ ذلكم الله ربكم ﴾ أي مدبّر هذه الأمور هو الله خالقكم ﴿ له الملك ﴾ في الدنيا والآخرة ﴿ والذين تدعون من دونه ﴾ أي تدعونهم آلهة من الأصنام والأوثان وتوجّهون عبادتكم إليهم ﴿ ما يملكون من قطمير ﴾ أي قشر نواة عن ابن عباس أي لا يقدرون من ذلك على قليل ولا كثير ﴿ إن تدعوهم ﴾ لكشف ضرّ ﴿ لا يسمعوا دعاءكم ﴾ لأنها جماد لا تنفع ولا تضرّ ﴿ ولو سمعوا ﴾ بأن يخلق الله لها سمعاً ﴿ ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ﴾ أي يتبرأون عن عبادتكم ينطقهم الله يوم القيامة لتوبيخ عابديها فيقولون لِمَ عبدتمونا وما دعوناكم إلى ذلك قال البلخي ويجوز أن يكون المراد به الملائكة وعيسى ويكون معنى قوله ﴿ لا يسمعوا دعاءكم ﴾ أنهم بحيث لا يسمعونه أو أنهم مشتغلون عنهم لا يلتفتون إليهم ويجوز أن يكون المراد به الأصنام ويكون ما يظهر من بطلان ما ظنّوه كفراً بشركهم وجحوداً له كما أن ما يحصل في الجماد من الدلالة على الله تسبيح منهم ﴿ ولا ينبئك مثل خبير ﴾ أي لا يخبرك بما فيه الصلاح والفساد والمنافع والمضار مثل الله سبحانه العليم بالأشياء كلّها ﴿ يا أيها الناس أنتم الفقراء ﴾ المحتاجون ﴿ إلى الله والله هو الغني ﴾

عن عبادتكم لا يحتاج إلى شيء ﴿ الحميد ﴾ المستحق للحمد على جميع أفعاله فلا يفعل إلا ما يستحق به حمداً ثم أخبر عن كمال قدرته فقال ﴿ أن يشأ يذهبكم ﴾ ويفنكم ﴿ ويأت بخلق جديد ﴾ سواكم كما خلقكم ولم تكونوا شيئاً ﴿ وما ذلك على الله بعزيز ﴾ أي ممتنع بل هو عليه هيّن يسير .

﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۗ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ ۚ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ ۚ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ ۖ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾

[اللغة] الحرور السموم وهي الريح الحارة قال الفراء السموم لا يكون إلا بالنهار والحرور يكون بالليل والنهار والإستواء حصول أحد الشيئين على مقدار الآخر ومنه الإستواء في العود والطريق خلاف الإعوجاج لممره على مقدار وضع له من غير إنعدال والإسماع إيجاد المسموع بحيث يدركه السامع .

[المعنى] ثم أخبر سبحانه عن عدله في حكمه فقال ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ أي لا تحمل نفس حاملة حمل نفس أخرى أي لا يؤاخذ أحد بذنب غيره وإنما يؤاخذ كل بما يقترفه من الآثام ﴿ وأن تدع مثقلة إلى حملها ﴾ أي وأن تدع نفس مثقلة بالآثام غيرها إلى أن يتحمل عنها شيئاً من إثمها ﴿ لا يحمل منه شيء ﴾ أي لا يحمل غيرها شيئاً من ذلك الحمل ﴿ ولو كان ذا قربى ﴾ أي ولو كان المدعو إلى التحمل ذا قرابة منها وأقرب الناس إليها ما حمل عنها شيئاً فكل نفس بما كسبت رهينة قال ابن عباس يقول الأب والأم يا بني إحمل عني فيقول حسبي ما عليَّ ﴿ إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب ﴾ أي وهم غائبون عن أحكام الآخرة وأهوالها وهذا كقوله ﴿ إنما أنت منذر من يخشاها ﴾ والمعنى إن إنذارك لا ينفع إلا الذين يخشون ربهم فكأنك تنذرهم دون غيرهم ممن لا ينفعهم الإنذار وقيل الذين يخشون ربهم في خلواتهم وغيبتهم عن الخلق ﴿ وأقاموا الصلاة ﴾ أي أداموها وقاموا بشرائطها وإنما عطف الماضي على المستقبل أشعاراً باختلاف المعنى لأن الخشية لازمة في كل وقت والصلاة لها أوقات مخصوصة ﴿ ومن تزكى ﴾ أي فعل الطاعات وقام بما يجب عليه من الزكاة وغيرها من الواجبات وقيل تطهر من الآثام ﴿ فإنما يتزكّى لنفسه ﴾ لأن جزاء ذلك يصل إليه دون غيره ﴿ وإلى الله المصير ﴾ أي مرجع الخلق كلّهم إلى حيث لا يملك الحكم إلا الله سبحانه فيجازي كُلاً على قدر عمله ﴿ وما يستوي الأعمى والبصير ﴾ أي لا يتساوى الأعمى عن طريق الحق والذي اهتدى إليه قط وقيل المشرك والمؤمن ﴿ ولا الظلمات ﴾ أي ظلمات الشرك والضلال ﴿ ولا النور ﴾ أي نور الإيمان والهداية وفي قوله ﴿ ولا النور ﴾ وما بعده من زيادة لا قولان (أحدهما) أنها زائدة مؤكدة للنفي (والثاني) إنها نافية لاستواء كل واحد منهما لصاحبه على التفصيل ﴿ ولا الظل ولا الحرور ﴾ يعني الجنة والنار عن الكلبي وقيل يعني ظل الليل والسموم بالنهار ﴿ وما يستوي الأحياء ولا الأموات ﴾ يعني المؤمنين والكافرين وقيل يعني العلماء والجهّال وقال بعضهم أراد نفس الأعمى والبصير والظلّ والحرور والظلمات والنور على طريق ضرب المثل أي كما لا يستوي هذه الأشياء ولا يتماثل ولا يتشاكل فكذلك عبادة الله لا تشبه عبادة غيره ولا يستوي المؤمن والكافر والحق والباطل والعالم والجاهل ﴿ إن الله يسمع من يشاء ﴾ أي ينفع بالإسماع من يشاء أن يلطف له ويوفقّه ولم يرد به نفي حقيقة السماع لأنهم كانوا يسمعون آيات الله ﴿ وما أنت بمسمع من في القبور ﴾ أي إنك لا تقدر على أن تنفع الكفار بإسماعك إيّاهم إذ لم يقبلوا كما لا تسمع من في القبور من الأموات ﴿ إن أنت إلا نذير ﴾ أي ما أنت إلا مخوّف لهم بالله ﴿ إنا أرسلناك بالحق ﴾ أي بالدين الصحيح ﴿بشيراً ونذيراً ﴾ أي مبشّراً للمؤمنين ونذيراً للكافرين

﴿ وإن من أمة ﴾ أي وما من أمة من الأمم الماضية ﴿ إلا خلا فيها نذير ﴾ أي مضى فيها مخوّف يخوّفهم وينذرهم فأنت مثلهم نذير لمن جحد بشير لمن وحد قال الجبائي وفي هذا دلالة على أنه لا أحد من المكلفين إلا وقد بعث إليه الرسول وإنه سبحانه أقام الحجة على جميع الأمم ثم قال تعالى تسلية لنبيّه ﷺ ﴿ وإن يكذبوك ﴾ يا محمد ولم يصدّقوك ﴿ فقد كذب الذين من قبلهم ﴾ من الكفار أنبياء أرسلهم الله إليهم ﴿ جاءتهم رسلهم بالبينات ﴾ أي بالمعجزات الباهرات والحجج الواضحات ﴿ وبالزبر ﴾ أي وبالكتب ﴿ وبالكتاب المنير ﴾ أي الواضح البيّن وإنما كرّر ذكر الكتاب وعطفه على الزبر لاختلاف الصفتين فإن الزبور أثبت في الكتاب من الكتاب لأنه يكون منقراً منقشاً فيه كالنقر في الحجر ﴿ ثم أخذت الذين كفروا فكيف كان نكير ﴾ أي فلما كذّبوا رسلهم ولم يعترفوا بنبوتهم أخذتهم بالعذاب وأهلكتهم ودمّرت عليهم فكيف كان تغييري وإنكاري عليهم وإنزالي العقاب بهم .

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾

[اللغة] واحد الجُدَد جُدَّة وأما الجُدُد فجمع جديد قال المبرد الجُدَد الطرائق والخطوط قال امرؤ القيس :

كَأَنَّ سَرَاتَهُ وَجُدَّةَ مَتْنِهِ كَنَائِنُ يَجْرِي بَيْنَهُنَّ دَلِيصُ[1]

يعني الخطة السوداء في ظهر حمار الوحش وكل طريقة جدة وجادة وقال الفراء هي الطرائق تكون في الجبال كالعروق بيض وسود وحمر والغربيب الشديد السواد الذي يشبه لون الغراب .

[الإعراب] مختلفاً صفة لثمرات وألوانها مرفوع بأنه فاعله مختلف ألوانه خبر مبتدأ محذوف تقديره ما هو مختلف ألوانه فالهاء في ألوانه عائد إلى هو ويجوز أن يكون الهاء عائداً إلى موصوف لمختلف تقدير جنس مختلف ألوانه وهو الأصحّ سرّاً وعلانية يجوز أن يكون نصبهما على الحال على تقدير أنفقوا مسرّين ومعلنين ويجوز أن يكون على صفة مصدر أنفق تقديره أنفقوا إنفاقاً مسرّاً ومعلناً ويرجون في موضع نصب على الحال .

[المعنى] ثم عاد الكلام إلى ذكر دلائل التوحيد فقال سبحانه ﴿ ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء ﴾ أي غيثاً ومطراً ﴿ فأخرجنا ﴾ أخبر عن نفسه بنون الكبرياء والعظمة ﴿ به ﴾ أي بذلك الماء ﴿ ثمرات ﴾ جمع ثمرة وهي ما تجتني من الشجر ﴿ مختلفاً ألوانها ﴾ وطعومها وروائحها إقتصر على ذكر الألوان لأنها أظهر ولدلالة الكلام على الطعوم والروائح ﴿ ومن الجبال جدد ﴾ أي ومما خلقنا من الجبال جدد ﴿ بيض وحمر ﴾ أي طرق بيض وطرق حمر ﴿ مختلف ألوانها وغرابيب سود ﴾ أي ومن الجبال غرابيب سود على لون واحد لا خطط فيها قال الفراء وهذا على التقديم والتأخير تقديره وسود غرابيب لأنه يقال أسود غربيب وأسود حالك وأقول ينبغي أن يكون سود عطف بيان يبين غرابيب به والأجود أن يكون تأكيداً إذ الغرابيب لا تكون إلا سوداً فيكون كقولك رأيت زيداً زيداً وهذا أولى من أن يحمل على التقديم والتأخير ﴿ ومن الناس ﴾ أيضاً ﴿ والدواب ﴾ التي تدبُّ على وجه الأرض ﴿ والأنعام ﴾ كالإبل والغنم والبقر خلق ﴿ مختلف ألوانه كذلك ﴾ أي كاختلاف الثمرات والجبال وتمّ الكلام ثم قال ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ أي ليس يخاف الله حق خوفه ولا يحذر معاصيه خوفاً من نقمته إلا العلماء الذين يعرفونه حق معرفته وروي عن الصادق (ع) أنه قال يعني بالعلماء من صدق قوله فعله ومن لم يصدق فعله قوله فليس بعالم وعن ابن عباس قال يريد إنما يخافني من خلقي من علم جبروتي وعزّتي وسلطاني وفي الحديث أعلمكم بالله أخوفكم لله قال مسروق كفى بالمرء علماً أن يخشى الله وكفى بالمرء

---

(١) سراة الفرس: أعلى متنه والكنائن جمع الكنانة: جعبة السهام والدليص: ذهب له بريق .

جهلاً أن يعجب بعلمه وإنما خصَّ سبحانه العلماء بالخشية لأن العالم أحذر لعقاب الله من الجاهل حيث يختصّ بمعرفة التوحيد والعدل ويصدّق بالبعث والحساب والجنة والنار ومتى قيل فقد نرى من العلماء من لا يخاف الله ويرتكب المعاصي (فالجواب) أنه لا بدّ من أن يخافه مع العلم به وإن كان يؤثّر المعصية عند غلبة الشهوة لعاجل اللذة ﴿ إن الله ﴾ تعالى ﴿ عزيز ﴾ في إنتقامه من أعدائه ﴿ غفور ﴾ لزلّات أوليائه ثم وصف سبحانه العلماء فقال ﴿ إن الذين يتلون كتاب الله ﴾ أي يقرؤون القرآن في الصلاة وغيرها أثنى سبحانه عليهم بقراءة القرآن قال مطرف بن عبد الله الشخير هذه آية القراء ﴿ وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم ﴾ أي ملكناهم التصرف فيه ﴿ سراً وعلانية ﴾ أي في حال سرّهم وفي حال علانيتهم وعن عبد الله بن عبيد بن عمير الليثي قال قام رجل إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله مالي لا أحبُّ الموت قال ألك مال قال نعم قال فقدّمه قال لا أستطيع قال فإن قلب الرجل مع ماله إن قدّمه أحبُّ أن يلحق به وإن أخّره أحب أن يتأخّر معه ﴿ يرجون تجارة لن تبور ﴾ أي راجين بذلك تجارة لن تكسد ولن تفسد ولن تهلك ﴿ ليوفيهم أجورهم ﴾ أي قصدوا بأعمالهم الصالحة وفعلوها لأن يوفيهم الله أجورهم بالثواب ويزيدهم على قدر إستحقاقهم ﴿ من فضله أنه غفور ﴾ لذنوبهم ﴿ شكور ﴾ لحسناتهم عن الزجاج وقال الفراء خبر إن قوله ﴿ يرجون تجارة لن تبور ﴾ وروى ابن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال في قوله ﴿ ويزيدهم من فضله ﴾ هو الشفاعة لمن وجبت له النار ممن صنع إليه معروفاً في الدنيا وعن الضحاك قال يفسح لهم في قبورهم وقيل معنى شكور أنه يقبل اليسير ويثيب عليه الكثير تقول العرب أشكر من بروقة وتزعم أنها شجرة عارية من الورق تغيم السماء فوقها فتخضر وتورق من غير مطر .

﴿ وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ
إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ
بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا
مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ ۚ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۖ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ
بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ

عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾

[القراءة] قرأ أبو عمرو يُدخلونها بضم الياء على ما لم يسم فاعله ليشاكل قوله يُحلّون والباقون بفتح الياء لأنهم إذا أدخلوا فقد دخلوا وقد ذكرنا إختلافهم في لؤلؤاً في سورة الحج .

[اللغة] المقامة الإقامة وموضع الإقامة وإذا فتحت الميم كان بمعنى القيام وموضع القيام قال الشاعر :

يَوْمَان يَوْمُ مَقَامَاتٍ وَأَنْدِيَةٍ وَيَوْمُ سَيْرٍ إِلَى الْأَعْدَاءِ تَأْوِيبِ[1]

والنُصْب التعب وفيه لغتان النُصْب والنَصَب لغتان كالرُشْد والرَشَد والحُزْن والحَزَن واللغوب الأعياء من التعب .

[الإعراب] من الكتاب في موضع الحال من الضمير المنصوب المحذوف من الصلة والتقدير والذي أوحيناه إليك كائناً من الكتاب جنات عدن يدخلونها خبر مبتدأ محذوف ويجوز أن يكون بدلاً من قوله الفضل الكبير يدخلونها في موضع نصب على الحال وكذلك يحلون فيها من أساور من يتعلق بيحلون من ذهب في موضع الصفة لاساور أي أساور كائنة من ذهب والمعنى ذهبية لا يمسنا في موضع نصب على الحال .

[المعنى] ثم خاطب سبحانه نبيَّه ﷺ فقال ﴿ والذي أوحينا إليك ﴾ يا محمد وأنزلناه ﴿ من الكتاب ﴾ وهو القرآن ﴿ هو الحق ﴾ أي الصحيح الذي لا يشوبه فساد والصدق الذي لا يمازجه كذب والعقل يدعو إلى الحق ويصرف عن الباطل ﴿ مصدّقاً لما بين يديه ﴾ أي لما قبله من الكتب لأنه جاء موافقاً لما بشّرت به تلك الكتب من حاله وحال من أتى به ﴿ إن الله بعباده لخبير ﴾ أي عالم ﴿ بصير ﴾ بأحوالهم ﴿ ثم أورثنا الكتاب ﴾ يعني القرآن وقيل

(١) مر البيت في صفحة ٥٩٥ من هذا الجزء .

هو التوراة عن أبي مسلم وقيل أراد الكتب لأن الكتاب يطلق ويراد به الجنس عن الجبائي والصحيح الأول لأن ظاهر لفظ الكتاب لا يطلق إلا على القرآن ﴿ الذين اصطفينا من عبادنا ﴾ أي اخترناهم ومعنى الإرث أنتهاء الحكم إليهم ومصيره لهم كما قال وتلك الجنة التي أورثتموها وقيل معناه أورثناهم الإيمان بالكتب السالفة إذ الميراث إنتقال الشيء من قوم إلى قوم والأول أصحّ واختلف في الذين اصطفاهم الله تعالى عن عباده في الآية فقيل هم الأنبياء إختارهم الله برسالته وكتبه عن الجبائي وقيل هم المصطفون الداخلون في قوله إن الله اصطفى آدم إلى قوله وآل إبراهيم وآل عمران يريد بني إسرائيل عن أبي مسلم قال لأن الأنبياء لا يرثون الكتب بل يورث علمهم وقيل هم أمة محمد ﷺ أورثهم الله كل كتاب أنزله عن ابن عباس وقيل هم علماء أمة محمد ﷺ لما ورد في الحديث العلماء ورثة الأنبياء والمروي عن الباقر والصادق (ع) أنهما قالا هي لنا خاصة وإيانا عني وهذا أقرب الأقوال لأنهم أحق الناس بوصف الأصطفاء والإجتباء وإيراث علم الأنبياء إذ هم المتعبدون بحفظ القرآن وبيان حقائقه والعارفون بجلائله ودقائقه ﴿ فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات ﴾ إختلف في أن الضمير في منهم إلى من يعود على قولين (أحدهما) أنه يعود إلى العباد وتقدير الكلام فمن العباد ظالم وروي نحو ذلك عن ابن عباس والحسن وقتادة واختاره المرتضى قدس الله روحه من أصحابنا قال والوجه فيه أنه لما علّق توريث الكتاب بمن اصطفاه من عباده بيّن عقيبه أنه إنما علّق وراثة الكتاب ببعض العباد دون بعض لأن فيهم من هو ظالم لنفسه ومن هو مقتصد ومن هو سابق بالخيرات (والقول الثاني) أن الضمير يعود إلى المصطفين من العباد عن أكثر المفسرين ثم إختلف في أحوال الفرق الثلاث على قولين (أحدهما) إن جميعهم ناج ويؤيد ذلك ما ورد في الحديث عن أبي الدرداء قال سمعت رسول الله ﷺ يقول في الآية أما السابق فيدخل الجنة بغير حساب وأما المقتصد فيحاسب حساباً يسيراً وأما الظالم لنفسه فيحبس في المقام ثم يدخل الجنة فهم الذين قالوا الحمد لله الذي أذهب عنّا الحزن وعن عائشة أنها قالت كلهم في الجنة أما السابق فمن مضى على عهد رسول الله ﷺ وشهد له رسول الله ﷺ بالجنة واما المقتصد فمن اتبع اثره من أصحابه حتى لحق بهم وأما الظالم فمثلي ومثلكم وروي عنها ايضاً أنها قالت السابق الذي اسلم قبل الهجرة والمقتصد الذي اسلم بعد الهجرة والظالم نحن وروي عن عمر بن الخطاب انه قال سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له وقيل إن الظالم من كان ظاهره خيراً من باطنه والمقتصد الذي استوى ظاهره وباطنه والسابق الذي باطنه خير من ظاهره وقيل منهم ظالم لنفسه بالصغائر ومنهم مقتصد بالطاعات في الدرجة الوسطى ومنهم سابق بالخيرات في الدرجة العليا عن جعفر بن حرب وروى أصحابنا عن ميسر بن عبد العزيز عن الصادق (ع) أنه قال

الظالم لنفسه منا من لا يعرف حق الإمام والمقتصد منا العارف بحق الإمام والسابق بالخيرات هو الإمام وهؤلاء كلهم مغفور لهم وعن زياد بن المنذر عن أبي جعفر (ع) قال وأما الظالم لنفسه منا فمن عمل عملاً صالحاً وآخر سيئاً وأما المقتصد فهو المتعبد المجتهد وأما السابق بالخيرات فعلي والحسن والحسين (ع) ومن قتل من آل محمد ﷺ شهيداً والقول الآخر أن الفرقة الظالمة لنفسها غير ناجية قال قتادة الظالم لنفسه أصحاب المشأمة والمقتصد أصحاب الميمنة والسابق بالخيرات هم السابقون المقربون من الناس كلهم كما قال سبحانه وكنتم أزواجاً ثلاثة وقال عكرمة عن ابن عباس إن الظالم هو المنافق والمقتصد والسابق من جميع الناس وقال الحسن السابقون هم الصحابة والمقتصدون هم التابعون والظالمون هم المنافقون[1] فإن قيل لِمَ قدّم الظالم وأخّر السابق وإنما يقدّم الأفضل فالجواب أنهم يقدّمون الأدنى في الذكر على الأفضل قال سبحانه يولج الليل في النهار وقال يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور وقال خلق الموت والحياة وقال فمنكم كافر ومنكم مؤمن وقيل إنما قدّم الظالم لئلا ييأس من رحمته وأخّر السابق لئلا يعجب بعلمه وقيل إنما رتّبهم هذا الترتيب على مقامات الناس لأن أحوال الناس ثلاث معصية وغفلة ثم التوبة ثم القربة فإذا عصى فهو ظالم وإذا تاب فهو مقتصد وإذا صحّت توبته وكثرت مجاهدته إتصل بالله وصار من جملة السابقين وقوله ﴿ بإذن الله ﴾ أي بأمره وتوفيقه ولطفه ﴿ ذلك هو الفضل الكبير ﴾ معناه أن إيراث الكتاب واصطفاء الله إياهم هو الفضل العظيم من الله عليهم ﴿ جنات عدن يدخلونها ﴾ هذا تفسير للفضل كأنه قيل ما ذلك الفضل فقال هي جنات أي جزاء جنات أو دخول جنات ويجوز أن يكون بدلاً من الفضل كأنه قال ذلك دخول جنات ﴿ يحلّون فيها من أساور ﴾ جمع أسورة وهي جمع سوار ﴿ من ذهب ولؤلؤاً ﴾ ومن قرأ ولؤلؤاً فالمعنى ويحلون فيها لؤلؤاً ﴿ ولباسهم فيها حرير ﴾ وهو الابريسم المحض وإذا قلنا إن المراد به الفرق الثالث فالظالم إنما يدخلها بفضل الله تعالى أو بالشفاعة ﴿ وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن ﴾ أخبر سبحانه عن حالهم أنهم إذا دخلوا الجنة يقولون الحمد لله إعترافاً منهم بنعمته لا على وجه التكليف وشكراً له على أن أذهب الغم الذي كانوا عليه مستحقين لذلك فإذا تفضّل الله عليهم بإسقاط عقابهم وأدخلهم الجنة حمدوه على ذلك وشكروه ﴿ إن ربنا لغفور ﴾ لذنوب عباده وقبيح أفعالهم ﴿ شكور ﴾ يقبل اليسير من محاسن أعمالهم وقيل إن شكره سبحانه هو مكافاته لهم على الشكر له والقيام بطاعته وإن كان حقيقة الشكر لا يجوز عليه سبحانه من حيث كان إعترافاً بالنعمة ولا يصحّ أن يكون سبحانه منعماً عليه ﴿ الذي

(١) وحكى عن بعض أهل العرفان أن الظالم: الذي يجزع عند البلاء والمقتصد: الذي يصبر على البلاء. والسابق الذي يتلذذ بالبلاء.

أحلّنا دار المقامة ﴾ أي أنزلنا دار الخلود يقيمون فيها أبداً لا يموتون ولا يتحوّلون عنها ﴿ من فضله ﴾ أي ذلك بتفضّله وكرمه ﴿ لا يمسّنا فيها نصب ﴾ لا يصيبنا في الجنة عناء ومشقة ﴿ ولا يمسنا فيها لغوب ﴾ أي ولا يصيبنا فيها أعياء ومتعبة في طلب المعاش وغيره .

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٣٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۚ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾

[القراءة] قرأ أبو عمر وخلف وحده يجزى كل كفور على ما لم يسم فاعله والباقون نجزي بالنون كل بالنصب وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة وحفص وخلف على بينة بالتوحيد والباقون بينات بالجمع .

[الحجة] من قرأ نجزي بالنون فإنه على وجه الاخبار من الله تعالى عن نفسه ومن قرأ

على بناء الفعل للمفعول به فحجته أن ما قبله لا يقضى عليهم ولا يخفف عنهم والوجه في قراءة بينة على الأفراد أنه يجعل ما في الكتاب أو ما يأتي به النبي ﷺ بيّنة كما قال أرأيتم إن كنت على بينة من ربي وقد جاءتكم بينة من ربكم ومن قرأ بالجمع فإن لكل نبيّ بينة فإذا جمعوا جمعت البينة بجمعهم على أن في الكتاب ضروباً من البينة فجمع لذلك .

[اللغة] الإصطراخ الصياح والنداء بالاستغاثة إفتعال من الصراخ قلبت التاء طاء لأجل الصاد الساكنة قبلها وإنما فعل ذلك لتعديل الحروف بجرف وسط بين حرفين يوافق الصاد في الإستعلاء والأطباق ويوافق التاء في المخرج والمقت البغض مقته يمقته وهو ممقوت ومقيت .

[الإعراب] فيموتوا جواب النفي ويموتوا منصوب بإضمار أن وعلامة النصب سقوط النون ما يتذكر فيه من تذكر الموصول والصلة في محل النصب على أنه ظرف زمان لأن المعنى أو لم نعمركم زماناً طويلاً يتذكر فيه من تذكر والهاء فيه يعود إلى ما وقلّما يجيء ما في معنى الظرف وهو إسم وإنما يجيء حرفاً مصدرياً .

[المعنى] لمّا قدّم سبحانه ذكر ما أعدّه لأهل الجنة من أنواع الثواب عقّبه بذكر ما أعدّه للكفار من أليم العقاب فقال ﴿ والذين كفروا ﴾ بوحدانية الله وجحدوا نبوّة نبيّه ﴿ لهم نار جهنم ﴾ جزاء على كفرهم ﴿ لا يقضى عليهم ﴾ بالموت ﴿ فيموتوا ﴾ فيستريحوا ﴿ ولا يخفّف عنهم من عذابها ﴾ أي ولا يسهل عليهم عذاب النار ﴿ كذلك ﴾ أي ومثل هذا العذاب ونظيره ﴿ نجزي كل كفور ﴾ جاحد كثير الكفران مكذّب لأنبياء الله ﴿ وهم يصطرخون فيها ﴾ أي يتصايحون بالاستغاثة يقولون ﴿ ربنا أخرجنا ﴾ من عذاب النار ﴿ نعمل صالحاً ﴾ أي نؤمن بدل الكفر ونطع بدل المعصية والمعنى ردّنا إلى الدنيا لنعمل بالطاعات التي تأمرنا بها ﴿ غير الذي كنا نعمل ﴾ من المعاصي فوبّخهم الله تعالى فقال ﴿ أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر ﴾ أي ألم نعطكم من العمر مقدار ما يمكن أن يتفكّر ويعتبر وينظر في أمور دينه وعواقب حاله من يريد أن يتفكر ويتذكر واختلف في هذا المقدار فقيل هو ستون سنة وهو المروي عن أمير المؤمنين (ع) قال العمر الذي أعذر الله فيه إلى ابن آدم ستّون سنة وهو إحدى الروايتين عن ابن عباس وروي عن النبي ﷺ أيضاً مرفوعاً أنه قال من عمره الله ستين سنة فقد أعذر إليه وقيل هو أربعون سنة عن ابن عباس ومسروق وقيل هو توبيخ لابن ثماني عشرة سنة عن وهب وقتادة وروي ذلك عن الصادق (ع) ﴿وجاءكم النذير﴾ أي المخوّف من عذاب الله وهو محمد ﷺ عن ابن زيد والجبائي وجماعة وقيل النذير القرآن عن زيد بن علي وقيل النذير الشيب عن عكرمة وسفيان بن عيينة ومنه قيل .

رَأَيْتُ الشَّيْبَ مِنْ نُذُرِ الْمَنَايَا لِصَاحِبِهِ وَحَسْبُكَ مِنْ نَذِيرِ
وَقَائِلَةٍ تَبَيَّضُ وَالْغَوَانِي نَوَافِرُ عَنْ مُعَايِنَةِ الْقَتِيرِ(١)
فَقُلْتُ لَهَا الْمَشِيبُ نَذِيرُ عُمْرِي وَلَسْتُ مُسَوِّداً وَجْهَ النَّذِيرِ

وقال عدي بن زيد :

وَابْيِضَاضُ السَّوَادِ مِنْ نُذُرِ الْمَوْ تِ وَهَلْ بَعْدَهُ يَجِيءُ نَذِيرُ

وقيل النذير موت الأهل والأقارب وقيل كما العقل ﴿فذوقوا﴾ أي فذوقوا العذاب وحسرة الندم ﴿ فما للظالمين من نصير ﴾ يدفع عنهم العذاب ﴿ إن الله عالم غيب السماوات والأرض ﴾ فلا يخفى عليه شيء مما يغيب عن الخلائق علمه ﴿ إنه عليم بذات الصدور ﴾ أي فلا تضمروا في أنفسكم ما يكرهه سبحانه فإنه عالم به ﴿ هو الذي جعلكم خلائف في الأرض ﴾ أي جعلكم معاشر الكفار أمة بعد أمة وقرناً بعد قرن عن قتادة وقيل جعلكم خلائف القرون الماضية بأن أحدثكم بعدهم وأورثكم ما كان لهم ﴿ فمن كفر فعليه كفره ﴾ أي فعليه ضرر كفره وعقاب كفره ﴿ ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلا مقتاً ﴾ أي أشدّ البغض ﴿ ولا يزيد الكافرين كفرهم إلا خساراً ﴾ أي خسراناً وهلاكاً ﴿ قل ﴾ يا محمد ﴿ أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض ﴾ معناه أخبروني أيها المشركون عن الأوثان الذين أشركتموهم مع الله في العبادة أروني ماذا خلقوا من الأرض أي بأيّ شيء أوجبتم له شركاً مع الله تعالى في العبادة أبشيء خلقوه من الأرض ﴿ أم لهم شرك في السماوات ﴾ أي شركة في خلقها ثم ترك هذا النظم فقال ﴿ أم آتيناهم كتاباً ﴾ أي أم أنزلنا عليهم كتاباً يصدق دعواهم فيما هم عليه من الشرك ﴿ فهم على بينة ﴾ أي فهم على دلالات واضحات ﴿ منه ﴾ أي من ذلك الكتاب أراد فإن جميع ذلك محال لا يمكنهم إقامة حجة ولا شبهة على شيء منه وقيل أم آتيناهم كتاباً بأن الله لا يعذّبهم على كفرهم فهم واثقون به ﴿ بل أن يعد الظالمون بعضهم بعضاً إلا غروراً ﴾ معناه ليس شيء من ذلك لكن ليس يعد بعض الظالمين بعضاً إلا غروراً لا حقيقة له يغرونهم يقال غرّة يغرّه غروراً إذا أطمعه فيما لا يطمع فيه .

[النظم] إتصال قوله ﴿ إن الله عالم غيب السماوات والأرض ﴾ الآية بما قبله إن المعنى يعلم الله إنه لو ردّكم إلى الدنيا لعدتم إلى كفركم فاتّصل بقوله نعمل صالحاً غير الذي كنّا نعمل واتصل قوله ﴿ هو الذي جعلكم خلائف في الأرض ﴾ بما قبله على معنى أنه

(١) الغواني جمع الغانية: الجارية الحسناء، سميت غانية لأنها غنيت بحسنها عن الزينة، والقتير: الشيب .

كما أورثكم الكتاب أورثكم الأرض لتشكروه على نعمه وتعتبروا بمن سلف من الأمم .

﴿ * إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ
إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾
وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ
مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾
ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ
فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ
وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ
فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ
قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ
إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ
عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ
أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًا ﴿٤٥﴾

[القراءة] قرأ حمزة وحده ومكر السيء بسكون الهمزة والباقون بالجر .

[الحجة] قال الزجاج تسكين هذه الهمزة لحن عند البصريين وإنما يجوز في الشعر في الإضطرار أنشدوا « إِذَا أَعْوَجَجْنَ قُلْتُ صَاحِبْ قَوِّمِ »[1] والأصل يا صاحب قوِّم لكنه

(١) هذا صدر بيت وعجزه « بالدو أمثال السفين العوم » يعني إذا عدلت الإبل عن الطريق قلت لصاحبي قومها على =

حذف مضطراً وأنشدوا :

فَالْيَوْمَ أَشْرَبْ غَيْرَ مُسْتَحْقِبٍ إِثْماً مِنَ اللهِ وَلَا وَاغِلِ[1]

وأنشد أبو العباس المبرد[2] « إِذَا اعْوَجَجْنَ قُلْتُ صَاحِ قَوِّم »[3] وقال أبو علي في إسكان الهمزة أجراها في الوصل مجراها في الوقف فهو مثل قوله « بِبَازِلٍ وَجْنَاه أَوْ عَيْهَلِ »[4] وقوله « مِثْلُ الْحَرِيقِ وَافَقَ الْقَصَبَا »[5].

[الإعراب] إن نزولاً مفعول له أي كراهة أن تزولا أو لئلا تزولا واستكباراً مفعول له أيضاً ومكر السيء معطوف عليه ويجوز أن يكون مصدراً على تقدير استكبروا استكباراً في الأرض وأن يكون حالاً أيضاً أي مستكبرين في الأرض وأن يكون بدلاً من نفوراً أي ما زادهم مجيء النذير إلا استكباراً في الأرض من شيء فاعل يعجز ومن مزيدة ومن دابّة في محل نصب لأنه مفعول ترك ومن مزيدة أيضاً .

[المعنى] ثم أخبر سبحانه عن عظم قدرته وسعة مملكته فقال ﴿ إن الله يمسك السماوات والأرض ﴾ معناه أن يمسك السماوات من غير علاقة فوقها ولا عماد تحتها ويمسك الأرض كذلك ﴿ أن تزولا ﴾ أي لئلا تزولا ﴿ ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد ﴾ أي وإن قدر أن تزولا عن مراكزهما ما أمسكهما أحد ولا يقدر على إمساكهما أحد ﴿ من بعده ﴾ أي من بعد الله تعالى وقيل من بعد زوالهما ﴿ إنه كان حليماً ﴾ أي قادراً لا يعاجل بالعقوبة من إستحقّها ﴿ غفوراً ﴾ أي ستّاراً للذنوب كثير الغفران ثم حكى عن الكفار فقال ﴿ واقسموا بالله جهد إيمانهم ﴾ يعني كفار مكة حلفوا بالله قبل أن يأتيهم محمد ﷺ بإيمان غليظة غاية وسعهم وطاقتهم ﴿ ولئن جاءهم نذير ﴾ أي رسول مخوّف من جهة الله تعالى

= الطريق لا تتركهما تعدل عنه . والدو: الفلاة الواسعة . والعوم: السباحة . شبه دخول الإبل في المفازة بدخول السفن في الماء .

(١) قائله امرؤ القيس، والمستحقب: المكتسب للإثم الحامل له . والواغل: الذي يحضر شراب القوم من غير أن يدعي إليه، وحكى عن شرح الديوان: أنه كان حلف أن لا يشرب خمراً، ولا يأكل لحماً، ولا يغسل رأس حتى يدرك بثأر أبيه، فلما أخذه شرب الخمر وقال البيت .

(٢) يعني إن المبرد ينكر ما رويناه ويروى هكذا . و « صاح » مرخم « صاحب » .

(٣) [« واليوم فاشرب » وهذا جيد] .

(٤) قائله منظور بن مرثد . والبازل البعير إذا استكمل السنة الثامنة وفطرنا به والوجناء من النوق: التامة الخلق، الضخمة الشديدة . والعيهل: الشديدة والشاهد في تشديد اللام عن عيهل للضرورة .

(٥) قائله رؤبة وبعده « والتين والحلفاء فالتهبا » والحلفاء: نبت .

﴿ ليكونن أهدى ﴾ إلى قبول قوله واتباعه ﴿ من إحدى الأمم ﴾ الماضية يعني اليهود والنصارى والصابئين ﴿ فلما جاءهم نذير ﴾ محمد ﷺ ﴿ ما زادهم ﴾ مجيئه ﴿ إلا نفوراً ﴾ أي تباعداً عن الهدى وهرباً من الحق والمعنى أنهم إزدادوا عند مجيئه نفوراً ﴿ إستكباراً ﴾ أي تكبّراً وتجبّراً وعتوّاً على الله وأنفة من أن يكونوا تبعاً لغيرهم ﴿ في الأرض ومكر السيىء ﴾ أي وقصد الضرر بالمؤمنين والمكر السيىء كل مكر أصله الكذب والخديعة وكان تأسيسه على فساد لأن من المكر ما هو حسن وهو مكر المؤمنين بالكافرين إذا حاربوهم من الوجه الذي يحسن أن يمكروا بهم فالمراد به هاهنا المكر برسول الله ﷺ وبأهل دينه وأضيف المصدر إلى صفة المصدر فالتقدير ومكروا المكر السيىء بدلالة قوله ﴿ ولا يحيق المكر السيىء إلا بأهله ﴾ والمعنى لا ينزل جزاء المكر السيىء إلا بمن فعله ﴿ فهل ينظرون إلا سنة الأولين ﴾ أي فهل ينتظرون إلاّ عادة الله تعالى في الأمم الماضية أن يهلكهم إذا كذّبوا رسله وينزل بهم العذاب ويحلّ عليهم النقمة جزاء على كفرهم وتكذيبهم فإن كانوا ينتظرون ذلك ﴿ فلن تجد ﴾ يا محمد ﴿ لسنة الله تبديلاً ﴾ أي لا يغيّر الله عادته من عقوبة من كفر نعمته وجحد ربوبيته ولا يبدّلها ﴿ ولن تجد لسنة الله تحويلاً ﴾ فالتبديل تصيير الشيء مكان غيره والتحويل تصيير الشيء في غير المكان الذي كان فيه والتغيير تصيير الشيء على خلاف ما كان ﴿ أولم يسيروا في الأرض ﴾ أي ألم يسر هؤلاء [الكفار] الذين أنكروا إهلاك الله الأمم الماضية في الأرض ﴿ فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ﴾ أي كيف أهلك الله المكذّبين من قبلهم مثل قوم لوط وعاد وثمود فيعتبروا بهم ﴿ وكانوا ﴾ وكان أولئك ﴿ أشدّ منهم ﴾ أي من هؤلاء ﴿ قوة وما كان الله ليعجزه من شيء ﴾ أي لم يكن الله يفوته شيء ﴿ في السماوات ولا في الأرض إنه كان عليماً ﴾ بجميع الأشياء ﴿ قديراً ﴾ على ما لا نهاية له ثم منَّ سبحانه على خلقه بتأخيره العقاب عنهم فقال ﴿ ولو يؤآخذ الله الناس بما كسبوا ﴾ من الشرك والتكذيب لعجّل لهم العقوبة وهو قوله ﴿ ما ترك على ظهرها من دابة ﴾ والضمير عائد إلى الأرض وإن لم يجر لها ذكر لدلالة الكلام على ذلك والعلم الحاصل به ﴿ ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى ﴾ والآية مفسرة في سورة النحل ﴿ فإذا جاء أجلهم فإن الله كان بعباده بصيراً ﴾ أي هو بصير بمكانهم فيؤآخذهم حيث كانوا وقيل بصيراً بأعمالهم فيجازيهم عليها .

(٣٦) سورة يس مكية وآياتها ثلاث وثمانون

مكية عند الجميع قال ابن عباس إلا آية منها وهي قوله ﴿ وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله ﴾ الآية نزلت بالمدينة .

[عدد آيها] ثلاث وثمانون آية كوفي اثنتان في الباقين .

[إختلافها] آية واحدة يسّ كوفي .

[فضلها] أبي بن كعب قال من قرأ سورة يسّ يريد بها وجه الله عز وجل غفر الله له وأعطي من الأجر كأنما قرأ القرآن إثنتي عشرة مرة وأيما مريض قرئت عنده سورة يسّ نزل عليه بعدد كل حرف منها عشرة أملاك يقومون بين يديه صفوفاً ويستغفرون له ويشهدون قبضه ويتبعون جنازته ويصلّون عليه ويشهدون دفنه وأيما مريض قرأها وهو في سكرات الموت أو قرئت عنده جاءه رضوان خازن الجنة بشربة من شراب الجنة فسقاه إياها وهو على فراشه فيشرب فيموت ريان ويبعث ريان ولا يحتاج إلى حوض من حياض الأنبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان . أبو بكر عن النبي ﷺ أنه قال سورة يسّ تدعى في التوراة المعمة قيل وما المعمة قال تعم صاحبها خير الدنيا والآخرة وتكابد عنه بلوى الدنيا وتدفع عنه أهاويل الآخرة وتدعى المدافعة القاضية تدفع عن صاحبها كل شرّ وتقضي له كل حاجة ومن قرأها عدلت له عشرين حجة ومن سمعها عدلت له ألف دينار في سبيل الله ومن كتبها ثم شربها أدخلت جوفه ألف دواء وألف نور وألف يقين وألف بركة وألف رحمة ونزعت عنه كل داء وعلة وعن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال إن لكل شيء قلباً وقلب القرآن يسّ وعنه عن النبي ﷺ قال من دخل المقابر فقرأ سورة يسّ خفّف عنهم يومئذ وكان له بعدد من فيها حسنات وروى أبو بصير عن أبي عبد الله (ع) قال إن لكل شيء قلباً وقلب القرآن يسّ فمن قرأ يسّ في نهاره قبل أن يمسي كان في نهاره من المحفوظين والمرزوقين حتى يمسي ومن قرأها في ليله قبل أن ينام

وكلّ به ألف ملك يحفظونه من كل شيطان رجيم ومن كل آفة وإن مات في نومه أدخله الله الجنة وحضر غسله ثلاثون ألف ملك كلهم يستغفرون له ويشيّعونه إلى قبره بالاستغفار له فإذا أدخل لحده كانوا في خوف قبره يعبدون الله وثواب عبادتهم له وفسح له في قبره مدّ بصره وأمن من ضغطة القبر ولم يزل له في قبره نور ساطع إلى عنان السماء إلى أن يخرجه الله من قبره فإذا أخرجه لم تزل ملائكة الله معه يشيّعونه ويحدّثونه ويضحكون في وجهه ويبشّرونه بكل خير حتى يجوزوا به الصراط والميزان ويوقفوه من الله موقفاً لا يكون عند الله خلق أقرب منه إلا ملائكة الله المقرّبون وأنبياؤه المرسلون وهو مع النبيين واقف بين يدي الله لا يحزن مع من يحزن ولا يهتم مع من يهتم ولا يجزع مع من يجزع ثم يقول له الرب تعالى إشفع عبدي أشفعك في جميع ما تشفع وسلني عبدي أعطك جميع ما تسأل فيسأل فيعطى ويشفع فيشفع ولا يحاسب فيمن يحاسب ولا يذلّ مع من يذلّ ولا يبكت بخطيئة ولا بشيء من سوء عمله ويعطى كتاباً منشوراً فيقول الناس بأجمعهم سبحان الله ما كان لهذا العبد خطيئة واحدة ويكون من رفقاء محمد ﷺ وروى محمد بن مسلم عن أبي جعفر (ع) قال إن لرسول الله ﷺ إثني عشر إسماً خمسة منها في القرآن محمد وأحمد وعبد الله ويس ونون .

[تفسيرها] لمّا ذكر سبحانه في آخر السورة أنهم أقسموا بالله ليؤمنن أن جاءهم نذير إفتتح هذه السورة بأنهم لم يؤمنوا وقد جاءهم النذير فقال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ يس ۝١ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝٣
عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٤ تَنزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ۝٥ لِتُنذِرَ
قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ۝٦ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ
عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٧ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ
أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ۝٨ وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ
أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝٩

﴿ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾

[القراءة] قرأ أهل الكوفة غير عاصم إلا حماداً ويحيى عن أبي بكر يّس بالإمالة والباقون بالتفخيم وقرأ أبو جعفر وأبو عمرو وحمزة وابن كثير برواية القواس والبزي ونافع برواية إسماعيل وورش بخلاف بإظهار النون من يس عند الواو وكذلك نون والقلم وقرأ ابن عامر والكسائي وخلف بإخفاء النون فيهما وقرأ قالون عن نافع بإظهار النون من نون وإخفائها من يّس وأما عاصم فإنه يظهر النون منهما في رواية حفص ورواية البرجمي عن أبي بكر ومحمد أبن غالب عن الأعمش عن أبي بكر ويظهر النون من يّس ويخفيها من نون في رواية العليمي عن حماد وأما يعقوب فإنه يظهر النونين في رواية روح وزيد ويخفيها في رواية رويس وقرأ أهل الحجاز والبصرة وأبو بكر تنزيل بالرفع والباقون بالنصب وفي الشواذ قراءة الثقفي يس بفتح النون وقراءة أبي السماك يس بكسر النون وقراءة الكلبي يس بالرفع وقراءة ابن عباس وعكرمة وابن يعمر والنخعي وعمر بن عبد العزيز فأعشيناهم بالعين وقراءة ابن محيصن والزهري أنذرتهم بهمزة واحدة .

[الحجة] قال أبو علي مما يحسن إمالة الفتح من يّس نحو الكسرة أنهم قالوا يا زيد في النداء فأمالوا الفتحة نحو الكسرة والألف نحو الياء وإن كان قولهم يا حرفاً على حرفين والحروف التي على حرفين لا يمال منها شيء نحو لا وما فإذا كانوا قد أمالوا ما لا يمال من الحروف من أجل الياء فإن يميلوا الإسم الذي هو يا من ياسين أجدر ألا ترى أن هذه الحروف أسماء لما يلفظ بها وأما من بيّن النون من يّس فإنما جاز ذلك وإن كانت النون الساكنة تخفى مع حروف الفم ولا تبين لأن هذه الحروف مبنية على الوقف ومما يدلّ على ذلك استجازتهم فيها الجمع بين ساكنين كما يجتمعان في الكلم التي يوقف عليها ولولا ذلك لم يجز الجمع بينهما وأما من لم يبيّن فلأنه وإن كان في تقدير الوقف لم يقطع فيه همزة الوصل وذلك قوله ﴿ آلم الله ﴾ ألا ترى أنه حذف همزة الوصل ولم يثبت كما لم يثبت مع غيرها من الكلام الذي يوصل ومن رفع تنزيل فعلى تقدير هو تنزيل العزيز الرحيم أو تنزيل العزيز الرحيم هذا والنصب على نزّل تنزيل العزيز الرحيم وأما من قال يّس بالنصب أو الجرّ فكلاهما لالتقاء الساكنين ومن رفع فعلى ما روي عن الكلبي أنه قال هي بلغة طي يا إنسان قال ابن جني ويحتمل عندي أن يكون إكتفى من جميع الاسم بالسين فيما فيه حرف نداء كقولك يا رجل ونظير حذف بعض الاسم قول النبي ﷺ كفى بالسيف شا أي شاهداً فحذف العين واللام فكذلك حذف من إنسان الفاء والعين وجعل ما بقي منه إسماً قائماً برأسه وهو

السين فقيل يا سين وهو شبيه بقول الشاعر « قُلْنا لَهَا قِفي لَنَا قالَتْ قافْ »[١] أي وقفت ومن قرأ فأعشيناهم بالعين فإنه منقول من عشى يعشي إذا ضعف بصره وأعشيته أنا وأما أغشيناهم بالغين المعجمة فعلى حذف المضاف أي فأغشينا أبصارهم أي جعلنا عليها غشاوة والغشاوة على العين كالغشي على القلب فيلتقي معنى القراءتين وأما من قرأ أنذرتهم بهمزة واحدة فإنه حذف الهمزة التي للاستفهام تخفيفاً وهو يريدها كما قال الكميت :

طَرِبْتُ وَمَا شَوْقاً إلَى ٱلبِيْضِ اطرَبُ وَلا لَعِباً مِنّي وَذُو الشَّيْبِ يَلْعَبُ[٢]

والمعنى أو ذو الشيب يلعب تناكراً لذلك وكبيت الكتاب :

لَعَمْرُكَ مَا أدْرِي وَإنْ كُنْتُ دَارِياً شُعَيْثُ بْنُ سَهْمٍ أوْ شُعَيْثُ بْنُ مِنْقَرِ[٣]

[اللغة] المقمح الغاض بصره بعد رفع رأسه وقيل هو المقنع وهو الذي يجذب ذقنه حتى يصير في صدره ثم يرفع وقيل للكانونين شهر اقماح لأن الإبل إذا اوردت الماء ترفع رؤوسها لشدة برده ويقال قمح البعير إذا رفع رأسه ولم يشرب الماء وبعير قامح وإبل قماح واقمحتها انا قال الشاعر يصف سفينة ركبها .

وَنَحْنُ عَلى جَوانِبِها قُعُودٌ نَغُضُّ الطَّرْفَ كَالإبِلِ ٱلقِماحِ

[الاعراب] على في قوله على صراط يتعلق بالمرسلين تقديره ارسلوا على صراط ويجوز ان يكون الجار والمجرور في موضع خبر ان فيكون خبراً بعد خبر ويجوز ان يكون في موضع نصب على الحال فكأنه قال ارسلوا مستقيماً طريقهم ما انذر آباؤهم الاجود ان يكون ما نافية وتكون الجملة في موضع نصب لأنها صفة قوم ويجوز ان يكون ما حرفاً موصولاً مصدرياً على تقدير لتنذر قوماً أنذر آباؤهم .

[النزول] قيل نزل قوله انا جعلنا في أعناقهم اغلالاً في ابي جهل كان حلف لئن رأى محمداً يصلّي ليرضخنّ رأسه فأتاه وهو يصلّي ومعه حجر ليدمغه فلما رفعه انثنت يده إلى عنقه ولزق الحجر بيده فلما عاد إلى اصحابه واخبرهم بما رأى سقط الحجر من يده فقال رجل من بني مخزوم انا اقتله بهذا الحجر فأتاه وهو يصلي ليرميه بالحجر فأغشى الله

---

(١) وبعده «لا تحسبي انانسينا الا يجاف».

(٢) البيض جمع البيضاء : المرأة الحسناء ؛ يعني ليس هذا الطرب والشوق من المحبة الى النساء.

(٣) الشعر في جامع الشواهد وفي بعض النسخ «شعيب» بالباء الموحدة وهو تصحيف قاله في شرح الأشموني ج ٤ : ٤٥٥.

بصره فجعل يسمع صوته ولا يراه فرجع إلى اصحابه فلم يرهم حتى نادوه ما صنعت فقال ما رأيته ولقد سمعت صوته وحال بيني وبينه كهيئة الفحل يخطر بذنبه لو دنوت منه لأكلني وروى ابو حمزة الثمالي عن عمار بن عاصم عن شقيق بن سلمة عن عبد الله بن مسعود أن قريشاً اجتمعوا بباب النبي ﷺ فخرج اليهم فطرح التراب على رؤوسهم وهم لا يبصرونه قال عبد الله هم الذين سحبوا(١) في القليب قليب بدر وروى ابو حمزة عن مجاهد عن ابن عباس ان قريشاً اجتمعت فقال لئن دخل محمد لنقومنّ اليه قيام رجل واحد فدخل النبي ﷺ فجعل الله من بين ايديهم سدّاً ومن خلفهم سدّاً فلم يبصروه فصلّى النبي ﷺ ثم اتاهم فجعل ينثر على رؤوسهم التراب وهم لا يرونه فلما خلى عنهم رأوا التراب وقالوا هذا ما سحركم ابن ابي كبشة .

[المعنى] ﴿يس﴾ قد مضى الكلام في الحروف المعجمة عند مفتتح السور في اول البقرة واختلاف الاقوال فيها وقيل أيضاً يس معناه يا إنسان عن ابن عباس واكثر المفسرين وقيل معناه يا رجل عن الحسن وابي العالية وقيل معناه يا محمد عن سعيد بن جبير ومحمد بن الحنفية وقيل معناه يا سيد الأولين والآخرين وقيل هو اسم النبي ﷺ عن علي ابن أبي طالب وأبي جعفر (ع) وقد ذكرنا الرواية فيه قبل ﴿والقرآن الحكيم﴾ اقسم سبحنه بالقرآن المحكم من الباطل وقيل سمّاه حكيماً لما فيه من الحكمة فكأنه المظهر للحكمة الناطق بها ﴿انك لمن المرسلين﴾ اي ممن ارسله الله تعالى بالنبوة والرسالة ﴿على صراط مستقيم﴾ يؤدّي بسالكه إلى الحق او إلى الجنة وقيل معناه على شريعة واضحة وحجّة لائحة ﴿تنزيل العزيز﴾ اي هذا القرآن تنزيل العزيز في ملكه ﴿الرحيم﴾ بخلقه ولذلك ارسله ثم بيّن سبحانه الغرض في بعثته فقال ﴿لتنذر قوماً ما أُنذر آباؤهم﴾ اي لتخوّف به من معاصي الله قوماً لم ينذر آباؤهم قبلهم لأنهم كانوا في زمان الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام عن قتادة وقيل لم يأتهم نذير من أنفسهم وقومهم وان جاءهم من غيرهم عن الحسن وقيل معناه لم يأتهم من انذرهم بالكتاب حسب ما آتيت وهذا على قول من قال كان في العرب قبل نبينا ﷺ من هو نبي كخالد بن سنان وقس بن ساعدة وغيرهما وقيل معناه لتنذر قوماً كما انذر آباؤهم عن عكرمة ﴿فهم غافلون﴾ عما تضمنّه القرآن وعمّا انذر الله به من نزول العذاب والغفلة مثل السهو وهو ذهاب المعنى عن النفس ثم اقسم سبحانه مرة أخرى فقال ﴿لقد حق القول على اكثرهم﴾ اي وجب الوعيد واستحقاق العقاب عليهم.﴿فهم لا يؤمنون﴾ ويموتون

(١) سحبه ـ كمنعه ـ: جره على وجه الارض فانسحب.

على كفرهم وقد سبق ذلك في علم الله تعالى وقيل تقديره لقد سبق القول على اكثرهم انهم لا يؤمنون فهم لا يؤمنون وذلك انه سبحانه اخبر ملائكته انهم لا يؤمنون فحقّ قوله عليهم ﴿انا جعلنا في اعناقهم اغلالاً فهي إلى الاذقان﴾ يعني أيديهم كنّى عنها وان لم يذكرها لأن الاعناق والاغلال تدّلان عليها وذلك ان الغل إنما يجمع اليد إلى الذقن والعنق ولا يجمع الغل العنق إلى الذقن وروي عن ابن عباس وابن مسعود انهما قرءا إنا جعلنا في ايمانهم اغلالاً وقرأ بعضهم في ايديهم والمعنى الجميع واحد لأن الغل لا يكون في العنق دون اليد ولا في اليد دون العنق ومثل هذا قول الشاعر :

وَمَا أَدْرِي إِذَا يَمَّمْتُ أَرْضاً ... أُرِيدُ الْخَيْرَ أَيُّهُمَا يَلِينِي
أَأَلْخَيْرُ الَّذِي أَنَا أَبْتَغِيهِ ... أَمِ الشَّرِ الَّذِي لَا يَأْتَلِينِي

ذكر الخير وحده ثم قال ايهما يليني لأنه قد علم ان الخير والشرّ معرضان للانسان فلم يدر ايلقاه هذا أم ذلك ومثله في التنزيل وجعل لكم سرابيل تقيكم الحرّ ولم يقل البرد لأن ما يقي من الحرّ يقي من البرد واختلف في معنى الآية على وجوه (أحدها) انه سبحانه إنما ذكره ضرباً للمثل وتقديره مثل هؤلاء المشركين في اعراضهم عما تدعوهم إليه كمثل رجل غلّت يداه إلى عنقه لا يمكنه ان يبسطهما إلى خير ورجل طامح برأسه لا يبصر موطىء قدميه عن الحسن والجبائي قال ونظيره قول الأفوه الأودي .

كَيْفَ الرَّشَادُ وَقَدْ صِرْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ ... لَهُمْ عَنِ الرُّشْدِ أَغْلَالٌ وَأَقْيَادُ

ونحوه كثير في كلام العرب (وثانيها) ان المعنى كأن هذا القرآن اغلال في اعناقهم يمنعهم عن الخضوع لاستماعه وتدبره لثقله عليهم وذلك انهم لما استكبروا عنه وأنفوا من اتباعه وكان المستكبر رافعاً رأسه لاوياً عنقه شامخاً بأنفه لا ينظر إلى الأرض صاروا كأنما غلّت ايديهم إلى اعناقهم وإنما اضاف ذلك إلى نفسه لأن عند تلاوته القرآن عليهم ودعوته إياهم صاروا بهذه الصفة فهو مثل قوله حتى أنسوكم ذكري عن أبي مسلم (وثالثها) ان المعني بذلك ناس من قريش همّوا بقتل النبي ﷺ فجعلت ايديهم الى اعناقهم فلم يستطيعوا ان يبسطوا اليه يداً عن ابن عباس والسدي (ورابعها) ان المراد به وصف حالهم يوم القيامة فهو مثل قوله إذ الأغلال في اعناقهم وإنما ذكره بلفظ الماضي للتحقيق وقوله ﴿فهم مقمحون﴾ اراد ان ايديهم لما غلّت إلى اعناقهم ورفعت الأغلال أذقانهم ورؤوسهم صُعُداً فهم مرفوعو الرأس برفع الأغلال إيّاها عن الأزهري ويدل على هذا المعنى قول قتادة مقمحون مغلولون ﴿وجعلنا من بين ايديهم سدّاً ومن خلفهم سدّاً فأغشيناهم فهم لا

﴿يصرون﴾ هذا على احد الوجهين تشبيه لهم بمن هذه صفته في اعراضهم عن الإيمان وقبول الحق وذلك عبارة عن خذلان الله إياهم لمّا كفروا فكأنّه قال وتركناهم مخذولين فصار ذلك من بين ايديهم سدّاً ومن خلفهم سدّاً وإذا قلنا انه وصف حالهم في الآخرة فالكلام على حقيقته ويكون عبارة عن ضيق المكان في النار بحيث لا يجدون متقدماً ولا متاخراً إذ سدّ عليهم جوانبهم وإذا حملناه على صفة القوم الذين همّوا بقتل النبي ﷺ فالمراد جعلنا بين ايدي أولئك الكفار منعاً ومن خلفهم منعاً حتى لم يبصروا النبي ﷺ وقوله ﴿فأغشيناهم فهم لا يبصرون﴾ اي أغشينا ابصارهم فهم لا يبصرون النبي ﷺ فقد روي ان ابا جهل هَمَّ بقتله ﷺ فكان إذا خرج بالليل لا يراه ويحول الله بينه وبينه وقيل فأغشيناهم فأعميناهم فهم لا يبصرون الهدى وقيل فأغشيناهم العذاب فهم لا يبصرون النار وقيل معناه انهم لما انصرفوا عن الايمان والقرآن لزمهم ذلك حتى لم يكادوا يتخلصون منه بوجه كالمغلول والمسدود عليه طرقه ﴿وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون﴾ هذا مفسّر في سورة البقرة .

﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ
وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟
وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾ وَٱضْرِبْ
لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَآ
إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾
قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ
إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا۟ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا
عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟
لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا۟ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ ۚ أَئِن

ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾

[القراءة] قرأ أبو بكر فعززنا بالتخفيف والباقون بتشديد الزاي وقرأ ابو عمرو وقالون عن نافع وزيد عن يعقوب ان ذكرتم بهمزة واحدة غير ممدودة وقرأ ابن كثير ويعقوب ونافع آن ذكرتم بهمزة واحدة ممدودة وقرأ ابو جعفر ائن بهمزة واحدة مطولة والثانية ملينة مفتوحة ذكرتم مخففة والباقون ائن ذكرتم بهمزتين .

[الحجة] قال ابو علي قال بعضهم عزَّزنا قوينا وكثرنا واما عززنا فغلبنا من قوله تعالى وعزني في الخطاب وقوله ءان ذكرتم فإنما هي ان الجزاء دخلت عليها الف الاستفهام والمعنى ءان ذكرتم تشاءمتم فحذف الجواب لأن تطيرنا بكم تشاءمنا بكم وأصل تطيرنا تفعلنا من الطائر عند العرب الذي به يتشاءمون ويتيمنون ومن قرأ أن ذكرتم بفتح ان فالمعنى لأن ذكرتم تشاءمتم واما تخفيف الهمزة وتحقيقها فقد تقدَّم ذكرهما في مواضع .

[الاعراب] وكل شيء منصوب بفعل مضمر يفسّره هذا الظاهر الذي هو احصيناه والتقدير احصينا كل شيء احصيناه اصحاب القرية بدلاً من مثلاً . إذ جاءها المرسلون العامل في إذ محذوف تقديره قصة اصحاب القرية كائنة إذ جاءها المرسلون وإذ ارسلنا بدلاً من الأول.

[المعنى] لما اخبر سبحانه عن اولئك الكفار انهم لا يؤمنون وانهم سواء عليهم الإنذار وترك الإنذار عقَّبه بذكر حال من ينتفع بالإنذار فقال ﴿إنما تنذر من اتبع الذكر﴾ والمعنى إنما ينتفع بإنذارك وتخويفك من اتبّع القرآن لأن نفس الإنذار قد حصل للجميع ﴿وخشي الرحمن بالغيب﴾ أي في حال غيبته عن الناس بخلاف المنافق وقيل معناه وخشي الرحمن فيما غاب عنه من أمر الآخرة ﴿فبشّره﴾ اي فبشّريا محمد من هذه صفته ﴿بمغفرة﴾ من الله لذنوبه ﴿وأجر كريم﴾ أي ثواب خالص من الشوائب ثم اخبر سبحانه عن نفسه فقال ﴿إنا نحن نحيي الموتى﴾ في القيامة للجزاء ﴿ونكتب ما قدموا﴾ من طاعتهم ومعاصيهم في دار الدنيا عن مجاهد وقتادة وقيل نكتب ما قدَّموه من عمل ليس أثر ﴿وآثارهم﴾ أي ما يكون له أثر عن الجبائي وقيل يعني بآثارهم اعمالهم التي صارت سنّة بعدهم يقتدى فيها بهم حسنة كانت أم قبيحة وقيل معناه ونكتب خطاهم إلى المسجد وسبب ذلك ما رواه ابو سعيد الخدري انّ بني سلمة كانوا في ناحية المدينة فشكوا إلى رسول الله ﷺ بعد منازلهم

منالمسجد والصلاة معه فنزلت الآية وفي الحديث عن أبي موسى قال قال رسول الله ﷺ ان اعظم الناس اجراً في الصلاة ابعدهم اليها ممشى فأبعدهم رواه البخاري ومسلم في الصحيح ﴿وكل شيء أحصيناه في إمام مبين﴾ أي وأحصينا وعدّدنا كل شيء من الحوادث في كتاب ظاهر وهو اللوح المحفوظ والوجه في احصاء ذلك فيه اعتبار الملائكة به إذ قابلوا به مايحدث من الأمور ويكون فيه دلالة على معلومات الله سبحانه على التفصيل وقيل أراد به صحائف الأعمال وسمّي ذلك مُبيناً لأنه لا يدرس أثره عن الحسن ثم قال سبحانه لنبيه ﷺ ﴿واضرب لهم﴾ يا محمد ﴿مثلاً﴾ أي مَثّل لهم مثالاً وهو من قولهم هؤلاء اضراب اي امثال وقيل معناه واذكر لهم مثلاً ﴿اصحاب القرية﴾ وهذه القرية انطاكية في قول المفسرين ﴿إذ جاءها المرسلون﴾ أي حين بعث الله اليهم المرسلين ﴿إذ أرسلنا اليهم اثنين﴾ أي رسولين من رسلنا ﴿فكذّبوهما﴾ أي فكذّبوا الرسولين قال ابن عباس ضربوهما وسجنوهما ﴿فعززنا بثالث﴾ اي فقوّيناهما وشددنا ظهورهما برسول ثالث مأخوذ من العزة وهي القوة والمنعة ومنه قولهم من عزّ بزّ أي من غلب سلب قال شعبة كان اسم الرسولين شمعون ويوحنا واسم الثالث بولس وقال ابن عباس وكعب صادق وصدوق والثالث سلوم وقيل انهم رسل عيسى وهم الحواريون عن وهب وكعب قالا وإنما اضافهم تعالى إلى نفسه لأن عيسى (ع) ارسلهم بأمره ﴿فقالوا إنا اليكم مرسلون﴾ أي قالوا لهم يا أهل القرية إن الله ارسلنا اليكم ﴿قالوا﴾ يعني أهل القرية ﴿ما انتم إلا بشر مثلنا﴾ فلا تصلحون للرسالة كما لا نصلح نحن لها ﴿وما انزل الرحمن من شيء﴾ تدعوننا اليه ﴿إن انتم إلا تكذبون﴾ أي ما انتم إلا كاذبون فيما تزعمون اعتقدوا أن من كان مثلهم في البشر لا يصلح ان يكون رسولاً وذهب عليهم أن الله عز اسمه يختار من يشاء لرسالته وانه علم من حال هؤلاء صلاحهم للرسالة وتحمّل اعبائها ﴿قالوا ربنا يعلم إنا اليكم لمرسلون﴾ وإنما قالوا ذلك بعد ما قامت الحجة بظهور المعجزة فلم يقبلوها ووجه الإحتجاج بهذا القول أنهم الزموهم بذلك النظر في معجزاتهم ليعلموا انهم صادقون على الله ففي ذلك تحذير شديد ﴿وما علينا إلا البلاغ المبين﴾ اي وليس يلزمنا إلا اداء الرسالة والتبليغ الظاهر وقيل معناه وليس علينا ان نحملكم على الإيمان فإنا لا نقدر عليه ﴿قالوا﴾ أي قال هؤلاء الكفار في جواب الرسل حين عجزوا عن ايراد شبهة وعدلوا عن النظر في المعجزة ﴿إنا تطيرنا بكم﴾ أي تشاءمنا بكم ﴿لئن لم تنتهوا﴾ عما تدعونه من الرسالة ﴿لنرجمنكم﴾ بالحجارة عن قتادة وقيل معناه لنشتمنكم عن مجاهد ﴿وليمسنكم منا عذاب أليم قالوا﴾ يعني الرسل ﴿طائركم معكم﴾ اي الشؤم كله معكم بإقامتكم على الكفر بالله تعالى فأما الدعاء إلى التوحيد وعبادة الله تعالى ففيه غاية البركة والخير واليمن ولا شيء فيه

وقيل معنى طائركم حظّكم ونصيبكم من الخير والشر عن أبي عبيدة والمبرد ﴿أئن ذكرتم﴾ أي إن ذكرتم قلتم هذا القول وقيل معناه إن ذكرناكم هددتمونا وهو مثل الأول وقيل معناه ان تدبرتم عرفتم صحة ما قلناه لكم ﴿بل انتم قوم مسرفون﴾ معناه ليس فينا ما يوجب التشاؤم بنا ولكنكم متجاوزون عن الحد في التكذيب للرسل والمعصية والإسراف الافساد ومجاوزة الحد والسرف الفساد قال طرفة .

إنَّ أَمْرَءاً سَرِفَ الْفُؤادَ يَسرىٰ عَسَلاً بِماء سَحابَةٍ شَتْمي[1]

أي فاسد القلب ﴿وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى﴾ وكان اسمه حبيب النجار عن ابن عباس وجماعة من المفسرين وكان قد آمن بالرسل عند ورودهم القرية وكان منزله عند اقصى باب من أبواب المدينة فلما بلغه ان قومه قد كذّبوا الرسل وهمُّوا بقتلهم جاء يعدو ويشتدّ ﴿قال يا قوم اتبعوا المرسلين﴾ الذين ارسلهم الله اليكم وأقرّوا برسالتهم قالوا وإنما علم هو بنبوتهم لأنهم لما دعوه قال أتأخذون على ذلك اجراً قالوا لا وقيل انه كان به زمانة او جذام فأبرأوه فآمن بهم عن ابن عباس .

[القصة] قالوا بعث عيسى رسولين من الحواريين إلى مدينة انطاكية فلما قربا من المدينة رأيا شيخاً يرعى غنيمات له وهو حبيب صاحب يس فسلّما عليه فقال الشيخ لهما من انتما قالا رسولا عيسى ندعوكم من عبادة الأوثان إلى عبادة الرحمن فقال امعكما آية قالا نعم نحن نشفي المريض ونبريء الأكمة والأبرص بإذن الله فقال الشيخ إن لي ابناً مريضاً صاحب فراش منذ سنين قالا فانطلق بنا إلى منزلك نتطلع حاله فذهب بهما فمسحا ابنه فقام في الوقت بإذن الله صحيحاً ففشا الخبر في المدينة وشفى الله على ايديهما كثيراً من المرضى وكان لهم ملك يعبد الأصنام فأنهي الخبر إليه فدعاهما فقال لهما من انتما قالا رسولا عيسى جئنا ندعوك من عبادة ما لا يسمع ولا يبصر إلى عبادة من يسمع ويبصر فقال الملك ولنا إلٰه سوى آلهتنا قالا نعم من اوجدك وآلهتك قال قوماً حتى انظر في امركما فأخذهما الناس في السوق وضربوهما قال وهب بن منبه بعث عيسى هذين الرسولين الى انطاكية فأتياها ولم يصلا إلى ملكها وطالت مدة مقامهما فخرج الملك ذات يوم فكبرّا وذكر الله فغضب الملك وامر بحبسهما وجلد كل واحد منهما مئة جلدة فلما كذب الرسولان وضربا بعث عيسى شمعون الصفا رأس الحواريين على اثرهما لينصرهما فدخل شمعون البلدة متنكراً فجعل يعاشر حاشية الملك حتى انسوا به فرفعوا خبره إلى الملك فدعاه ورضي عشرته وانس به

(١) اي يرى شتمي حلواً عذباً .

واكرمه ثم قال له ذات يوم ايها الملك بلغني انك حبست رجلين في السجن وضربتهما حين دعواك إلى غير دينك فهل سمعت قولهما قال الملك حال الغضب بيني وبين ذلك قال فإن رأى الملك دعاهما حتى نتطلع ما عندهما فدعاهما الملك فقال لهما شمعون من ارسلكما إلى هاهنا قالا الله الذي خلق كل شيء لا شريك له قال وما آيتكما قالا ما تتمناه فأمر الملك حتى جاءوا بغلام مطموس العينين وموضع عينيه كالجبهة فما زالا يدعوان الله حتى انشق موضع البصر فأخذا بندقتين من الطين فوضعا في حدقتيه فصارتا مقلتين يبصربهما فتعجب الملك فقال شمعون للملك ارأيت لو سألت إلهك حتى يصنع صنيعاً مثل هذا فيكون لك ولإلهك شرفاً فقال الملك ليس لي عنك سرّاً إن إلهنا الذي نعبده لا يضرّ ولا ينفع ثم قال الملك للرسولين إن قدر إلهكما على احياء ميت آمنّا به وبكما قالا إلهنا قادر على كل شيء فقال الملك إن هناهنا ميتاً منذ سبعة أيام لم ندفنه حتى يرجع ابوه وكان غائباً فجاءوا بالميت وقد تغيّر وارواح فجعلا يدعوان ربهما علانية وجعل شمعون يدعو ربه سرّاً فقام الميت وقال لهم إني قد متُ منذ سبعة ايام وادخلت في سبعة أودية من النار وأنا احذركم ما انتم فيه فآمنوا بالله فتعجب الملك فلما علم شمعون ان قوله اثرّ في الملك دعاه إلى الله فآمن وآمن من اهل مملكته قوم وكفر آخرون وقد روى مثل ذلك العياشي بإسناده عن الثمالي وغيره عن ابي جعفر وابي عبد الله (ع) إلا ان في بعض الروايات بعث الله الرسولين إلى اهل انطاكية ثم بعث الثالث وفي بعضها أن عيسى أوحى الله اليه ان يبعثهما ثم بعث وصيّه شمعون ليخلصهما وإن الميت الذي احياه الله تعالى بدعائهما كان ابن الملك وأنه قد خرج من قبره ينفض التراب عن رأسه فقال له يا بني ما حالك قال كنت ميتاً فرأيت رجلين ساجدين يسألان الله تعالى ان يحييني قال يا بني فتعرفهما إذا رأيتهما قال نعم فأخرج الناس إلى الصحراء فكان يمرُّ عليه رجل بعد رجل فمرَّ أحدهما بعد جمع كثير فقال هذا أحدهما ثم مرَّ الآخر فعرفهما وأشار بيده اليهما فآمن الملك واهل مملكته[1] وقال ابن إسحاق بل كفر الملك وأجمع هو وقومه على قتل الرسل فبلغ ذلك حبيباً وهو على باب المدينة الاقصى فجاء يسعى اليهم يذكرهم ويدعوهم إلى طاعة الرسل .

﴿ اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ

(١) والاظهر الاوفق بسياق الايات هو القول الاول وانهم ما آمنوا باجمعهم، بل في بعض التفاسير أن الغلبة للكفار والمكذبين وهم الذين قتلوا حبيب النجار صاحب يس .

أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ
تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ
لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّيٓ إِذًا لَّفِي
ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ
ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ ۖ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي
وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ * وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ
مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً
وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾ يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن
رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾

[القراءة] قرأ أبو جعفر صيحة واحدة بالرفع والباقون بالنصب وفي الشواذ قراءة ابن مسعود وعبد الرحمن بن الاسود الأَزْقِيَةَ وقرأ الاعرج ومسلم بن جندب يا حسره على العباد ساكنة الهاء وقراءة علي بن الحسن (ع) وأبي بن كعب وابن عباس والضحاك ومجاهد يا حسرة العباد مضافاً .

[الحجة] قال ابن جني الرفع ضعيف لتأنيث الفعل فلا يقوى ان تقول ما قامت إلا هند والمختار ما قام إلا هند وذلك ان الكلام محمول على معناه اي ما قام احد إلا هند ثم انه لما كان محصول الكلام قد كانت هناك صيحة واحدة جيء بالتأنيث حملاً للظاهر عليه ومثله قراءة الحسن فأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم بالتاء في ترى وعليه قول ذي الرمة .

طَوَى النَّحْزُ والأَجْرازُ ما في غُروضِها فَما بَقِيَتْ إِلاّ الصُّدُورُ الجَراشِعُ[1]

(١) البيت في جامع الشواهد، وفي بعض النسخ «ترى» بدل «طوى» وهو تصحيف. وكذلك «برى» بر «ما» في وقوله «ما في غروضها» موصولة وتكون مفعولاً لطوى وليست بنا فيه كما زعمه بعض.

وأما الترقية فمن زقا الطائر يزقو ويرزقى زقاء وزقواً إذا صاح وهي الزقية والزقوة وكأنه إنما استعمل ها هنا صياح الديك ونحوه تنبيهاً على ان البعث بما فيه من عظيم القدرة في استثارة الموتى من القبور سهل على الله تعالى كزقية زقاها طائر فهذا كقوله تعالى ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة واما من قرأ يا حسره على العباد بسكون الهاء فيمكن أن يكون حسرة غيره معلقة بعلى فيحسن الوقف عليها ثم يعلق على بمضمر يدل عليه قوله حسرة فكأنه قال أتحسر على العباد ومثل ذلك كثير في التنزيل وإذا كان حسرة معلقة بعلى أو موصوفة فلا يحسن الوقف عليها دونه وعلى هذا فيمكن أن يكون ذلك لتقوية المعنى في النفس وذلك انه موضع تنبيه وتذكير فطال الوقف على الهاء كما يفعله المستعظم للأمر المتعجب منه الدال على أنه قد بهره وملك عليه لفظه وخاطره ثم قال من بعد على العباد واما من قرأ يا حسرة العباد مضافاً فإن فيه وجهين (أحدهما) أن يكون العباد فاعلين في المعنى كقوله يا قيام زيد والمعنى كان العباد إذا شاهدوا العذاب تحسّروا (والآخر) ان العباد مفعولون في المعنى وتدل عليه القراءة الظاهرة يا حسرة على العباد أي يتحسر عليهم من يعنيه أمرهم وهذا واضح وفتح أبو عمرو الياء من قوله وما لي لا أعبد لئلا يكون الابتداء بلا أعبد وقرأ في النمل ما لي لا أرى الهدهد بسكون الياء

[المعنى] ثم ذكر سبحانه تمام الحكاية عن الرجل الذي جاءهم من أقصى المدينة فقال ﴿ اتبعوا من لا يسئلكم أجراً ﴾ أي وقال لهم اتبعوا معاشر الكفار من لا يطلبون منكم الأجر ولا يسألونكم أموالكم على ما جاؤكم به من الهدى ﴿ وهم ﴾ مع ذلك ﴿ مهتدون ﴾ إلى طريق الحق سالكون سبيله قال فلما قال هذا أخذوه ورفعوه إلى الملك فقال له الملك أفأنت تتبعهم فقال ﴿ وما لي لا أعبد الذي فطرني ﴾ أي وأيّ شيء لي إذا لم أعبد خالقي الذي أنشأني وأنعم عليّ وهداني ﴿ وإليه ترجعون ﴾ أي تردّون عند البعث فيجزيكم بكفركم ثم انكر اتخاذ الأصنام وعبادتهم فقال ﴿ ءأتخذ من دونه آلهة ﴾ اعبدهم ﴿ إن يُردن الرحمن بضر ﴾ أي ان أراد الله إهلاكي والاضرار بي ﴿ لا تغن عني شفاعتهم شيئاً ﴾ أي لا تدفع ولا تمنع شفاعتهم عنّي شيئاً والمعنى لا شفاعة لهم فتغني ﴿ ولا ينقذون ﴾ أي ولا يخلصوني من ذلك الهلاك أو الضرر والمكروه ﴿ إني إذاً لفي ضلال مبين ﴾ أي إني إن فعلت ذلك في عدولك عن الحق واضح والوجه في هذا الاحتجاج أن العبادة لا يستحقها إلا الله سبحانه المنعم بأصول النعم وبما لا توازيه نعمة منعم ﴿ إني آمنت بربكم ﴾ الذي خلقكم وأخرجكم من العدم إلى الوجود ﴿ فاسمعوني ﴾ أي فاسمعوا قولي واقبلوه عن وهب وقيل أنه خاطب بذلك الرسل أي فاسمعوا ذلك مني حتى تشهدوا لي به عند الله عن ابن مسعود قال ثم ان قومه لما سمعوا ذلك القول منه وطأوه بأرجلهم حتى مات فأدخله الله الجنة وهو حيّ فيها يرزق وهو قوله ﴿ قيل ادخل الجنة ﴾ وقيل رجموه حتى قتلوه عن قتادة وقيل ان القوم لما أرادوا أن يقتلوه رفعه الله اليه فهو في الجنة لا يموت إلا بفناء الدنيا وهلاك الجنة عن

الحسن ومجاهد وقال أن الجنة التي دخلها يجوز هلاكها وقيل انهم قتلوه الا أن الله سبحانه أحياه وأدخله الجنة فلما دخلها ﴿ قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي ﴾ تمنى أن يعلم قومه بما أعطاه الله تعالى من المغفرة وجزيل الثواب ليرغبوا في مثله وليؤمنوا لينالوا ذلك وفي تفسير الثعلبي بالإسناد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبيه عن النبي ﷺ قال سباق الأمم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين عليّ بن أبي طالب (ع) وصاحب يس ومؤمن آل فرعون فهم الصديقون عليٌّ أفضلهم ﴿ وجعلني من المكرمين ﴾ أي من المدخلين الجنة والإكرام هو اعطاء المنزلة الرفيعة على وجه التبجيل والإعظام وفي هذا دلالة على نعيم القبر لأنه إنما قال ذلك وقومه أحياء وإذا جاز نعيم القبر جاز عذاب القبر فإن الخلاف فيهما واحد وما في قوله بما غفر لي ربي مصدرية والمعنى بمغفرة الله لي ويجوز أن يكون معناه بالذي غفر لي به ربي فيكون اسماً موصولاً ويجوز أن يكون المعنى بأي شيء غفر لي ربي فيكون استفهاماً يقال علمت بما صنعت هذا باثبات الألف وبم صنعت هذا بحذفها إلا أن الحذف أجود في هذا المعنى ثم حكى سبحانه ما أنزله بقوله من العذاب والاستئصال فقال ﴿ وما انزلنا على قومه من بعده ﴾ أي من بعد قتله أو من بعد رفعه ﴿ من جند من السماء ﴾ يعني الملائكة أي لم تنتصر منهم بجند من السماء ولم تنزل لإهلاكهم بعد قتلهم الرسل جنداً من السماء يقاتلونهم ﴿ وما كنا منزلين ﴾ أي وما كنا ننزلهم على الأمم إذا أهلكناهم وقيل معناه وما أنزلنا على قومه من بعده رسالة من السماء قطع الله عنهم الرسالة حين قتلوا رسله عن مجاهد والحسن والمراد أن الجند هم ملائكة الوحي الذين ينزلون على الأنبياء ثم بيّن سبحانه بأي شيء كان هلاكهم فقال ﴿ إن كانت إلا صيحة واحدة ﴾ أي كان إهلاكهم عن آخرهم بأيسر أمر صيحة واحدة حتى هلكوا بأجمعهم ﴿ فإذا هم خامدون ﴾ أي ساكنون قد ماتوا قيل أنهم لما قتلوا حبيب بن مري النجار غضب الله عليهم فبعث جبرائيل حتى أخذ بعضادتي باب المدينة ثم صاح بهم صيحة فماتوا عن آخرهم لا يسمع لهم حس كالنار إذا طفئت ﴿ يا حسرة على العباد ﴾ معناه يا ندامة على العباد في الآخرة باستهزائهم بالرسل في الدنيا ثم بيّن سبب الحسرة فقال ﴿ ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزؤون ﴾ عن مجاهد وهذا من قول الله سبحانه والمعنى أنهم حلّوا محل من يتحسّر عليه وقيل ان المعنى يا ويلا على العباد عن ابن عباس ويحتمل أن يكون ذلك من كلام الرجل المذكور وقال أبو العالية انهم لما عاينوا العذاب قالوا يا حسرة على العباد يعني على الرسل حيث لم نؤمن بهم فتمنّوا الإيمان وندموا حين لم تنفعهم الندامة قال الزجاج إذا قال قائل ما الفائدة في مناداة الحسرة والحسرة مما لا تجيب فالفائدة في ذلك أن النداء باب تنبيه فإذا قلت للمخاطب انا اعجب مما فعلت فقد أفدته انك متعجب وإذا قلت واعجباه مما فعلت ويا عجباه تفعل كذا كان دعاؤك العجب أبلغ في الفائدة والمعنى يا عجب اقبل فإنه من اوقاتك وكذلك إذا قلت ويل زيد لم فعل كذا ثم قلت يا ويل زيد لم فعل كذا كان أبلغ وكذلك في كتاب الله تعالى يا ويلتا ويا حسرتا ويا حسرة على العباد والحسرة أن يركب الانسان من شدة الندم ما لا نهاية بعده حتى يبقى قلبه حسيراً .

﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم
مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ
لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾ وَآيَةٌ لَّهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا
وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ
وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا
عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

[القراءة] قرأ عاصم وحمزة وابن عامر لَمّا جميع بتشديد الميم والباقون بالتخفيف وقرأ أهل الكوفة غير حفص وما عملت بغير هاء والباقون وما عملته .

[الحجة] من خفف الميم من لما فان من قوله وإنْ كُلٌّ مخففة من الثقيلة وما من لما مزيدة والتقدير وانه كل لما جميع لدينا محضرون ومن شدّد الميم من لما فإن ها هنا بمعنى الا يقال سألتك لما فعلت كذا والا فعلت وان نافية فيكون التقدير ما كل إلا محضرون وقوله وما عملت ايديهم فإن الحذف في التنزيل من هذا كثير نحو قوله وسلام على عباده الذين اصطفى وأهذا الذي بعث الله رسولاً وموضع ما جرّ والتقدير وليأكلوا مما عملته أيديهم ويجوز أن يكون ما نافية أي ولم تعمله أيديهم ويقوّي ذلك قوله ءأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون .

[الاعراب] انهم اليهم لا يرجعون بدل من كم أهلكنا والتقدير ألم يروا أنهم اليهم لا يرجعون وكم في موضع نصب باهلكنا .

[المعنى] ثم خوّف سبحانه كفار مكة فقال ﴿ ألم يروا ﴾ أي ألم يعلم هؤلاء الكفار ﴿ كم أهلكنا قبلهم من القرون ﴾ أي كم قرنا أهلكناهم مثل عاد وثمود وقوم لوط وغيرهم ﴿ انهم اليهم لا يرجعون ﴾ والمعنى ألم يروا أن القرون التي أهلكناهم لا يرجعون إليهم أي لا يعودون إلى الدنيا أفلا

يعتبرون بهم ووجه التذكير بكثرة المهلكين أي أنكم ستصيرون إلى مثل حالهم فانظروا لأنفسكم واحذروا أن يأتيكم الهلاك وانتم في غفلة وغرة كما أتاهم ويسمى أهل كل عصر قرناً لاقترانهم في الوجود ﴿ وإن كل لما جميع لدينا محضرون ﴾ معناه أن الأمم يوم القيامة يحضرون فيقفون على ما عملوه في الدنيا أي وكل الماضين والباقين مبعوثون للحساب والجزاء ثم قال سبحانه ﴿ وآية لهم ﴾ أي ودلالة وحجة قاطعة لهم على قدرتنا على البعث ﴿ الأرض الميتة احييناها ﴾ أي الأرض القحطة المجدبة التي لا تنبت أحييناها بالنبات ﴿ وأخرجنا منا حباً ﴾ أي كل حبّ يتقوتونه مثل الحنطة والشعير والأرز وغيرها من الحبوب ﴿ فمنه يأكلون ﴾ أي فمن الحب يأكلون ﴿ وجعلنا فيها جنات ﴾ أي بساتين ﴿ من نخيل واعناب ﴾ وإنما خصّ النوعين لكثرة انواعهما ومنافعهما ﴿ وفجّرنا فيها من العيون ﴾ أي وفجّرنا في تلك الأرض الميتة أو في تلك الجنات عيوناً من الماء ليسقوا بها الكرم والنخيل ثم بيّن سبحانه أنه إنما فعل ذلك ﴿ ليأكلوا من ثمره ﴾ أي من ثمر النخيل ردّ الضمير إلى أحد المذكورين كما قال ولا ينفقونها في سبيل الله والمعنى غرضنا نفعهم بذلك وانتفاعهم بأكل ثمار الجنات ﴿ وما عملته أيديهم ﴾ أي ولم تعمل تلك الثمار أيديهم هذا إذا كان ما بمعنى النفي قال الضحاك أي وجدوها معمولة ولا صنع لهم فيها أراد أنه من صنع الخالق ولم يدخل في مقدورات الخلائق وإذا كان بمعنى الذي فالتقدير والذي عملته أيديهم من أنواع الأشياء المتخذة من النخل والعنب الكثيرة منافعها وقيل تقديره ومن ثمره ما عملته ايديهم يعني الغروس والزروع التي قاسوا حراثتها ﴿ أفلا يشكرون ﴾ أي ألا يشكرون الله تعالى على مثل هذه النعم وهذا تنبيه منه سبحانه لخلقه على شكر نعمائه وذكر جميل بلائه .

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ
كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾
وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾
وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾
وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾

لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾

[القراءة] قرأ زيد عن يعقوب لِمُستقرٌ لها بكسر القاف والباقون بفتحها وقرأ اهل الحجاز والبصرة غير ابي جعفر ورويس والقمرُ بالرفع والباقون بالنصب وروي عن علي بن الحسين زين العابدين (ع) وابي جعفر الباقر وجعفر الصادق عليهما السلام وابن عباس وابن مسعود وعكرمة وعطاء بن ابي رباح لا مستقرٌ لها بنصب الراء .

[الحجة] قال ابو علي الرفع على تقدير وآية لهم القمر قدرناه منازل مثل قوله وآية لهم الليل فهو على هذا اشبه بالجمل التي قبلها والقول في آية انه يرتفع بالابتداء ولهم صفة للنكرة والخبر مضمر تقديره وآية لهم في الشاهد أو الوجود وقوله الليل نسلخ منه النهار والقمر قدرناه منازل تفسير للآية كما ان قوله تعالى لهم مغفرة تفسير للوعد[1] وللذكر مثل حظ الأنثيين تفسير للوصية[2] ومن نصب فقد حمله على زيداً ضربته واما قوله لا مستقر لها فظاهره العموم والمعنى الخصوص فهو بمنزلة قوله .

أَبْكِي لِفَقْدِكَ مَا نَاحَتْ مُطَوَّقَةٌ وَمَا سَمَا فَنَنٌ يَوْماً عَلَى سَاقِ[3]

والمعنى لو عشت ابداً لبكيتك وكذلك قوله لا مستقر لها أي ما دامت السماوات على ما هي عليه فإذا زالت السماوات استقرت الشمس وبطل سيرها .

[اللغة] السلخ اخراج الشيء من لباسه ومنه اخراج الحيوان من جلده ومنه قوله فانسلخ منها أي فخرج منها خروج الشيء مما لابسه والعرجون العذق الذي فيه الشماريخ

---

(١) اي في قوله تعالى : «وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر عظيم» المائدة، الآية : ٩.

(٢) اي في قوله تعالى : «يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين» النساء: ١١.

(٣) المطوقة: الحمامة التي في عنقها طوق. والفنن: الغصن.

وهو العثكول والعثكال والكباسة والقنو وهو فعلول قال رؤبة «في خِدَّرَ مَيَّاسِ الدُّمى مُعْرَجَن»[1]

[الاعراب] والقمر قدَّرناه منازل تقديره ذا منازل ثم حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامة ولا يجوز أن يكون بلا حذف لأن القمر غير المنازل وإنما يجري فيها ولا يجوز ان ينصب منازل على الظرف لأنه محدود والفعل لا يصل إلى المحدود إلا بحرف جرّ نحو جلست في المسجد ولا يجوز جلست المسجد .

[المعنى] ثم نزّه سبحانه نفسه وعظّمها دالاً بذلك على انه هو الذي يستحق منتهى الحمد وغاية الشكر فقال ﴿سبحان الذي خلق الازواج كلها﴾ أي تنزيها وتعظيماً وبراءة عن السوء للذي خلق الأصناف والاشكال من الأشياء فالحيوان على مشاكلة الذكر للأنثى وكذلك النخل والحبوب اشكال والتين والكرم ونحوهما اشكال فلذلك قال ﴿مما تنبت الأرض﴾ اي من سائر النبات ﴿ومن أنفسهم﴾ اي وخلق منهم اولاداً أزواجاً ذكوراً واناثاً ﴿ومما لا يعلمون﴾ مما في بطون الأرض وقعر البحار فلم يشاهدوه ولم يتّصل خبره بهم ﴿وآية لهم﴾ اي ودلالة لهم اخرى ﴿الليل نسلخ منه النهار﴾ اي ننزع منه ونخرج ضوء الشمس فيبقى الهواء مظلماً كما كان لأن الله سبحانه يضيء الهواء بضياء الشمس فإذا سلخ منه الضياء اي كشط وازيل يبقى مظلماً وقيل إنما قال سبحانه مظلماً وقيل إنما قال سبحانه نسلخ منه النهار لأنه تعالى جعل الليل كالجسم لظلمته وجعل النهار كالقشر ولأن النهار عارض فهو كالكسوة والليل اصل فهو كالجسم وقوله ﴿فإذا هم مظلمون﴾ أي داخلون في الليل لا ضياء لهم فيه ﴿والشمس تجري لمستقر لها﴾ معناه ودلالة اخرى لهم الشمس وفي قوله لمستقر لها اقوال (أحدها) انها تجري لانتهاء امرها عند انقضاء الدنيا فلا تزال تجري حتى تنقضي الدنيا عن جماعة من المفسرين قال ابو مسلم ومعنى هذا ومعنى لا مستقر لها وأحد أي لا قرار لها إلى انقضاء الدنيا (وثانيها) انها تجري لوقت واحد لا تعدوه ولا يختلف عن قتادة (وثالثها) انها تجري إلى اقصى منازلها في الشتاء والصيف لا تتجاوزها والمعنى أن لها في الأرتفاع غاية لا تتجاوزها ولا تنقطع دونها ولها في الهبوط غاية لاتتجاوزها ولا تقصر عنها فهو مستقرها ﴿ذلك تقدير العزيز﴾ أي القادر الذي لا يعجزه شيء ﴿العليم﴾ الذي لا يخفى عليه شيء ﴿والقمر قدَّرناه منازل﴾ وهي ثمانية وعشرون منزلاً ينزل كل يوم وليلة منزلة منها لا يختلف حاله في ذلك إلى ان يقطع الفلك ﴿حتى عاد كالعرجون القديم﴾ اي عاد في آخر الشهر

(١) الخدر: الستر والمياس: المتبختر والدمى: جمع الدمية : الصنم وقيل : الصورة المنقشة من العاج او الرخام، و «معرجن» اي مصور فيه صورة النخل من قولهم عرجن الثوب : صور فيه صور العراجين .

دقيقاً كالعذق اليابس العتيق ثم يخفي يومين آخر الشهر وإنما شبّهه سبحانه بالعذق لأنه إذا مضت عليه الايام جفَّ وتقوّس فيكون اشبه الأشياء بالهلال وقيل ان العذق يصير كذلك في كل ستة أشهر روى علي بن إبراهيم بإسناده قال دخل ابو سعيد المكاري وكان واقفياً على ابي الحسن الرضا (ع) فقال له أبلغ من قدرك انك تدّعي ما ادّعاه ابوك فقال له ابو الحسن مالك اطفأ الله نورك وادخل الفقر بيتك اما علمت ان الله عز وجل اوحى إلى عمران اني واهب لك ذكراً يبرىء الأكمه والابرص فوهب له مريم ووهب لمريم عيسى فعيسى من مريم ومريم من عيسى ومريم وعيسى شيء واحد وانا من أبي وابي مني وأنا وابي شيء واحد فقال له أبو سعيد فاسألك عن مسألة قال سل ولا أخالك تقبل مني ولست من غنمي ولكن هلمها قال ما تقول في رجل قال عند موته كل مملوك لي قديم فهو حرّ لوجه الله فقال ابو الحسن ما ملكه لستة اشهر فهو قديم وهو حرّ قال وكيف صار كذلك قال لأن الله تعالى يقول والقمر قدّرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم أسماه الله قديماً ويعود كذلك لستة اشهر قال فخرج ابو سعيد من عنده وذهب بصره وكان يسأل على الأبواب حتى مات ﴿لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر﴾ في سرعة سيره لأن الشمس ابطأ سيراً من القمر فإنها تقطع منازلها في سنة والقمر يقطعها في شهر والله سبحانه يجريهما اجراء التدوير بايَنَ بين فلكيهما ومجاريهما فلا يمكن ان يدرك احدهما الآخر ما داما على هذه الصفة ﴿ولا الليل سابق النهار﴾ اي ولا يسبق الليل والنهار وقيل معناه لا يجتمع ليلتان ليس بينهما يوم بل تتعاقبان كما قدّره الله تعالى عن عكرمة وروى العياشي في تفسيره بالإسناد عن الاشعث بن حاتم قال كنت بخراسان حيث اجتمع الرضا (ع) والفضل بن سهل والمأمون في ايوان الحبري بمرو فوضعت المائدة فقال الرضا (ع) ان رجلاً من بني إسرائيل سألني بالمدينة فقال النهار خلق قبل ام الليل فما عندكم قال فأداروا الكلام فلم يكن عندهم في ذلك شيء فقال الفضل للرضا اخبرنا بها اصلحك الله قال نعم من القرآن أم من الحساب قال له الفضل من جهة الحساب فقال قد علمت يا فضل ان طالع الدنيا السرطان والكواكب في مواضع شرفها فزحل في الميزان والمشتري في السرطان والشمس في الحمل والقمر في الثور فذلك يدل على كينونة الشمس في الحمل في العاشر من الطالع في وسط السماء فالنهار خلق قبل الليل وفي قوله تعالى لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار اي قد سبقه النهار ثم قال ﴿وكل﴾ من الشمس والقمر والنجوم ﴿في فلك يسبحون﴾ يسيرون فيه بانبساط وكل ما انبسط في شيء فقد سبح فيه ومنه السباحة في الماء وإنما قال يسبحون بالواو والنون لما اضاف اليها ما هو من فعل الآدميين كما قال مالكم لا تنطقون لما وصفها بصفة من يعقل وقال

ابن عباس يسبحون اي يجري كل واحد منها في فلكه كما يدور المغزل في الفلكة .

﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي
ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن
نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً
مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا
خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ
رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا۟ مِمَّا
رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ
يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ
هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً
وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ
إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾

[القرآة] قرأ اهل المدينة وابن عامر ويعقوب وسهل ذرياتهم على الجمع والباقون ذريتهم على التوحيد وقرأ ابن كثير وورش ومحمد بن حبيب عن الاعمش وروح وزيد عن يعقوب يَخصِّمون بفتح الياء والخاء وتشديد الصاد وقرأ ابو عمرو بفتح الخاء ايضاً إلا انه يشمه الفتح ولا يشبعه وقرأ اهل المدينة غير ورش يخصمون ساكنة الخاء مشددة الصاد وقرأ حمزة يَخْصِمون ساكنة الخاء خفيفة الصاد والباقون يَخِصِّمون بفتح الياء وكسر الخاء وتشديد الصاد.

[الحجة] من قرأ يَخَصِّمون حذف الحركة من التاء المدغم في يختصمون والقاها

على الساكن الذي قبلها وهو الخاء وهذا أحسن الوجوه بدلالة قولهم رُدَّ وفِرَّ وعَضَّ القوا حركة العين على الساكن الذي قبلها ومن قرأ يَخِصِّمون حذف الحركة من الحرف المدغم إلا انه لم يلقها على الساكن الذي قبلها كما ألقاه في الأول فالتقى الساكنان فحرّك الحرف الذي قبل المدغم بالكسر ومن قرأ يَخْصّمون جمع بين الساكنين الخاء والحرف المدغم قال ابو علي ومن زعم ان ذلك ليس في طاقة اللسان فقد ادّعى ما يعلم فساده بغير استدلال واما من قرأ يَخْصِمون وتقديره يخصم بعضهم بعضاً فحذف المضاف وحذف المفعول به ويجوز ان يكون المعنى يخصمون مجادلهم عند أنفسهم فحذف المفعول به ومعنى يخصمون يغلبون في الخصام خصومهم .

[اللغة] الحمل منع الشيء أن يذهب إلى جهة السفل والفلك السفن لأنها تدور في الماء ومنه الفلكة لأنها تدور في المغزل والفلك لأنها تدور بالنجوم وفلك ثدي المرأة إذا استدار والمشحون المملوء وشحنت الثغر بالرجال اشحنه شحناً إذا ملأته ومنه الشحنة لأنه يملأ بهم البلد .

[الاعراب] رحمة منا نصب على انه مفعول له ومتاعاً عطف عليه ويمكن ان يكون على معنى إلا ان نرحمهم رحمة ونمتّعهم متاعاً .

[المعنى] ثم امتنَّ سبحانه على خلقه بذكر فنون نعمه دالاً بذلك على وحدانيته فقال ﴿وآية لهم﴾ أي وحجة وعلامة لهم على اقتدارنا ﴿أنا حملنا ذريتهم﴾ يعني آباءهم وأجدادهم الذين هؤلاء من نسلهم ﴿في الفلك المشحون﴾ يعني سفينة نوح المملوءة من الناس وما يحتاج إليه من فيها فسلموا من الغرق فانتشر منهم بشر كثير ويسمّى الآباء ذرية من ذرء الله الخلق لأن الاولاد خلقوا منهم وسمّي الأولاد ذرية لأنهم خلقوا من الآباء عن الضحاك وقتادة وجماعة من المفسرين وقيل الذرية هم الصبيان والنساء والفلك هي السفن الجارية في البحار وخصّ الذرية بالحمل في الفلك لضعفهم ولأنه لا قوة لهم على السفر كقوة الرجال فسخّر الله لهم السفن ليمكن الحمل في البحر والإبل ليمكن الحمل في البرّ يقول القائل حملني فلان إذا أعطاه ما يحمل او هداه إلى ما يحمل عليه قال الشاعر

أَلا فَتىً عِنْدَهُ خُفّانِ يَحْمِلُني عَلَيْهِما إنَّني شَيْخٌ عَلى سَفَرِ

﴿وخلقنا لهم من مثله ما يركبون﴾ أي وخلقنا لهم من مثل سفينة نوح سُفُناً يركبون فيها كما ركب نوح يعني السفن التي عملت بعد سفينة نوح مثلها على صورتها وهيئتها عن

ابن عباس وغيره وقيل ان المراد به الابل وهي سفن البر عن مجاهد وقيل مثل السفينة من الدواب كالإبل والبقر والحمير عن الجبائي ﴿وإن نشأ نغرقهم﴾ أي وإن نشأ إذا حملناهم في السفن نغرقهم بتهييج الرياح والأمواج ﴿فلا صريخ لهم﴾ أي لا مغيث لهم ﴿ولا هم ينقذون﴾ أي ولا يخلصون من الغرق إذا أردناه ﴿إلا رحمة منا ومتاعاً إلى حين﴾ أي إلا أن نرحمهم بأن نخلصهم في الحال من أهوال البحر ونمتعهم إلى وقت ما قدرناه لتقضى آجالهم وقيل معناه بقيناهم نعمة منا عليهم وإمتاعاً إلى مدة ﴿وإذا قيل لهم﴾ أي للمشركين ﴿اتقوا ما بين أيديكم﴾ من أمر الآخرة فاعملوا لها ﴿وما خلفكم﴾ من أمر الدنيا فاحذروها ولا تغترّوا بها ﴿لعلكم ترحمون﴾ أي لتكونوا على رجاء الرحمة من الله تعالى عن ابن عباس وقيل معناه اتّقوا ما مضى من الذنوب وما يأتي من الذنوب عن مجاهد أي اتّقوا عذاب الله بالتوبة للماضي والاجتناب للمستقبل وقيل اتّقوا العذاب المنزل على الأمم الماضية وما خلفكم من عذاب الآخرة عن قتادة وروى الحلبي عن أبي عبد الله (ع) قال معناه اتّقوا ما بين أيديكم من الذنوب وما خلفكم من العقوبة وجواب إذا محذوف تقديره إذا قيل لهم هذا اعرضوا ويدلُّ على هذا المحذوف قوله ﴿وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين﴾ أي اعرضوا عن الداعي وعن التفكر في الحجج وفي المعجزات ومن في قوله من آية هي التي تزاد في النفي للاستغراق ومن الثانية للتبعيض أي ليس تأتيهم آية ايّة آية كانت إلا ذهبوا عنها وأعرضوا عن النظر فيها وذلك سبيل من ضلَّ عن الهدى وخسر الدنيا والآخرة ﴿وإذا قيل لهم﴾ أيضاً ﴿انفقوا مما رزقكم الله﴾ في طاعته وأخرجوا ما أوجب الله عليكم في أموالكم ﴿قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه﴾ احتجُّوا في منع الحقوق بأن قالوا كيف نطعم من يقدر الله على اطعامه ولو شاء الله اطعامه اطعمه فإذا لم يطعم دلَّ على أنه لم يشأ اطعامه وذهب عليهم ان الله سبحانه إنما تعبدهم بذلك لما لهم فيه من المصلحة فأمر الغنيَّ بالانفاق على الفقير ليكتسب به الأجر والثواب واختلف في هؤلاء الذين قالوا ذلك فقيل هم اليهود حين امروا بإطعام الفقراء عن الحسن وقيل هم مشركو قريش قال لهم اصحاب رسول الله ﷺ اطعمونا من اموالكم ما زعمتم أنه الله وذلك قوله هذا الله بزعمهم عن مقاتل وقيل هم الزنادقة الذين أنكروا الصانع تعلّقوا بقوله رزقكم الله فقالوا إن كان هو الرزاق فلا فائدة في التماس الرزق منا وقد رزقنا وحرمكم فلم تأمرون بإعطاء من حرمه الله ﴿إن أنتم إلا في ضلال مبين﴾ هذا من قول الكفار لمن امرهم بالإطعام عن قتادة وقيل أنه من قول الله تعالى لهم حين ردّوا هذا بالجواب عن علي بن عيسى ﴿ويقولون متى هذا الوعد﴾ الذي تعدنا به من نزول العذاب بنا ﴿إن كنتم صادقين﴾ في ذلك انت وأصحابك وهذا استهزاء

منهم بخبر النبي ﷺ وخبر المؤمنين فقال تعالى في جوابهم ﴿ما ينظرون﴾ أي ما ينتظرون ﴿إلا صيحة واحدة﴾ يريد النفخة الأولى عن ابن عباس يعني ان القيامة تأتيهم بغتة ﴿تأخذهم﴾ الصيحة ﴿وهم يخصمون﴾ أي يختصمون في أمورهم ويتبايعون في الأسواق وفي الحديث تقوم الساعة والرجلان قد نشرا ثوبهما يتبايعانه فما يطويانه حتى تقوم والرجل يرفع أكلته الى فيه فما تصل الى فيه حتى تقوم والرجل يليط حوضه ليسقي ماشيته فما يسقيها حتى تقوم وقيل وهم يختصمون هل ينزل بهم العذاب ام لا ﴿فلا يستطيعون توصية﴾ يعني ان الساعة إذا أخذتهم بغتة لم يقدروا على الإيصاء بشيء ﴿ولا إلى أهلهم يرجعون﴾ أي ولا إلى منازلهم يرجعون من الاسواق وهذا اخبار عما يلقونه في النفخة الأولى عند قيام الساعة .

﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ * أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾

[القراءة] قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وروح في شغل ساكنة الغين والباقون في شغل بضم الغين وقرأ أبو جعفر فكهون بغير ألف حيث وقع ووافقه حفص في المطففين

انقلبوا فكهين وقرأ الآخرون بالألف كل القرآن وقرأ أهل الكوفة غير عاصم في ظُلَل بضم الظاء بلا ألف والباقون في ظلال وروي عن أمير المؤمنين (ع) انه قرأ مِنْ بَعْثِنا من مرقدنا وفي الشواذ قراءة ابن أبي ليلى يا ويلتا وقرأ أُبيّ بن كعب من هبَّنا[1] من مرقدنا .

[الحجة] الشُغْل والشُغُل لغتان وكذلك الفَكِهْ والفاكه والظُلَل جمع ظُلَّة والظلال يجوز أيضاً ان يكون جمع ظلة فيكون كبُرمة وبرام وعُلبة وعِلاب ويجوز أن يكون جمع ظِلّ واما قوله مِنْ بَعْثِنا فهو كقولك يا ويلي من اخذك مني قال ابن جني من الأولى متعلقة بالويل كقولك يا تألمي منك وإن شئت كان حالاً فتعلقت بمحذوف حتى كأنه قال يا ويلنا كائنا من بعثنا فجاز ان يكون حالاً منه كما جاز ان يكون خبراً عنه في مثل قول الأعشى

قَالَتْ هُرَيْرَةُ لَمَّا جِئْتُ زَائِرَهَا وَيْلِي عَلَيْكَ وَوَيْلِي مِنْكَ يَا رَجُلُ

وذلك ان الحال ضرب من الخبر وأما مِنْ في قوله من مرقدنا فمتعلقة بنفس البعث ومن قرأ يا ويلتا فأصله يا ويلتي فأبدلت الياء الفاً لأنه نداء فهو موضع تخفيف فتارة تحذف هذه الياء نحو غلام وتارة بالبدل نحو يا غلاماً قال « يَا أَبَتَا عَلَّكَ أَوْ عَسَاكَا »[2] فإن قلت كيف قال يا ويلتا وهذا اللفظ للواحد وهم جماعة فالقول انه يكون على ان كل واحد منهم قال يا ويلتا من بعثنا من مرقدنا ونحوه قوله فاجلدوهم ثمانين جلدة أي فاجلدوا كل واحد منهم ومثله ما حكاه ابو زيد من قولهم أتينا الأمير فكسانا كلنا حلة واعطانا كلنا مائة اي كسا كل واحد منا حلة وأعطى كل واحد منا مائة واما هبَّنا فيمكن ان يكون هبَّ لغة في اهبَّ ويمكن ان يكون على معنى هب بنا أي أيقظنا ثم حذب حرف الجرب فوصل الفعل .

[اللغة] قال أبو عبيدة الصُوْر جمع صورة مثل بسرة وبسر وهو مشتق من صاره يصوره صوراً إذا اماله فالصورة تميل إلى مثلها بالمشاهدة والجدث القبر وجمعه الأجداث وهذه لغة أهل العالية ويقول اهل السافلة بالفاء حذف والنسول الاسراع في الخروج يقال نسل يَنْسِل وَيَنْسَلُ قال امرؤ القيس

وَإِنْ تَكُ قَدْ سَاءَتْكِ مِنِّي خَلِيقَةٌ فَسُلِّي ثِيَابِي مِنْ ثِيَابِكِ تَنْسُلِ[3]

---

(١) على قول من قال ان هب بمعنى اهب يقال: اهبه من نومه أي ايقظه وأنكره ابن جنى وسيأتي الكلام فيه في الحجة.

(٢) هذا عجز بيت وصدره « تقول بنتي قداتي اناكا » وهو مذكور في جامع الشواهد.

(٣) هذا بيت من المعلقة وقد مر وكذا البيت الآتي.

وقال آخر

عَسَلاَنَ الذِّئْبِ أَمْسَى قَارِباً بُرَدَ اللَّيْلُ عَلَيْهِ فَنَسَلْ[1]

[الإعراب] هذا ما وعد الرحمن مبتدأ وخبر ويكون من بعثنا من مرقدنا كلاماً تاماً يوقف عليه ويجوز ان يكون هذا من نعت مرقدنا اي مرقدنا الذي كنا راقدين فيه فيكون الوقف على مرقدنا هذا ويكون ما وعد الرحمن خبر مبتدأ محذوف او مبتدأ محذوف الخبر على تقدير هذا ما وعد الرحمن او حق ما وعد الرحمن سلام بدل من ما والمعنى لهم ما يتمنون لهم سلام وقولا منصوب على انه مصدر فعل محذوف اي يقوله الله قولاً .

[المعنى] ثم أخبر سبحانه عن النفخة الثانية وما يلقونه فيها إذا بعثوا بعد الموت فقال ﴿ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث﴾ وهي القبور ﴿إلى ربهم﴾ أي إلى الموضع الذي يحكم الله فيه لا حكم لغيره هناك ﴿ينسلون﴾ أي يخرجون سراعاً فلما رأوا أهوال القيامة ﴿قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا﴾ أي من حشرنا من منامنا الذي كنا فيه نياماً ثم يقولون ﴿هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون﴾ فيما أخبرونا عن هذا المقام وهذا البعث قال قتادة أول الآية للكافرين وآخرها للمسلمين قال الكافرون يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا وقال المسلمون هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون وإنما وصفوا القبر بالمرقد لأنهم لما أحيوا كانوا كالمنتبهين عن الرقدة وقيل انهم لما عاينوا احوالهم في القيامة عدّوا احوالهم في قبورهم بالإضافة الى تلك الأهوال رقاداً قال قتادة هي النومة بين النفختين لا يفتر عذاب القبر إلا فيما بينهما فيرقدون ثم أخبر سبحانه عن سرعة بعثهم فقال ﴿إن كانت إلا صيحة واحدة﴾ أي لم تكن المدة إلا مدة صيحة واحدة ﴿فإذا هم جميع لدينا محضرون﴾ أي فإذا الأولون والآخرون مجموعون في عرصات القيامة محصلون في موقف الحساب ثم حكى سبحانه ما يقوله يومئذ للخلائق فقال ﴿فاليوم لا تظلم نفس شيئاً﴾ أي لا ينقص من له حق شيئاً من حقه من الثواب او العوض او غير ذلك ولا يفعل به ما لا يستحقه من العقاب بل الأمور جارية على مقتضى العدل وذلك قوله ﴿ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون﴾ ثم ذكر سبحانه أولياءه فقال ﴿إن اصحاب الجنة اليوم في شغل﴾ شغلهم النعيم الذي شملهم وغمرهم بسروره عما فيه أهل النار من العذاب عن الحسن والكلبي فلا يذكرونهم ولا يهتمون بهم وإن كانوا أقاربهم وقيل شغلوا بافتضاض العذارى عن ابن عباس وابن مسعود وهو المروي عن الصادق (ع)

(١) قائله لبيد، وقيل هو للنابغة الجعدي وعسل الذئب: مضى مسرعاً واضطرب في غدوه وهز رأسه.

قال وحواجبهنَّ كالأهلة[1] واشفار اعينهن كقوادم النسور وقيل باسماع الألحان عن وكيع وقيل شغلهم في الجنة سبعة انواع من الثواب لسبعة اعضاء فثواب الرجل بقوله ادخلوها بسلام آمنين وثواب اليد يتنازعون فيها كأساً لا لغو فيها وثواب الفرج وحور عين وثواب البطن كلوا واشربوا هنيئاً الآية وثواب اللسان وآخر دعويهم الآية وثواب الاذن لا يسمعون فيها لغواً ونظائرها وثواب العين وتلذّ الأعين ﴿فاكهون﴾ أي فرحون عن ابن عباس وقيل ناعمون متعجّبون بما هم فيه قال ابو زيد الفَكِه الطيب النفس الضحوك رجل فَكِهٌ وفاكه ولم يسمع لهذا فعل في الثلاثي وقال أبو مسلم انه مأخوذ عن الفكاهة فهو كناية عن الأحاديث الطيبة وقيل فاكهون ذوو فاكهة كما يقال لاحم شاحم اي ذو لحم وشحم وعاسل ذو عسل قال الحطيئة

وَغَرَرْتَنِي وَزَعَمْتَ أَنَّكَ لَابِنٌ فِي الصَّيْفِ تَامِرِ

أي ذو لبن وتمر ثم أخبر سبحانه عن حالهم فقال ﴿هم وأزواجهم﴾ أي هم وحلائلهم في الدنيا ممن وافقهم على إيمانهم في استار عن وَهَج[2] الشمس وسمومها فهم في مثل تلك الحال الطيبة من الظلال التي لا حرّ فيها ولا برد وقيل ازواجهم اللآتي زوَّجهم الله من الحور العين ﴿في ظلال﴾ اشجار الجنة وقيل في ظلال تسترهم من نظر العيون اليهم ﴿على الأرائك﴾ وهي السرر عليها الحجال وقيل هي الوسائد ﴿متكئون﴾ أي جالسون جلوس الملوك إذ ليس عليهم من الأعمال شيء قال الأزهري كلما اتكىء عليه فهو اريكة والجمع أرائك ﴿لهم فيها﴾ أي في الجنة ﴿فاكهة ولهم ما يدعون﴾ أي ما يتمنون ويشتهون قال أبو عبيدة تقول العرب ادع لي ما شئت اي تمنَّ علي وقيل معناه إن كل من يدعي شيئاً فهو له بحكم الله تعالى لأنه قد هذب طباعهم فلا يدعون إلا ما يحسن منهم قال الزجاج هو مأخوذ من الدعاء يعني ان أهل الجنة كلما يدعونه يأتيهم ثم بيَّن سبحانه ما يشتهون فقال ﴿سلام﴾ أي لهم سلام ومنى أهل الجنة أن يسلم الله عليهم ﴿قولاً﴾ أي يقوله الله قولاً ﴿من رب رحيم﴾ بهم يسمعونه من الله فيؤذنهم بدوام الأمن والسلامة مع سبوغ النعمة والكرامة وقيل ان الملائكة يدخل عليهم من كل باب يقولون سلام عليكم من ربكم الرحيم ثم ذكر سبحانه اهل النار فقال ﴿وامتازوا اليوم ايها المجرمون﴾ أي يقال لهم انفصلوا معاشر العصاة واعتزلوا من جملة المؤمنين وقيل معناه كونوا على حد ة عن السدي وقيل معناه ان لكل كافر

(١) جمع الهلال.

(٢) الوهج: حر النار.

بيتاً في النار يدخل فيردم بابه لا يَرى ولا يُرى عن الضحاك ثم خصَّهم سبحانه بالتوبيخ فقال ﴿ألم أعهد إليكم يا بني آدم﴾ أي ألم آمركم على ألسنة الأنبياء والرسل في الكتب المنزلة ﴿ألاّ تعبدوا الشيطان﴾ أي لا تطيعوا الشيطان فيما يأمركم به ﴿إنه لكم عدو﴾ أي وقلت لكم ان الشيطان لكم عدو ﴿مبين﴾ ظاهر عداوته عليكم يدعوكم إلى ما فيه هلاككم وفي هذه الآية دلالة على أنه سبحانه لا يخلق عبادة الشيطان لأنه حذَّر من ذلك ووبَّخ عليه .

﴿ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى هَـٰذَا
صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟
تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَـٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا
ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ
وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾

[القراءة] قرأ أبو عمرو وابن عامر جبلا بضم الجيم وسكون الباء وقرأ أهل المدينة وعاصم وسهل جبلا بكسر الجيم والباء وتشديد اللام وقرأ روح وزيد جبلاً بضم الجيم والباء وتشديد اللام وهو قراءة الحسن والأعرج والزهري وقرأ لباقون جبلاً بضمهما وتخفيف اللام .

[الحجة] معناهنَّ جميعاً الخلق الكثير والجماعة والجمع الذين جبلوا على خليقة أي طبعوا واصل الجبل الطبع ومنه الجبل لأنه مطبوع على الثبات وقال ابو مسلم اصله الغلظة والشدة .

[المعنى] ثم قال سبحانه في حكايته ما يقوله الكفار يوم القيامة ﴿وإن اعبدوني هذا صراط مستقيم﴾ فوصف عبادته بأنه طريق مستقيم من حيث كان طريقاً إلى الجنة ثم ذكر سبحانه عداوة الشيطان ببني آدم فقال ﴿ولقد أضل منكم جبلاً كثيراً﴾ أي أضلَّ الشيطان عن الدين خلقاً كثيراً منكم بأن دعاهم إلى الضلال وحملهم على الضلال وأغواهم ﴿أفلم تكونوا تعقلون﴾ أنه يغويكم ويصدكم عن الحق فتنبهون عنه صورته استفهام ومعناه الانكار عليهم والتبكيت لهم وفي هذا بطلان مذهب اهل الجبر في ان الله أراد اضلالهم ولو كان كما قالوه

لكان ذلك اضرّ عليهم وانكر من ارادة الشيطان ذلك ﴿هذه جهنم التي كنتم توعدون﴾ بها في دار التكليف حاضرة لكم تشاهدونها ﴿اصلوها اليوم﴾ أي الزموا العذاب بها وأصل الصلاء اللزوم ومنه المصلي الذي يجيء في اثر السابق للزومه اثره وقيل معناه صيروا صلاها أي وقودها عن أبي مسلم ﴿بما كنتم تكفرون﴾ جزاء لكم على كفركم بالله وتكذيبكم انبياءه ﴿اليوم نختم على أفواههم﴾ هذا حقيقة الختم فتوضع على افواه الكفار يوم القيامة فلا يقدرون على الكلام والنطق ﴿وتكلمنا ايديهم﴾ بما عملوا ﴿وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون﴾ أي نستنطق الأعضاء التي كانت لا تنطق في الدنيا لتشهد عليهم ونختم على أفواههم التي عهد منها النطق واختلف في كيفية شهادة للجوارح على وجوه (أحدها) ان الله تعالى يخلقها خلقة يمكنها ان تتكلم وتنطق وتعترف بذنوبها (وثانيها) ان الله تعالى يجعل فيها كلاماً وإنما نسب الكلام اليها لأنه لا يظهر الا من جهتها (وثالثها) ان معنى شهادتها وكلامها ان الله تعالى يجعل فيها من الآيات ما يدل على أن اصحابها عصوا الله بها فسمّى ذلك شهادة منها كما يقال عيناك تشهدان بسهرك وقد ذكرنا امثال ذلك فيما سلف .

﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾
وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا
يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ ۖ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾
وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ
مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾

[القراءة] قرأ أبو بكر وحده مكاناتهم على الجمع والباقون على التوحيد وقد تقدّم ذكر ذلك وقرأ عاصم وحمزة وسهل ننكسه بضم النون الأولى وفتح الثانية وكسر الكاف وتشديدها وقرأ الباقون بضم الكاف وتخفيفها وقرأ أهل المدينة والشام ويعقوب وسهل لتنذر بالتاء والباقون بالياء .

[الحجة] يقال نكّسته ونَكَسته وانكسه وأُنكُسه مثل رددت وردّدت غير ان التشديد للتكثير والتخفيف يحتمل القليل والكثير ومن قرأ لتنذر بالتاء فهو خطاب للنبي ﷺ ومن قرأ

بالياء أراد القرآن ويجوز أن يريد لينذر الله .

[اللغة] الطمس محو الشيء حتى يذهب اثره فالطمس على العين كالطمس على الكتاب ومثله الطمس على المال وهو اذهابه حتى لا يقع عليه ادراك واعمى مطموس وطميس وهو أن يذهب الشق الذي بين الجفنين والمسخ قلب الصورة الى خلقة مشوهة كما مسخ قوم قردة وخنازير .

[الإعراب] أنّى في محل النصب على الحال من يبصرون أو على أنه في معنى مصدره .

[المعنى] ثم أخبر سبحانه عن قدرته على اهلاك هؤلاء الكفار الذين جحدوا وحدانيته فقال ﴿ولو نشاء لطمسنا على أعينهم﴾ أي لأعميناهم عن الهدى عن ابن عباس وقيل معناه لتركناهم عمياً يتردّدون عن الحسن وقتادة والجبائي ﴿فاستبقوا الصراط﴾ أي فطلبوا طريق الحق وقد عموا عنه ﴿فأنى يبصرون﴾ أي فكيف يبصرون عن ابن عباس وقيل معناه فطلبوا النجاة والسبق اليها ولا بصر لهم فكيف يبصرون وقد اعميناهم وقيل طلبوا الطريق إلى منازلهم فلم يهتدوا اليها ﴿ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم﴾ أي على مكانهم الذي هم فيه قعود والمعنى ولو نشاء لعذّبناهم بنوع آخر من العذاب فاقعدناهم في منازلهم ممسوخين قردة وخنازير والمكانة والمكان واحد وقيل معناه ولو شئنا لمسخناهم حجارة في منازله م ليس فيهم أرواحهم ﴿فما استطاعوا مضياً ولا يرجعون﴾ أي فلم يقدروا على ذهاب ولا مجيء لو فعلنا ذلك بهم وقيل معناه فما استطاعوا مضياً من العذاب ولا رجوعاً إلى الخلقة الأولى بعد المسخ وهذا كله تهديد هدّدهم الله به ثم قال سبحانه ﴿ومن نعمره ننكسه في الخلق﴾ أي من نطول عمره نصيّره بعد القوة الى الضعف وبعد زيادة الجسم الى النقصان وبعد الجدة والطراوة إلى البلى والخلوقة فكأنه نكس خلقه وقيل ننكسه ونردّه إلى حال الهرم التي تشبه حال الصبي في ضعف القوة وعزوب العلم عن قتادة ﴿أفلا تعقلون﴾ أي أفلا تتدبّرون في أن الله تعالى يقدر على الإعادة كما قدر على ذلك وإنما قال على الخطاب لقوله ألم أعهد إليكم من قرأ بالياء فالمعنى أفليس لهم عقل فيعتبروا ويعلموا ذلك ثم اخبر سبحانه عن نبيه ﷺ كيداً لقوله إنك لمن المرسلين فقال ﴿وما علمناه الشعر﴾ يعني قول الشعراء وصناعة الشعر اي ما اعطيناه العلم بالشعر وانشائه ﴿وما ينبغي له﴾ أن يقول الشعر من عند نفسه وقيل معناه ما يتسهل له الشعر وما كان يتزين له بيت شعر حتى انه اذا تمثل بيت شعر جرى على لسانه منكسراً كما روي عن الحسن ان رسول الله ﷺ كان يتمثل بهذا البيت

« كفى الإسلام والشيب للمرء ناهياً » فقال أبو بكر يا رسول الله إنما قال الشاعر « كفى الشَّيْبُ والإِسْلامُ لِلْمَرْءِ نَاهِياً »[1] اشهد انك رسول الله وما علمك الشعر وما ينبغي لك وعن عائشة انها قالت كان رسول الله ﷺ يتمثل ببيت اخي بني قيس

سَتُبْدِي لَكَ الأَيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلاً وَيَأْتِيكَ بِالأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تَزَوَّدِ

فجعل يقول يأتيك من لم تزود بالأخبار فيقول أبو بكر ليس هكذا يا رسول الله فيقول اني لست بشاعر وما ينبغي لي فأما قوله ﷺ أنا النبيّ لا كَذِب أنَا ابْنُ عَبْدُ الْمُطَّلِبُ » فقد قال قوم ان هذا ليس بشعر وقال آخرون انما هو اتفاق منه وليس بقصد الى قول الشعر وقيل أن معنى الآية وما علّمناه الشعر بتعليم القرآن وما ينبغي للقرآن ان يكون شعراً فإن نظمه ليس بنظم الشعر وقد صحّ انه كان يسمع الشعر ويحثّ عليه وقال لحسان ابن ثابت لا تزال يا حسان مؤيّداً بروح القدس ما نصرتنا بلسانك[2] ﴿إن هو﴾ أي من الذي أنزلناه عليه ﴿إلا ذكر وقرآن مبين﴾ من عند رب العالمين ليس بشعر ولا رجز ولا خطبة والمراد بالذكر انه يتضمن ذكر الحلال والحرام والدلالات وأخبار الأمم الماضية وغيرها وبالقرآن انه مجموع بعضه إلى بعض فجمع سبحانه بينهما لاختلاف فائدتهما ﴿لتنذر من كان حياً﴾ أي انزلناه لتخوف به من معاصي الله من كان مؤمناً لأن الكافر كالميت بل أقلّ من الميت لأن الميت وإن كان لا ينتفع ولا يتضرر والكافر لا ينتفع لدينه ويتضرّر به ويجوز أن يكون المراد بمن كان حيّاً عاقلاً وروي ذلك عن علي (ع) وقيل من كان حيّ القلب حيّ البصر عن قتادة ﴿ويحقّ القول على الكافرين﴾ أي يجب الوعيد والعذاب على الكافرين بكفرهم .

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَٱتَّخَذُوا

(١) هذا عجز بيت لسحيم عبد بني الحسحاس يخاطب صاحبته عميرة وصدّره « وعميرة ودع ان تجمرت غادياً » وهو مذكور في جامع الشواهد وكذا البيت الآتي .

(٢) وللإمام الرازي في هذه الآية تحقيق لطيف وكذا للفيض القاساني (ره) من الخاصة فراجع التفسير الكبير ج ٢٦ : ١٠٤ ، والصافي ج ٢ : ٤١٦ .

مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ
وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّا نَعْلَمُ
مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾

[القراءة] في الشواذ قراءة الحسن والأعمش رُكُوبُهم وقراءة عائشة وأبي بن كعب ركوبتهم .

[الحجة] أما الركوب فمصدر والكلام على حذف المضاف والتقدير فمنها ذو ركوبهم وذو الركوب هو المركوب ويجوز أن يكون التقدير فمن منافعها ركوبهم كما يقول الإنسان لغيره من بركاتك وصول الخير إليَّ على يدك وأما ركوبتهم فهي المركوبة كالقتوبة والحلوبة والجزورة لما يقتب ويحلب ويجزر .

[المعنى] ثم عاد الكلام إلى ذكر الأدلة على التوحيد فقال سبحانه ﴿ أولم يروا ﴾ معناه أولم يعلموا ﴿ أنا خلقنا لهم ﴾ أي لمنافعهم ﴿ مما عملت أيدينا ﴾ أي مما ولينا خلقه بإبداعنا وانشائنا لم نشارك في خلقه ولم نخلقه بإعانة معين واليد في اللغة على أقسام منها الجارحة ومنها النعمة ومنها القوة ومنها تحقيق الإضافة يقال في معنى النعمة لفلان عندي يد بيضاء وبمعنى القدرة تلقى فلان قولي باليدين أي بالقوة والتقبل وبمعنى تحقيق الإضافة قول الشاعر :

دَعَوْتُ لِمَا نَابَنِي مِسْوَراً فَلَبَّى فَلَبَّى يَدَيْ مِسْوَرِ[1]

وإنما ثنّاه لتحقيق المبالغة في الإضافة إلى مسور ويقولون هذا ما جنت يداك وهو المعنيّ في الآية وإذا قال الواحد منّا عملت هذا بيدي دلّ ذلك على انفراده بعمله من غير أن يكله إلى أحد ﴿ انعاماً ﴾ يعني الإبل والبقر والغنم ﴿ فهم لها مالكون ﴾ أي ولو لم نخلقها لما ملكوها ولما انتفعوا بها وبألبانها وركوب ظهورها ولحومها وقيل فهم لها ضابطون قاهرون لم نخلقها وحشية نافرة منهم لا يقدرون على ضبطها فهي مسخّرة لهم وهو قوله ﴿ وذلّلناها لهم ﴾ أي سخّرناها لهم حتى صارت منقادة ﴿ فمنها ركوبهم ومنها يأكلون ﴾ قسم الأنعام بأن جعل منها ما يركب ومنها ما يذبح فينتفع بلحمه ويؤكل قال مقاتل الركوب الحمولة يعني

(١) البيت في جامع الشواهد .

الإبل والبقر ﴿ ولهم فيها منافع ومشارب ﴾ فمن منافعها لبس أصوافها وأشعارها وأوبارها وأكل لحومها وركوب ظهورها إلى غير ذلك من أنواع المنافع الكثيرة فيها والمشارب من ألبانها ﴿ أفلا يشكرون ﴾ الله تعالى على هذه النعم ثم ذكر سبحانه جهلهم فقال ﴿ واتخذوا من دون الله آلهة ﴾ يعبدونها ﴿ لعلهم ينصرون ﴾ أي لكي ينصروهم ويدفعوا عنهم عذاب الله ﴿ لا يستطيعون نصرهم ﴾ يعني هذه الآلهة التي عبدوها لا تقدر على نصرهم والدفع عنهم ﴿ وهم لهم جند محضرون ﴾ يعني أن هذه الآلهة معهم في النار محضرون لأن كل حزب مع ما عبده من الأوثان في النار فلا الجند يدفعون عنها الاحراق ولا هي تدفع عنهم العذاب وهذا كما قال سبحانه ﴿ إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم ﴾ عن الجبائي وقيل معناه أن الكفار جند للأصنام يغضبون لهم ويحضرونهم في الدنيا عن قتادة أي يغضبون للآلهة في الدنيا وهي لا تسوق إليهم خيراً ولا تدفع عنهم شراً قال الزجاج ينصرون الأصنام وهي لا تستطيع نصرهم ثم عزّى نبيه ﷺ بأن قال ﴿ فلا يحزنك قولهم ﴾ في تكذيبك ﴿ انا نعلم ما يسرّون ﴾ في ضمائرهم ﴿ وما يعلنون ﴾ بألسنتهم فنجازيهم على كل ذلك .

﴿ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ۖ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

[القراءة] قرأ يعقوب يقدر بالياء وكذلك في الأحقاف والوجه فيه ظاهر وفي الشواذ قراءة طلحة وإبراهيم التيمي والأعمش ملكة كل شيء ومعناه فسبحان الذي بيده القدرة على كل شيء وهو من ملكت العجين إذا أجدت عجنه فقويته بذلك والمَلَكُوت فَعَلُوت منه زادوا فيه الواو والتاء للمبالغة بزيادة اللفظ ولهذا لا يطلق الملكوت إلا على الأمر العظيم .

[الإعراب] الذي جعل لكم بدل من الذي أنشأها ويجوز أن يكون مرفوعاً أو منصوباً على المدح. أن يقول في موضع رفع بأنه خبر المبتدأ .

[النزول] قيل إن أبيّ بن خلف أو العاص بن وائل جاء بعظم بال متفتت وقال يا محمد أتزعم أن الله يبعث هذا فقال نعم فنزلت الآية ﴿ أولم ير الإنسان ﴾ إلى آخر السورة

[المعنى] ثم نبّه سبحانه خلقه على الاستدلال على صحة البعث والإعادة فقال ﴿ أولم ير ﴾ أولم يعلم ﴿ الإنسان أنا خلقناه من نطفة ﴾ والتقدير ثم نقلناه من النطفة إلى العلقة ومن العلقة إلى المضغة ومن المضغة إلى العظم ومن العظم إلى أن جعلناه خلقاً سوياً ثم جعلنا فيه الروح وأخرجناه من بطن أمه وربيناه ونقلناه من حال إلى حال إلى أن كمل عقله وصار متكلماً خصيماً وذلك قوله ﴿ فإذا هو خصيم مبين ﴾ أي مخاصم ذو بيان أي فمن قدر على جميع ذلك فكيف لا يقدر على الإعادة وهي أسهل من الإنشاء والابتداء ولا يجوز أن يكون خلق الإنسان واقعاً بالطبيعة لأن الطبيعة في حكم الموات في أنها ليست بحيّة قادرة فكيف يصحُّ منها الفعل ولا أن يكون كذلك بالاتفاق لأن المحدَث لا بدُّ له من محدِث قادر عالم وفي الآية دلالة على صحة استعمال النظر في الدين لأن الله سبحانه أقام الحجة على المشركين بقياس النشأة الثانية على النشأة الأولى وألزم من أقرَّ بالأولى أن يقرّ بالثانية ثم أكّد سبحانه الانكار عليه فقال ﴿ وضرب لنا مثلا ﴾ أي ضرب المثل في إنكار البعث بالعظم البالي وفتّه بيده وتتعجّب ممن يقول أن الله يحييه ﴿ ونسي خلقه ﴾ أي وترك النظر في خلق نفسه إذ خلق من نطفة ثم بيّن ذلك المثل بقوله ﴿ قال من يحيي العظام وهي رميم ﴾ أي بالية واختلف في القائل لذلك فقيل هو أبي بن خلف عن قتادة ومجاهد وهو المروي عن الصادق (ع) وقيل هو العاص بن وائل السهمي عن سعيد بن جبير وقيل أمية بن خلف عن الحسن ثم قال سبحانه في الردّ عليه ﴿ قل ﴾ يا محمد لهذا المتعجب من الإعادة ﴿ يحييها الذي أنشأها أول مرة ﴾ لأن من قدر على اختراع ما يبقى فهو على إعادته قادر لا محالة ﴿ وهو بكل خلق عليم ﴾ من الابتداء والإعادة فيعلم به قبل أن يخلقه أنه إذا خلقه كيف يكون ويعلم به قبل أن يعيده أنه إذا أعاده كيف يكون ثم زاد سبحانه في البيان وأخبر عن صنعه بما هو

عجيب الشأن فقال ﴿ الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون ﴾ أي جعل لكم من الشجر الرطب المطفىء للنار ناراً محرقة يعني بذلك المرخ والعفار وهما شجرتان يتخذ الأعراب زنودها منهما فبيّن سبحانه أن من قدر على أن يجعل في الشجر الذي هو في غاية الرطوبة ناراً حامية مع مضادة النار للرطوبة حتى إذا احتاج الإنسان حكّ بعضه ببعض فتخرج منه النار وينقدح قدر أيضاً على الإعادة وتقول العرب « في كلّ شَجَرٍ نار، وَاسْتَمْجَدَ ٱلمَرْخُ والعَفار »[1] وقال الكلبي كل شجر تنقدح منه النار إلا العناب ثم ذكر سبحانه من خلقه ما هو أعظم من الإنسان فقال ﴿ أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم ﴾ هذا استفهام معناه التقرير يعني من قدر على خلق السماوات والأرض واختراعهما مع عظمهما وكثرة أجزائهما يقدر على إعادة خلق البشر ثم أجاب سبحانه هذا الاستفهام بقوله ﴿ بلى ﴾ أي هو قادر على ذلك ﴿ وهو الخلاق ﴾ أي يخلق خلقاً بعد خلق ﴿ العليم ﴾ بجميع ما خلق ثم ذكر قدرته على إيجاد الأشياء فقال ﴿ إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ﴾ والتقدير أن يكوّنه فيكون فعبّر عن هذا المعنى بكن لأنه أبلغ فيما يراد وليس هنا قول وإنما هو اخبار بحدوث ما يريده تعالى وقيل إن المعنى إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول من أجله كن فيكون فعبّر عن هذا المعنى بكن وقيل إن هذا إنما هو في التحويلات نحو قوله ﴿ كونوا قردة خاسئين وكونوا حجارة أو حديداً ﴾ وما أشبه ذلك ولفظ الأمر في الكلام على عشرة أوجه (أحدها) الأمر لمن هو دونك (والثاني) الندب كقوله فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيراً (وثالثها) الإباحة نحو قوله فإذا قضيت الصلاة فانتشروا وإذا حللتم فاصطادوا (والرابع) الدعاء ﴿ربنا آتنا من لدنك رحمة﴾ (الخامس) الترفيه كقوله أرفق بنفسك (السادس) الشفاعة نحو قولك شفّعني فيه (السابع) التحويل نحو ﴿كونوا قردة خاسئين﴾ وكونوا حجارة أو حديداً (الثامن) التهديد نحو قوله ﴿اعملوا ما شئتم﴾ (التاسع) الاختراع والاحداث نحو قوله ﴿ كن فيكون ﴾ (العاشر) التعجب نحو أبصر بهم وأسمع قال علي بن عيسى في قوله ﴿ كن فيكون ﴾ الأمر هاهنا أفخم من الفعل فجاء للتفخيم والتعظيم قال ويجوز أن يكون بمنزلة التسهيل والتهوين فإنه إذا أراد فعل شيء فعله بمنزلة ما يقول للشيء كن فيكون في الحال وأنشد :

فَقَالَتْ لَهُ الْعَيْنَانِ سَمْعاً وَطَاعَةً وَحَدَّرَتَا كَالدُّرِّ لَمَّا يُثَقَّبِ

(١) قال ابن منظور بعد ذكر المثل: استمجد: استفضل أي استكثرا من النار كأنهما أخذا من النار ما هو حسبهما فصلحا للاقتداح بهما .-

وإنما أخبر عن سرعة دمعه دون أن يكون ذلك قولاً على الحقيقة ثم نزّه سبحانه نفسه من أن يوصف بما لا يليق به فقال ﴿ فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء ﴾ أي تنزيهاً له من نفي القدرة على الإعادة وغير ذلك مما لا يليق بصفاته الذي بيده أي بقدرته ملك كل شيء ومن قدر على كل شيء قدر على إحياء العظام الرميم وعلى خلق كل شيء وافنائه وإعادته ﴿ وإليه ترجعون ﴾ يوم القيامة أي تردّون إلى حيث لا يملك الأمر والنهي أحد سواه فيجازيكم بالثواب والعقاب على الطاعات والمعاصي على قدر أعمالكم .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

(٣٧) سورة الصافات مكية وآياتها مئتان وثمانون ومائة

[عدد آيها]

مائة وإحدى وثمانون آية بصري وآيتان في الباقي .

[اختلافها] آيتان وما كانوا يعبدون غير البصري وكلهم يعدون وإن كانوا ليقولون غير أبي جعفر .

[فضلها] قال أبي بن كعب قال رسول الله ﷺ ومن قرأ سورة الصافات أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد كل جنّي وشيطان وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرىء من الشرك وشهد له حافظاه يوم القيامة أنه كان مؤمناً بالمرسلين وروى الحسين بن أبي العلاء عن أبي عبد الله (ع) قال من قرأ سورة الصافات في كل يوم جمعة لم يزل محفوظاً من كل آفة مدفوعاً عنه كل بلية في حياته الدنيا مرزوقاً في الدنيا بأوسع ما يكون من الرزق ولم يصبه الله في ماله ولا ولده ولا بدنه بسوء من شيطان رجيم ولا جبّار عنيد وإن مات في يومه أو ليلته بعثه الله شهيداً وأماته شهيداً وأدخله الجنّة مع الشهداء في درجة من الجنة .

[تفسيرها] افتتح الله هذه السورة بمثل ما اختتم به سورة يس من ذكر البعث فقال :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾
إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ ﴿٤﴾ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا
وَرَبُّ الْمَشَارِقِ ﴿٥﴾ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾

﴿ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ۝٧ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ۝٨ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۝٩ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ۝١٠

[القراءة] ادغم أبو عمرو وحمزة التاء في الصاد وفي الزاي وفي الذال من الصافات صفاً فالزاجرات زجراً فالتاليات ذكراً والذاريات ذروا وقرأ أبو عمرو وحده والعاديات ضبحاً مدغماً فالمغيرات صبحاً فالملقيات ذكراً والسابحات سبحاً والسابقات سبقاً مدغماً وعباس لا يدغم شيئاً من ذلك والباقون بإظهار التاء في ذلك كله وقرأ عاصم وحمزة بزينةٍ بالتنوين الكواكبِ بالجرّ وقرأ أبو بكر بزينةٍ منوناً أيضاً الكواكبَ بالنصب وقرأ الباقون بزينةِ الكواكب مضافة وقرأ أهل الكوفة غير أبي بكر لا يسَّمَّعون بتشديد السين والميم والباقون لا يسمعون بالتخفيف .

[الحجة] قال أبو علي إدغام التاء في الصاد حسن لمقاربة اللفظين ألا ترى أنهما من طرف اللسان وأصول الثنايا ويجتمعان في الهمس والمدغم فيه يزيد على المدغم بخلتين هما الإطباق والصفير ويحسن إدغام الأنقص في الأزيد ولا يجوز أن يدغم الأزيد صوتاً في الأنقص صوتاً فلهذا يحسن إدغام التاء في الزاي من قوله ﴿ فالزاجرات زجراً ﴾ لأن التاء مهموسة والزاي مجهورة وفيها زيادة صفير كما كان في الصاد وكذلك حسن ادغام التاء في الذال في قوله ﴿ فالتاليات ذكراً والذاريات ذروا ﴾ لاتفاقهما في أنهما من طرف اللسان وأصول الثنايا فأما إدغام التاء في الضاد من قوله تعالى والعاديات ضبحاً فإن التاء أقرب إلى الذال وإلى الزاي منهما في الضاد لأن الذال والزاي والصاد من حروف طرف اللسان وأصول الثنايا وطرفها والضاد أبعد منهن لأنها من وسط اللسان وكذلك حسن إدغام التاء فيها لأن الصاد تغشى الصوت بها واتسع واستطال حتى اتصل صوتها بأصول الثنايا وطرف اللسان فأدغم التاء فيها وسائر حروف طرف اللسان وأصول الثنايا الا حروف الصفير فإنها لم تدغم في الضاد ولم تدغم الضاد في شيء من هذه الحروف لما فيها من زيادة الصوت فأما الإدغام في السابحات سبحاً والسابقات سبقاً فحسن لمقاربة الحروف فأما من قرأ بالإظهار في هذه الحروف فلاختلاف المخارج وأما من قرأ بزينةٍ الكواكب جعل الكواكب بدلاً من الزينة كما تقول مررت بأبي عبد الله زيد ومن قرأ الكواكبَ بالنصب أعمل الزينة في الكواكب والمعنى بأن زيّنا الكواكب فيها ومثل ذلك أو ﴿إطعام في يوم ذي مسغبة﴾ يتيماً ومن قرأ بزينةِ الكواكبِ

أضاف المصدر إلى المفعول كقوله تعالى من دعاء الخير وبسؤال نعجتك ومن قرأ لا يسَّمَّعون فإنما هو لا يتسمعون فادغم التاء في السين وقد يتسمع ولا يسمع فإذا نفى التسمع عنهم فقد نفى سمعهم من جهة التسمع ومن جهة غيره فهو أبلغ ويقال سمعت الشيء واستمعته كما يقال حقرته واحتقرته وشويته واشتويته وقد قال تعالى ﴿ وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له ﴾ وقال ومنهم من يسمع إليك فعدّى الفعل مرة بإلى ومرة باللام وحجة من قرأ يَسْمَعُون قوله أنهم عن السمع لمعزولون .

[اللغة] قال أبو عبيدة كل شيء بين السماء والأرض لم يضمّ قطريه فهو صاف ومنه الطير صافات إذا نشرت أجنحتها والصافات جمع الجمع لأنه جمع صافة والزجر الصرف عن الشيء لخوف الذم والعقاب. المارد الخارج إلى الفساد العظيم وهو من وصف الشياطين وهم المردة وأصله الانجراد ومنه الأمرد فالمارد المنجرد من الخير. الدحور الدفع بالعنف يقال دحر يدحر دحراً ودحوراً. والواصب الدائم الثابت قال أبو الأسود :

لا أَشْتَرِي الْحَمْدَ الْقَلِيلَ بَقَاؤُهُ ... يَوْماً بِذَمِّ الدَّهْرِ أَجْمَعَ واصِباً

والخطفة الاستلاب بسرعة يقال خطفه واختطفه والشهاب شعلة نار ساطعة يقال فلان شهاب حرب إذا كان ماضياً والثاقب المضيء كأنه يثقب بضوئه ومنه حسب ثاقب أي شريف .

[الإعراب] حفظاً مصدر فعل محذوف أي زيَّناها وحفظناها حفظاً . لا يسمعون جملة مجرورة الموضع بأنها صفة شيطان دحوراً مصدر فعل دلّ عليه يقذفون أي يدحرون دحوراً . إلا من خطف الخطفة يحتمل أن يكون من خطف في موضع نصب على الاستثناء والعامل فيه ما يتعلق به اللام في لهم عذاب والمستثنى منه هم من لهم ويحتمل أن يكون استثناء منقطعاً فيكون من خطف مبتدأ وخبره فأتبعه شهاب ثاقب .

[المعنى] ﴿ والصافات صفاً ﴾ اختلف في معنى الصافات على وجوه (أحدها) أنها الملائكة تصف أنفسها صفوفاً في السماء كصفوف المؤمنين في الصلاة عن ابن عباس ومسروق والحسن وقتادة والسدي (وثانيها) أنها الملائكة تصف أجنحتها في الهواء إذا أرادت النزول إلى الأرض واقفة تنتظر ما يأمرها الله تعالى عن الجبائي (وثالثها) أنهم جماعة من المؤمنين يقومون مصطفين في الصلاة وفي الجهاد عن أبي مسلم ﴿ فالزاجرات زجراً ﴾

ـلف فيها أيضا على وجوه (أحدها) أنها الملائكة تزجر الخلق عن المعاصي زجراً عن السدي ومجاهد وعلى هذا فإنه يوصل الله مفهومه إلى قلوب العباد كما يوصل مفهوم إغواء الشيطان إلى قلوبهم ليصحّ التكليف (وثانيها) أنها الملائكة الموكلة بالسحاب تزجرها وتسوقها عن الجبائي (وثالثها) أنها زواجر القرآن وآياته الناهية عن القبائح عن قتادة ورابعها) أنهم المؤمنون يرفعون أصواتهم عند قراءة القرآن لأن الزجرة الصيحة عن أبي مسلم ﴿ فالتاليات ذكراً ﴾ اختلف فيها أيضاً على أقوال (أحدها) أنها الملائكة تقرأ كتب الله تعالى والذكر الذي ينزل على الموحى إليه عن مجاهد والسدي (وثانيها) أنها الملائكة تتلو كتاب الله الذي كتبه لملائكته وفيه ذكر الحوادث فتزداد يقيناً بوجود المخبر على وفق الخبر (وثالثها) جماعة قرّاء القرآن من المؤمنين يتلونه في الصلاة عن أبي مسلم وإنما لم يقل فالتاليات تلواً كما قال فالزاجرات زجراً لأن التالي قد يكون بمعنى التابع ومنه قوله والقمر إذا تلاها فلمّا كان اللفظ مشتركاً بيّنه بما يزيل الإبهام ﴿ إن إلٰهكم لواحد ﴾ وهذه أقسام أقسم الله تعالى بها أنه واحد ليس له شريك ثم اختلف في مثل هذه الأقسام فقيل أنها أقسام بالله تعالى على تقدير وربّ الصافات وربّ الزاجرات وربّ التين والزيتون لأن في القسم تعظيماً للمقسم به ولأنه يجب على العباد أن لا يقسموا إلا بالله تعالى إلا أنه حذف لأن حجج العقول دالة على المحذوف عن الجبائي والقاضي وقيل بل أقسم الله سبحانه بهذه الأشياء وإنما جاز ذلك لأنه ينبيء عن تعظيمها بما فيها من الدلالة على توحيده وصفاته العلى فله سبحانه أن يقسم بما شاء من خلقه وليس لخلقه أن يقسموا إلا به ثم قال سبحانه ﴿ رب السماوات والأرض ﴾ أي خالقها ومدبّرهما ﴿ وما بينهما ﴾ من سائر الأجناس من الحيوان والنبات والجماد ﴿ ورب المشارق ﴾ وهي مشارق الشمس أي مطالعها بعدد أيام السنة ثلاثمائة وستون مشرقاً والمغارب مثل ذلك تطلع الشمس كل يوم من مشرق وتغرب في مغرب عن ابن عباس والسدي وإنما خصّ المشارق بالذكر لأن الشروق قبل الغروب ﴿ إنا زيّنا السماء الدنيا ﴾ يعني التي هي أقرب السماوات إلينا وإنما خصّها بالذكر لاختصاصها بالمشاهدة ﴿ بزينة الكواكب ﴾ أي بحسنها وضوئها والتزيين تحسين الشيء وجعله على صورة تميل إليها النفس فالله سبحانه زيّن السماء على وجه تمتع الرائي لها وفي ذلك أعظم النعمة على العباد مع ما لهم من المنفعة بالتفكير فيها والاستدلال بها على صانعها ﴿ وحفظاً من كل شيطان ﴾ أي وحفظناها من كل شيطان ﴿ مارد ﴾ أي خبيث خال من الخير متمرّد والمعنى وحفظناها من دنوّ كل شيطان للاستماع فإنهم كانوا يسترقون السمع ويستمعون إلى كلام الملائكة ويقولون ذلك إلى ضعفة الجن وكانوا يوسوسون بها في قلوب الكهنة

ويوهمونهم أنهم يعرفون الغيب فمنعهم الله تعالى عن ذلك ﴿ لا يسمعون إلى الملأ الأعلى ﴾ أي لكيلا يتسمعوا إلى الكتبة من الملائكة في السماء عن الكلبي وقيل إلى كلام الملأ الأعلى أي لكيلا يتسمعوا والملأ الأعلى عبارة عن الملائكة لأنهم في السماء ﴿ ويقذفون من كل جانب ﴾ أي يرمون بالشهب من كل جانب من جوانب السماء إذا أرادوا الصعود إلى السماء للاستماع ﴿ دحوراً ﴾ أي دفعاً لهم بالعنف وطرداً ﴿ ولهم عذاب واصب ﴾ أي ولهم مع ذلك أيضاً عذاب دائم يوم القيامة ﴿ إلا من خطف الخطفة ﴾ والتقدير لا يتسمعون إلى الملائكة إلا من وثب الوثبة إلى قريب من السماء فاختلس خلسة من الملائكة واستلب استلاباً بسرعة ﴿ فأتبعه شهاب ثاقب ﴾ أي فلحقه وأصابه نارٌ مضيئة محرقة والثاقب المنير المضيء وهذا كقوله إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين .

﴿ فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَا ۚ إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴿١١﴾ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾ وَقَالُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَاخِرُونَ ﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿٢٠﴾

[القراءة] قرأ أهل الكوفة غير عاصم بل عجبتُ بضم التاء والباقون بفتحها وقرأ ابن عامر وأهل المدينة غير ورش أو آباؤنا ساكنة الواو والباقون بفتحهما وكذلك في الواقعة .

[الحجة] قال أبو علي من قرأ بل عجبتَ بالفتح فالمعنى بل عجبتَ من إنكارهم البعث وهم يسخرون أو عجبتَ من نزول الوحي عليك وهم يسخرون والضم فيما زعموا قراءة علي (ع) وابن عباس وروي عن شريح من إنكار له فإنه قال أن الله لا يعجب وقد إحتجَّ بعضهم للضم بقوله وإن تعجب فعجبٌ قولهم وليس في هذا دلالة على أن الله سبحانه اضاف العجب إلى نفسه ولكن المعنى وإن تعجب فعجب قولهم عندكم والمعنى في الضم أن إنكار البعث والنشر مع ثبات القدرة على الابتداء والإنشاء عجيب ويبين ذلك عند من

استدلَّ عندكم مما تقولون فيه هذا النحو من الكلام إذا ورد عليكم مثله كما أن قوله ﴿ أسمع بهم وأبصر ﴾ معناه أن هؤلاء ممن تقولون أنتم فيه هذا النحو وكذلك قوله ﴿ فما اصبرهم على النار ﴾ عند من لم يجعل اللفظ على الاستفهام وعلى هذا النحو قوله ﴿ ويل للمطففين وويل يومئذ للمكذبين ﴾ وقوله ﴿ لعلَّه يتذكَّر أو يخشى ﴾ ولا يجوز أن يكون العجب في وصف القديم سبحانه كما يكون في وصف الإنسان لأن العجب فينا إنما يكون إذا شاهدنا ما لم نشاهد مثله ولم نعرف سببه وهذا منتف عن القديم سبحانه .

[اللغة] اللازب واللازم بمعنى أُبْدِلت من الميم الباء قال النابغة :

وَلَا يَحْسَبُونَ الْخَيْرَ لَا شَرَّ عِنْدَهُ وَلَا يَحْسَبُونَ الشَّرَّ ضَرْبَةَ لَازِبِ

وبعض بني عقيل يقولون لاتب أيضاً بالتاء والداخر الصاغر أشد الصغر .

[المعنى] ثم خاطب سبحانه نبيَّه ﷺ فقال ﴿ فاستفتهم ﴾ أي فاسألهم يا محمد سؤال تقرير ﴿ أهم أشد خلقاً ﴾ أي أحكم صنعاً ﴿ أم من خلقنا ﴾ قبلهم من الأمم الماضية والقرون السالفة يريد أنهم ليسوا بأحكم خلقاً من غيرهم من الأمم وقد أهلكناهم بالعذاب وقيل أهم أشدُّ خلقاً أم من خلقنا من الملائكة والسماوات والأرض وغلب ما يعقل على ما لا يعقل ﴿ إنا خلقناهم من طين لازب ﴾ معناه أنهم إن قالوا نحن أشد فاعلمهم أن الله خلقهم من طين فكيف صاروا أشد قوة منهم والمراد أن آدم خلقه الله من طين وأن هؤلاء نسله وذريته فكأنهم منه وقال ابن عباس اللازب الملتصق من الطين الحر الجيد ﴿ بل عجبت ﴾ يا محمد من تكذيبهم إياك ﴿ وهم يسخرون ﴾ من تعجبك ومن ضم التاء فالمراد أنه سبحانه أمر نبيه ﷺ أن يخبر عن نفسه بأنه عجب من هذا القرآن حين أعطيه وسخِر منه أهل الضلال وتقديره قل بل عجبت عن المبرد وقيل يسخرون أي يهزأون بدعائك إياهم إلى الله والنظر في دلائله وآياته وروي عن الأعمش عن أبي وائل قال قرأ عبد الله بن مسعود بل عجبت بالضم فقال شريح إن الله لا يعجب إنما يعجب من لا يعلم قال الأعمش فذكرته لإبراهيم فقال أن شريحاً كان معجباً برأيه إن عبد الله قرأ بل عجبتُ وعبد الله أعلم من شريح وإضافة العجب إلى الله تعالى ورد الخبر به كقوله ﴿ عجب ربكم من شباب ليس له صبوة وعجب ربكم من إلْكم وقنوطكم ﴾[1] ويكون ذلك على وجهين عجب مما يرضى ومعناه الإستحسان والخبر عن

(١) قال ابن الأثير الصبوة: الميل إلى الهوى وقال. في (ألل) في الحديث: عجب ربكم من الكم وقنوطكم الال : شدة القنوط ويجوز أن يكون من رفع الصوت بالبكاء، وقال أبو عبيدة: المحدثون يروونه بكسر الهمزة والمحفوظ عند أهل اللغة الفتح وهو أشبه بالمصادر .

تمام الرضى وعجب مما يكره ومعناه الإنكار له والذم ﴿ وإذا ذكروا لا يذكرون ﴾ أي وإذا خوّفوا بالله ووعظوا بالقرآن لا ينتفعون بذلك ولا يتعظون به ﴿ وإذا رأوا آية ﴾ من آيات الله ومعجزة مثل انشقاق القمر وغيرها ﴿ يستخسرون ﴾ أي يستهزؤون ويقولون هذا عمل السحر وسخر واستسخر بمعنى واحد وقيل معناه يستدعي بعضهم بعضاً إلى إظهار السخرية وقيل معناه يعتقدونه سخرية كما تقول استقبحه أي اعتقده قبيحاً واستحسنه أي اعتقده حسناً ﴿ وقالوا إن هذا إلا سحر مبين ﴾ أي وقالوا لتلك الآية ما هذا إلا سحر ظاهر وتمويه ﴿ أإذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمبعوثون ﴾ بعد ذلك ومحشورون أي كيف نبعث بعدما صرنا تراباً ﴿ أو آباؤنا الأولون ﴾ الذين تقدّمونا بهذه الصفة أي أو يبعث آباؤنا بعدما صاروا تراباً يعنون أن هذا لا يكون ومن فتح الواو وجعلها واو العطف دخل عليها همزة الأستفهام كقوله ﴿ أو من أهل القرى ﴾ ثم قال سبحانه لنبيّه ﷺ ﴿ قل ﴾ لهم ﴿ نعم ﴾ تبعثون ﴿ وأنتم داخرون ﴾ صاغرون أشد الصغار ثم ذكر أن بعثهم يقع بزجرة واحدة فقال ﴿ فإنما هي ﴾ أي فإنما قصة البعث ﴿ زجرة واحدة ﴾ أي صيحة واحدة من إسرافيل يعني نفخة البعث والزجرة الصرفة عن الشيء بالمخافة فكأنهم زجروا عن الحال التي هم فيها إلى الحشر ﴿ فإذا هم ينظرون ﴾ إلى البعث الذي كذّبوا به وقيل معناه فإذا هم أحياء ينتظرون ما ينزل بهم من عذاب الله ﴿ وقالوا ﴾ أي ويقولون معترفين على نفوسهم بالعصيان ﴿ يا ويلنا ﴾ من العذاب وهو كلمة يقولها القائل عند الوقوع في الهلكة ومثله يا حسرتنا ينادون مثل هذه الأشياء على وجه التنبيه على عظم الحال ﴿ هذا يوم الدين ﴾ أي يوم الحساب عن ابن عباس وقيل يوم الجزاء عن قتادة والمراد أنهم اعترفوا بالحق خاضعين نادمين .

﴿ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ
ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾ * ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ
وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ
ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾
بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ
يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟

بَل لَّمْ تَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَـٰنٍ ۖ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَـٰغِينَ ﴿٣٠﴾

[**المعنى**] ثم أخبر سبحانه عن حالهم أيضاً فقال ﴿ **هذا يوم الفصل** ﴾ بين الخلائق والحكم وتمييز الحق من الباطل على وجه يظهر لجميعهم الحال فيه وذلك بأن يدخل المطيع الجنة على وجه الإكرام ويدخل العاصي النار على وجه الإهانة ﴿ **الذي كنتم** ﴾ يا معشر الكفار ﴿ **به تكذّبون** ﴾ وهذا كلام بعضهم لبعض وقيل بل هو كلام الملائكة ثم حكى سبحانه ما يقوله للملائكة بأن قال ﴿ **احشروا الذين ظلموا** ﴾ أنفسهم بارتكاب المعاصي أي أجمعوهم من كل جهة وقيل ظلموا أنفسهم بمخالفتهم أمر الله سبحانه وبتكذيبهم الرسل وقيل ظلموا الناس ﴿ **وأزواجهم** ﴾ أي وأشباههم عن ابن عباس ومجاهد ومثله وكنتم أزواجاً ثلاثة أي أشباهاً وأشكالاً ثلاثة فيكون المعنى أن صاحب الزنا يحشر مع أصحاب الزنا وصاحب الخمر مع أصحاب الخمر إلى غيرهم وقيل واشياعهم من الكفار عن قتادة وقيل وأزواجهم المشركات كأنه قال إحشروا المشركين والمشركات عن الحسن وقيل واتباعهم على الكفر ونظراؤهم وضرباؤهم ﴿ **وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم** ﴾ إنما عبّر عن ذلك بالهداية من حيث كان بدلاً من الهداية إلى الجنة كقوله فبشّرهم بعذاب أليم من حيث أن هذه البشارة وقعت لهم بدلاً من البشارة بالنعيم ﴿ **وقفوهم** ﴾ أي قفوا هؤلاء الكفار واحبسوهم عن دخول النار ﴿ **أنهم مسئولون** ﴾ روى أنس بن مالك مرفوعاً أنهم مسؤولون عما دعوا إليه من البدع وقيل مسئولون عن أعمالهم وخطاياهم عن الضحاك وقيل عن قول لا إله إلا الله عن ابن عباس وقيل عن ولاية علي بن أبي طالب (ع) عن أبي سعيد الخدري وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس مرفوعاً حدثناه عن الحاكم أبي القاسم الحسكاني بالإسناد يقال وقفت أنا ووقفت غيري وبعض بني تميم يقول أوقفت الدابة والدار وأنشد الفراء :

تَرىَ النَّاسَ مَا سِرْنا يَسِيرُونَ خَلْفَنا ... وَإنْ نَحْنُ أَوْمَأْنا إلىَ النَّاسِ أَوْقَفُوا

﴿ **ما لكم لا تناصرون** ﴾ أي لا تتناصرون وهذا على وجه التوبيخ والتبكيت أي ما لكم لا ينصر بعضكم بعضاً في دفع العذاب والتقدير ما لكم غير متناصرين ثم بيّن سبحانه أنهم لا يقدرون على التناصر فقال ﴿ **بل هم اليوم مستسلمون** ﴾ أي منقادون خاضعون ومعنى الاستسلام أن يلقي بيده غير منازع فيما يراد منه ﴿ **وأقبل بعضهم على بعض**

يتساءلون ﴾ هذا إخبار منه سبحانه أن كل واحد منهم يقبل على صاحبه الذي أغواه فيقول له على وجه التأنيب والتعنيف لِمَ غررْتني ويقول ذلك له لِمَ قبلت منّي وقيل يقبل الإتباع على المتبوعين والمتبوعون على الإتباع يتلاومون ويتعاتبون ويتخاصمون ﴿ قالوا إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين ﴾ أي يقول الكفار لِغُواتهم أنكم كنتم تأتوننا من جهة النصيحة واليمن والبركة ولذلك أقررنا لكم والعرب تتيمن بما جاء من اليمين عن الجبائي وقيل معناه كنتم تأتوننا من قبل الدين فترونا أن الحق والدين ما يضلوننا به واليمين عبارة عن الحق عن الزجاج وقيل معناه كنتم تأتوننا من قبل القوة والقدرة فتخدعوننا من أقوى الوجوه ومنه قوله (فراغ إليهم ضرباً باليمين) عن الفراء ﴿ قالوا ﴾ في جواب ذلك ليس الأمر كما قلتم ﴿ بل لم تكونوا مؤمنين ﴾ مصدّقين بالله ﴿ وما كان لنا عليكم من سلطان ﴾ أي قدرة وقوة فنجبركم على الكفر فلا تسقطوا اللوم عن أنفسكم فإنه لازم لكم ولاحق بكم ﴿ بل كنتم قوماً طاغين ﴾ أي خارجين عن الحق باغين تجاوزتم الحد إلى أفحش الظلم وأعظم المعاصي .

﴿ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّكُمْ لَذَآئِقُوا۟ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾

[المعنى] هذا تمام الحكاية عن الكفار الذين قالوا وما كان لنا عليكم من سلطان ثم قالوا ﴿ فحقّ علينا قول ربنا ﴾ أي وجب علينا قول ربّنا بأنا لا نؤمن ونموت على الكفر أو وجب علينا العذاب الذي نستحقه على الكفر والإغواء ﴿ إنا لذائقون ﴾ العذاب الذي نستحقه على الكفر أي ندركه كما ندرك المطعوم بالذوق ثم يعترفون بأنهم أغووهم بأن قالوا

﴿ فأغويناكم ﴾ أي أضللناكم عن الحق ودعوناكم إلى الغي ﴿ إنا كنا غاوين ﴾ أي داخلين في الضلالة والغي وقيل معناه فخيَّبناكم إنا كنا خائبين ﴿ فإنهم يومئذ ﴾ أي في ذلك اليوم ﴿ في العذاب مشتركون ﴾ واشتراكهم اجتماعهم فيه والمعنى أن ذلك التخاصم لم ينفعهم إذا اجتمع الإتباع والمتبوعون كلهم في النار الإتباع بقبول الكفر والمتبوعون بالكفر والإغواء ﴿ إنا كذلك نفعل بالمجرمين ﴾ أي الذين جعلوا لله شركاء عن ابن عباس وقيل معناه أنا مثل ما فعلنا بهؤلاء نفعل بجميع المجرمين ثم بيَّن سبحانه أنه إنما فعل ذلك بهم من أجل ﴿ أنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون ﴾ عن قَبول ذلك ﴿ ويقولون أئنا لتاركو آلهتنا لشاعر مجنون ﴾ أي يأنفون من هذه المقالة ويستخفون بمن يدعوهم إليها ويقولون لا ندع عبادة الأصنام لقول شاعر مجنون يعنون النبي ﷺ يدعونا إلى خلافها وقيل لأجل شاعر عن أبي مسلم فرد الله هذا القول عليهم وكذبهم بأن قال ﴿ بل جاء بالحق ﴾ أي ليس بشاعر ولا مجنون لكنه أتى بما تقبله العقول من الدين الحق والكتاب ﴿ وصدق المرسلين ﴾ أي حقق ما أتى به المرسلون من بشاراتهم والكتاب الحق بدين الإسلام وقيل صدَّقهم بأن أتى بمثل ما أتوا به من الدعاء إلى التوحيد وقيل صدَّقهم بالنبوة ثم خاطب الكفار فقال ﴿ إنكم ﴾ أيها المشركون ﴿ لذائقو العذاب الأليم ﴾ على كفركم ونسبتكم إياه إلى الشعر والجنون ﴿ وما تجزون إلا ما كنتم تعملون ﴾ أي على قدر أعمالكم ثم استثنى من جملة المخاطبين المعذَّبين فقال ﴿ إلا عباد الله المخلصين ﴾ الذين أخلصوا العبادة لله وأطاعوه في كل ما أمرهم به فإنهم لا يذوقون العذاب وإنما ينالون الثواب .

﴿ أُولَٰئِكَ لَهُمْ
رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّٰتِ النَّعِيمِ ﴿٤٣﴾
عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍۭ ﴿٤٥﴾ بَيْضَآءَ
لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾
وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ الطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾
فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾

[القراءة] قرأ أهل الكوفة غير عاصم ينزِفون بكسر الزاي والباقون بفتح الزاء وكذلك في سورة الواقعة إلا عاصم فإنه قرأ هاهنا بفتح الزاي وهناك بكسر الزاي .

[الحجة] قال أبو علي انزف يكون على معنين (أحدهما) بمعنى سكر قال :

لَعَمْرِي لَئِنْ أَنْزَفْتُمُ أَوْ صَحَوْتُمُ لَبِئْسَ النَّدامى كُنْتُمُ آلَ أَبْجَرا[1]

فمقابلته صحوتم يدل على أنه أراد سكرتم (والآخر) بمعنى انفد شرابه فمعنى انزف صار ذا انفاد لشرابه كما أن الأول معناه النفاد من عقله فمن قرأ ينزِفون يجوز أن يريد به لا يسكرون عن شربها ويجوز أن يريد به لا ينفد ذلك عندهم كما ينفد شراب أهل الدنيا ومن قرأ ينزفون بفتح الزاي فإنه من نزف الرجل فهو منزوف ونزيف إذا ذهب عقله بالسكر .

[اللغة] قال الأخفش كل كأس في القرآن فالمراد به الخمر. معين يحتمل أن يكون فعيلاً من أمعن في الأمر إذا إشتدَّ دخوله فيه وهو الماء الشديد الجري ويحتمل أن يكون مفعولاً من عين الماء لأنه يجري ظاهراً للعين. واللذة اللذيذة يقال شراب لذّ ولذيذ والغول فساد يلحق الشيء خفياً يقال إغتاله إغتيالاً وغاله غولاً ومنه الغيلة وهي القتل سرّاً قال الشاعر :

وَمَا زَالَتِ الْكَأْسُ تَغْتَالُنَا وَتَذْهَبُ بِالأَوَّلِ الأَوَّلِ[2]

والقاصرات جمع قاصرة وهن اللاتي يقصرن طرفهن على أزواجهن لا ينظرن إلى غيرهم والقصر معناه الحبس والعين النُجْل العيون الحسانها والمكنون المصون من كل شيء قال الشاعر :

وَهُيَ زَهْرَاءُ مِثْلُ لُؤْلُؤَةِ الْغَوَّا صِ مُيِّزَتْ مِنْ جَوْهَرٍ مَكْنُونِ

[المعنى] ثم بيَّن سبحانه ما أعدَّه لعباده المخلصين من أنواع النعم فقال ﴿ أولئك لهم رزق معلوم ﴾ جعل لهم التصرف فيه وحكم لهم به في الأوقات المستأنفة في كل وقت شيئاً معلوماً مقدَّراً ثم فسَّر ذلك الرزق بأن قال ﴿ فواكه ﴾ وهي جمع فاكهة يقع على الرطب

---

(١) قائله أبيرد اليربوعي . الندامى جمع الندمان : المنادم على الشرب . وبعد هذا البيت قوله

شربتم ومدرتم وكان أبوكم كذا كم إذا ما يشرب الكأس مدراً

وأبجر هو ابن جابر العجلى .

(٢) قال في اللسان أي توصل الينا شراً وتعدمنا عقولنا .

واليابس من الثمار كلها يتفكهون بها ويتنعّمون بالتصرف فيها ﴿ وهم مكرمون ﴾ مع ذلك أي معظمون مبجلون وضد الإكرام الإهانة ﴿ في جنات النعيم ﴾ أي وهم مع ذلك في بساتين فيها أنواع النعيم يتنعّمون بها ﴿ على سرر ﴾ وهي جمع سرير ﴿ متقابلين ﴾ يستمتع بعضهم بالنظر إلى وجوه بعض ولا يرى بعضهم قفا بعض ﴿ يطاف عليهم بكأس ﴾ وهو الإناء بما فيه من الشراب ﴿ من معين ﴾ أي من خمر جارية في أنهار ظاهرة العيون عن الحسن وقتادة والضحاك والسدي وقيل شديد الجري ثم وصف الخمر فقال ﴿ بيضاء ﴾ وصفها بالبياض لأنها في نهاية الرقة مع الصفاء واللطافة النورية التيْ لها قال الحسن خمر الجنة أشدُّ بياضاً من اللبن وذكر أن قراءة ابن مسعود صفراء فيحتمل أن يكون بيضاء الكاس صفراء اللون ﴿ لذة ﴾ أي لذيذة ﴿ للشاربين ﴾ ليس فيها ما يعتري خمر الدنيا من المرارة والكراهة ﴿ لا فيها غول ﴾ أي لا تغتال عقولهم فتذهب بها ولا تصيبهم منها وجع في البطن ولا في الرأس ويقال للوجع غول لأنه يؤدّي إلى الهلاك ﴿ ولا هم عنها ينزفون ﴾ أي يسكرون ولا ينزفون لا يفنى خمرهم وتحمل هذه القراءة على هذا لزيادة الفائدةوعلى القراءة الأولى فيحمل الغول على الصداع والوجع وأذى الخمار قال ابن عباس معناه ولا يبولون قال وفي الخمر أربع خصال السكر والصداع والقيء والبول فنزّه الله سبحانه خمر الجنة عن هذه الخصال ﴿ وعندهم قاصرات الطرف ﴾ قصرن طرفهن على أزواجهن فلا يردن غيرهنَّ لحبهنَّ إياهم وقيل معناه لا يفتحن أعينهن دلالة وغنجاً ﴿ عين ﴾ أي واسعات العيون والواحدة عيناء وقيل هي الشديدة بياض العين الشديدة سوادها عن الحسن ﴿ كأنهن بيض مكنون ﴾ شبّههن ببَيض النعام مكّنه بالريش من الغبار والريح عن الحسن وابن زيد وفي معناه قول امرىء القيس :

كَبِكْرِ الْمُقَانَاةِ الْبَيَاضِ بِصُفْرَةٍ غَذَاهَا نَمِيرُ الْمَاءِ غَيْرَ مُحَلَّلِ (١)

وقيل شبّههن ببطن البيض قبل أن يقشر وقبل أن تمسّه الأيدي والمكنون المصون ثم قال ﴿ فأقبل بعضهم على بعض يتسائلون ﴾ يعني أهل الجنة يسأل بعضهم بعضاً عن أحوالهم من حين بعثوا إلى أن أدخلوا الجنة فيخبر كل صاحبه بإنعام الله تعالى عليه .

(١) هذا البيت من معلقته المعروفة والبكر من كل صنف ما لم يسبقه مثله والمراد هنا بيض النعام وإضافته إلى المقاناة من قبيل قوله تعالى ﴿ وللدار الآخرة ﴾ والمقاناة: المخالطة والنمير: الماء النامي في الجسد وقيل: العذب من الماء. وغير محلل أي غير يسير أو من قولهم مكان محلل إذا أكثر الناس به الحلول أي لم يكثر حلول الناس عليه فيكدره ذلك، يصف معشوقته عنيزة وشبه لونها ببيض نعام تشوب بياضها صفرة. وفي قوله « البياض » تجوز الحركات الثلاث وذكروا للبيت معان اخر ذكرها الزوزني في شرح المعلقات فراجع .

﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ
إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَإِذَا مِتْنَا
وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾
فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾
وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ
بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا
لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾

[القراءة] في الشواذ قراءة ابن عباس وابن محيصن هل أنتم مُطْلِعون بالتخفيف فأطْلَعَ .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

[الحجة] الإطلاع الإقبال فعلى هذا يكون معناه فهل أنتم مقبلون فأقبل واطلع يكون مسنداً إلى مصدره أي فاطلع الإطلاع كما يقال قد قيم أي قد قيم القيام .

[الإعراب] إلا موتتنا الأولى نصب بقوله ﴿ ميتين ﴾ إنتصاب المصدر بالفعل الواقع قبل كما تقول ما ضربت إلا ضربة واحدة والتقدير فما نموت إلا موتتنا الأولى .

[المعنى] هذا تمام الحكاية عن أحوال أهل الجنة وإقبال بعضهم على بعض في المسائلة عن الإخبار والأحوال ﴿ قال قائل منهم ﴾ أي من أهل الجنة ﴿ إني كان لي قرين ﴾ في دار الدنيا أي صاحب يختص بي أما من الإنس على قول ابن عباس أو من الشيطان على قول مجاهد ﴿ يقول ﴾ لي على وجه الإنكار عليَّ والتهجين لفعلي ﴿ أئنك لمن المصدقين ﴾ بيوم الدين وبالبعث والنشور والحساب والجزاء والإستفهام هنا على وجه الإنكار ﴿ أإذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمدينون ﴾ أي مجزيُّون محاسبون من قولهم كما تدين تدان والمعنى أن ذلك القرين كان يقول لي في الدنيا على طريق الاستبعاد والاستنكار أنبعث بعد أن صرنا تراباً وعظاماً بالية ونجازى على أعمالنا أي أن هذا لا يكون أبداً وهذا أبلغ في النفي من أن يقول لا نبعث ولا نجازى ﴿ قال هل أنتم مطلعون ﴾ أي ثم قال هذا

المؤمن لأخوانه في الجنة هل أنتم مطلعون على موضع من الجنة يرى منه هذا القرين يقال طلع على كذا إذا أشرف عليه والمعنى هل تؤثرون أن تروا مكان هذا القرين في النار وفي الكلام حذف أي فيقولون له نعم أطلع أنت فأنت أعرف بصاحبك قال الكلبي وذلك لأن الله تعالى جعل لأهل الجنة كوّة ينظرون منها إلى أهل النار ﴿ فاطلع فرآه ﴾ أي فاطلع هذا المؤمن فرأى قرينه ﴿ في سواء الجحيم ﴾ أي في وسط النار ﴿ قال ﴾ أي فقال له المؤمن ﴿ تالله إن كدت لتردين﴾ هذه إن المخففة من الثقيلة بدلالة مصاحبة لام الابتداء لها في قوله ﴿لتردين﴾ أقسم بالله سبحانه على وجه التعجب إنك كدت تهلكني بما قلته لي ودعوتني إليه حتى يكون هلاكي كهلاك المتردي من شاهق ومنه قوله ﴿ وما يغنى عنه ماله إذا تردّى ﴾ أي تردّى في النار ﴿ ولولا نعمة ربي ﴾ عليّ بالعصمة واللطف والهداية حتى آمنت ﴿ لكنت من المحضرين ﴾ معك في النار ولا يستعمل أحضر مطلقاً إلا في الشر قال قتادة فوالله لولا أن الله عرفه إياه لما كان يعرفه لقد تغيَّر حِبْره وسِبْره أي حُسْنه وسَحناؤه[1] ﴿ أفما نحن بميتين إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعذبين ﴾ معناه أن هذا المؤمن يقول لهذا القرين على وجه التوبيخ والتقريع أليس كنت في الدنيا تقول أنا لا نموت إلا الموتة التي تكون في الدنيا ولا نعذّب فقد ظهر الأمر بخلاف ذلك وقيل أن هذا من قول أهل الجنة بعضهم لبعض على وجه إظهار السرور بدوام نعيم الجنة ولهذا عقّبه بقوله ﴿ إن هذا لهو الفوز العظيم ﴾ معناه فما نحن بميتين في هذه الجنة إلا موتتنا التي كانت في الدنيا وما نحن بمعذّبين كما وعدنا الله تعالى ويريدون به التحقيق لا الشك وإنما قالوا هذا القول لأن لهم في ذلك سروراً مجدّداً وفرحاً مضاعفاً وإن كانوا قد عرفوا أنهم سيخلدون في الجنة وهذا كما أن الرجل يعطي المال الكثير فيقول مستعجباً كل هذا المال لي وهو يعلم أن ذلك له وهذا كقوله :

أَبَطْحَاءُ مَكَّةَ هَذَا الَّذِي أَرَاهُ عَيَانَاً وَهَذَا أَنَا

﴿ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦١﴾ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا

(١) السحناء: الهيئة واللون .

كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا
ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ
مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾
فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾

[اللغة] النزل الريع والفضل يقال لهذا الطعام نُزْل ونُزُل وقيل هي الانزال التي يتقوت بها فتقيم الأبدان وتبقي عليها الأرواح ويقال أقمت للقوم نزلهم أي ما يصلح ان ينزلوا عليه من الغذاء وزعم قطرب ان الزقوم شجرة مرة تكون بتهامة قال أبو مسلم وظاهر التلاوة يدل على ان العرب كانت لا تعرفها فلذلك فسّر بعد ذلك. والطلع حمل النخلة سمّي بذلك لطلوعه والشوب خلط الشيء بما ليس منه وهو شرٌ منه. والحميم الحار الذي يدني من الاحراق المهلك قال

أَحَمَّ اللَّهُ ذٰلِكَ مِنْ لِقَاءٍ أُحَادَ أُحَادَ فِي الشَّهْرِ الحَلَالِ

أي أدناه وحمم ريش الفرخ حين يدنو من الطيران والحميم الصديق القريب أي الداني من القلب وهرع الرجل وأهرع إذا استحثّ فأسرع قال الأزهري الاهراع الاسراع والمهرع الحريص .

[المعنى] ثم قال سبحانه في تمام الحكاية عن قول أهل الجنة ﴿لمثل هذا فليعمل العاملون﴾ أي لمثل هذا الثواب والفوز والفلاح فليعمل العاملون في دار التكليف وقيل انّ هذا من قول الله تعالى أي لمثل هذا النعيم الذي ذكرناه وهو من قوله لهم رزق معلوم إلى قول بيض مكنون فليعمل العاملون هذا ترغيب في طلب الثواب بالطاعة أي من كان يريد أن يعمل لنفع يرجوه فليعمل لمثل هذا النفع العظيم ﴿أذلك خير نزلاً أم شجرة الزقوم﴾ أي أذلك الذي ذكرناه من قرى أهل الجنة وما أعدَّ لهم خير في باب الانزال التي يتقوت بها ويمكن معها الاقامة أم نُزل أهل النار فيها عن الزجاج وقيل معناه أسبب هذا المؤدّى اليه خير أم سبب ذلك لأن الزقوم لا خير فيه وقيل إنما جاز ذلك لأنهم لما عملوا بما أدّى إليه فكأنهم قالوا فيه خير وقيل إنما قال خير على وجه المقابلة فهم مثل قوله اصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً وأحسن مقيلاً وهذا كما يقول الرجل لعبده إن فعلت كذا اكرمتك وإن فعلت كذا

ضربتك هذا خير أم ذلك وإن لم يكن في الضرب خيراً والزقوم ثمر شجرة متكمرة جداً من قولهم ترقم هذا الطعام إذا تناوله على تكرّه ومشقة شديدة وقيل الزقوم شجرة في النار يقتاتها اهل النار لها ثمرة مرة خشنة اللمس منتنة الرائحة وقيل انها معروفة من شجر الدنيا تعرفها العرب وقيل انها لا تعرفه فقد روي ان قريشاً سمعت هذه الآية قالت ما نعرف هذه الشجرة فقال ابن الزبعري الزقوم بكلام البربر التمر والزبد وفي رواية بلغة اليمن فقال أبو جهل لجاريته يا جارية زقمينا فأتته الجارية بتمر وزبد فقال لأصحابه تزقموا بهذا الذي يخوفكم به محمد فيزعم ان النار تنبت الشجرة والنار تحرق الشجرة فأنزل الله سبحانه ﴿إنا جعلناها فتنة للظالمين﴾ أي خبرة لهم افتتنوا بها وكذبوا بكونها فصارت فتنة لهم عن قتادة والزجاج وقيل ان المراد بالفتنة العذاب أي جعلناها شدة عذاب لهم من قوله يوم هم على النار يفتنون أي يعذبون عن الجبائي وأبي مسلم ﴿إنها شجرة تخرج من أصل الجحيم﴾ أي ان الزقوم شجرة تنبت في قعر جهنم وأغصانها ترفع إلى دركاتها عن الحسن ولا يبعد أن يخلق الله سبحانه بكمال قدرته شجرة في النار من جنس النار أو من جوهر لا تأكله النار ولا تحرقه كما أنها لا تحرق السلاسل والاغلال فيها وكما لا تحرق حيّاتها وعقاربها وكذلك الضريع وما أشبه ذلك ﴿طلعها كأنه رؤوس الشياطين﴾ يسأل عن هذا فيقال كيف شبه طلع هذه الشجرة برؤوس الشياطين وهي لا تعرف وإنما يشبه الشيء بما يعرف وأجيب عنه بثلاثة أجوبة (أحدها) ان رؤوس الشياطين ثمرة يقال لها الأستن وإياه عنى النابغة بقوله

تَجِيدُ عَنْ أَسْتَنٍ سُودٍ أَسَافِلُهُ مِثْلُ الإِمَاءِ اللَّوَاتِي تَحْمِلُ الحُزَمَا[1]

وهذه الشجرة تشبه بني آدم قالهِ الأصمعي ويقال له الصوم وانشد

مَوَكَّلٌ بِشُدُوفِ الصُّوْمِ يَرْقُبُهُ مِنَ المَعَازِمِ مَهْضُومُ الحَشَازِرِمِ[2]

يصف وعلا يظنّ هذا الشجر قناصين[3] فهو يرقبه والشُدوف الشُخُوص واحدها شَدْف (وثانياً) ان الشيطان جنس من الحيات فشبّه سبحانه طلع تلك الشجرة برؤوس تلك الحيات انشد الفراء

---

(١) حاد عنه: مال وعدل. والحزمة: ما حزم من الحطب شبّه شجرة الاستن بأمة سوداء تحمل الحطب على رأسها قيل: وضمير تحيد يرجع الى امرأة مذكورة في الاشعار السابقة .

(٢) العرم والعرمة: النقطة السوداء في اذن الشاة الضائنة والمعزى يقال قطيع اعرم اذا كان بين العرم وفي بعض النسخ « من المعازب » وفسره بعض فقال: من المعازب: من حيث يعزب عنه الشيء اي يتباعد، ومهضوم الحشا: ضامره، وزرم ـ ككتف ـ لا يثبت في مكان .

(٣) القناص: الصياد.

عَنْجَرِدٌ تَحْلِفُ حِينَ أَحْلِفُ كَمِثْلِ شَيْطَانِ الحِمَاطِ أَعْرَفُ(١)

أي له عرف وأنشد المبرد

وَفِي البَقْلِ إِنْ لَمْ يَدْفَعِ اللَّهُ شَرَّهُ شَيَاطِينُ يَعْدُو بَعْضُهُنَّ عَلَى بَعْضِ(٢)

(وثالثها) ان قبح صور الشياطين متصوّر في النفوس ولذلك يقولون لما يستقبحونه جدّاً كأنه شيطان فشبّه سبحانه طلع هذه الشجرة بما استقرّت بشاعته في قلوب الناس قال الراجز

أَبْصَرْتُها تَلْتَهِمُ الثُّعْبَانا شَيْطَانَةً تَزَوَّجَتْ شَيْطَانا(٣)

وقال أبو النجم

الرَّأْسُ قُمْلٌ كُلُّهُ وَصِئْبَان وَلَيْسَ فِي الرِّجْلَيْنِ إِلَّا خَيْطَان

وهيَ الَّتي يُفزَعُ مِنْهَا الشَّيْطان

وقال امرؤ القيس

أَتَقْتُلُنِي وَالمُشْرَفِيُّ مَضَاجِعِي وَمَسْنُونَةٌ زُرْقٌ كَأَنْيَابِ أَغْوَالِ

فشبّه اسنّته بأنياب الأغوال ولم يقل أحد أنه رأى الغول وهذا قول ابن عباس ومحمد ابن كعب القرظي وقال الجبائي ان الله تعالى يشوّه خلق الشياطين في النار حتى انه لو رآهم راء من العباد لاستوحش منهم فلذلك شبّه برؤوسهم ﴿فإنهم لآكلون منها﴾ يعني أن أهل النار ليأكلون من ثمرة تلك الشجرة ﴿فمالئون منها البطون﴾ أي يملأون بطونهم منها لشدة ما يلحقهم من ألم الجوع وقد روي ان الله تعالى يجوعهم حتى ينسوا عذاب النار من شدة الجوع فيصرخون إلى مالك فيحملهم الى تلك الشجرة وفيهم أبو جهل فيأكلون منها فتغلي بطونهم كغلي الحميم فيستسقون فيسقون شربة من الماء الحار الذي بلغ نهايته في الحرارة فإذا قربوها من وجوههم شوت وجوههم فذلك قوله يشوي الوجوه فإذا وصل إلى بطونهم صهر ما في بطونهم كما قال سبحانه يصهر ما في بطونهم والجلود فذلك شرابهم وطعامهم

---

(١) امرأة عنجرد. خبيثة سيئة الخلق. والحماط: شجر عظام تنبت في بلاد العرب تسكنها الحيات. شبه الشاعر المرأة بحية له عرف.

(٢) البقل: قوم من العرب. (٣) التهمه: ابتلعه بمرة.

فذلك قوله ﴿ثم إن لهم عليها﴾ زيادة على شجرة الزقوم ﴿لشوبا من حميم﴾ أي خليطاً ومزاجاً من ماء حار يمزج ذلك الطعام بهذا الشراب وقيل إنهم يكرهون على ذلك عقوبة لهم ﴿ثم إن مرجعهم﴾ بعد أكل الزقوم وشراب الحميم ﴿إلى الجحيم﴾ وذلك انهم يوردون الحميم لشربه وهو خارج عن الجحيم كما تورد الابل إلى الماء ثم يردّون إلى الجحيم ويدل على ذلك قوله يطوفون بينها وبين حميم آن والجحيم النار الموقدة والمعنى أن الزقوم والحميم طعامهم وشرابهم والجحيم المسعرة منقلبهم ومأواهم ﴿إنهم ألفوا آباءهم ضالين﴾ أي ان هؤلا الكفار صادفوا آباءهم ذاهبين عن الحق والدين ﴿فهم على آثارهم يهرعون﴾ في الضلال أي يقلّدونهم ويتبعونهم اتباعاً في سرعة وقيل معناه يسرعون عن ابن عباس والحسن وقيل يعملون بمثل أعمالهم عن الكلبي وقيل يستحثّون عن أبي عبيدة .

﴿ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ
الْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ
عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾ وَلَقَدْ
نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ
الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ
فِي الْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ
نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ
أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴿٨٢﴾

[المعنى] ثم أقسم سبحانه فقال ﴿ولقد﴾ اللام هي التي تدخل في جواب القسم وقد للتأكيد ﴿ضلّ قبلهم﴾ أي قبل هؤلاء الكفار الذين هم في عصر النبي ﷺ عن طريق الهدى واتباع الحق ﴿أكثر الأولين﴾ من الأمم الخالية والأكثر هو الأعظم في العدد والأول هو الكائن قبل غيره والأول قبل كل شيء هو الله سبحانه لأن كل ما سواه موجود بعده وفي هذه الآية

دلالة على ان اهل الحق في كل زمان كانوا أقل من أهل الباطل ﴿ولقد أرسلنا فيهم منذرين﴾ من الأنبياء والمرسلين يخوّفونهم من عذاب الله تعالى ويحذّرونهم معاصيه ﴿فانظر كيف كان عاقبة المنذرين﴾ أي من المكذّبين المعاندين للحق والمعنى فانظر يا محمد كيف أهلكتهم وماذا حلّ بهم من العذاب وكذلك يكون عاقبة المكذبين ثم استثنى من المنذرين فقال ﴿إلا عباد الله المخلصين﴾ الذين قبلوا من الأنبياء وأخلصوا عبادتهم لله تعالى فإن الله خلّصهم من ذلك العذاب ووعدهم بجزيل الثواب ﴿ولقد نادانا نوح﴾ أي دعانا نوح بعد ما يئس من إيمان قومه لننصره عليهم وذلك قوله إنّي مغلوب فانتصر ﴿فلنعم المجيبون﴾ نحن لنوح في دعائه أجبناه الى ما سأل وخلّصناه من أذى قومه بإهلاكهم وقيل هو على العموم اي فلنعم المجيبون نحن لمن دعانا ﴿ونجيناه وأهله من الكرب العظيم﴾ أي من المكروه الذي كان ينزل به من قومه والكرب كل غم يصل حرّه إلى الصدر وأصل النجاة من النجوة للمكان المرتفع فهي الرفع من الهلاك وأهله هم الذين نجوا معه في السفينة ﴿وجعلنا ذريته هم الباقين﴾ بعد الغرق فالناس كلهم بعد نوح من ولد نوح عن ابن عباس وقتادة فالعرب والعجم من اولاد سام بن نوح والترك والصقالبة والخزر ويأجوج ومأجوج من أولاد يافث بن نوح والسودان من أولاد حام بن نوح قال الكلبي لمّا خرج نوح من السفينة مات من كان معه من الرجال والنساء إلا ولده ونساؤهم ﴿وتركنا عليه في الآخرين﴾ أي تركنا عليه ذكراً جميلاً وأثنينا عليه في أمة محمد ﷺ فحذف عن ابن عباس ومجاهد وقتادة ومعنى تركنا ابقينا قال الزجاج معناه تركنا عليه الذكر الجميل إلى يوم القيامة وذلك الذكر قوله ﴿سلام على نوح في العالمين﴾ أي تركنا عليه ان يصلى عليه إلى يوم القيامة فكأنه قال وتركنا عليه التسليم في الآخرين ثم فسّر التسليم بقوله سلام على نوح في العالمين وقال الفراء تركنا عليه قولاً وهو أن يقال في آخر الأمم سلام على نوح في العالمين قال الكلبي معناه سلامة منّا على نوح وهذا هو السلام والمراد بقوله اهبط بسلام منا وبركات عليك ﴿إنا كذلك نجزي المحسنين﴾ أي جزيناه ذلك الثناء الحسن في العالمين بإحسانه عن مقاتل وقيل إن معناه مثل ما فعلنا بنوح نجزي كل من أحسن بأفعال الطاعات وتجنب المعاصي ونكافيهم بإحسانهم ﴿إنه من عبادنا المؤمنين﴾ يعني نوحاً وهذه الآية تتضمن مدح المؤمنين حيث خرج من بينهم مثل نوح ﴿ثم أغرقنا الآخرين﴾ أي من لم يؤمن به والمعنى ثم أخبركم اني أغرقت الآخرين .

[النظم] الوجه في اتصال قصة نوح والأنبياء بما قبلها تسلية النبي ﷺ في كفر قومه بأن حالهم معه شبيهة بحال من تقدّم من الأمم مع أنبيائهم وتحذير القوم عن سلوك مثل طريقتهم لئلا يعاقبوا بمثل عقوبتهم .

﴿ * وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ
رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾
أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ
ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾
فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾
مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوٓا۟
إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا
تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا۟
بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى
سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾

[القراءة] قرأ حمزة وحده يُزفون بضم الياء والباقون بفتحها وفي الشواذ قراءة الحسن فراغ عليهم سفقاً وقراءة عبد الله بن زيد يزفون خفيفة الفاء .

[الحجة] زفت الإبل تزف إذا أسرعت وقراءة حمزة يُزفون أي يحملون غيرهم على الزفيف قال الأصمعي ازففت الابل حملتها على أن تزف وهو سرعة المشي ومقاربة الخطو والمفعول محذوف على قراءته وقيل أيضاً ان ازف لغة في زف ولما يزفون بالتخفيف فذهب قطرب إلى انها تخفيف يزفّون كقوله وقرن في بيوتكن أي اقررن قال الهذلي

وَزَفَّتِ الشَّوْلُ مِنْ بَرْدِ الْعَشِيِّ كَمَا ... زَفَّ النَّعَامُ إلىٰ حَفَّانِهِ الرُّوحِ (١)

(١) الشول جمع الشائلة من الابل وهي التي أتى عليها من حملها او وضعها سبعة أشهر، والحفان: فرا النعام والروح جمع الاروح: الواسع بين الفخذين او الرجلين. قال ابن منظور: وكل نعامة روحاء.

والظاهر أن يزفون من وَزَفَ[١] يزف مثل وعد يعد واما قوله سفقا فهو من قولهم سفقت الباب وصفقته والصاد اعرف وروي عن الحسن بالصاد أيضاً .

[اللغة] الشيعة الجماعة التابعة لرئيس لهم وصار بالعرف عبارة عن شيعة علي بن أبي طالب (ع) الذين كانوا معه على أعدائه وبعده مع من قام مقامه من أبنائه وروى أبو بصير عن أبي جعفر (ع) قال ليهنكم الاسم قلت وما هو قال الشيعة قلت ان الناس يعيروننا بذلك قال أما تسمع قول الله سبحانه وإن من شيعته لإبراهيم وقوله فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوّه والروغ الميل من جهة إلى جهة يقال راغ يروغ روغاً وروغاناً أي حاد والرواغ الحياد قال عدي بن زيد

حِينَ لا يَنْفَعُ الرَّوَاغُ وَلا يَنْـ ـفَعُ إلاّ المُضَادِقُ النُّحْرِيرُ

[الإعراب] آلهة بدل من قوله افكا وافكا مفعول تريدون. فما ظنكم ما مبتدأ وظنكم خبره وقوله ضربا مصدر فعل محذوف والتقدير يضربهم ضرباً والباء في قوله باليمين متعلق بذلك المحذوف ويزفون حال من أقبلوا والله خلقكم في موضع نصب على الحال من تعبدون والتقدير أتعبدون ما تنحتون مخلوقين. هب لي مفعوله محذوف أي ولداً .

[المعنى] ثم أتبعه سبحانه وتعالى بقصة إبراهيم (ع) فقال ﴿وإن من شيعته لإبراهيم﴾ أي وإن من شيعة نوح إبراهيم يعني أنه على منهاجه وسنته في التوحيد والعدل واتباع الحق عن مجاهد وقيل ان معناه وان من شيعة محمد ابراهيم كما قال إنا حملنا ذريتهم أي ذرية من هو أب لهم فجعلهم ذرية لهم وقد سبقوهم عن الفراء ﴿إذ جاء ربه بقلب سليم﴾ أي حين صدق الله وآمن به بقلب سليم خالص من الشرك بريء من المعاصي والغل والغش، على ذلك عاش وعليه مات وقيل بقلب سليم من كل ما سوى الله تعالى لم يتعلق بشيء غيره عن أبي عبد الله (ع) ﴿إذ قال لأبيه وقومه﴾ حين رآهم يعبدون الأصنام من دون الله على وجه التهجين لفعالهم والتقريع لهم ﴿ماذا تعبدون﴾ أي أيّ شيء تعبدون ﴿أئفكاً آلهة﴾ الإفك هو اشنع الكذب وأفظعه وأصله قلب الشيء عن جهته التي هي له فلذلك كان الكذب افكاً وإنما قال آلهة على اعتقاد المشركين وتوهّمهم الفاسد في إلهية الاصنام لما اعتقدوا انها تستحق العبادة ثم أكّد التقريع بقوله ﴿دون الله تريدون﴾ أي تريدون عبادة آلهة دون عبادة الرحمن فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه لأن الإرادة لا يصحّ تعلقها إلا

(١) وهو ايضاً بمعني اسرع .

بما يصحُّ حدوثه والاجسام مما لا يصح ان تراد ﴿فما ظنكم برب العالمين﴾ أن يصنع بكم مع عبادتكم غيره وقيل معناه كيف تظنون برب تأكلون رزقه وتعبدون غيره وقيل معناه ما تظنون بربكم انه على أيّ صفة ومن أيّ جنس من أجناس الاشياء حين شبّهتم به هذه الأصنام وفيه إشارة إلى أنه لا يشبه شيئاً ﴿فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم﴾ اختلف في معناه على اقوال (أحدها) انه (ع) نظر في النجوم فاستدلَّ بها على وقت حمى كانت تعتاده فقال اني سقيم أراد انه قد حضر وقت علته وزمان نوبتها فكأنه قال اني سأسقم لا محالة وحان الوقت الذي تعتريني فيه الحمى وقد يسمى المشارف للشيء باسم الداخل فيه قال الله تعالى إنك ميت وإنهم ميّتون ولم يكن نظره في النجوم على حسب ما ينظره المنجمون طلباً للاحكام ومثله قول الشاعر

إِسْهَرِي مَا سَهَرْتِ أُمُّ حَكِيمٍ ... وَاقْعُدِي مَرَّةً لِذَاكَ وَقُومِي
وَافْتَحِي الْبَابَ وَانْظُرِي فِي النُّجُومِ ... كَمْ عَلَيْنَا مِنْ قَطْعِ لَيْلٍ بَهِيمِ

(وثانيها) انه نظر في النجوم كنظرهم لأنهم كانوا يتعاطون علم النجوم فأوهمهم انه يقول بمثل قولهم فقال عند ذلك إني سقيم فتركوه ظنّاً منهم ان نجمه يدلّ على سقمه ويجوز ان يكون الله تعالى اعلمه بالوحي انه سيسقم في وقت مستقبل وجعل العلامة على ذلك إما طلوع نجم على وجه مخصوص او اتصاله بآخر على وجه مخصوص فلما رأى ابراهيم تلك الإمارة قال إني سقيم تصديقاً بما أخبره الله تعالى (وثالثها) ان معناه نظر في النجوم نظر تفكّر فاستدلَّ بها كما قصَّه الله تعالى في سورة الانعام على كونها محدثة غير قديمة ولا آلهة وأشار بقوله إني سقيم على أنه في حال مهلة النظر وليس على يقين من الأمر ولا شفاء من العلم وقد يسمى الشك بأنه سقم كما يسمى العلم بأنه شفاء وإنما زال عنه هذا السقم عند زوال الشك وكمال المعرفة عن أبي مسلم وهذا الوجه ضعيف لأن سياق الآية يمنع منه فإن قوله إذ جاء ربه بقلب سليم إذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون الى هذا الموضع من قصته يبيّن أنه (ع) لم يكن في زمان مهلة النظر وانه كان كامل المعرفة خالص اليقين والبصيرة (ورابعها) ان معنى قوله اني سقيم اني سقيم القلب أو الرأي حزناً من اصرار القوم على عبادة الأصنام وهي لا تسمع ولا تبصر ويكون على هذا معنى نظره في النجوم فكرته في انها محدثة مخلوقة مدبرة وتعجبه كيف ذهب على العقلاء ذلك من حالها حتى عبدوها وما رواه العياشي بإسناده عن أبي جعفر وأبي عبد الله (ع) انهما قالا والله ما كان سقيماً وما كذب فيمكن أن يحمل على احد الوجوه التي ذكرناها ويمكن ان يكون على وجه التعريض بمعنى ان كل من كتب عليه

الموت فهو سقيم وان لم يكن به سقم في الحال وما روي ان ابراهيم (ع) كذب ثلاث كذبات قوله اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله في سارة انها أختي فيمكن أن يحمل أيضاً على المعاريض أي سأسقم وفعله كبيرهم على ما ذكرناه في موضعه وسارة أخته في الدين وقد ورد في الخبر إن في المعاريض لمندوحة عن الكذب والمعاريض ان يقول الرجل شيئاً يقصد به غيره ويفهم عنه غير ما يقصده ولا يكون ذلك كذباً فإن الكذب قبيح بعينه ولا يجوز ذلك على الأنبياء لأنه يرفع الثقة بقولهم جلّ امناء الله تعالى وأصفياؤه عن ذلك وقوله ﴿فتولوا عنه مدبرين﴾ اخبار عن قومه انهم لما سمعوا قوله اني سقيم تركوه وأعرضوا عنه وخرجوا إلى عيدهم ﴿فراغ إلى آلهتهم﴾ معناه فمال إلى أصنامهم التي كانوا يدعونها آلهة ﴿فقال ألا تأكلون﴾ خاطبها وإن كانت جماداً على وجه التهجين لعابديها وتنبيههم على ان من لا يتكلم ولا يقدر على الجواب كيف تصحّ عبادتها وكانوا صنعوا الأصنام طعاماً تقرباً إليها وتبرّكاً بها فلما لم تجيبوه قال ﴿ما لكم لا تنطقون﴾ زيادة في تهجين عابديها كأنهم حاضرون لها اي ما لكم لا تجيبون وفي هذا تنبيه على انها جماد لا تأكل ولا تنطق فهي اخس الأشياء وأقلها ﴿فراغ عليهم ضرباً باليمين﴾ أي فمال على الأصنام يضربها ويكسرها باليد اليمنى لأنها أقوى على العمل عن الربيع بن انس وقيل المراد باليمين القوة كما في قوله « تَلَقّاهَا عَرَابَةُ بِالْيَمِينِ »[1] عن الفراء وهو قول السدي وقيل معناه بالقسم الذي سبق منه وهو قوله وتالله لأكيدن أصنامكم ﴿فأقبلوا اليه يزفون﴾ أي أقبلوا بعد الفراغ من عيدهم إلى إبراهيم يسرعون عن الحسن وابن زيد وقيل يزفون زفيف النعام وهو حالة بين المشي والعدو عن ومجاهد وفي هذا دليل انهم أخبروا بصنيع إبراهيم بأصنامهم فقصدوه مسرعين وحملوه الى بيت أصنامهم وقالوا له أنت فعلت هذا بآلهتنا فأجابهم على وجه الحجاج عليهم بأن ﴿قال أتعبدون ما تنتحون﴾ فهو استفهام معناه الانكار والتوبيخ أي كيف يصحّ أن يعبد الإنسان ما يعمله بيده فإنهم كانوا ينحتون الاصنام بأيديهم ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾ أي وخلق ما علمتم من الأصنام فكيف تدعون عبادته وتعبدون معمولكم وهذا كما يقال فلان يعمل الحصير وهذا الباب من عمل فلان النجار قال الحسن معناه وخلق اصل الحجارة التي تعملون منها الأصنام وهذا يجري مجرى قوله تلقف ما يأفكون وقوله تلقف ما صنعوا في أنه أراد المنحوت من الجسم هنا دون العرض الذي هو النحت كما أراد هناك المأفوك فيه والمصنوع فيه من الحبال والعصي دون العرض الذي هو فعلهم فليس لأهل الجبر تعلق بهذه الآية في الدلالة على ان الله سبحانه خالق لأفعال العباد لأن من المعلوم ان الكفار لم يعبدوا نحتهم

(١) هذا عجز بيت لإشماخ، ونسبه بعض الى حطيئة وصدره « إذا ما راية رفعت لمجد » وقد مر أيضاً .

الذي هو فعلهم وإنما كانوا يعبدن الأصنام التي هي الأجسام وقوله ما تنحتون هو ما يعملون في المعنى على ان مبنى الآية على التقريع للكفار والإزراء عليهم بقبيح فعلهم ولو كان معناه والله خلقكم وخلق عبادتكم لكانت الآية الى ان تكون عذراً لهم اقرب من أن تكون لوماً وتهجيناً ولكان لهم ان يقولوا ولم توبّخنا على عبادتها والله تعالى هو الفاعل لذلك فتكون الحجة لهم لا عليهم ولأنه قد أضاف العمل اليهم بقوله تعملون فكيف يكون مضافاً الى الله تعالى وهذا تناقض ولما لزمتهم الحجة ﴿قالوا ابنوا له بنياناً﴾ قال ابن عباس بنوا حائطاً من حجارة طوله في السماء ثلاثون ذراعاً وعرضه عشرون ذراعاً وملاءوه ناراً وطرحوه فيها وذلك قوله ﴿فألقوه في الجحيم﴾ قال الزجاج كل نار بعضها فوق بعض فهي جحيم وقيل ان الجحيم النار العظيمة ﴿فأرادوا به كيداً﴾ أي حيلة وتدبيراً في اهلاكه واحراقه بالنار ﴿فجعلناهم الاسفلين﴾ بأن أهلكناهم ونجّينا إبراهيم وسلمناه ورددنا كيدهم عنه وقيل بأن اشرفوا عليه فرأوه سالماً وتحققوا ان كيدهم لا ينفذ فيه وعلموا أنهم مغلوبون ﴿وقال﴾ إبراهيم ﴿إني ذاهب إلى ربي﴾ قال ابن عباس معناه مهاجر إلى ربي أي أهجر ديار الكفار وأذهب إلى حيث أمرني الله تعالى بالذهاب إليه وهي الأرض المقدسة وقيل إني ذاهب إلى مرضاة ربي بعملي ونيتي عن قتادة ﴿سيهدين﴾ أي يهدين ربي فيما بعد إلى طريق المكان الذي امرني بالمصير اليه أو إلى الجنة بطاعتي إياه قال مقاتل وهو أول من هاجر ومعه لوط وسارة إلى الشام وإنما قال سيهدين ترغيباً لمن هاجر معه في الهجرة وتوبيخاً لقومه فلما قدم الأرض المقدسة سأل إبراهيم ربه الولد فقال ﴿رب هب لي من الصالحين﴾ أي ولداً صالحاً من الصالحين كما تقول أكلت من الطعام فحذف لدلالة الكلام عليه .

﴿ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ
حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ
أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ
إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾
وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى
ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ

بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ
إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا
الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَارَكْنَا
عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾

[القراءة] قرأ اهل الكوفة غير عاصم ماذا تري بضم التاء وكسر الراء والباقون بفتح التاء والراء وفي الشواذ قراءة الأعمش والضحاك بضم التاء وفتح الراء وروي عن علي (ع) وابن مسعود وابن عباس ومجاهد والضحاك والأعمش وجعفر بن محمد فلما سلّما بغير الف ولام مشددة .

[الحجة] قال ابو علي من فتح التاء فقال ماذا ترى كان مفعول ترى احد الشيئين إما أن يكون ماذا في موضع نصب بأنه مفعول ويكون بمنزلة اسم واحد وإما أن يكون ذا بمنزلة الذي فيكون مفعول ترى الهاء المحذوفة من الصلة ويكون ترى على هذا معناها الرأي وليس ادراك الحاسة كما تقول فلان يرى رأي ابي حنيفة وإذا جعلت ذا بمعنى الذي صار تقديره ما الذي تراه فيصير ما في موضع ابتداء والذي في موضع خبره ويكون المعنى ما الذي تذهب اليه فيما القيت اليك هل تستسلم له وتتلقاه بالقبول اوتأتي غير ذلك ومن قرأ ماذا تُري فيجوز أن يكون ما مع ذا بمنزلة اسم واحد فيكونا في موضع نصب والمعنى أجلدا ترى على ما تحمل عليه أم خوار أو يجوز ان يكون ما مبتدأ وذا بمعنى الذي ويعود اليه الذكر المحذوف من الصلة والفعل منقول من رأى زيد الأمر واربته الشيء إلا انه من باب اعطيت فيجوز الاقتصار على أحد المفعولين دون الآخر كما ان اعطيت كذلك ولو ذكرت المفعول الآخر كان أريت زيداً خالداً وقال ابن جني من قرأ ماذا تُرىٰ فالمعنى ماذا يلقى اليك ويوقع في خاطرك ومن قرأ ماذا تَرَى فالمعنى ماذا تشير به وتدعو إلى العمل بحسبه وهو من قولك ما رأيك في كذا ومنه قوله لتحكم بين الناس بما أراك الله أي بما يحضرك اياه الرأي والخاطر وأما قوله اسلما فمعناه فوّضا وأطاعا وأما سلّما فمن التسليم اي سلّما انفسهما وأراهما كالتسليم باليد لما امرا به ولم يخالفا ما اريد منهما من اجماع ابراهيم الذبح وإسحاق أو إسماعيل الصبر.

[اللغة] التل الصرع ومنه التل من التراب جمعه تلول والتليل العنق لأنه يتل والجبين

ما عن يمين الجبهة وشمالها وللوجه جبينان الجبهة بينهما والذبح بكسر الذال المهيأ لأن يذبح وبفتح الذال المصدر .

[الاعراب] اختلف في جواب لما من قوله فلما اسلما فقيل هو محذوف وتقديره فلما اسلما وتله للجبين وناديناه فازا وظفرا بما ارادا وقيل جوابه ناديناه والواو زائدة. نبياً منصوب بأنه حال من بشرناه وذو الحال إسحاق .

[المعنى] ثم اخبر سبحانه انه استجاب لإبراهيم دعاءه بقوله ﴿فبشرناه بغلام حليم﴾ اي بابن وقور عن الحسن قال وما سمعت الله تعالى نحل عباده شيئاً اجل من الحلم والحليم الذي لا يعجل في الأمر قبل وقته مع القدرة عليه وقيل الذي لا يعجل بالعقوبة قال الزجاج وهذه البشارة تدل على أن الغلام يبقى حتى ينتهي في السن ويوصف بالحلم ثم اخبر سبحانه ان الغلام الذي بشّره به ولد له وترعرع بقوله ﴿فلما بلغ معه السعي﴾ اي شبّ حتى بلغ سعيه سعى ابراهيم عن مجاهد والمعنى بلغ إلى ان يتصرف ويمشي معه ويعينه على اموره قالو وكان يومئذ ابن ثلاث عشرة سنة وقيل يعني بالسعي العمل لله والعبادة عن الحسن والكلبي وابن زيد ومقاتل ﴿قال يا بني إني ارى في المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى﴾ معنى رأى في الكلام على خمسة اوجه (أحدها) ابصر (والثاني) علم نحو رأيت زيداً عالماً (والثالث) ظنّ كقوله تعالى إنهم يرونه بعيداً ونراه قريباً (والرابع) اعتقد نحو قوله .

وَإِنَّا لَقَوْمٌ مَا نَرَى الْقَتْلَ سُبَّةً إِذَا مَا رَأَتْهُ غَامِرٌ وَسَلُولُ

(والخامس) بمعنى الرأي نحو رأيت هذا الرأي وأما رأيت في المنام فمن رؤية البصر فمعنى الآية ان إبراهيم قال لابنه إني ابصرت في المنام رؤياً تأويلها الأمر بذبحك فانظر ماذا تراه أو أيّ شيء ترى من الرأي ولا يجوز أن يكون ترى هاهنا بمعنى تبصر لأنه لم يشر إلى شيء يبصر بالعين ولا يجوز ان يكون بمعنى علم أو ظن أو اعتقد لأن هذه الأشياء تتعدّى إلى مفعولين وليس هنا إلا مفعول واحد مع استحالة المعنى فلم يبق إلا ان يكون من الرأي والأولى ان يكون الله تعالى قد أوحى اليه في حال اليقظة وتعبّده بأن يمضي ما يأمره به في حال نومه من حيث ان منامات الأنبياء لا تكون إلا صحيحة ولو لم يأمره بذلك في حال اليقظة لما كان يجوز ان يعمل على ما يراه في المنام وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس منامات الأنبياء وحي وقال قتادة رؤيا الأنبياء حق إذا رأوا شيئاً فعلوه وقال أبو مسلم رؤيا الأنبياء مع أنّ

جميعها صحيحة ضربان (أحدهما) ان يأتي الشيء كما رأوه ومنه قوله سبحانه لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام الآية (والآخر) ان يكون عبارة عن خلاف الظاهر مما رأوه في المنام وذلك كرؤيا يوسف الأحد عشر كوكباً والشمس والقمر ساجدين وكأن رؤيا ابراهيم من هذا القبيل لكنّه لم يأمن ان يكون ما رآه مما يلزمه العمل به على الحقيقة ولا يسعه غير ذلك فلما اسلما اعلمه الله سبحانه انه صدق الرؤيا بما فعله وفدى ابنه من الذبح بالذبح ﴿قال يا أبت افعل ما تؤمر﴾ أي ما أمرت به ﴿ستجدني إن شاء الله من الصابرين﴾ اي ستصادفني بمشيئة الله وحسن توفيقه ممن يصبر على الشدائد في جنب الله ويسلم لأمره ﴿فلما اسلما﴾ اي استسلما لأمر الله ورضيا به واطاعاه وقيل معناه سلم الأب ابنه لله وسلم الابن نفسه لله ﴿وتله للجبين﴾ أي اضطجعه على جبينه عن الحسن وقيل معناه وضع جبينه على الأرض لئلا يرى وجهه فتلحقه رقة الآباء عن ابن عباس وروي انه قال اذبحني وانا ساجد لا تنظر إلى وجهي فعسى ان ترحمني فلا تذبحني ﴿وناديناه ان يا إبراهيم﴾ تقديره ناديناه بأن يا إبراهيم اي بهذا الضرب من القول ﴿قد صدقت الرؤيا﴾ اي فعلت ما امرت به في الرؤيا ﴿انا كذلك نجزي المحسنين﴾ اي كما جزيناه بالعفو عن ذبح ابنه نجزي من سلك طريقهما في الإحسان بالاستسلام والانقياد لأمر الله ﴿إن هذا لهو البلاء المبين﴾ اي ان هذا لهو الامتحان الظاهر والاختبار الشديد وقيل ان هذا لهو النعمة الظاهرة وتسمى النعمة بلاء بسببها المؤدّي اليها كما يقال لاسباب الموت هي الموت لأنها تؤدّي اليه واختلف العلماء في الذبيح على قولين (أحدهما) انه إسحاق وروي ذلك عن علي (ع) وابن مسعود وقتادة وسعيد بن جبير ومسروق وعكرمة وعطا والزهري والسدي والجبائي والقول الآخر انه إسماعيل عن ابن عباس وابن عمر وسعيد بن المسيب والحسن والشعبي ومجاهد والربيع بن انس والكلبي ومحمد بن كعب القرظي وكلا القولين قد رواه اصحابنا عن أئمتنا (ع) الا ان الأظهر في الروايات انه إسماعيل ويعضده قوله بعد قصة الذبح وبشّرناه بإسحاق نبياً من الصالحين ومن قال انه بشر بنبوة إسحاق فقد ترك الظاهر ولأنه قال في موضع آخر فبشّرناه بإسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب فبشره بإسحاق وبأنه سيولد له يعقوب فكيف يبشّره بذرية إسحاق ثم يأمره بذبح إسحاق مع ذلك وقد صحّ عن النبي ﷺ انه قال انا ابن الذبيحين ولا خلاف انه من ولد إسماعيل والذبيح الآخر هو عبد الله أبوه وحجة من قال انه إسحاق ان اهل الكتابين اجمعوا على ذلك وجوابه ان اجماعهم ليس بحجة وقولهم غير مقبول وروى محمد ابن إسحاق عن محمد بن كعب القرظي قال كنت عند عمر بن عبد العزيز فسألني عن الذبيح فقلت إسماعيل واستدللت بقوله وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين فأرسل الى رجل بالشام

كان يهودياً فاسلم وحسن اسلامه وكان يرى انه من علماء اليهود فسأله عمر بن عبد العزيز عن ذلك وانا عنده فقال إسماعيل ثم قال والله يا امير المؤمنين ان اليهود لتعلم ذلك ولكنهم يحسدونكم معشر العرب على ان يكون ابوكم الذي كان من امر الله فيه ما كان فهم يجحدون ذلك ويزعمون أنه إسحاق لأنّ إسحاق أبوهم وقال الأصمعي سألت أبا عمرو بن العلاء عن الذبيح إسحاق أم إسماعيل فقال يا أصمعي اين ذهب عنك عقلك ومتى كان إسحاق بمكة وإنما كان بمكة إسماعيل وهو بنى البيت مع ابيه والمنحر بمكةلا شك فيه وقد استدل بهذه الآية من اجاز نسخ الشيء قبل وقت فعله فقال ان الله تعالى نهاه عن ذبحه بعد ان امره به وقد اجيب عن ذلك بأجوبة (أحدها) انه سبحانه لم يأمر إبراهيم بالذبح الذي هو فري الاوداج وإنما امره بمقدمات الذبح من الاضجاع وتناول المدية وما يجري مجرى ذلك والعرب قد تسمي الشيء باسم مقدماته ولهذا قال قد صدقت الرؤيا ولو كان امره بالذبح لكان إنما صدق بعض الرؤيا واما الفداء بالذبح فلما كان يتوقعه من الأمر بالذبح ولا يمتنع أيضاً ان يكون فدية عن مقدمات الذبح لأن الفدية لا يجب ان تكون من جنس المفدى ألا ترى ان حلق الرأس قد يفدى بدم ما يذبح وكذلك لبس الثوب المخيط والجماع وغير ذلك (وثانيها) انه (ع) إنما أمر بصورة الذبح وقد فعله لأنه فرى اوداج ابنه ولكنه كلما فرى جزءاً منه وجاوزه إلى غيره عاد في الحال ملتحماً فإن قلت ان حقيقة الذبح هو قطع مكان مخصوص تزول معه الحياة فالجواب ان ذلك غير مسلم لأنه يقال ذبح هذا الحيوان ولم يمت بعد ولو سلمنا ان حقيقة الذبح ذلك لكان لنا ان نحمل الذبح على المجاز للدليل الدال عليه (وثالثها) ان الله تعالى امره بالذبح إلا انه سبحانه جعل على عنقه صفحة من نحاس وكلما أمرّ إبراهيم السكين عليه لم يقطع او كان كلما اعتمد على السكين انقلب على اختلاف الرواية فيه وهذا التأويل يسوغ إذا قلنا انه كان مأموراً بما يجري مجرى الذبح ولا يسوغ إذا قلنا انه امر بحقيقة الذبح لأنه يكون تكليف لما لا يطاق ثم قال سبحانه ﴿وفديناه بذبح عظيم﴾ الفداء جعل الشيء مكان الشيء لدفع الضرر عنه والذبح هو المذبوح وما يذبح ومعناه انا جعلنا الذبح بدلاً عنه كالأسير يفدى بشيء واختلف في الذبح فقيل كان كبشاً من الغنم عن ابن عباس ومجاهد والضحاك وسعيد بن جبير قال ابن عباس هو الكبش الذي تقبل من هابيل حين قربه وقيل فدي بوعل اهبط عليه من ثَبير[1] عن الحسن ولِمَ سمّي عظيماً فيه خلاف قيل لأنه كان مقبولاً عن مجاهد وقيل لأن قدر غيره من الكباش يصغر بالإضافة اليه وقيل لأنه رعى في الجنة اربعين خريفاً عن سعيد

(١) ثبير كامير -: جبل بين مكة وعرفات من اعظم جبال مكة .

ابن جبير وقيل لأنه كان من عند الله كوّنه ولم يكن عن نسل وقيل لأنه فداء عبد عظيم ﴿وتركنا عليه في الآخرين سلام على إبراهيم كذلك نجزي المحسنين إنه من عبادنا المؤمنين﴾ قد مضى تفسير ذلك ﴿وبشرناه بإسحاق﴾ أي بولادة إسحاق ﴿نبياً من الصالحين﴾ أي ولداً نبياً من جملة الأنبياء الصالحين وهذا ترغيب في الصلاح بأن مدح مثله في جلالته بالصلاح ومن قال ان الذبيح إسحاق قال يعني بشرناه بنبوة إسحاق وآتينا إسحاق النبوة بصبره ﴿وباركنا عليه وعلى إسحاق﴾ اي وجعلنا فيما اعطيناهما من الخير والبركة يعني النماء والزيادة ومعناه وجعلنا ما اعطيناهما من الخير دائماً ثابتاً نامياً ويجوز ان يكون اراد كثرة ولدهما وبقاءهم قرناً بعد قرن إلى ان تقوم الساعة ﴿ومن ذريتهما﴾ اي ومن اولاد إبراهيم وإسحاق ﴿محسن﴾ بالإيمان والطاعة ﴿وظالم لنفسه﴾ بالكفر والمعاصي ﴿مبين﴾ بيّن الظلم.

[القصة] من ذهب إلى الذبيح إسحاق ذكر ان ابراهيم لما فارق قومه مهاجراً إلى الشام هارباً بدينه كما حكى الله سبحانه عنه بقوله إني ذاهب إلى ربي سيهديني دعا الله سبحانه ان يهب له ولداً ذكراً من سارة فلما نزل به أضيافه من الملائكة المرسلين إلى المؤتفكة وبشّروه بغلام حليم قال إبراهيم حين بشر به هو إذا له ذبيح فلما ولد الغلام وبلغ معه السعي قيل له أوف بنذرك الذي نذرت فكان هذا هو السبب في أمره (ع) بذبح ابنه فقال إبراهيم (ع) عند ذلك لاسحاق انطلق نقرب قرباناً لله وأخذ سكّيناً وحبلا ثم انطلق معه حتى إذا ذهب به بين الجبال قال له الغلام يا ابه اين قربانك يا بني إني أرى في المنام اني اذبحك الى آخره عن السدي وقيل ان إبراهيم رأى في المنام ان يذبح ابنه إسحاق وقد كان حجّ بوالدته سارة واهله فلما انتهى الى منى رمى الجمرة هو وأهله وأمر سارة فزارت البيت واحتبس الغلام فانطلق به إلى موضع الجمرة الوسطى فاستشاره في نفسه فأمره الغلام ان يمضي ما أمره الله وسلما لأمر الله فأقبل شيخ فقال يا إبراهيم ما تريد من هذا الغلام قال أريد أن أذبحه فقال سبحان الله تريد ان تذبح غلاماً لم يعص الله طرفة عين قط قال إبراهيم ان الله أمرني بذلك قال ربك ينهاك عن ذلك وإنما أمرك بهذا الشيطان فقال إبراهيم لا والله فلما عزم على الذبح قال الغلام يا ابتا خمّر وجهي وشدّ وثاقي قال إبراهيم يا بني الوثاق مع الذبح والله لا اجمعهما عليك اليوم ورفع رأسه إلى السماء ثم انحنى عليه بالمدية وقلب جبرائيل المدية على قفاها واجتر الكبش من قبل ثَبير واجتر الغلام من تحته ووضع الكبش مكان الغلام ونودي من ميسرة مسجد الخيف يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا بإسحاق إنا كذلك نجزي المحسنين ان هذا لهو البلاء المبين قال ولحق إبليس بأم الغلام حين زارت البيت

فقال لها ما شيخ رأيته بمنى قالت ذاك بعلي قال فوصيف رأيته قالت ذاك ابني قال فإني رأيته وقد أضجعه وأخذ المدية ليذبحه قالت كذبت إبراهيم ارحم الناس فكيف يذبح ابنه قال فورب السماء ورب هذه الكعبة قد رأيته كذلك قالت ولم قال زعم ان ربه أمره بذلك قالت حق له ان يطيع ربه فوقع في نفسها انه قد امر في ابنها بأمر فلما قضت نسكها اسرعت في الوادي راجعة إلى منى واضعة يديها على رأسها وهي تقول يا رب لا تؤآخذني بما عملت بأم إسماعيل فلما جاءت سارة واخبرت الخبر قامت إلى ابنها تنظر فرأت إلى أثر السكين خدشاً في حلقه ففزعت واشتكت وكانت بدو مرضها الذي هلكت به رواه العياشي وعلي بن إبراهيم بالإسناد في كتابيهما ومن قال أنّ الذبيح اسماعيل فمنهم محمد بن إسحاق بن يسار وذكر ان إبراهيم كان إذ زار إسماعيل وهاجر حمل على البراق فيغدو من الشام فيقيل بمكة يروح من مكة فيبيت عند أهله بالشام حتى إذا بلغ معه السعي رأى في المنام ان يذبحه فقال له يا بني خذ الحبل والمدية ثم انطلق بنا إلى هذا الشعب لنحتطب فلما خلا ابراهيم بابنه في شعب ثبير اخبره بما قد ذكره الله عنه فقال يا ابت اشدد رباطي حتى لا اضطرب واكفف عني ثيابك حتى لا تنتضح من دمي شيئاً فتراه أمي واشحذ شفرتك واسرع مرّ السكين على حلقي ليكون أهون عليّ فإن الموت شديد فقال له إبراهيم نعم العون أنت يا بني على أمر الله ثم ذكر نحواً مما تقدم ذكره وروى العياشي بإسناده عن بريدة بن معاوية العجلي قال قلت لابي عبد الله (ع) كم كان بين بشارة ابراهيم (ع) بإسماعيل (ع) وبين بشارته بإسحاق قال كان بين البشارتين خمس سنين قال الله سبحانه فبشرناه بغلام حليم يعني إسماعيل وهي اول بشارة بشر الله بها إبراهيم في الولد ولما ولد لابراهيم إسحاق من سارة وبلغ اسحاق ثلاث سنين اقبل إسماعيل (ع) إلى إسحاق وهو في حجر إبراهيم فنحاه وجلس في مجلسه فبصرت به سارة فقالت يا إبراهيم ينحي ابن هاجر ابني من حجرك ويجلس هو في مكانه لا والله لا تجاورني هاجر وابنها في بلاد ابدا فنّحهما عني وكان إبراهيم مكرماً لسارة يعزّها ويعرف حقها وذلك لأنها كانت من ولد الأنبياء وبنت خالته فشقّ ذلك على إبراهيم واغتمّ لفراق إسماعيل (ع) فلما كان في الليل اتى إبراهيم آت من ربه فأراه الرؤيا في ذبح ابنه إسماعيل بموسم مكة فأصبح إبراهيم حزيناً للرؤيا التي رآها فلما حضر موسم ذلك العام حمل إبراهيم هاجر وإسماعيل في ذي الحجة من ارض الشام فانطلق بهما إلى مكة ليذبحه في الموسم فبدأ بقواعد البيت الحرام فلما رفع قواعده خرج إلى منى حاجاً وقضى نسكه بمنى ورجع إلى مكة فطافا بالبيت اسبوعاً ثم انطلقا إلى السعي فلما صارا في المسعى قال إبراهيم (ع) لاسماعيل (ع) يا بني إني أرى في المنام اني اذبحك في موسم عامي هذا فماذا ترى قال يا

أبت افعل ما تؤمر فلما فرغا من سعيهما انطلق به إبراهيم إلى منى وذلك يوم النحر فلما انتهى به إلى الجمرة الوسطى وأضجعه لجنبه الأيسر وأخذ الشفرة ليذبحه نودي ان يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا إلى آخره وفدي إسماعيل بكبش عظيم فذبحه وتصدق بلحمه على المساكين وعن محمد بن مسلم عن أبي جعفر (ع) قال سألته عن كبش إبراهيم (ع) ما كان لونه قال أملح اقرن ونزل من السماء على الجبل الأيمن من مسجد منى بحيال الجمرة الوسطى وكان يمشي في سواد ويأكل في سواد وينظر في سواد ويبعر في سواد ويبول في سواد وعن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله (ع) انه سأل عن صاحب الذبح قال هو إسماعيل وعن زياد بن سوقة عن أبي جعفر (ع) قال سألته عن صاحب الذبح فقال إسماعيل (ع).:

﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ
الْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَآتَيْنَاهُمَا
الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾
وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا
كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾

[اللغة] أصل المن القطع ومنه قوله لهم أجر غير ممنون أي غير مقطوع وحبل منين أي منقطع والنصر المعونة الا ان كل نصر معونة وليس كل معونة نصراً لأن النصر يختص بالمعونة على الأعداء والمعونة عامة.

[المعنى] ثم عطف سبحانه على ما تقدم بذكر موسى وهارون فقال ﴿ولقد منا على موسى وهارون﴾ أي أنعمنا عليهما نعماً قطعت عنهما كل أذية فمنها النبوة ومنها النجاة من آل فرعون ومنها سائر النعم الدينية والدنياوية ﴿ونجيناهما وقومهما﴾ بني إسرائيل ﴿من الكرب العظيم﴾ من تسخير قوم فرعون إياهم واستعمالهم في الأعمال الشاقة وقيل من الغرق ونصرناهم على فرعون وقومه ﴿فكانوا هم الغالبين﴾ القاهرين بعد ان كانوا مغلوبين مقهورين ﴿وآتيناهما الكتاب المستبين﴾ يعني التوراة الداعي إلى نفسه بما فيه من البيان وكذلك كل كتب الله تعالى بهذه الصفة ﴿وهديناهما الصراط المستقيم﴾ أي دللناهما على الطريق

المؤدّي إلى الحق الموصل إلى الجنة ﴿وتركنا عليهما﴾ الثناء الجميل ﴿في الآخرين﴾ بأن قلنا ﴿سلام على موسى وهارون﴾ وقد مرّ القول في ذلك ﴿إنا كذلك﴾ مثل ما فعلنا بهما ﴿نجزي المحسنين﴾ نفعل بالمطيعين نجزيهم ذلك على طاعاتهم وفي هذا دلالة على ان ما ذكره الله كان على وجه الثواب لموسى وهارون ومن تقدم ذكره لأن لفظ الجزاء يفيد ذلك ﴿انهما من عبادنا المؤمنين﴾ أي من جملة عبادنا المصدقين بجميع ما أوجبه الله تعالى عليهم العاملين بذلك .

﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿١٢٥﴾ اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾

[القراءة] قرأ أهل العراق غير ابي عمرو وأبي بكر الله رَبُّكم وربَّ آبائكم الأولين بالنصب والباقون برفع الجميع وقرأ ابن عامر ونافع ورويس عن يعقوب آل يَس بفتح الألف وكسر اللام المقطوعة من ياسين والباقون الْيَاسين بكسر الالف وسكون اللام موصولة بياسين وفي الشواذ قراءة ابن مسعود ويحيى والأعمش والحكم بن عيينة وانَّ ادريس سلام على إدْراسين، وقراءة ابن محيصن وابي رجاء وان الياس وسلام على الياسين بغير همز .

[الحجة] من قرأ اللَّهُ ربُّكم فهو على الاستئناف ومن نصب فعلى البدل من أحسن الخالقين وقال ابو علي من قرأ آل يَس فحجته انها في المصحف مفصولة من يَس وفي فصلها دلالة على ان آل هو الذي تصغيره اهيل وقال الزجاج من قرأ الياسين فإنه جمع الياس جمع هو وأمته المؤمنون وكذلك يجمع ما ينسب إلى الشيء بلفظ الشيء تقول رأيت المسامعة والمهالبة تريد بني المسمع وبني المهلب وكذلك رأيت المهلبين والمسمعين وفيها وجه آخر وهو ان يكون لغتان الياس والياسين وكما قيل ميكال وميكائيل وقال أبو علي هذا لا يصح لأن

ميكال وميكائيل لغتان في اسم واحد وليس أحدهما مفرداً والآخر جمعاً كالياس والياسين وادريس وادراسين ومثله « قَدْنِيَ مِنْ نَصْرِ الْخُبَيْبِينَ قَدِي)[1] أراد عبد الله ومن كان على رأيه فكذلك الياسين وادراسين من كان من شيعته واهل دينه على ارادة ياء النسب التقدير الياسيين وادراسيين فحذف كما حذف من سائر هذه الكلم التي يراد الصفة كالاعجمين والأشعرين.

[الاعراب] سلام في هذه الآي كلها مبتدأ والخبر بعده الجار والمجرور والجملة في موضع المفعول لقوله تركنا ولو اعمل تركنا فيه لقال سلاماً ويجوز ان يكون التقدير وتركنا عليه في الآخرين الثناء الحسن فحذف مفعول تركنا ثم ابتدأ فقال سلام.

[المعنى] ثم بيّن سبحانه قصة الياس فقال ﴿وان إلياس لمن المرسلين﴾ واختلف فيه فقيل هو ادريس عن ابن مسعود وقتادة وقيل هو من انبياء بني إسرائيل من ولد هارون بن عمران ابن عم اليسع عن ابن عباس ومحمد بن إسحاق وغيرهما قالوا انه بعث بعد حزقيل لما عظمت الاحداث في بني إسرائيل وكان يوشع لما فتح الشام بوّأها بني إسرائيل وقسّمها بينهم فأحلّ سبطاً منهم ببعلبك وهم سبط إلياس بعث فيهم نبياً اليهم فأجابه الملك ثم ان امرأته حملته على أن ارتدّ وخالف إلياس وطلبه ليقتله فهرب إلى الجبال والبراري وقيل انه استخلف اليسع على بني إسرائيل ورفعه الله تعالى من بين أظهرهم وقطع عنه لذة الطعام والشراب وكساه الريش فصار انسياً ملكياً أرضياً سماوياً وسلّط الله على الملك وقومه عدوّاً لهم فقتل الملك وامرأته وبعث الله اليسع رسولاً فآمنت به بنو إسرائيل وعظّموه وانتهوا إلى أمره عن ابن عباس وقيل ان إلياس صاحب البراري والخضر صاحب الجزائر يجتمعان في كل يوم عرفة بعرفات وذكر وهب انه ذو الكفل ﴿إذ قال لقومه ألا تتقون﴾ عذاب الله ونقمته بامتثال أوامره واجتناب نواهيه ﴿أتدعون بعلاً﴾ يعني صنماً لهم من ذهب كانوا يعبدونه عن عطا والبعل بلغة اهل اليمن هو الرب والسيد عن عكرمة ومجاهد وقتادة والسدي فالتقدير أتدعون رباً غير الله تعالى ﴿وتذرون أحسن الخالقين﴾ أي تتركون عبادة احسن الخالقين ﴿الله ربكم﴾ اي خالقكم ورازقكم فهو الذي تحق له العبادة ﴿ورب آبائكم الأولين﴾ وخالق من مضى من آبائكم وأجدادكم ﴿فكذبوه﴾ فيما دعاهم اليه ولم يصدّقوه ﴿فإنهم لمحضرون﴾ للحساب أو في العذاب والنار ﴿إلا عباد الله المخلصين﴾ استثنى من جملتهم الذين اخلصوا عبادتهم لله من قومه ﴿وتركنا عليه في الآخرين﴾ فيه القولان اللذان ذكرناهما

(١) هذا صدر بيت وعجزه « ليس الامام بالشحيح الملحد» وقد اختلفت الكلمات في قائله فمنهم من نسبه على صيغة الجمع على انه اراد عبد الله وشيعته، والشحيح: البخيل، والملحد: الذي الحد في الحرم اي ظلم.

﴿سلام على إلياسين﴾ قال ابن عباس آل يَس محمد ﷺ وياسين من أسمائه ومن قرأ الياسين أراد الياس ومن اتبعه وقيل يَس اسم السورة فكأنه قال سلام على من آمن بكتاب الله تعالى والقرآن الذي هو يَس ﴿إنا كذلك نجزي المحسنين﴾ بإحسانهم ﴿انه من عبادنا المؤمنين﴾ المصدقين العاملين بما أوجبناه عليهم .

﴿ وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ * فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾

[القراءة] قرأ جعفر بن محمد الصادق (ع) ويزيدون بالواو والوجه فيه ظاهر .

[اللغة] الغابر الباقي قليلاً بعد ما مضى ومنه الغبار لأنه يبقى بعد ذهاب التراب قليلاً والتدمير الإهلاك على وجه التنكيل والآبق الفار إلى حيث لا يهتدي اليه طالبه وقد ابق يأبق اباقاً والمشحون المملوء والمساهمة المقارعة مأخوذ من القاء السهام ودحضت حجته أي سقطت وأدحضها الله مأخوذ من الدحض وهو الزلق لأنه يسقط المار فيه قال الشاعر «وَحُدْتَ كَمَا حادَ البَعِيرُ عَنِ الدَّحْضِ»[1] والالتقام ابتلاع اللقمة يقال لقمته والتقمه وتلقمه بمعنى

(١) قائله طرفة وقبله «رددت ونجى اليشكري حذاره» وحاد عن الشيء : مال وعدل.

والام الرجل فهو مليم أتى بما يلام عليه قال لبيد.

سَفَهاً عَذَلْتَ وَلُمْتَ غَيْرَ مُلِيمٍ وَهَذاكَ قَبْلَ الْيَوْمِ غَيْرُ حَكِيمٍ

والعراء الفضاء الذي لا يواريه شجر ولا غيره وقيل العراء وجه الأرض الخالي قال :

وَرَفَعْتُ رِجْلاً لا أَخافُ عِثارَها وَنَبَذْتُ بِالْبَلَدِ الْعَراءِ ثِيابِي

واليقطين كل شجرة تبقى من الشتاء إلى الصيف ليس لها ساق قال امية بن أبي الصلت :

فَأَنْبَتَ يَقْطِيناً عَلَيْهِ بِرَحْمَةٍ مِنَ اللّهِ لَوْلا اللّهُ أَلْقِيَ ضاحِياً

وهو يفعيل من قطن بالمكان إذا أقام به إقامة زائل لا إقامة راسخ والقطاني من الحبوب التي تقيم في البيت مثل الحمص والعدس والخلو وأحدها قطنيّة وقطينة .

[الاعراب] مصبحين حال من قوله تمرّون بالليل الجار والمجرور ايضاً في موضع نصب عطفاً عليه تقديره لتمرون عليه مصبحين ومسين ـ دري

[المعنى] ثم عطف سبحانه على ما تقدّم خبر لوط فقال ﴿وان لوطاً لمن المرسلين﴾ اي رسولاً من جملة من ارسله الله إلى خلقه داعياً لهم إلى طاعته ومنبّهاً لهم على وحدانيته ﴿إذ نجيناه واهله اجمعين﴾ إذ يتعلق بمحذوف وكأنه قيل اذكر يا محمد إذ نجيناه اي خلّصناه ومن آمن به من قومه من عذاب الاستئصال ﴿إلا عجوزاً في الغابرين﴾ أي في الباقين الذين اهلكوا استثنى من جملة قومه امرأته فقال ﴿ثم دمرنا الآخرين﴾ اي اهلكناهم ﴿وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل﴾ هذا خطاب لمشركي العرب اي تمرّون في ذهابكم ومجيئكم إلى الشام على منازلهم وقراهم بالنهار وبالليل ﴿أفلا تعقلون﴾ فتعتبرون بهم ومن كثر مروره بموضع العبر فلم يعتبر كان ألوم ممن قلّ ذلك عنه والمعنى أفلا تتفكرون فيما نزل بهم لتجتنبوا ما كانوا يفعلونه من الكفر والضلال والوجه في ذكر قصص الانبياء وتكريرها التشويق إلى مثل ما كانوا عليه من مكارم الأخلاق ومحاسن الخلال وصرف الخلق عما كان عليه الكفار من مساوىء الخصال ومقابح الأفعال ﴿وإن يونس لمن المرسلين إذا أبق إلى الفلك المشحون﴾ أي فرّ من قومه إلى السفينة المملوءة من الناس والاحمال خوفاً من ان ينزل العذاب بهم وهو مقيم فيهم ﴿فساهم﴾ يونس القوم بأن القوا السهام على سبيل القرعة

اي قارعهم ﴿فكان من المدحضين﴾ اي من المقروعين عن الحسن وابن عباس وقيل من المسهومين عن مجاهد والمراد من الملقين في البحر واختلف في سبب ذلك فقيل انهم اشرفوا على الغرق فرأوا انهم ان طرحوا واحداً منهم في البحر لم يغرق الباقون وقيل ان السفينة احتبست فقال الملاحون ان هاهنا عبداً آبقاً فإن من عادة السفينة إذا كان فيها آبق لا تجري فذلك اقترعوا فوقعت القرعة على يونس ثلاث مرات فعلموا انه المطلوب فألقى نفسه في البحر وقيل انه لما وقعت القرعة عليه القوه في البحر ﴿فالتقمه الحوت﴾ أي ابتلعه وقيل ان الله سبحانه اوحى إلى الحوت أني لم أجعل عبدي رزقاً لك ولكني جعلت بطنك مسجداً له فلا تكسرنَّ له عظماً ولا تخدشنَّ له جلداً ﴿وهو مليم﴾ أي مستحق للوم لوم العتاب لا لوم العقاب على خروجه من بين قومه من غير امر ربه وعندنا ان ذلك إنما وقع منه تركاً للمندوب وقد يلام الإنسان على ترك المندوب ومن جوّز الصغيرة على الأنبياء قال قد وقع ذلك صغيره مكفرة واختلف في مدة لبثه في بطن الحوت فقيل كانت ثلاثة أيام عن مقاتل بن حيان وقيل سبعة ايام عن عطا وقيل عشرين يوماً عن الضحاك وقيل اربعين يوماً عن السدي ومقاتل بن سليمان والكلبي ﴿فلولا انه كان من المسبحين﴾ أي كان من المصلين في حال الرخاء فنجاه الله عند البلاء عن قتادة وقيل كان تسبيحه أنه كان يقول لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين عن سعيد بن جبير وقيل من المسبحين أي من المنزهين الله عما لا يليق به ولا يجوز في صفته الذاكرين له ﴿للبث في بطنه إلى يوم يبعثون﴾ أي لصار بطن الحوت قبراً له إلى يوم القيامة ﴿فنبذناه بالعراء﴾ اي فطرحناه بالمكان الخالي الذي لا نبت فيه ولا شجر وقيل بالساحل ألهم الله سبحانه الحوت حتى قذفه ورماه من جوفه على وجه الأرض ﴿وهو سقيم﴾ أي مريض حين القاه الحوت ﴿وأنبتنا عليه شجرة من يقطين﴾ وهو القرع عن ابن مسعود وقيل هو كل نبت يبسط على وجه الأرض ولا ساق له عن ابن عباس والحسن وروي عن ابن مسعود قال خرج يونس من بطن الحوت كهيئة فرخ ليس عليه ريش فاستظل بالشجر من الشمس ﴿وأرسلناه إلى مائة الف أو يزيدون﴾ قيل ان الله سبحانه ارسله إلى اهل نينوى من ارض الموصل عن قتادة وكانت رسالته هذه بعد ما نبذه الحوت عن ابن عباس فعلى هذا يجوز ان يكون ارسل إلى قوم بعد قوم ويجوز ان يكون ارسل إلى الأولين بشريعة فآمنوا بها وقيل في معنى «أو» من قوله او يزيدون وجوه (أحدها) انه على طريق الإبهام على المخاطبين كأنه قال ارسلناه إلى احدى العدتين (وثانيها) ان أو تخيير كأن الراثي خُيِّر بين ان يقول هم مائة الف أو يزيدون عن سيبويه والمعنى انهم كانوا عدداً لو نظر اليهم الناظر لقال هم مائة الف أو يزيدون (وثالثها) ان أو بمعنى الواو كأنه قال ويزيدون عن بعض الكوفيين

وقال بعضهم معناه بل يزيدون وهذان القولان الأخيران غير مرضيين عند المحققين[1] وأجود الأقوال الثاني واختلف في الزيادة على مائة الف كم هي فقيل عشرون الفاً عن ابن عباس ومقاتل وقيل بضع وثلاثون الفاً عن الحسن والربيع وقيل سبعون الفاً عن مقاتل بن حيان ﴿فآمنوا فمتعناهم إلى حين﴾ حكى سبحانه عنهم انهم آمنوا بالله وراجعوا التوبة فكشف عنهم العذاب ومتعهم بالمنافع واللذات إلى انقضاء آجالهم .

﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ
أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ
شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ
لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ
تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأْتُوا
بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُوا بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا
وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا
يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾

[القراءة] قرأ أبو جعفر ونافع برواية إسماعيل وورش من طريق الأصفهاني لكاذبون اصطفى البنات بالوصل والابتداء اصطفى بكسر الهمزة والباقون اصطفى بفتح الهمزة وكذلك ورش من طريق البخاري .

[الحجة] قال ابو علي الوجه الهمز على وجه التقريع لهم بذلك والتوبيخ ويقويه قوله تعالى أم اتخذ مما يخلق بنات وقوله أم له البنات ولكم البنون ألكم الذكر وله الأنثى فكما ان هذه المواضع كلها استفهام كذلك قوله اصطفى البنات ووجه القراءة لاخرى انه على وجه

(١) يعني القول بأن «أو» بمعنى الواو او بمعنى بل على قراءة «أو يزيدون» .

الخبر كأنه اصطفى البنات فيما يقولون كقوله ذق إنك أنت العزيز الكريم أي عند نفسك وفيما كنت تقوله وتذهب اليه ويجوز ان يكون اصطفى البنات بدلا من قوله ولد الله لأن ولادة البنات واتخاذهن اصطفاؤهن فيصير اصطفى بدلا من المثال الماضي كما كان قوله يضاعف له العذاب بدلاً من قوله يلق أثاماً ويجوز ان يكون اصطفى البنات تفسيراً لكذبهم في قوله وإنهم لكاذبون كما ان قوله لهم مغفرة تفسير للوعد ويجوز ان يكون متعلقاً بالقول على انه اريد حرف العطف فلم يذكر واستغني بما في الجملة الثانية من الاتصال بالاولى عن حرف العطف كقوله سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ونحو ذلك .

[المعنى] ثم عاد الكلام إلى الرد على مشركي العرب فقال سبحانه ﴿فاستفتهم﴾ أي سلهم واطلب الحكم منهم في هذه القصة ﴿ألربك البنات ولهم البنون﴾ اي كيف اضفتم البنات إلى الله تعالى واخترتم لأنفسكم البنين وكانوا يقولون إن الملائكة بنات الله على وجه الاصطفاء لا على وجه الولادة ﴿أم خلقنا الملائكة إناثاً﴾ معناه بل خلقنا الملائكة إناثاً ﴿وهم شاهدون﴾ اي حاضرون خلقنا إياهم أي كيف جعلوهم إناثاً ولم يشهدوا خلقهم ثم اخبر عن كذبهم فقال ﴿الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله﴾ حين زعموا ان الملائكة بنات الله تعالى ﴿وإنهم لكاذبون﴾ في قولهم ﴿اصطفى البنات على البنين﴾دخلت همزة الاستفهام على همزة الوصل فسقطت همزة الوصل ومثله قول ذي الرمة

أَسْتَحْدَثَ الرَّكْبُ مِنْ أَشْيَاعِهِمْ خَبَراً أَمْ رَاجَعَ الْقَلْبَ مِنْ أَطْرَابِهِ طَرَبُ

والمعنى كيف يختار الله سبحانه الأدون على الأعلى مع كونه مالكاً حكيماً ثم وبّخهم ﴿فقال مالكم كيف تحكمون﴾ لله بالبنات ولأنفسكم بالبنين ﴿أفلا تذكرون﴾ اي افلا تتّعظون فتنتهون عن مثل هذا القول ﴿أم لكم سلطان مبين﴾ اي حجة بيّنة على ما تقولون وتدّعون وهذا كله انكار في صورة الأستفهام ﴿فأتوا بكتابكم ان كنتم صادقين﴾ المعنى فأتوا بكتابكم الذي لكم فيه الحجة ﴿ان كنتم صادقين﴾ في قولكم والمراد انه دليل لكم على ما تقولونه من جهة العقل لا من جهة السمع ﴿وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً﴾ اختلف في معناه على اقوال (أحدها) ان المراد به قول الزنادقة إن الله وابليس اخوان وان الله تعالى خلق النور والخير والحيوان النافع وابليس خلق الظلمة والشر والحيوان الضار عن الكلبي وعطية (وثانيها) انه قول المشركين ان الملائكة بنات الله وسمى الملائكة جنّة لاستتارهم عن العيون عن مجاهد وقتادة والجبائي (وثالثها) انهم قالوا صاهر الله الجنّ فحدثت الملائكة تعالى الله عن قولهم (ورابعها) انهم اشركوا الشيطان في عبادة الله تعالى فذلك هو النسب الذي جعلوه

بينه وبين الجنة عن الحسن ﴿ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون﴾ اي علمت الملائكة ان هؤلاء الذين قالوا هذا القول محضرون للعذاب يوم القيامة عن السدي وقيل معناه قد علمت الجنة وهم الجن الذين دعوهم انهم محضرون العذاب بدعائهم الى هذا القول ﴿سبحان الله عما يصفون﴾ نزّه سبحانه نفسه عما وصفوه به وأضافوه إليه ﴿الا عباد الله المخلصين﴾ استثنى عباده المخلصين من جملة الكفار القائلين ما لا يليق به .

﴿ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾
مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا
مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ
ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ وَإِن كَانُوا۟ لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا
مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُوا۟ بِهِۦ
فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

[القراءة] في الشواذ قراءة الحسن صال الجحيم بضم اللام .

[الحجة] قال ابن جني كان الشيخ ابو علي يحمله على انه حذف لام صال تخفيفاً واعرب اللام بالضم كما حذفت لام البالية من قولهم ما باليت به بالة وذهب قطرب إلى انه صالُ اي صالون فحذف النون للإضافة والواو لالتقاء الساكنين وحمل على معنى مَنْ لأنه جمع كقوله ومنهم من يستمعون اليك وقال هذا حسن عندي وقول ابي علي مأخوذ به .

[اللغة] الفاتن الداعي إلى الضلال يتزينه واصل الفتنة من قولهم فتنت الذهب بالنار إذا اخرجته إلى حال الخلاص الصالي اللازم للنار المحترق بها والمصطلي المستدفيء بالنار ومنه الصلاة للزوم الدعاء فيها والمصلي الذي يجيء بعد السابق للزومه أثره .

[المعنى] ثم خاطب سبحانه الكفار بأن قال لهم ﴿فإنكم وما تعبدون﴾ وموضع ما نصب عطفاً على الكاف والميم والمعنى إنكم يا معشر الكفار والذي تعبدونه ﴿ما أنتم عليه بفاتنين إلا من هو صال الجحيم﴾ الهاء في عليه إلى ماذا يعود فيه قولان (أحدهما) انه يعود

إلى ما تعبدون والتقدير إنكم وما تعبدونه ما أنتم بفاتنين على عبادته احداً إلا من يصلى الجحيم ويحترق بها بسوء اختياره وقيل معناه ما انتم بمضلّين أحداً اي لا تقدرون على اضلال احد إلّا من سبق في علم الله تعالى ان سيكفر بالله تعالى ويصلى الجحيم (والأخر) ان الضمير في عليه يعود إلى الله تعالى والتقدير ما أنتم على الله وعلى دينه بمضلّين احداً الا من هو صالي الجحيم باختياره وهذا كما يقال لا يهلك على الله هالك وفلان يربح على فلان ويخسر على فلان ﴿وما منّا الا له مقام معلوم﴾ هذا قول جبرائيل للنبي ﷺ وقيل انه قول الملائكة وفيه مضمر اي وما منا معشر الملائكة ملك الا له مقام معلوم في السماوات يعبد الله فيه وقيل معناه انه لا يتجاوز ما امر به ورتب له كما لا يتجاوز صاحب المقام مقامه الذي حدَّ له فكيف يجوز ان يعبد من بهذه الصفة وهو عبد مربوب ﴿وانا لنحن الصافون﴾ حول العرش ننتظر الأمر والنهي من الله تعالى وقيل القائمون صفوفاً في الصلاة قال الكلبي صفوف الملائكة في السماء كصفوف اهل الدنيا في الأرض وقال الجبائي صافون باجنحتنا في الهواء للعبادة والتسبيح ﴿وانا لنحن المسبحون﴾ اي المصلون والمنزهون الرب عما لا يليق به ومنه قوله فرغت من سبحتي اي من صلاتي وذلك لما في الصلاة من تسبيح الله تعالى وتعظيمه والمسبحون القائلون سبحان الله على وجه التعظيم لله ﴿وان كانوا ليقولون﴾ ان هذه هي المخففة من الثقيلة الا ترى ان اللام قد لزم خبرها والمعنى وان هؤلاء الكفار يعني أهل مكة كانوا يقولون ﴿لو ان عندنا ذكراً﴾ اي كتاباً ﴿من الأولين﴾ اي من كتب الأولين التي انزلها على انبيائه وقيل ذكراً اي علماً من الأولين الذين تقدّمونا وما فعل الله بهم فسمّي العلم ذكراً لأن الذكر من اسباب العلم ﴿لكنّا عباد الله المخلصين﴾ الذين يخلصون العبادة لله تعالى فجعلوا العذر في امتناعهم من الإيمان انهم لا يعرفون اخبار من تقدّمهم وهل حصلوا في جنة او نار ﴿فكفروا به﴾ في الكلام حذف تقديره فلما أتاهم الكتاب وهو القرآن كفروا به ﴿فسوف يعلمون﴾ عاقبة كفرهم وهذا تهديد لهم.

﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾
إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ
عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا
يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾

﴿ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾

[المعنى] ثم اقسم سبحانه فقال ﴿ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين﴾ اي سبق الوعد منا لعبادنا الذين بعثناهم الى الخلق ﴿انهم لهم المنصورون﴾ في الدنيا والآخرة على الاعداء بالقهر والغلبة وبالحجج الظاهرة وقيل معناه سبقت كلمتنا لهم بالسعادة ثم ابتدأ فقال انهم اي ان المرسلين لهم المنصورون واللام للتأكيد وهم فصل وقيل عنى بالكلمة قوله كتب الله لأغلبن أنا ورسلي الآية وسميت جملة من الكلام بأنها كلمة لانعقاد بعض معانيه ببعض حتى صار خبراً واحداً وقصة واحدة كالشيء الواحد قال الحسن المراد بالآية نصرتهم في الحرب فإنه لم يقتل نبيّ من الأنبياء قطّ في الحرب وإنما قتل من قتل منهم غيلة او على وجه آخر في غير الحرب وإن مات نبيّ قبل النصرة أو قتل فقد اجرى الله تعالى العادة بأن ينصر قومه من بعده فيكون في نصرة قومه نصرة له فقد تحقق قوله انهم لهم المنصورون وقال السدي المراد بالآية النصر بالحجة ﴿وان جندنا لهم الغالبون﴾ أضاف المؤمنين إلى نفسه ووصفهم بأنهم جنده تشريفاً وتنويهاً بذكرهم حيث قاموا بنصرة دينه وقيل معناه ان رسلنا هم المنصورون لأنهم جندنا وان جندنا هم الغالبون يقهرون الكفار بالحجة تارة وبالفعل أخرى ثم قال لنبيّه ﷺ ﴿فتول عنهم﴾ أي اعرض عن هؤلاء الكفار ﴿حتى حين﴾ اي إلى وقت نأمرك فيه بقتالهم يعني يوم بدر عن مجاهد والسدي وقيل إلى يوم الموت عن ابن عباس وقتادة وقيل إلى يوم القيامة وقيل إلى انقضاء مدة الإمهال ﴿وأبصرهم فسوف يبصرون﴾ اي انظرهم وابصر ما ضيّعوا من أمر الله فسوف يرون العذاب عن ابن زيد وقيل وابصرهم إذا نزل بهم العذاب فسوف يبصرون وقيل وابصر حالهم بقلبك فسوف يبصرون ذلك في القيامة معاينة وفي هذا اخبار بالغيب لأنه وعد نبيّه ﷺ بالنصر والظفر فوافق المخبر الخبر وكأنهم قالوا متى هذا العذاب فأنزل الله ﴿أفبعذابنا يستعجلون﴾ اي يطلبون تعجيل عذابنا ﴿فإذا نزل بساحتهم﴾ اي إذا نزل العذاب بأفنية دورهم كما يستعجلون ﴿فساء صباح المنذرين﴾ اي فبئس الصباح صباح من خوف وحذر فلم يحذر ولم يخف والساحة فناء الدار وفضاؤها الواسع فالمراد ان العذاب لعظمه لا يسعه الا الساحة ذات الفضاء الواسع وقيل نزل بساحتهم اي بدارهم عن السدي وكانت العرب تفاجيء اعداءها بالغارات صباحاً فخرج الكلام على

عادتهم ولأن الله سبحانه أجرى العادة بتعذيب الامم وقت الصباح كما قال ان موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب ﴿وتول عنهم حتى حين وابصر فسوف يبصرون﴾ مضى تفسيره وإنما كررَّ ما سبق للتأكيد وقيل لأن المراد باحدهما عذاب الدنيا وبالآخر بعذاب الآخرة اي فكن على بصيرة من امرك فسوف يكونون على بصيرة من أمرهم حين لا ينفعهم ثم نزَّه سبحانه نفسه عن وصفهم وبهتهم فقال ﴿سبحان ربك رب العزة عما يصفون﴾ اي تنزيهاً لربك مالك العزة يعزّ من يشاء من الأنبياء والاولياء لا يملك احد إعزاز احد سواه فسبحانه عما يصفونه مما لا يليق به من الصفات وهو قولهم باتخاذ الأولاد واتخاذ الشريك ﴿وسلام على المرسلين﴾ اي سلامة وأمان لهم من ان ينصر عليهم أعداؤهم وقيل هو خبر معناه امر اي سلّموا عليهم كلهم لا تفرّقوا بينهم ﴿والحمد لله رب العالمين﴾ اي احمدوا الله الذي هو مالك العالمين وخالقهم والمنعم عليهم واخلصوا له الثناء والحمد ولا تشركوا به احداً فإن النعم كلها منه وروى الاصبغ بن نباتة عن علي (ع) وقد روي ايضاً مرفوعاً إلى النبي ﷺ قال من أراد ان يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه في مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

(٣٨) سورة ص مكية وآياتها ثمان وثمانون

[عدد آيها]

هي ثمان وثمانون آية كوفي وست حجازي بصري شامي وخمس في عدد أيوب بن المتوكل وحده .

[اختلافها] ثلاث آيات ذي الذكر كوفي وغواص غير البصري والحق أقول كوفي وبصري وفي رواية المعلى عن الجحدري وتركها أيوب وهو يوافق الجحدري إلا في هذا الحرف .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

[فضلها] أبيّ بن كعب عن النبي ﷺ قال من قرأ سورة صّ أعطي من الأجر بوزن كل جبل سخّره الله لداود حسنات وعصمه الله أن يصرّ على ذنب صغيراً أو كبيراً وروى العياشي بإسناده عن أبي جعفر (ع) قال من قرأ سورة صّ في ليلة الجمعة أعطي من خير الدنيا والآخرة ما لم يعط أحد من الناس إلا نبي مرسل أو ملك مقرب وأدخله الله الجنة وكل من أحب من أهل بيته حتى خادمه الذي يخدمه وإن كان ليس في حد عياله ولا في حد من يشفع له وأمنه الله يوم الفزع الأكبر .

[تفسيرها] لما ختم الله سبحانه سورة الصافات بذكر القرآن والرسول وانكار الكفار لما دعاهم إليه افتتح هذه السورة بالقرآن ذي الذكر والردّ على الكفار أيضاً فقال :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ صٓ ۚ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ۝ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ

وَشِقَاقٍ ﴿١٠﴾ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا وَّلَاتَ
حِينَ مَنَاصٍ ﴿١١﴾ وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ
هَٰذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴿١٢﴾ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ
عُجَابٌ ﴿١٣﴾

[القراءة] في الشواذ قراءة أبي بن كعب والحسن وابن أبي إسحاق صاد بكسر الدال وقراءة الثقفي صاد بفتح الدال والقراءة[1] بالوقف وهو الصحيح لأن حروف الهجاء يوقف عليها وقراءة عيسى بن عمرو أبي عبد الرحمن السلمي عجاب بتشديد الجيم .

[الحجة] من كسر فلاجتماع الساكنين أو لأنه جعله من المصاداة وهي المعارضة أي عارض القرآن بعملك ومن فتح فلأن الفتحة أخف من الكسرة ويجوز أن يكون من فتح جعل الصاد علماً للسورة فلم يصرفه والعجاب بالتشديد هو المفرط في العجب يقال شيء عجيب ثم عجاب بالتخفيف ثم عجاب بالتشديد كما قالوا رجل وضيء ووضاء وأنشدوا :

وَالْمَرْءُ يُلْحِقُهُ بِفِتْيَانِ النَّدَى خُلُقُ الْكَرِيمِ وَلَيْسَ بالوضَّاءِ

وقال آخر :

جَاؤُوا بِصَيْدٍ عَجَبٍ مِنَ الْعَجَبِ أَزْيَرِقِ الْعَيْنَيْنِ طُوَّالِ الذَّنَبِ

[اللغة] الشقاق والمشاقة الخلاف وأصله أن يصير كل واحد من الفريقين في شق أي في جانب ومنه يقال شق فلان العصا إذا خالف والمناص من النوص وهو التأخر ناص ينوص إذا تأخر وباص يبوص بالباء إذا تقدّم قال امرؤ القيس :

أَمِنْ ذِكْرِ لَيْلَى إِنْ نَأَتْكَ تَنُوصُ فَتُقْصِرُ عَنْهَا خَطْوَةً وتبوصُ

[الإعراب] اختلف في جواب القسم على وجوه (أحدها) أن جوابه محذوف فكأنه قال والقرآن ذي الذكر لقد جاء الحق وظهر الأمر لأن حذف الجواب في مثل هذا أبلغ فإن ذكر الجواب يقصر المعنى على وجه والحذف يصرف إلى كل وجه فيعمّ (والثاني) أن جوابه

(١) أي القراءة المشهورة .

صٓ فإن معناه صدق أقسم سبحانه بالقرآن أن محمداً ﷺ قد صدق والله وفعل والله (والثالث) أن الجواب مما كفى منه قوله ﴿ كم أهلكنا ﴾ وقيل ما كفى منه بل الذين كفروا فكأنه قال والقرآن ذي الذكر ما الأمر كما قالوا واحدهما عن الفراء والآخر عن قتادة (والرابع) أن جوابه كم أهلكنا والتقدير لكم أهلكنا فلما طال الكلام حذف اللام ومثله قد أفلح من زكّاها والتقدير لقد أفلح عن الفراء وهذا غلط لأن اللام لا تدخل على المفعول وكم مفعول (والخامس) أن الجواب في آخر السورة أن ذلك لحقّ تخاصم أهل النار إلا أنه بعد من أول الكلام عن الكسائي ولات حين مناص فيه قولان (أحدهما) أن التاء متصلة بلا وأنهما بمنزلة ليس قال الزجاج ويجوز ولات حين مناص في اللغة فأما النصب فعلى أن المعنى ليس الوقت حين مناص والرفع على أن يجعل حين اسم ليس ويضمر الخبر والمعنى ليس حين ملجأ لنا والوقف عليها لات بالتاء والكسائي يقف بالهاء لاه والأول أصح لأن هذه التاء نظيرة التاء في الفعل نحو ذهبت وفي الحرف نحو رأيت زيداً ثمت عمراً فإنها دخلت في الموضعين على ما لا يعرف ولا هو في طريق الأسماء وقال الأخفش أن لات حين مثل لا رجل في الدار ودخلت التاء في التأنيث قال الشاعر :

تَذَكَّرُ حُبَّ لَيْلى لاتَ حِينًا وَأَضْحَى الشَّيْبُ قَدْ قَطَعَ الْقَرِينا

(والقول الآخر) أن التاء متصلة بحين كما قال الشاعر :

اَلْعَاطِفِينَ تَحِينَ مَا مِنْ عَاطِفٍ وَالْمُطْعِمِينَ زَمَانَ مَا مِنْ مُطْعِمِ

وقد أجازوا الجرّ بلات وأنشدوا لأبي زبيد :

طَلَبُوا صُلْحَنَا وَلَاتَ أَوَانٍ فَأَجَبْنَا أَنْ لَيْسَ حِينُ بَقَاءِ

قال الزجاج والذي أنشدناه أبو العباس المبرد بالرفع وقد روي بالكسر .

[النزول] قال المفسرون أن أشراف قريش وهم خمسة وعشرون منهم الوليد بن المغيرة وهو أكبرهم وأبو جهل وأبيّ وأمية ابنا خلف وعتبة وشيبة ابنا ربيعة والنضر بن الحارث أتوا أبا طالب وقالوا أنت شيخنا وكبيرنا وقد أتيناك لتقضي بيننا وبين ابن أخيك فإنه سفه أحلامنا وشتم آلهتنا فدعا أبو طالب رسول الله ﷺ وقال يا ابن أخي هؤلاء قومك يسألونك فقال ماذا يسألونني قالوا دعنا وآلهتنا ندعك وإلهك فقال ﷺ أتعطوني كلمة واحدة تملكون بها العرب والعجم فقال أبو جهل لله أبوك نعطيك ذلك عشر أمثالها فقال قولوا لا إله إلا الله فقاموا

وقالوا أجعل الآلهة إلهاً واحداً فنزلت هذه الآيات وروي أن النبي ﷺ استعبر ثم قال يا عم والله لو وضعت الشمس في يميني والقمر في شمالي ما تركت هذا القول حتى أنفذه أو أقتل دونه فقال له أبو طالب امض لأمرك فوالله لا أخذلك أبداً .

[المعنى] ﴿ صٓ ﴾ اختلفوا في معناه فقيل هو اسم للسورة وقيل غير ذلك على ما ذكرناه في أول البقرة وقال ابن عباس هو اسم من أسماء الله تعالى أقسم به وروي ذلك عن الصادق (ع) وقال الضحاك معناه صدق وقال قتادة هو اسم من أسماء القرآن فعلى هذا يجوز أن يكون موضعه نصباً على تقدير حذف حرف القسم ويجوز أن يكون رفعاً على تقدير هذه صاد في مذهب من جعله اسماً للسورة ﴿ والقرآن ذي الذكر ﴾ أي ذي الشرف عن ابن عباس يوضحه قوله ﴿ وانه لذكر لك ولقومك ﴾ وقيل معناه ذي البيان الذي يؤدّي إلى الحق ويهدي إلى الرشد لأن فيه ذكر الأدلة التي إذا تفكّر فيها العاقل عرف الحق عقلاً وشرعاً وقيل ذي التذكر لكم عن قتادة وقيل فيه ذكر الله وتوحيده وأسماؤه الحسنى وصفاته العلى وذكر الأنبياء وأخبار الأمم وذكر البعث والنشور وذكر الأحكام وما يحتاج إليه المكلف من الأحكام عن الجبائي ويؤيّده قوله ﴿ ما فرطنا في الكتاب من شيء ﴾ ﴿ بل الذين كفروا ﴾ من أهل مكة ﴿ في عزة ﴾ أي في تكبّر عن قبول الحق وحمية جاهلية عن قتادة ويدلّ عليه قوله ﴿ أخذته العزة بالإثم ﴾ وقيل في ملكة واقتدار وقوة بتمكين الله إياهم ﴿ وشقاق ﴾ أي عداوة وعصيان ومخالفة لأنهم يأنفون عن متابعتك ويطلبون مخالفتك ثم خوّفهم سبحانه فقال ﴿ كم أهلكنا من قبلهم من قرن ﴾ بتكذيبهم الرسل ﴿ فنادوا ﴾ عند وقوع الهلاك بهم بالاستغاثة ﴿ ولات حين مناص ﴾ أي ليس الوقت حين منجى ولا فوت وقيل لات حين نداء ينجي قال قتادة نادى القوم على غير حين النداء ﴿ وعجبوا أن جاءهم منذر منهم ﴾ أي جاءهم رسول من أنفسهم مخوّف من جهة الله تعالى يحذرهم المعاصي وينذرهم النار ﴿ فقال الكافرون هذا ساحر كذاب ﴾ حين يزعم أنه رسول الله ﴿ أجعل الآلهة إلهاً واحداً ﴾ هذا استفهام انكار وتعجيب وذلك أن النبي ﷺ أبطل عبادة ما كانوا يعبدونه من الآلهة مع الله ودعاهم إلى عبادة الله وحده فتعجبوا من ذلك وقالوا كيف جعل لنا إلهاً واحداً بعد ما كنا نعبد آلهة ﴿ إن هذا ﴾ الذي يقوله محمد من أنّ الإله واحد ﴿ لشيء عجاب ﴾ لأمر عجيب مفرط في العجب .

﴿ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ
إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ۝ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ

هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴿٧﴾ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ۖ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ
مِّن ذِكْرِى ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ ﴿٨﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ
رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴿٩﴾ أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا
بَيْنَهُمَا ۖ فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ ﴿١٠﴾

[اللغة] الانطلاق الذهاب بسهولة ومنه طلاقة الوجه والخلق. والاختلاق والفري والافتراء متقارب والارتقاء الصعود من سفل إلى علو درجة درجة قال :

لَوْ لَمْ يَجِدْ سُلَّماً مَا كَانَ مُرْتَقِياً وَالْمُرْتَقَى وَالَّذِي رَقَّاهُ سِيَّانِ

الأسباب جمع سبب والسبب ما يوصل به إلى المطلوب وأسباب السماوات أبوابها قال زهير :

وَمَنْ هَابَ أَسْبَابَ الْمَنَايَا يَنَلْنَهُ وَلَوْ رَامَ أَسْبَابَ السَّمَاءِ بِسُلَّمِ

والفرق بين السبب والعلة في عرف المتكلمين ان السبب ما يوجب ذاتا والعلة ما يوجب صفة.

[الإعراب] ان امشوا أن هذه هي التي تسمى المفسرة بمعنى أي امشوا قال الزجاج ويجوز أن يكون تقديره بأن امشوا أي بهذا القول .

[المعنى] ﴿ وانطلق الملأ منهم ﴾ هذا تمام الحكاية عن الكفار الذين تقدّم ذكرهم أي وانطلق الاشراف منهم ﴿ إن امشوا ﴾ أي يقول بعضهم لبعض امشوا ﴿ واصبروا على آلهتكم ﴾ يعني أنهم خرجوا من مجلسهم الذي كانوا فيه عند أبي طالب وهم يقولون اثبتوا على عبادة آلهتكم واصبروا على دينكم وتحمّلوا المشاق لأجله وقيل أن القائل لذلك عقبه بن أبي معيط ﴿ ان هذا ﴾ الذي نراه من زيادة أصحاب محمد ﴿ لشيء يراد ﴾ أي أمر يراد بنا وقيل معناه أن هذا فساد في الأرض وعن قريب ينزل به الهلاك ونتخلص منه وقيل أن هذا الأمر يراد بنا من زوال نعمة أو نزول شدة لأنهم كانوا يعتقدون في الأصنام أنهم لو تركوا عبادتها أصابهم القحط والشدة ثم حكى عنهم أيضاً بأنهم قالوا ﴿ ما سمعنا بهذا ﴾ الذي يدعونا إليه محمد من التوحيد وخلع الأنداد من دون الله ﴿ في الملة الآخرة ﴾ يعنون في النصرانية لأنها آخر الملل عن ابن عباس قال أن النصارى لا يوحّدون لأنهم يقولون ثالث ثلاثة وقيل يعنون ملة قريش أي في ملة زماننا هذا عن مجاهد وقتادة وقيل معناه ما سمعنا بأن

هذا يكون في آخر الزمان عن الحسن ﴿ ان هذا ﴾ أي ما هذا الذي يقول محمد ﴿ إلا اختلاق ﴾ أي تخرص وكذب وافتعال ثم أنكروا تخصيص الله إياه بالقرآن والنبوة بأن قالوا ﴿ ءأنزل عليه الذكر من بيننا ﴾ أي كيف أنزل على محمد القرآن من بيننا وليس بأكبر سناً منا ولا بأعظم شرفاً فقال سبحانه ﴿ بل هم في شك من ذكري ﴾ أي ليس يحملهم على هذا القول إلا الشك في الذكر الذي أنزلته على رسولي ﴿ بل لما يذوقوا عذاب ﴾ وهذا تهديد لهم والمعنى أنهم سيذوقونه ثم أجابهم عن إنكارهم نبوته بقوله ﴿ أم عندهم خزائن رحمة ربك ﴾ يقول أبأيديهم مفاتيح النبوة والرسالة فيضعونها حيث شاؤوا أي أنها ليست بأيديهم ولكنها بيد ﴿ العزيز ﴾ في ملكه ﴿ الوهاب ﴾ كثير الهبات والعطايا على حسب المصالح فيختار للنبوة من يشاء من عباده ونظيره قوله ﴿ ولقد اخترناهم على علم على العالمين ﴾ ﴿ أم لهم ملك السماوات والأرض وما بينهما ﴾ فيتهيأ لهم أن يمنعوا الله من مراده ﴿ فليرتقوا ﴾ أي إن ادّعوا ذلك فليصعدوا ﴿ في الأسباب ﴾ أي في أبواب السماء وطرقها عن مجاهد وقتادة وقيل الأسباب الحيل أي فليحتالوا في أسباب توصلهم إلى السماوات ليأتوا بالوحي إلى من اختاروا .

﴿ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴿١٥﴾

[القراءة] قرأ أهل الكوفة غير عاصم من فُواق بضم الفاء والباقون بفتحها .

[الحجة] وهما لغتان مثل قَصاص الشعر وقُصاصه وجُمامُ المَكُّوكُ[1] وجَمامه وهو من الافاقة وما بين الرضعتين فواق وقيل بينهما فرق فبالفتح يكون بمعنى الراحة وبالضم بمعنى المهلة والانتظار عن أبي عبيدة والفراء .

[اللغة] هنالك إشارة إلى المكان البعيد وهناك بين البعيد والقريب وهنا للقريب ومثله

(١) المكوك : مكيال معروف لأهل العراق . وقولهم عندي جمام المكوك دقيقاً أي ملؤه .

ذا وذاك وذلك. والأحزاب جمع حزب وهو الجماعة التي تجتمع من كل أوب وقال الزجاج ما لها من فواق أي رجوع وفواق الناقة مشتق من الرجوع أيضاً لأنه يعود اللبن إلى الضرع بين الحلبتين وأفاق من مرضه أي رجع إلى الصحة .

[الإعراب] ما مزيدة في قوله جند ما مثلها في قول الأعشى :

فَأَذْهَبَا مَا إِلَيْكَ أَدْرَكَنِي الْحِلْمُ عِذَاتِي عَنْ هَيْجِكُمْ أَشْغَالِي

وجند مبتدأ وهنالك صفة أي جند ثابت هنالك. ومهزوم خبر مبتدأ ويجوز أن يكون هنالك ظرفاً لمهزوم أي جند مهزوم في ذلك الموضع. كذبت قبلهم قوم نوح يجوز أن يقف على قوله نوح ويكون عاد مبتدأ ما بعده معطوف عليه ويكون أولئك الأحزاب خبراً عن الجميع ويجوز أن يكون الخبر قوله ﴿ ان كل إلا كذَّب الرسل ﴾ ويجوز أن يكون أولئك الأحزاب ابتداء ويقف على قوم لوط .

[المعنى] ثم أخبر سبحانه عن الكفار أنهم سيهزمون ببدر فقال ﴿ جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب ﴾ قال قتادة أخبر الله سبحانه وهو بمكة أنه سيهزم جند المشركين فجاء تأويلها يوم بدر وهنالك إشارة إلى بدر ومصارعهم بها أي هؤلاء الذين يقولون هذا القول جند مهزومون مغلوبون من جملة الكفار الذين تحزّبوا على الأنبياء وأنت منصور عليهم مظفر غالب وقيل هم أحزاب الذين حاربوا نبينا ﷺ يوم الخندق ووجه اتصاله بما قبله أن المعنى كيف يرتقون إلى السماء وهم فرق من قبائل شتّى مهزومون ﴿ كذبت قبلهم ﴾ أي قبل هؤلاء الكفار ﴿ قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد ﴾ وقيل في معناه أقوال (أحدها) أنه كانت له ملاعب من أوتاد يلعب له عليها عن ابن عباس وقتادة وعطا (والثاني) أنه كان يعذب الناس بالأوتاد وذلك أنه إذا غضب على أحد وتد يديه ورجليه ورأسه على الأرض عن السدي والربيع بن أنس ومقاتل والكلبي (والثالث) أن معناه ذو البنيان والبنيان أوتاد عن الضحاك (والرابع) أن المعنى ذو الجنود والجموع الكثيرة بمعنى أنهم يشدّون ملكه ويقوّون أمره كما يقوّي الوتد الشيء عن الجبائي والقتيبي والعرب تقول هو في عزّ ثابت الأوتاد والأصل فيه أن بيوتهم إنما ثبتت بالأوتاد قال الأسود بن يعفر :

وَلَقَدْ غَنَوْا فِيهَا بِأَنْعَمِ عَيْشَةٍ فِي ظِلِّ مُلْكٍ ثَابِتِ الْأَوْتَادِ

(والخامس) أنه سمّي ذو الأوتاد لكثرة جيوشه السائرة في الأرض وكثرة أوتاد خيامهم فعبّر بكثرة الأوتاد عن كثرة الأجناد ﴿ وثمود ﴾ يعني قوم صالح ﴿ وقوم لوط وأصحاب

لئيكة ﴾ وهم قوم شعيب ﴿ أولئك الأحزاب ﴾ لما ذكر سبحانه هؤلاء المكذبين أعلمنا أن مشركي قريش حزب من هؤلاء الأحزاب ومعناه هم الأحزاب حقاً أي أحزاب الشيطان كما يقال هم هم قال :

وَإِنَّ الَّذِي خَانَتْ بِفَلْجٍ دِمَاؤُهُمْ هُمُ الْقَوْمُ كُلُّ الْقَوْمِ يَا أُمَّ خَالِدِ[1]

﴿ وإن كل إلا كذب الرسل ﴾ أي ما كل حزب منهم إلا كذّب الرسل ﴿ فحق عقاب ﴾ أي فوجب عليهم عقابي بتكذيبهم رسلي. ﴿ وما ينظر ﴾ أي وما ينتظر ﴿ هؤلاء ﴾ يعني كفار مكة ﴿ إلا صيحة واحدة ﴾ وهي النفخة الأولى في الصور ﴿ ما لها من فواق ﴾ أي لا يكون لتلك الصيحة إفاقة بالرجوع إلى الدنيا عن قتادة والسدي والمراد أنّ عقوبة أمة محمد ﷺ بعذاب الاستئصال مؤخّرة إلى يوم القيامة وعقوبة سائر الأمم معجّلة في الدنيا كما قال بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمرّ قال الفراء إذا ارتضعت البهيمة أمها ثم تركتها حتى تنزل فتلك الافاقة والفواق ثم قيل لكل راحة وانظار للاستراحة فواق وقيل معناه مالها مثنوية أي صرف ورد عن الضحاك وقيل ما لها من فتور كما يفتر المريض عن ابن زيد .

﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴿١٦﴾ اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ ﴿٢٠﴾

[اللغة] القطّ الكتاب قال الأعشى :

(١) قائله أشهب بن زميلة ونسبه بعض إلى حريث بن مخفض، وحانت أي هلكت. وفلج: موضع بين مكة والبصرة. وأم خالد: اسم امرأة .

وَلَا الْمَلِكُ النُّعْمَانَ يَوْمَ تَقِيتُهُ بِنِعْمَتِهِ يُعْطِي الْقُطُوطَ وَيَأْفِقُ(١)

أي كتب الجوائز واشتقاقها من القط وهو القطع لأنها تقطع النصيب لكل واحد بما كتب فيها والقط النصيب أيضاً قال أبو عبيدة والقط الحساب وفي الأثر أن عمر وزيداً كانا لا يريان ببيع القطوط بأساً إذا خرجت والفقهاء لا يجيزونه وهي الجوائز والأرزاق وقولهم ما رأيته قط أي قطع الدهر الذي مضى .

[المعنى] ﴿ وقالوا ﴾ يعني هؤلاء الكفار الذين وصفهم ﴿ ربنا عجل لنا قطنا ﴾ أي قدّم لنا نصيبنا من العذاب ﴿ قبل يوم الحساب ﴾ قالوه على وجه الإستهزاء بخبر الله عز وجل عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وقيل معناه أرنا حظّنا من النعيم في الجنة حتى نؤمن عن السدي وسعيد بن جبير وقيل لما نزل وأما من أوتي كتابه بيمينه وأما من أوتي كتابه بشماله قالت قريش زعمت يا محمد أنى نؤتى كتابنا بشمالنا فعجّل لنا كتبنا التي نقرؤها في الآخرة إستهزاءً منهم بهذا الوعيد وتكذيباً به عن أبي العالية والكلبي ومقاتل فقال الله سبحانه لنبيّه ﷺ ﴿ اصبر ﴾ يا محمد أي إحبس نفسك ﴿ على ما يقولون ﴾ من تكذيبك فإن وبال ذلك يعود عليهم ﴿ واذكر عبدنا داود ذا الأيد ﴾ أي ذا القوة على العبادة عن ابن عباس ومجاهد وذكر أنه يقوم نصف الليل ويصوم نصف الدهر كان يصوم يوماً ويفطر يوماً وذلك أشدّ الصوم وقيل ذا القوة على الأعداء وقهرهم وذلك لأنه رمى بحجر من مقلاعه صدر رجل فأنفذه من ظهره فأصاب آخر فقتله وقيل معناه ذا التمكين العظيم والنعم العظيمة وذلك أنه كان يبيت كل ليلة حول محرابه ألوف كثيرة من الرجال ﴿ أنه أواب ﴾ أي توّاب راجع عن كل ما يكره الله تعالى إلى كل ما يحب من آب يؤب إذا رجع عن مجاهد وابن زيد وقيل مسبّح عن سعيد بن جبير وقيل مطيع عن ابن عباس ﴿ إنا سخرنا الجبال معه يسبّحن ﴾ لله إذا سبّح ويحتمل أن يكون الله سبحانه خلق في الجبال التسبيح ويمكن أن يكون بنى فيها بنية يأتي فيها التسبيح ﴿ بالعشي والإشراق ﴾ أي بالرواح والصباح ﴿ والطير ﴾ أي وسخّرنا الطير ﴿ محشورة ﴾ أي مجموعة إليه تسبّح الله تعالى معه ﴿ كل ﴾ يعني كل الطير والجبال ﴿ له أواب ﴾ رجّاع إلى ما يريد مطيع له بالتسبيح معه قال الجبائي لا يمتنع أن يكون الله تعالى خلق في الطيور

---

(١) كان النعمان بن منذر ملك العرب من قبل الساسانيين أكاسرة إيران ، واتفق أن أبرويز غضب عليه فطلبه بالمدائن وألقاه تحت أرجل الفيل فداسوه بأرجلهم فمات، وقيل حبسه بخانقين حتى وقع الطاعون فمات فيه في قصة طويلة ذكره الطبري في تاريخه « ج ١ : ٥٩٦ - ٦١٠ » وابن الأثير في الكامل « ج ١ : ١٧١ - ١٧٤ »، يقول الأعشى لم ينج من الموت أحد ولا النعمان ويأفق أي يفضل على أصحابه .

من المعارف ما تفهم به أمر داود (ع) ونهيه فتطيعه فيما يريد منها وإن لم تكن كاملة العقل مكلفة ﴿ وشددنا ملكه ﴾ أي قوّينا ملكه بالحرس والجنود والهيبة وكثرة العدد والعدة ﴿ وآتيناه الحكمة ﴾ وهي النبوة وقيل الإصابة في الأمور وقيل العلم بالله وشرائعه عن أبي العالية والجبائي ﴿ وفصل الخطاب ﴾ يعني الشهود والإيمان وإن البينة على المدعي واليمين على من أنكر لأن خطاب الخصوم لا ينفصل ولا ينقطع إلا بهذا وهو قول الأكثرين وقيل فصل الخطاب هو العلم بالقضاء والفهم عن ابن مسعود والحسن ومقاتل وقتادة وقال البلخي يجوز أن يكون المراد بتسبيح الجبال معه ما أعطاه الله تعالى من حسن الصوت بقراءة الزبور فكان إذا قرأ الزبور أو رفع صوته بالتسبيح بين الجبال ردّت الجبال عليه مثله من الصدى فسمى الله ذلك تسبيحاً .

﴿ *وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾
إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ
بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ
سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ
نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ
ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ
لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟
ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ
رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ ۞ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا
لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾

[القراءة] في الشواذ قراءة أبي رجاء وقتادة ولا تَشطُطْ بفتح التاء وضم الطاء وقراءة

الحسن والأعرج نِعجة ولي نِعجة بكسر النون وقراءة أبي حيوة وعزني بتخفيف الزاي وقراءة عمر بن الخطاب فتناه بتشديد التاء والنون وقراءة قتادة وأبي عمرو وفي بعض الروايات الشاذة فتناه بتخفيف النون .

[الحجة] أما قراءة ولا تَشْطُطْ من شطَّ يَشِطّ ويَشُطُّ إذا بعد قال عنترة :

شَطَّتْ مَزَارَ الْعَاشِقِينَ فَأَصْبَحَتْ عَسِراً عَلَيَّ طِلاَبُكِ ابْنَةَ مَخْرَم (١)

قال ابن جني معناه بَعُدَتْ عن مزار العاشقين ولما بالغ في ذكر استضراره بها خاطبها بذلك لأنه أبلغ فعدل عن لفظ الغيبة إلى لفظ الخطاب فقال طلابك فأما النعجة فهي لغة في النَعْجة ومثله لِقْوَة ولَقْوَة وقوم شَجْعة وشِجْعة أي شجعان وأما عزني بالتخفيف فيمكن أن يكون أصله عزّني غير أنه خفف بحذف الزاي الثانية أو الأولى كما قالوا في مسست وظللت مست وظلت وأما قوله ﴿ فتّناه ﴾ فإنما هو فعّلناه للمبالغة وأما فتناه بتخفيف النون فإن المراد بالتثنية هنا االملكان اللذان إختصما إليه أي إختبراه .

[اللغة] الخصم هو المدعي على غيره حقاً من الحقوق والمنازع له فيه ويعبَّر به عن الواحد والإثنين والجماعة بلفظ واحد لأن أصله المصدر فيقال رجل خصم ورجلان خصم ورجال خصم يقال خاصمته فخصمته أخصمه خصماء والنسور الإتيان من جهة السور يقال تسور فلان الدار إذا أتاها من جهة سورها. والمحراب مجلس الأشراف الذي يحارب دونه لشرف صاحبه ومنه سمى المعملي محراباً وموضع القبلة محراباً واشط الرجل في حكمه إذا جار فهو مشط وشط عليه في السوم يشط شططاً قال :

أَلاَ يَا لَقَوْمِي قَدْ أَشَطَّتْ عَوَاذِلِي وَيَزْعَمْنَ أَنْ أَوْدَى بِحَقِّيَ بَاطِلِي (٢)

[الإعراب] إذ دخلوا بدل من قوله ﴿ إذ تسوَّروا ﴾ وقيل أن التسور في زمان غير زمان الدخول. خصمان خبر مبتدأ محذوف أي نحن خصمان. وقليلٌ ما هم هم مبتدأ وقليل خبره وما زائدة ويجوز أن يكون ما بمعنى الذي وهم مبتدأ والخبر محذوف أي وقليل الذين هم كذلك .

---

(١) هذا بيت من المعلقة يقول: بعدت الحبيبة عن مزار العاشقين فعسر على طلبها ثم التفت إلى الخطاب بها وخاطبها بقوله « طلابك . . . ا.هـ » وفي رواية الزوزني وغيره « حلت بأرض الزائرين فأصبحت . . . ا.هـ » أي نزلت بأرض الأعداء.

(٢) قائله الأحوص .

[المعنى] لمّا ذكر سبحانه أنه آتى داود الحكمة وفصل الخطاب عقّبه بذكر من تخاصم إليه فقال ﴿ وهل أتاك ﴾ يا محمد ﴿ نبأ الخصم ﴾ أي هل بلغك خبرهم والمراد بالإستفهام هنا الترغيب في الإستماع والتنبيه على موضع إخلاله ببعض ما كان ينبغي أن يفعله ﴿ إذ تسوّروا المحراب ﴾ أي حين صعدوا إليه المحراب وأتوه من أعلى سوره وهو مصلاّه وإنما جمعهم لأنه أراد المدعي والمدعى عليه ومن معهما وقد تعلّق به من قال إن أقل الجمع إثنان وأجيب عن ذلك بأنه أراد الفريقين ﴿ إذ دخلوا على داود ففزع منهم ﴾ لدخولهم عليه في غير الوقت الذي يحضر فيه الخصوم من غير الباب الذي كان يدخل الخصوم منه ولأنهم دخلوا عليه بغير إذنه ﴿ قالوا لا تخف خصمان ﴾ أي فقالوا لداود نحن خصمان ﴿ بغى بعضنا على بعض ﴾ فجئناك لتقضي بيننا وذلك قوله ﴿ فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط ﴾ أي ولا تجر علينا في حكمك ولا تجاوز الحق فيه بالميل لأحدنا على صاحبه ﴿ واهدنا إلى سواء الصراط ﴾ أي دلّنا وأرشدنا إلى وسط الطريق الذي هو طريق الحق ثم حكى سبحانه ما قاله أحد الخصمين لصاحبه بقوله ﴿ إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة ﴾ قال الخليل النعجة هي الأنثى من الضأن والبقر الوحشية والشاة الجبلية والعرب تكني عن النساء بالنعاج والظباء والشاة قال الأعشى :

فَرَمَيْتُ غَفْلَةَ عَيْنِهِ عَنْ شَاتِهِ ... فَأَصَبْتُ حَبَّةَ قَلْبِهَا وَطِحَالَهَا[1]

قال عنترة :

يَا شَاةُ مَا قَنَصٍ لِمَنْ حَلَّتْ لَهُ ... حَرُمَتْ عَلَيَّ وَلَيْتَهَا لَمْ تَحْرُمِ[2]

﴿ فقال أكفلنيها ﴾ أي ضمّها إليّ واجعلني كافلها الذي يلزم نفسه القيام بها وحياطتها والمعنى أعطنيها وقيل معناه إنزل لي عنها حتى تصير في نصيبي عن ابن عباس وابن مسعود ومجاهد ﴿ وعزّني في الخطاب ﴾ أي غلبني في مخاطبة الكلام وقيل معناه إنه إذا تكلّم كان أبين منّي وإن بطش كان أشدّ مني وإن دعا كان أكثر مني[3] عن الضحاك ﴿ قال ﴾ داود ﴿ لقد ظلمك بسؤال نعجتك ﴾ معناه إن كان الأمر على ما تدّعيه لقد ظلمك بسؤاله إياك

---

(١) يصف معاشقته بامرأة ذات بعل وأصابته منها بعد انتهاز فرصة ومراقبة طويلة لغفلة بعلها والضمير في « عينه » و « شاته » يرجع إلى زوج تلك المرأة .

(٢) هذا أيضاً من معلقته المشهورة، والقنص : المصيد. يقول : يا هؤلاء اشهدوا شاة قنص لمن حلت له فتعجبوا من حسنها وجمالها لكنها حرمت علي وذكر الزوزني في الحرمة المذكورة في البيت وجهان فراجع إن شئت .

(٣) وفي المخطوطتين هكذا « وإن دعا كان أكثر مني وإن بطش . . . ».

بضم نعجتك ﴿ إلى نعاجه ﴾ فأضاف المصدر إلى المفعول به ﴿ وإن كثيراً من الخلطاء ﴾ أي الشركاء المخالطين جمع الخليط ﴿ ليبغي بعضهم على بعض ﴾ ثم استثنى من جملة الخلطاء الذين يبغي بعضهم على بعض الذين آمنوا فقال ﴿ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ أي فإنهم لا يظلم بعضهم بعضاً ﴿ وقليل ما هم ﴾ أي وقليل هم وما مزيدة ﴿ وظنَّ داود أنما فتنّاه ﴾ أي وعلم داود أنا اختبرناه وابتليناه وقيل إنا شددنا عليه في التعبد عن علي بن عيسى وقيل أراد الظن المعروف الذي هو خلاف اليقين ﴿ فاستغفر ربه ﴾ أي سأل الله سبحانه المغفرة والستر عليه ﴿ وخرَّ راكعاً ﴾ أي صلى الله تعالى ﴿ وأناب ﴾ إليه وقيل سقط ساجداً لله تعالى ورجع إليه وقد يعبّر عن السجود بالركوع قال الشاعر :

فَخَرَّ عَلَىٰ وَجْهِهِ رَاكِعاً وَتَابَ إِلَىَ اللهِ مِنْ كُلِّ ذَنْبِ

قال الحسن إنما قال وخرَّ راكعاً لأنه لا يصير ساجداً حتى يركع وقال مجاهد مكث أربعين يوماً ساجداً لا يرفع رأسه إلا لصلاة مكتوبة يقيمها أو لحاجة لا بدَّ منها ﴿ فغفرنا له ذلك وإن له عندنا لزلفى ﴾ أي قربى وكرامة ﴿ وحسن مآب ﴾ في الجنة واختلف في استغفار داود (ع) من أيّ شيء كان فقيل أنه حصل منه على سبيل الإنقطاع إلى الله تعالى والخضوع له والتذلل بالعبادة والسجود كما حكى سبحانه عن إبراهيم (ع) بقوله والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين وأما قوله ﴿ فغفرنا له ذلك ﴾ فالمعنى أنا قبلناه منه وأثبناه عليه فأخرجه على لفظ الجزاء مثل قوله ﴿ يخادعون الله وهو خادعهم ﴾ وقوله ﴿ الله يستهزىء بهم ﴾ فلما كان المقصود من الاستغفار والتوبة القبول قيل في جوابه غفرنا وهذا قول من ينزّه الأنبياء عن جميع الذنوب من الإمامية وغيرهم ومن جوَّز على الأنبياء الصغائر قال إن استغفاره كان لذنب صغير وقع منه ثم أنهم اختلفوا في ذلك على وجوه (أحدها) أن أوريا بن حيان خطب امرأة وكان أهلها أرادوا أن يزوجوها منه فبلغ داود جمالها فخطبها أيضاً فزوّجوها منه فقدّموه على اوريا فعوتب داود على الحرص على الدنيا عن الجبائي (وثانيها) أنه أخرج أوريا إلى بعض ثغوره فقتل فلم يجزع عليه جزعه على أمثاله من جنده إذ مالت نفسه إلى نكاح امرأته فعوتب على ذلك بنزول الملكين (وثالثها) أنه كان في شريعته أن الرجل إذا مات وخلف امرأة فأولياؤه أحق بها إلا أن يرغبوا عن التزويج بها فحينئذ يجوز لغيرهم أن يتزوج بها فلما قتل اوريا خطب داود (ع) امرأته ومنعت هيبة داود وجلالته أولياءه أن يخطبوها فعوتب على ذلك (ورابعها) أن داود كان متشاغلاً بالعبادة فأتاه رجل وامرأة متحاكمين إليه فنظر إلى المرأة ليعرفها بعينها وذلك نظر مباح فمالت نفسه إليها ميل الطباع

ففصل بينهما وعاد إلى عبادة ربه فشغله الفكر في أمرها عن بعض نوافله فعوتب (وخامسها) أنه عوتب على عجلته في الحكم قبل التثبت وكان يجب عليه حين سمع الدعوى من أحد الخصمين أن يسأل الآخر عما عنده فيها ولا يحكم عليه قبل ذلك وإنما أنساه التثبت في الحكم فزعه من دخولهما عليه في غير وقت العادة وأمّا ما ذكر في القصة أن داود كان كثير الصلاة فقال يا رب فضلت عليَّ إبراهيم فاتّخذته خليلاً وفضّلت عليَّ موسى فكلّمته تكليماً فقال يا داود أنا ابتليناهم بما لم نبتلك بمثله فإن شئت ابتليتك فقال نعم يا رب فابتلني فبينا هو في محرابه ذات يوم إذ وقعت حمامة فأراد أن يأخذها فطارت إلى كوة المحراب فذهب ليأخذها فاطلع من الكوة فإذا امرأة اوريا بن حيان تغتسل فهويها وهمَّ بتزويجها فبعث بأوريا إلى بعض سراياه وأمر بتقديمه أمام التابوت الذي فيه السكينة ففعل ذلك وقتل فلما إنقضت عدتهاتزوَّجها وبنى بها فولد له منها سليمان فبينا هو ذات يوم في محرابه يقرأ إذ دخل عليه رجلان ففزع منهما فقالا لا تخف خصمان بغي بعضنا على بعض إلى قوله ﴿ وقليل ما هم ﴾ فنظر أحد الرجلين إلى صاحبه ثم ضحك فتنبّه داود على أنهما ملكان بعثهما الله إليه في صورة خصمين ليبكتاه على خطيئته فتاب وبكى حتى نبت الزرع من كثرة دموعه فممّا لا شبهة في فساده[1] فإن ذلك مما يقدح في العدالة فكيف يجوز أن يكون أنبياء الله الذين هم أمناؤه على وحيه وسفراؤه بينه وبين خلقه بصفة من لا تقبل شهادته وعلى حالة تنفر عن الاستماع إليه والقبول منه جلَّ أنبياء الله عن ذلك وقد روي عن أمير المؤمنين (ع) أنه قال لا أوتي برجل يزعم أن داود تزوج امرأة أوريا إلا جلّدته حدّين حداً للنبوة وحدّاً للإسلام وقال أبو مسلم لا يمتنع أن يكون الداخلان على داود كانا خصمين من البشر وأن يكون ذكر النعاج محمولاً على الحقيقة دون الكناية وإنما خاف منهما لدخولهما من غير إذن وعلى غير مجرى العادة وإنما عوتب على أنه حكم بالظلم على المدعي عليه قبل أن يسأله .

﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ

(١) جواب « أما » في قوله « وأما ذكر في القصة أن داود . . . ».

شَدِيدُۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ
وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟
مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كِتَٰبٌ
أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟
ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾

[القراءة] قرأ أبو جعفر والأعمش والبرجمي لتدبروا بالتاء وتخفيف الدال والباقون بالياء وتشديد الدال .

[الحجة] لتدبروا أصله لتتدبروا فحذفت التاء الثانية التي هي فاء الفعل وقوله ﴿ ليدَّبروا ﴾ أصله ليتدبروا فأدغم التاء في الدال .

[اللغة] الخليفة هو المدبر للأمور من قبل غيره بدلاً من تدبيره وفلان خليفة الله في أرضه معناه أنه جعل إليه تدبير عباده بأمره .

[المعنى] ثم ذكر سبحانه إتمام نعمته على داود (ع) بقوله ﴿ يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض ﴾ أي صيَّرناك خليفة تدبر أمور العباد من قبلنا بأمرنا وقيل معناه جعلناك خلف من مضى من الأنبياء في الدعاء إلى توحيد الله تعالى وعدله وبيان شرائعه عن أبي مسلم ﴿ فاحكم بين الناس بالحق ﴾ أي افصل أمورهم بالحق وضع كل شيء موضعه ﴿ ولا تتبع الهوى ﴾ أي ما يميل طبعك إليه ويدعو هواك إليه إذا كان مخالفاً للحق ﴿ فيضلّك عن سبيل الله ﴾ معناه إنك إذا اتبعت الهوى عدل الهوى بك عن سبيل الحق الذي هو سبيل الله ﴿ إن الذي يضلّون عن سبيل الله ﴾ أي يعدلون عن العمل بما أمرهم الله ﴿ لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب ﴾ أي لهم عذاب شديد يوم الحساب بتركهم طاعات الله في الدنيا عن عكرمة والسدي ويكون على هذا يتعلق يوم الحساب بعذاب شديد وقيل معناه لهم عذاب شديد بأعراضهم عن ذكر يوم القيامة فيكون يوم متعلقاً بنسوا ﴿ وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلاً ﴾ لا غرض فيه حكمي بل خلقناهما لغرض حكمي وهو ما في

ذلك من إظهار الحكمة وتعريض أنواع الحيوان للمنافع الجليلة وتعريض العقلاء منهم للثواب العظيم وهذا ينافي قول أهل الجبر أن كل باطل وضلال فهو من فعل الله ﴿ ذلك ظن الذين كفروا ﴾ بالله وجحدوا حكمته ﴿ فويل للذين كفروا من النار ﴾ ظاهر المعنى ثم قال سبحانه على وجه التوبيخ للكفار على وجه الاستفهام ﴿ أم نجعل الذين آمنوا ﴾ معناه بل أنجعل الذين صدقوا الله ورسله ﴿ وعملوا الصالحات ﴾ والطاعات ﴿ كالمفسدين في الأرض ﴾ العاملين بالمعاصي ﴿ أم نجعل المتقين كالفجار ﴾ أي بل أنجعل المتقين الذين اتقوا المعاصي لله خوفاً من عقابه كالفجار الذين عملوا بالمعاصي وتركوا الطاعات أي أن هذا لا يكون أبداً ثم خاطب سبحانه نبيه ﷺ فقال ﴿ كتاب أنزلناه إليك مبارك ﴾ أي هذا القرآن كتاب منزل إليك مبارك أي كثير نفعه وخيره فإن في التدين به يستبين الناس ما أنعم الله عليهم ﴿ ليدبروا آياته ﴾ أي ليتفكر الناس ويتعظوا بمواعظه ﴿ وليتذكر أولو الألباب ﴾ أي أولو العقول فهم المخاطبون به .

﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾
إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ
أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى ۖ حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾
رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا
سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ
لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾
فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾
وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى
ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾
وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾

[اللغة] الصافنات جمع الصافنة من الخيل وهي التي تقوم على ثلاث قوائم وترفع إحدى يديها حتى تكون على طرف الحافر يقال صفنت الخيل تصفن صفونا إذا وقفت كذلك قال الشاعر :

أِلِفَ الصُّفُونَ فَلا يَزال كَأَنَّهُ مِمَّا يَقُومُ عَلَى الثَّلاثِ كَسِيراً[1]

والجياد جمع جواد والياء هاهنا منقلبة عن واو والأصل جواد وهي السراع من الخيل كأنها تجود بالركض وقيل هو جمع جود فيكون مثل سنوط وسياط والكرسي السرير وأصله من التكرس وهو الإجتماع ومنه الكراسة لاجتماعها والرخاء الريح اللينة وهي من رخاوة المرور وسهولته والأصفاد جمع صفد وهو الغل ومنه يقال للعطاء صفد لأنه يرتبط بشكره كما قيل « وَمَنْ وَجَدَ الإِحْسَانَ قَيْداً تَقَيُّداً »[2].

[الإعراب] حب الخير نصب على أنه مفعول به والتقدير إخترت حب الخير وعن في قوله عن ذكر ربي بمعنى على وعلى هذا فيكون أحببت بمعنى استحببت مثل ما في قوله ﴿ الذين يستحبّون الحياة الدنيا على الآخرة ﴾ أي يؤثرونها وقال أبو علي أحببت بمعنى قعدت ولزمت من قولهم أحبّ البعير إذا برك وقوله ﴿ حب الخير ﴾ مفعول له أي لزمت الأرض لحب الخير معرضاً عن ذكر ربي فعن في موضع نصب على الحال وذكر مصدر مضاف إلى المفعول ويجوز أن يكون مضافاً إلى الفاعل أي عما ذكرني ربي حيث أمرني في التوراة بإقامة الصلاة توارت بالحجاب أي توارت الشمس ولم يجر لها ذكر لأنه شيء قد عرف كقوله سبحانه ﴿ إنا أنزلناه ﴾ يعني القرآن ولم يجر له ذكر وقوله كل من عليها فإن يعني الأرض قال الزجاج في الآية دليل يدل على الشمس وهو قوله ﴿ إذا عرض عليه ﴾ فهو في معنى عرض عليه بعد زوال الشمس حتى توارت الشمس بالحجاب قال وليس يجوز الإضمار إلا أن يجري ذكر أو دليل بمنزلة الذكر وقوله ﴿ مسحا ﴾ مصدر فعل محذوف وهو خبر طفق التقدير فطفق يمسح مسحاً وقوله ﴿ رخاء ﴾ منصوب على الحال والعامل فيه تجري فهو حال من حال لأن تجري في محل نصب بكونه حالاً وكل بناء بدل من الشياطين بدل البعض من الكل وقوله ﴿ بغير حساب ﴾ في موضع نصب على الحال تقديره غير محاسب .

[المعنى] ثم عطف سبحانه على قصة داود (ع) حديث سليمان فقال ﴿ ووهبنا

---

(١) يقول ألف الفرس الوقوف على ثلاث أرجل واعتاده بحيث لو تراه فكأنه مكسور الرجل .

(٢) عجز بيت نسوب إلى المتنبي قاله في مدح سيف الدولة وقبله « وقيدت نفسي في ورائك محبة » .

لداود سليمان ﴾ أي وهبناه له ولداً ﴿ نعم العبد ﴾ أي نعم العبد سليمان ﴿ أنه أواب ﴾ أي رجاع إلى الله تعالى في أمور دينه إبتغاء مرضاته ﴿ إذ عرض عليه ﴾ يجوز أن يتعلق إذ بنعم العبد أي نعم العبد هو حين عرض عليه ويجوز أن يتعلق باذكر يا محمد المحذوف لدلالة الكلام عليه ﴿ بالعشي ﴾ أي في آخر النهار بعد زوال الشمس ﴿ الصافنات ﴾ الخيل الواقفة على ثلاث قوائم الواضعة طرف السنبك الرابع على الأرض ﴿ الجياد ﴾ السريعة المشي الواسعة الخطو قال مقاتل أنه ورث من أبيه ألف فرس وكان أبوه قد أصاب ذلك من العمالقة وقال الكلبي غزا سليمان دمشق ونصيبين فأصاب ألف فرس وقال الحسن كانت خيلاً خرجت من البحر لها أجنحة وكان سليمان قد صلّى الصلاة الأولى وقعد على كرسيه والخيل تعرض عليه حتى غابت الشمس ﴿ فقال أني أحببت حب الخير عن ذكر ربي ﴾ والمراد بالخير الخيل هنا فإن العرب تسمي الخيل الخير عن قتادة والسدي فالمعنى آثرت حب الخيل من ذكر ربي أي على ذكر ربي قال الفراء كل من أحب شيئاً فقد آثره وفي قراءة ابن مسعود حب الخيل وسمى النبي ﷺ زيد الخيل زيد الخير وقال ﷺ الخير معقود بنواصي الخيل إلى يوم القيامة وقيل معناه حب المال عن سعيد بن جبير والخيل مال والخير بمعنى المال كثير في التنزيل وقيل إن هذه الخيل كانت شغلته عن صلاة العصر حتى فات وقتها عن علي (ع) وقتادة والسدي وفي روايات أصحابنا أنه فاته أول الوقت وقال الجبائي لم يفته الفرض وإنما فاته نفل كان يفعله آخر النهار لاشتغاله بالخيل وقيل إن ذكر ربي كناية عن كتاب الله التوراة فالمعنى إني أحببت الخيل عن كتاب الله وكما أن ارتباط الخيل ممدوح في كتابنا كذلك كان في كتابهم عن أبي مسلم ﴿ حتى توارت بالحجاب ﴾ أي غربت الشمس عن ابن مسعود وجماعة من المفسرين وجاز وإن لم يجز للشمس ذكر كما قال لبيد :

حَتّى إذا أَلْقَتْ يَداً فِي كَافِرٍ وَأَجَنَّ عَوْراتِ الثُّغُورِ ظَلامُها[1]

وقيل الضمير للخيل يعني حتى توارت الخيل بالحجاب بمعنى انها شغلت فكره إلى تلك الحال وهي غيبوبتها عن بصره وذلك بأنه أمر باجراء الخيل فأجريت حتى غابت عن بصره عن أبي مسلم وعلي بن عيسى ﴿ردوها علي﴾ أي قال لأصحابه ردّوا الخيل عليّ عن

(١) البيت من المعلقات يصف اشرافه على الاعداء وصعوده جبلاً ووقوفه على الجبل الى غروب الشمس. والكافر الليل. والاجنان: الستر. والثغر: موضع المخافة وعورته: اشده مخافة، يقول: حتى اذا القت الشمس يدها في الليل اي ابتدأت في الغروب وعبر عن هذا المعنى بالقاء اليد، لإن يعنى ابتدأ بالشمس قبل القاء يده فيه، وستر الظلام.

أكثر المفسرين وقيل معناه انه سأل الله تعالى أن يردّ الشمس عليه فردّها عليه حتى صلى العصر فالهاء في ردّوها كناية عن الشمس عن علي بن أبي طالب (ع) ﴿فطفق مسحاً بالسوق والاعناق﴾ قيل فيه وجوه (أحدها) ان المسح هاهنا القطع والمعنى أنه أقبل يضرب سوقها وأعناقها لأنها كانت سبب فوت صلاته عن الحسن ومقاتل وقال أبو عبيدة تقول العرب مسح علاوته أي ضرب عنقه وقيل انه إنما فعل ذلك لأنها كانت أعزّ ماله فتقرّب إلى الله تعالى بأن ذبحها ليتصدّق بلحومها ويشهد بصحته قوله لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون (وثانيها) ان معناه فجعل يمسح اعراف خيله وعراقيبها بيده حبّاً لها عن ابن عباس والزهري وابن كيسان قال ابن عباس سألت علياً (ع) عن هذه الآية فقال ما بلغك فيها يا ابن عباس قلت سمعت كعباً يقول اشتغل سليمان بعرض الافراس حتى فاتته الصلاة فقال ردّوها عليّ يعني الافراس كانت أربعة عشر فأمر بضرب سوقها وأعناقها بالسيف فقتلها فسلبه الله ملكه أربعة عشر يوماً لأنه ظلم الخيل بقتلها فقال علي (ع) كذب كعب لكن اشتغل سليمان بعرض الافراس ذات يوم لأنه أراد جهاد العدو حتى توارت الشمس بالحجاب فقال بأمر الله تعالى للملائكة الموكلين بالشمس ردّوها عليّ فردّت فصلى العصر في وقتها وان أنبياء الله لا يظلمون ولا يأمرون بالظلم لأنهم معصومون مطهرون (وثالثها) انه مسح اعناقها وسوقها وجعلها مسبلة في سبيل الله تعالى وقيل لتغلب ان قطرباً يقول مسحها وبارك عليها فأنكر ذلك وقال القول ما قال الفراء انه ضرب اعناقها وسوقها ثم قال سبحانه ﴿ولقد فتنا سليمان﴾ أي اختبرناه وابتليناه وشددنا المحنة عليه ﴿وألقينا على كرسيه جسداً﴾ أي وطرحنا عليه جسداً والجسد الذي لا روح فيه ثم أناب سليمان واختلف العلماء في زلته وفتنته والجسد الذي القي على كرسيه على أقوال «منها» ان سليمان قال يوماً في مجلسه لأطوفنّ الليلة على سبعين امرأة تلد كل امرأة منهن غلاماً يضرب بالسيف في سبيل الله ولم يقل ان شاء الله فطاف عليهن فلم تحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشق ولد رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ قال ثم قال فوالذي نفس محمد بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرساناً الجسد الذي القي على كرسيه كان هذا ثم أناب الى الله تعالى وفزع إلى الصلاة والدعاء على وجه الانقطاع اليه سبحانه وهذا لا يقتضي انه وقع منه معصية صغيرة ولا كبيرة لأنه وان لم يستثن ذلك لفظاً فلا بدّ من أن يكون قد استثناه ضميراً واعتقاداً اذ لو كان قاطعاً للقول بذلك لكان مطلقاً لما لا يأمن من ان يكون كذباً الا أنه لما لم يذكر لفظة الاستثناء عوتب على ذلك من حيث ترك ما هو مندوب اليه «ومنها» ما روي ان الجن والشياطين لما ولد لسليمان ابن قال بعضهم لبعض ان عاش له ولد لنلقين منه ما لقينا من أبيه من البلاء فأشفق منهم عليه

فاسترضعه في المزن وهو السحاب فلم يشعر الا وقد وضع على كرسيه ميتاً تنبيهاً على ان الحذر لا ينفع عن القدر فإنما عوتب على خوفه من الشياطين عن الشعبي وهو المروي عن أبي عبد الله (ع) « ومنها » أنه ولد له ولد ميت جسد بلا روح فألقي على سريره عن الجبائي ومنها ان الجسد المذكور هو جسد سليمان لمرض امتحنه الله تعالى به وتقدير الكلام وألقينا منه على كرسيه جسداً لشدّة المرض فيكون جسداً منصوباً على الحال والعرب تقول في الإنسان اذا كان ضعيفاً هو جسد بلا روح ولحم على وضم ﴿ثم أناب﴾ أي رجع الى حال الصحة عن أبي مسلم واستشهد على ذلك بقوله تعالىٰ ومنهم من يستمع اليك الى قوله يقول الذين كفروا ان هذا الا اساطير الأولين ولو اتى بالكلام على شرحه لقال يقول الذين كفروا منهم أي من المجادلين كما قال سبحانه محمد رسول الله الى قوله وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة ومثله قول الأعشى

وَكَأَنَّ السُّمُوطَ عَلَّقَهَا السَّلْـ ـكُ بِعَطْفَيْ جَيْذاء أُمِّ غَزَالِ[1]

ولو أتى بالشرح لقال علّقها السلك منها وقال كعب بن زهير

زَالُوا فَمَا زَالَ أَنْكَاسٌ وَلَا كُشُفٌ عِنْدَ اللِّقَاءِ وَلَا مِيلٌ مَعَازِيلُ[2]

ولو أتى بالشرح لقال فما زال منهم انكاس واما ما ذكر عن ابن عباس انه ألقي شيطان اسمه صخر على كرسيه وكان مارداً عظيماً لا يقوى عليه جميع الشياطين وكان نبي الله سليمان لا يدخل الكنيف بخاتمه فجاء صخر في صورة سليمان حتى أخذ الخاتم من امرأة من نسائه وأقام أربعين يوماً في ملكه وسليمان هارب وعن مجاهد ان شيطاناً اسمه آصف قال له سليمان كيف تفتنون الناس قال أرني خاتمك أخبرك بذلك فلما اعطاه اياه نبذه في البحر فذهب ملكه وقعد الشيطان على كرسيه ومنعه الله تعالى نساء سليمان فلم يقربهن وكان سليمان يستطعم فلا يطعم حتى أعطته امرأة يوماً حوتاً فشقّ بطنه فوجد خاتمه فيه فردّ الله عليه ملكه وعن السدي ان اسم ذلك الشيطان حيقيق وما ذكر ان السبب في ذلك ان الله سبحانه

---

(١) قيل: يعني كأن العقد من هذه المرأة معلق على جيد ظبية .

(٢) هذا بيت من قصيدة لامية له قالها في مدح النبي ﷺ وقبل هذا البيت ببيت قوله « ان الرسول لنور يستضاء به * مهند من سيوف الله مسلول ». الانكاس جمع نكس: الضعيف. والكشف جمع اكشف: الذي لا ترس معه والميل جمع اميل: الذي لا سيف معه، والمعازيل الذي لا سلاح معهم. يصف اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله عند الهجر من مكة وقوله « زالوا » اي تحولوا وانتقلوا وليس فيهم من هذه صفته، بل هم اقوياء ذو سلاح فرسان عند اللقاء .

أمره بأن لا يتزوج في غير بني إسرائيل فتزوّج من غيرهم وقيل بل السبب فيه انه وطىء امرأة في حال الحيض فسال منه الدم فوضع خاتمه ودخل الحمام فجاء ابليس الشيطان وأخذه وقيل تزوّج امرأة مشركة ولم يستطع أن يكرهها على الإسلام فعبدت الصنم في داره أربعين يوماً فابتلاه الله بحديث الشيطان والخاتم أربعين يوماً وقيل احتجب ثلاثة أيام ولم ينظر في أمر الناس فابتلي بذلك فإن جميع ذلك مما لا يعوّل عليه لأن النبوة لا تكون في خاتم ولا يجوز أن يسلبها الله النبي ولا أن يمكّن الشيطان من التمثل بصورة النبي والقعود على سريره والحكم بين عباده وبالله التوفيق ثم حكى سبحانه دعاء سليمان حين أناب إلى الله تعالى بقوله ﴿قال رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب﴾ يسأل عن هذا فيقال ان هذا القول من سليمان يقتضي الضن والمنافسة لأنه لم يرض بأن يسأل الملك حتى أضاف الى ذلك ان يمنع غيره منه ﴿وأجيب﴾ عنه بأجوبة (أحدها) ان الأنبياء لا يسألون الا ما يؤذن لهم في مسألته وجائز أن يكون الله تعالى اعلم سليمان انه ان سأل ملكاً لا يكون لغيره كان أصلح له في الدين واعلمه أنه لا صلاح لغيره في ذلك ولو ان احدنا صرّح في دعائه بهذا الشرط حتى يقول اللهم اجعلني اكثر أهل زماني ما لا اذا علمت ان ذلك اصلح لي لكان ذلك منه حسناً جائزاً ولا ينسب في ذلك الى شحّ وضن واختاره الجبائي (وثانيها) انه يجوز أن يكون التمس من الله تعالى آية لنبوته يبين بها من غيره وأراد لا ينبغي لأحد غيري ممن أنا مبعوث اليه ولم يرد من بعده إلى يوم القيامة من النبيين كما يقال انا لا أطيع أحداً بعدك أي لا أطيع احداً سواك (وثالثها) ما قاله المرتضى قدس الله روحه انه يجوز ان يكون انما سأل ملك الأخرة وثواب الجنة ويكون معنى قوله لا ينبغي لأحد من بعدي لا يستحقه بعد وصولي اليه أحد من حيث لا يصلح أن يعمل ما يستحق به ذلك لانقطاع التكليف (ورابعها) انه التمس معجزة تختص به كما ان موسى يختص بالعصا واليد البيضاء واختص صالح بالناقة ومحمد ﷺ بالمعراج والقرآن ويدل عليه ما روي مرفوعاً عن النبي ﷺ انه صلى صلاة فقال ان الشيطان عرض لي ليفسد علي الصلاة فامكنني الله منه فدفعته ولقد هممت أن أوثقه إلى سارية حتى تصبحوا وتنظروا إليه أجمعين فذكرت قول سليمان رب هب لي مُلكاً لا ينبغي لأحد من بعدي فردّه الله خاسئاً أورده البخاري ومسلم في الصحيحين ثم بيّن سبحانه أنه أجاب دعاه بقوله ﴿فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء﴾ أي لينة سهلة عن ابن زيد وقيل طيبة سريعة عن قتادة وقيل مطيعة تجري إلى حيث يشاء عن ابن عباس ﴿حيث اصاب﴾ أي حيث أراد سليمان من النواحي عن أكثر المفسرين وحقيقته حيث قصد والمعنى انه ينطاع له كيف أراد قال الحسن كان يغدو من ايليا ويقيل بقزوين ويبيت بكابل « سؤال»

كيف وصف سبحانه الريح بالعاصف في قوله ولسليمان الريح عاصفة ووصفها هنا بخلافه « جوابه » يجوز أن يكون الله سبحانه جعلها عاصفة تارة ورخاء أخرى بحسب ما أراد سليمان (ع) ﴿والشياطين﴾ أي وسخّرنا له الشياطين ايضاً ﴿كل بنّاء﴾ في البرّ يبني له ما أراد من الأبنية الرفيعة ﴿وغواص﴾ في البحر على اللآلىء والجواهر فيستخرج له ما يشاء منها ﴿وآخرين مقرنين في الاصفاد﴾ أي وسخّرنا له آخرين من الشياطين مشدودين في الأغلال والسلاسل من الحديد وكان يجمع بين اثنين وثلاثة منهم في سلسلة لا يمتنعون عليه إذا أراد ذلك بهم عند تمردهم وقيل انه إنما كان يفعل ذلك بكفارهم فإذا آمنوا أطلقهم ﴿هذا عطاؤنا﴾ أي هذا الذي تقدّم ذكره من الملك الذي لا ينبغي لأحد من بعدك عطاؤنا ﴿فامنن أو أمسك﴾ أي فاعط من الناس من شئت وامنع من شئت والمنّ الاحسان الى من لا يستثيبه ﴿بغير حساب﴾ أي لا تحاسب يوم القيامة على ما تعطي وتمنع فيكون اهنأ لك عن قتادة والضحاك وسعيد بن جبير وقيل معناه بغير جزاء أي اعطيناكه تفضلاً لا مجازاة عن الزجاج وقيل ان المعنى فانعم على من شئت من الشياطين بإطلاقه أو أمسك من شئت منهم في وثاقه وصرفه في عمله من غير حرج عليك فيما تفعله ﴿وان له عندنا لزلفى وحسن مآب﴾ معناه وان لسليمان عندنا لقربى وحسن مرجع في الآخرة وهذا من اعظم النعم اذ هي النعمة الباقية الدائمة .

﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ
إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ
بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ
وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ
بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ
ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾

[القراءة] قرأ أبو جعفر بنصب بضمتين وقرأ يعقوب بنصب بفتحتين والباقون بضم النون وسكون الصاد .

[الحجة] قال الزجاج النُصْب والنَصَب لغتان كالرُشْد والرَشَد والبُخْل والبَخَل تقول نصبت نُصْباً ونَصَباً قال أبو عبيدة النصب البلاء والشر وانشد لبشر بن أبي حازم « تَعَنّاكَ نَصْبٌ مِنْ أُمَيْمَةَ مُنْصِبُ » ومن قرأ بنصب بضمتين فإنه اتبع الصاد ما قبله فهي أربع لغات .

[اللغة] الركض الدفع بالرجل على جهة الاسراع ومنه ركض الفرس لإسراعه إذا دفعه برجله قال سيبويه يقال رَكَضَتِ الدابة ورَكَضْتُها فهو مثل جبر العظم وجبرته والضغث ملء الكف من الشجرة والحشيش والشماريخ وما أشبه ذلك.

[المعنى] ثم ذكر سبحانه قصة أيوب (ع) فقال ﴿واذكر﴾ يا محمد ﴿عبدنا أيوب﴾ شرّفه الله سبحانه بأنه أضافه إلى نفسه واقتدِ به في الصبر على الشدائد وكان في زمان يعقوب ابن إسحاق وتزوج ليا بنت يعقوب ﴿إذ نادى ربه﴾ أي حين دعا ربه رافعاً صوته يقول يا رب لأن النداء هو الدعاء بطريقة يا فلان ومتى قال اللهم افعل بي كذا وكذا كان داعياً ولا يكون منادياً ﴿إني مسني الشيطان بنصب وعذاب﴾ أي بتعب ومكروه ومشقة وقيل بوسوسة فيقول له طال مرضك ولا يرحمك ربك عن مقاتل وقيل بأن يذكره ما كان فيه من نعم الله تعالى من الأهل والولد والمال وكيف زال ذلك كله وحصل فيما هو فيه من البلية طمعاً ان يزلّه بذلك ويجد طريقاً إلى تضجره وتبرمه فوجده صابراً مسلماً لأمر الله وقيل انه اشتدَّ مرضه حتى تجنّبه الناس فوسوس الشيطان إلى الناس أن يستقذروه ويخرجوه من بينهم ولا يتركوا امرأته التي تخدمه ان تدخل عليهم فكان أيوب يتأذى بذلك ويتألم منه ولم يشك الألم الذي كان من أمر الله تعالى قال قتادة دام ذلك سبع سنين وروي ذلك عن أبي عبد الله (ع) قال أهل التحقيق انه لا يجوز أن يكون بصفة يستقذره الناس عليها لأن في ذلك تنفيراً فأما المرض والفقر وذهاب الأهل فيجوز أن يمتحنه الله بذلك فأجاب الله دعاءه وقال له ﴿اركض برجلك﴾ أي ادفع برجلك الأرض ﴿هذا مغتسل بارد وشراب﴾ وفي الكلام حذف أي فركض رجله فنبعت بركضته عين ماء وقيل نبعت عينان فاغتسل من احدهما فبرىء وشرب من الآخر فروي عن قتادة والمغتسل الموضع الذي يغتسل منه وقيل هو اسم للماء الذي يغتسل به عن ابن قتيبة ﴿ووهبنا له اهله ومثلهم معهم﴾ هذا مفسَّر في سورة الأنبياء وروي عن أبي عبد الله (ع) ان الله تعالى احيا له اهله الذين كانوا ماتوا قبل البلية واحيا له اهله الذين ماتوا وهو في البلية ﴿رحمة منا﴾ أي فعلنا ذلك به لرحمتنا إياه فيكون منصوباً بأنه مفعول له ويجوز أن يكون منصوباً على المصدر لما كانت الموهبة بمعنى الرحمة ﴿وذكرى لأولي الألباب﴾ أي ليتذكّر ويعتبر به ذوو الألباب أي العقول ويعرفوا حسن عاقبة الصبر فيصبروا كما صبر قالوا أنه أطعم

جميع أهل قريته سبعة أيام وأمرهم بأن يحمدوا الله ويشكروه ﴿وخذ بيدك ضغثاً﴾ وهو ملء الكف من الشماريخ وما أشبه ذلك أي و لنا له ذلك وذلك أنه حلف على امرأته لأمر أنكره من قولها لئن عوفي ليضربنها مائة جلدة فقيل له خذ ضغثاً بعدد ما حلفت به ﴿فاضرب به﴾ أي واضربها به دفعة واحدة فإنك إذا فعلت ذلك برت يمينك ﴿ولا تحنث﴾ في يمينك نهاه عن الحنث وروي عن ابن عباس انه قال كان السبب في ذلك ان ابليس لقيها في صورة طبيب فدعته لمداواة ايوب (ع) فقال اداويه على أنه إذا برىء قال انت شفيتني لا أريد جزاء سواء قالت نعم فأشارت إلى أيوب بذلك فحلف ليضربنها وقيل انها كانت ذهبت في حاجة فأبطأت في الرجوع فضاق صدر المريض فحلف ثم أخبر سبحانه عن حال أيوب وعظم منزلته فقال ﴿إنا وجدناه صابراً﴾ على البلاء الذي ابتليناه به ﴿نعم العبد إنّه أواب﴾ أي رجّاع إلى الله منقطع اليه وروى العياشي بإسناده ان عباد المكي قال قال لي سفيان الثوري اني أرى لك من أبي عبد الله (ع) منزلة فاسأله عن رجل زنى وهو مريض فإن أقيم عليه الحد خافوا أن يموت ما تقول فيه فسألته فقال لي هذه المسألة من تلقاء نفسك او امرك بها انسان فقلت ان سفيان الثوري امرني ان أسألك عنها فقال ان رسول الله ﷺ أتي برجل أحبن[1] قد استسقى بطنه وبدت عروق فخذيه وقد زنى بامرأة مريضة فأمر رسول الله ﷺ فأتي بعرجون فيه مائة شمراخ فضربه به ضربة وضربها به ضربة وخلّى سبيلهما وذلك قوله ﴿وخذ بيدك ضغثاً فاضرب به ولا تحنث﴾.

﴿ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ

(١) الاحبن: الذي عظم بطنه وورم.

وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ * وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا
مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾

[القراءة] قرأ ابن كثير وحده واذكر عبدنا إبراهيم والباقون عبادنا وقرأ أهل المدينة وهشام بخالصة ذكرى الدار غير منون على الاضافة والباقون بالتنون وخلافهم في واليسع مذكور في سورة الانعام وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ما يوعدون بالياء وابن كثير وحده يقرأ في سورة قٓ بالياء أيضاً والباقون بالتاء في الموضعين وفي الشواذ قراءة الحسن والثقفي اولي الأيد بغير ياء .

[الحجة] قال أبو علي من قرأ عبدنا فإنه اختصّه بالإضافة على وجه التكرمة له والاختصاص بالمنزلة الشريفة كما قيل في مكة بيت الله ومن قرأ عبادنا اجرى هذا الوصف على غيره من الأنبياء ايضاً وجعل ما بعده بدلاً من العباد والأول جعل إبراهيم بدلاً وما بعده معطوفاً على المفعول به المذكور وقوله بخالصة ذكرى الدار يحتمل امرين (أحدهما) أن يكون ذكرى بدلاً من الخالصة تقديره انا أخلصناهم بالذكرى الدار ويجوز ان يقدر في قوله ذكرى التنوين فيكون الدار في موضع نصب تقديره بأن يذكروا الدار بالتأهب للآخرة (والثاني) ان لا يقدر البدل ولكن يكون الخالصة مصدراً فيكون مثل قوله من دعاء الخير ويكون المعنى بخالصة تذكر الدار ويقوي هذا الوجه ما روي من قراءة الأعمش بخالصتهم ذكرى الدار وهذا يقوّي النصب فكأنه قال بأن أخلصوا تذكير الدار فإذا نونت خالصة احتمل أمرين (أحدهما) أن يكون المعنى بأن خلصت لهم ذكرى الدار فيكون ذكرى في موضع رفع بأنه فاعل (والآخر) أن يقدر المصدر الذي هو خالصة من الإخلاص فحذفت الزيادة فيكون المعنى بإخلاص ذكرى فيكون ذكرى في موضع نصب والدار يجوز ان يعني بها الدنيا ويجوز أن يعني بها الآخرة والذي يدل على أنه يجوز ان يراد بها الدنيا قوله تعالى في الحكاية عن إبراهيم واجعل لي لسان صدق في الآخرين وقوله ﴿وجعلنا لهم لسان صدق﴾ فاللسان هو القول الحسن والثناء عليه لا الجارحة كما في قول الشاعر

نَبِئْتُ عَلَى لِسَانٍ فَاتَ مِنِّي فَلَيْتَ بِأَنَّهُ فِي جَوْفِ عِكْمِ[1]

وكذلك قول الآخر

(١) قائله الحطيئة والعكم : داخل الجنب .

إِنِّي أَتَانِي لِسَانٌ لَا أُسَرُّ بِهِ مِنْ عَلْوَ لَا كَذِبٌ فِيهِ وَلَا سَخَرُ[١]

وقوله تعالى ﴿وتركنا عليه في الآخرين سلام على إبراهيم وسلام على نوح في العالمين﴾ والمعنى أبقينا عليهم الثناء الجميل في الدنيا فالدار في هذا التقدير ظرف والقياس ان يتعدّى الفعل والمصدر إليه بالحرف ولكنّه على ذهبت الشام عند سيبويه « وكَمَا عَسَلَ الطَّرِيقَ الثَّعْلَبُ »[٢] (وأما) جواز كون الدار الآخرة في قوله ﴿أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار﴾ فيكون ذلك باخلاصهم ذكرى الدار ويكون ذكرهم لها وجل قلوبهم منها ومن حسابها كما قال وهم من الساعة مشفقون فالدار على هذا مفعول بها وليست كالوجه المتقدم وأما من اضاف فقال بخالصة ذكرى الدار فإن الخالصة تكون على ضروب تكون للذكر وغيرِ الذكر فإذا أضيفت الى ذكرى اختصت الخالصة بهذه الإضافة فتكون هذه الاضافة الى المفعول به كأنه بإخلاصهم ذكرى الدار أي بأن أخلصوا ذكرها والخوف منها لله ويكون على اضافة المصدر الذي هو الخالصة الى الفاعل تقديره بأن خلصت لهم ذكرى الدار والدار على هذا يحتمل الوجهين اللذين تقدّما من كونها للآخرة والدنيا فأما قوله وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا فيجوز في خالصة وجهان (أحدهما) ان يكون مصدراً كالعاقبة (والآخر) ان يكون وصفاً وكلا الوجهين يحتمل الآية فيجوز أن يكون ما في بطون هذه الأنعام ذات خلوص ويجوز أن يكون الصفة وأنّث على المعنى لأنه كثرة والمراد به الأجنّة والمضامين[٣] فيكون التأنيث على هذا ومن قرأ الليسع جعله اسماً على صورة الصفات كالحارث والعباس ألا ترى ان فيعلا مثل ضيغم وحيدر كثير في الصفات ووجه قراءة من قرأ واليسع ان الألف واللام قد يدخلان الكلمة على وجه الزيادة كما حكى أبو الحسن الخمسة عشر درهماً قال

وَلَقَدْ جَنَيْتُكَ اكْمُؤاً وَعَسَاقِلاً وَلَقَدْ نَهَيْتُكَ عَنْ بَنَاتِ الأَوْبَرِ[٤]

وبنات الأوبر ضرب من الكمأة معرفة فأدخل في المعرفة الألف واللام على وجه

---

(١) قائله اعشى باهلة نسبه المؤلف (ره) « في المجلد الثالث » الى عامر بن الحرث وعلو: اسم امرأة على ما قيل.

(٢) هذا جزء بيت لساعدة بن جؤية الهذلي وتمامه

« لدن بهز الكف يعسل متنه * كما عسل الطريق الثعلب »

وهو مذكور في جامع الشواهد وقد مر في الكتاب أيضاً غير مرة .

(٣) الاجنة جمع الجنين . والمضامين ما في اصلاب الفحول .

(٤) جنيتك أي جنيت لك بمعنى قطعت . والعساقل جمع عسقول: نوع من الكمأة ابيض .

الزيادة فكذلك التي تكون في اليسع ومن قرأ هذا ما توعدون بالتاء فعلى معنى قل للمتقين هذا ما توعدون والياء على معنى وان للمتقين لحسن مآب هذا ما يوعدون والياء أعم لأنه يصلح ان يدخل فيه الغيب من الأنبياء واما في سورة قٓ فنحو هذا وازلفت الجنة للمتقين هذا ما توعدون ايها المتقون على الرجوع من الغيبة الى الخطاب أو على قل لهم هذا ما توعدون والياء على اخبار النبي ﷺ بما وعدوا كأنه هذا ما يوعدون أيها النبي ومن قرأ اولي الأيد بغير ياء فإنه يحتمل ان يكون أراد الأيدي فحذف الياء تخفيفاً كقوله يوم يدع الداع ونحو ذلك ويحتمل أن يكون أراد بالأيد القوة في طاعة الله ويدل عليه انه مقرون بالابصار أي البصر بما يحظى عند الله وعلى هذا فالأيدي هنا إنما هي جمع اليد التي هي القوة لا التي هي الجارحة ولا النعمة لكنّه كقولك له يد في الطاعة.

[الإعراب] قال الزجاج جنات بدل من حسن مآب مفتحة لهم الأبواب أي مفتحة لهم الأبواب منها وقال بعضهم مفتحة لهم أبوابها والمعنى واحد إلا ان على تقدير العربية الأبواب منها أجود ان يجعل الألف واللام بدلاً من الهاء والألف لأن معنى الالف واللام ليس من معنى الهاء والألف في شيء لأن الهاء والألف اسم والالف واللام دخلتا للتعريف ولا يبدل حرف جاء بمعنى من اسم ولا ينوب عنه قال أبو علي مفتحة صفة لجنات عدن وفي مفتحة ضمير يعود إلى جنات والأبواب بدل من ذلك الضمير لأنك تقول فتحت الجنان إذا فتحت أبوابها فيكون من بدل البعض من الكل نحو ضربت زيداً رأسه وفي القرآن وفتحت السماء فكانت أبواباً وليس جنات عدن معرفة إذ ليس عدن بعلم وإنما هو بمنزلة جنات اقامة وقوله هذا خبر مبتدأ محذوف تقديره الأمر هذا ويجوز ان يكون مبتدأ محذوف الخبر أي هذا أمرهم.

[المعنى] ثم عطف سبحانه على ما تقدّم حديث الأنبياء فقال ﴿واذكر﴾ يا محمد لقومك وأمتك ﴿عبادنا ابراهيم وإسحاق ويعقوب﴾ ليقتدوا بهم في حميد افعالهم وكريم خلالهم فيستحقّوا بذلك حسن الثناء في الدنيا وجزيل الثواب في العقبى كما استحق أولئك وإذا قرىء عبدّنا فيكون التقدير واذكر عبدنا ابراهيم خصّه بشرف الاضافة الى نفسه واذكر اسحاق ويعقوب وصفهم جميعاً فقال ﴿أولي الأيدي﴾ أي ذوي القوة على العبادة ﴿والأبصار﴾ الفقه في الدين عن ابن عباس ومجاهد وقتادة ومعناه أولي العلم والعمل فالأيدي العمل والابصار العلم عن أبي مسلم وقيل أولي الأيدي أولي النعم على عباد الله بالدعاء الى الدين والأبصار جمع البصر وهو العقل ﴿إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار﴾

أي جعلناهم لنا خالصين بأن خلصت لهم ذكرى الدار والخالصة بمعنى الخلوص والذكرى بمعنى التذكير أي خلص لهم تذكير الدار وهو أنهم كانوا يتذكرونها بالتأهب لها ويزهدون في الدنيا كما هو عادة الأنبياء وقيل المراد بالدار الدنيا عن الجبائي وأبي مسلم اي خصّصناهم بالذكر في الأعقاب من بين أهل الدنيا ﴿وانهم عندنا﴾ وبحسب ما سبق في علمنا ﴿لمن المصطفين﴾ للنبوة وتحمل اعباء الرسالة ﴿الأخيار﴾ جمع خير كالأموات جمع ميت وهو الذي يفعل الأفعال الكثيرة الحسنة وقيل هي جمع خير فيكون كالأقيال جمع قيل وهذا مثل قوله ولقد اخترناهم على علم على العالمين ﴿واذكر اسماعيل واليسع وذا الكفل﴾ أي اذكر لأمتك هؤلاء ايضاً ليتقدوا بهم ويسلكوا طريقتهم وقد تقدّم ذكرهم ﴿وكل من الاخيار﴾ قد اختارهم الله للنبوة ﴿هذا ذكر﴾ أي شرف لهم وذكر جميل وثناء حسن يذكرون به في الدنيا أبداً ﴿وإن للمتقين لحسن مئاب﴾ أي حسن مرجع ومنقلب يرجعون في الآخرة إلى ثواب الله ومرضاته ثم فسّر حسن المآب بقوله ﴿جنات عدن﴾ فهي في موضع جرّ على البدل اي جنات إقامة وخلود ﴿مفتحة لهم الأبواب﴾ أي يجدون أبوابها مفتوحة حين يردونها ولا يحتاجون إلى الوقوف عند أبوابها حتى تفتح وقيل معناه لا يحتاجون الى مفاتيح بل تفتح بغير مفتاح وتغلق بغير مغلاق قال الحسن تكلم يقال انفتحي انغلقي وقيل معناه انها معدّة لهم غير ممنوعين منها وإن لم تكن أبوابها مفتوحة قبل مصيرهم اليها كما يقول الرجل ولغيره مق نشطت لزيارتي فالباب مفتوح والدست مطروح[1] ﴿متكئين فيها﴾ أي مستندين فيها إلى المساند جالسين جلسة الملوك ﴿يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب﴾ أي يتحكمون في ثمارها وشرابها فإذا قالوا لشيء منها اقبل حصل عندهم ﴿وعندهم قاصرات الطرف﴾ أي وعندهم في هذه الجنان ازواج قصرن طرفهن على أزواجهن راضيات بهم ما لهنّ في غيرهم رغبة والقاصر نقيض المادّ يقال فلان قاصر طرفه عن فلان وماد عينه إلى فلان قال امرؤ القيس .

مِنَ الْقَاصِرَاتِ الطَّرْفِ لَوْ دَبَّ مُحْوِلٌ مِنَ الذَّرِّ فَوْقَ الأَتْبِ مِنْهَا لأَثَّرَا[2]

﴿ أتراب ﴾ أي أقران على سن واحد ليس فيهن عجوز ولا هرمة وقيل أمثال وأشباه عن مجاهد أي متساويات في الحسن ومقدار الشباب لا يكون لواحدة على صاحبتها فضل في ذلك وقيل أتراب على مقدار سن الأزواج كل واحدة منهن ترب زوجها لا تكون أكبر منه قال

(١) الدست : الوسادة .

(٢) المحول : الذي أتى عليه حول . والأتب : ثوب يشق وتجعله المرأة على عنقها من غير كم ولا جيب . يصف امرأة برقة الجلد ولطافته وانها في اللطافة والرقة بحيث لو دب هذا النمل من فوق ثوبها ليؤثر في جسدها .

الفراء الترب اللدة مأخوذ من اللعب بالتراب ولا يقال إلا في الإناث قال عمر بن أبي ربيعة :

أبرزوها مثل المهاة تهادى بين عشر كواعب أترابِ[1]

﴿ وهذا ﴾ يعني ما ذكر فيما تقدّم ﴿ ما توعدون ﴾ أي يوعد به المتقون أو يخاطبون فيقال لهم هذا القول ﴿ ليوم الحساب ﴾ أي ليوم الجزاء ﴿ إن هذا ﴾ الذي ذكرنا ﴿ لرزقنا ﴾ أي عطاؤنا الجاري المتصل ﴿ ماله من نفاد ﴾ أي فناء وانقطاع لأنه على سبيل الدوام عن قتادة وقيل أنه ليس لشيء في الجنة نفاد ما أكل من ثمارها خلف مكانه مثله وما أكل من حيوانها وطيرها عاد مكانه حيّاً عن ابن عباس .

﴿ هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ
ٱلْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن
شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾ هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ ۚ
إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ ۖ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ
لَنَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ
عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾

[القراءة] قرأ أهل الكوفة غير أبي بكر غساق بالتشديد حيث كان في القرآن والباقون بالتخفيف وقرأ أهل البصرة وأخر بضم الألف والباقون آخر على التوحيد .

[الحجة] قال أبو علي أما الغساق بالتشديد فلا يخلو أن يكون اسماً أو وصفاً فالإسم لا يجيء على هذا الوزن إلا قليلاً نحو الكلاّء والفدّان والجبّان[2] فينبغي أن يكون وصفاً قد

(١) قال في اللسان المهاة : البلورة والدرة . والمهاة : بقرة الوحش سميت بذلك لبياضها على التشبيه بالبلورة والدرة. وتهادى في المشي : تبختر وتمايل. والبيت من أبيات قالها في وصف محبوبته ثريا بنت عبد الله بن الحرث وبعده قوله « ثم قالوا تحبها قلت بهراً ● عدد الرمل والحصى والتراب » وقد مر في الكتاب. وفي أمالي الشريف « بين خمس كواعب . . . » .

(٢) الكلاء مرفأ السفن. ساحل كل نهر. والفدان : آلة يحرث بها. والجبّان : المقبرة .

أقيم مقام الموصوف والأحسن أن لا تقام الصفة مقام الموصوف إلا أن تكون صفة قد غلبت نحو العبد والأبطح والأبرق والقراءة بالتخفيف أحسن من حيث ذكرنا ومن قرأ وأُخر على الجمع كان أُخر مبتدأ ومن شكله في موضع صفته أي من ضربه وأزواج خبر المبتدأ لأنه جمع كالمبتدأ وقد وصفت النكرة فحسن الابتداء بها والضمير في شكله يعود إلى قوله ﴿ حميم ﴾ ويجوز أن يكون المعنى من شكل ما ذكرناه ومن قرأ وآخر على الافراد فآخر يرتفع بالابتداء في قول سيبويه وفيه ذكر مرفوع عنده وبالظرف في قول أبي الحسن ولا ذكر في الظرف لارتفاع الظاهر به فإن لم تجعل آخر مبتدأ في هذا الوجه خاصة قلت أنه يكون ابتداء بالنكرة فلا أحمل على ذلك ولكن لما قال حميم وغساق دلّ هذا الكلام على أن لهم حميماً وغسّاقاً فحمل المعطوف على المعنى فجعل لهم المدلول عليه خبراً آخر فهو قول وكان التقدير لهم عذاب آخر من شكله أزواج فيكون من شكله في موضع الصفة ويكون ارتفاع أزواج به في قول سيبويه وأبي الحسن ولا يجوز أن يجعل قوله من شكله أزواج في قول من قرأ وأُخر على الجمع وصفاً ويضمر الخبر كما فعلت ذلك في قول من وحّد لأن الصفة لا يرجع منها ذكر إلى الموصوف ألا ترى أن أزواج إذا ارتفع بالظرف لم يجز أن يكون فيه ذكر مرفوع والهاء التي للافراد لا ترجع إلى الجمع في الوجه البين فتحصل الصفة بلا ذكر يعود منها إلى الموصوف وأما امتناع أخر من الصرف في النكرة فللعدل والوصف فمعنى العدل فيه أن هذا النحو لا يوصف به إلا بالألف واللام واستعملت أخر بلا ألف ولام فصارت بذلك معدولة عن الألف واللام .

[اللغة] المِهاد الفراش الموطأ يقال مهّدت له تمهيداً مثل وطّأت له توطئة والحَميم الحار الشديد الحرارة ومنه الحمى لشدة حرارتها والغسّاق قيح شديد النتن يقال غَسَقت القرحةُ تَغسِق غُسُوقاً وقيل هو مشتق من الغَسَق وهو السواد والظلمة أي هو على ضدّ ما يراد في الشراب من الضياء والرقة عن أبي مسلم ومنه يقال ليل غاسق وغَسَقَت عينُه أظلمت وأغسَقَ المُؤذِّن المغرب أخّره إلى الظلمة والشكل بفتح الشين الضرب المتشابه والشكل بالكسر النظير في الحسن وهو الدل أيضاً والاقتحام الدخول في الشيء بشدة وصعوبة قال أبو عبيدة قولهم لا مرحباً به أي لا رحبت عليه الأرض. القتيبي قولهم مرحباً بك أي أتيت رحباً وسعة قال النابغة :

لا مَرْحَباً بِغَدٍ وَلا أَهْلاً بِهِ إنْ كَانَ تَفْرِيقُ الأَحِبَّةِ فِي غَدِ

[الإعراب] هذا مبتدأ وحميم خبره وغساق معطوف عليه وفليذوقوه خبر بعد خبر

والتقدير هذا حميم وغساق فليذوقوه ويجوز أن يكون هذا فليذوقوه مبتدأ وخبر وحميم خبر مبتدأ محذوف أي هو حميم ويجوز أن يكون هذا في موضع نصب بفعل مضمر يفسّره هذا الظاهر .

[المعنى] لمّا بيّن سبحانه أحوال أهل الجنة وما أعدّ لهم من جزيل الثواب عقّبه ببيان أحوال أهل النار وما لهم من أليم العذاب فقال ﴿ هذا ﴾ أي ما ذكرناه للمتقين ثم ابتدأ فقال ﴿ وإن للطاغين ﴾ الذين طغوا على الله وكذّبوا رسله ﴿ لشر مآب ﴾ وهو ضدّ مآب المتقين ثم فسّر ذلك فقال ﴿ جهنم يصلونها ﴾ أي يدخلونها فيصيرون صلاء لها ﴿ فبئس المهاد ﴾ أي فبئس المسكن وبئس المهد ﴿ هذا فليذوقوه حميم وغساق ﴾ أي هذا حميم وغساق فليذوقوه عن الفراء والزجاج وقيل معناه هذا الجزاء للطاغين فليذوقوه وأطلق عليه لفظ الذوق لأن الذائق يدرك الطعم بعد طلبه فهو أشدّ إحساساً به والحميم الماء الحال والغساق البارد الزمهرير عن ابن مسعود وابن عباس فيكون المعنى أنهم يعذّبون بحار الشراب الذي انتهت حرارته وببارد الذي انتهت برودته فيبرده يحرق كما يحرق النار وقيل أن الغساق عين في جهنم يسيل إليها سم كل ذات حمة من حية وعقرب عن كعب وقيل هو ما يسيل من دموعهم يسقونه مع الحميم عن السدي وقيل هو القيح الذي يسيل منهم يجمع ويسقونه عن ابن عمر وقتادة وقيل هو عذاب لا يعلمه إلا الله عن الحسن ﴿ وآخر ﴾ أي وضروب أخر ﴿ من شكله ﴾ أي من شكل هذا العذاب وجنسه ﴿ أزواج ﴾ أي ألوان وأنواع متشابهة في الشدة لا نوع واحد ﴿ هذا فوج مقتحم معكم ﴾ هاهنا حذف أي يقال لهم هذا فوج وهم قادة الضلالة إذا دخلوا النار ثم يدخل الاتباع فيقول الخزنة للقادة هذا فوج أي قطع من الناس وهم الاتباع مقتحم معكم في النار دخلوها كما دخلتم عن ابن عباس وقيل يعني بالأول أولاد إبليس وبالفوج الثاني بني آدم أي يقال لبني إبليس بأمر الله تعالى هذا جمع من بني آدم مقتحم معكم يدخلون النار وعذابها وأنتم معهم عن الحسن ﴿ لا مرحباً بهم انهم صالوا النار ﴾ أي لا اتسعت لهم أماكنهم لأنهم لازموا النار فيكون المعنى على القول الأول أن القادة والرؤساء يقولون للأتباع لا مرحباً بهؤلاء أنهم يدخلون النار مثلنا فلا فرح لنا في مشاركتهم إيانا فيقول الاتباع لهم ﴿ بل أنتم لا مرحباً بكم ﴾ أي لا نلتم رحباً وسعة ﴿ أنتم قدمتموه لنا ﴾ أي حملتمونا على الكفر الذي أوجب لنا هذا العذاب ودعوتمونا إليه وأما على القول الثاني أن أولاد إبليس يقولون لا مرحباً بهؤلاء قد ضاقت أماكننا بهم إذ كانت النار مملوءة منا فليس لنا منهم إلا ضيق في شدة وهذا كما روي عن النبي ﷺ أن النار تضيق عليهم كضيق الزج

بالرمح ﴿ قالوا بل أنتم لا مرحباً بكم ﴾ أي يقول بنو آدم بل لا كرامة لكم أنتم شرعتموه لنا وزيّنتموه في نفوسنا ﴿ فبئس القرار ﴾ الذي استقررنا عليه ﴿ قالوا ربنا من قدّم لنا هذا ﴾ أي يدعون عليهم بهذا إذا حصلوا في نار جهنم أي من سبّب لنا هذا العذاب ودعانا إلى ما استوجبنا به ذلك ﴿ فزده عذاباً ضعفاً ﴾ أي مثلاً مضاعفاً إلى مثل ما يستحقّه ﴿ في النار ﴾ أحد الضعفين لكفرهم بالله والضعف الآخر لدعائهم إيانا إلى الكفر .

﴿ وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ
ٱلْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٦٣﴾
إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ
إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا
بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾ قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ
مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾
إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾

[القراءة] قرأ أهل العراق غير عاصم اتخذناهم موصولة الهمزة والباقون اتخذناهم بقطع الهمزة وقرأ أهل المدينة والكوفة غير عاصم سُخريا بضم السين والباقون بكسرها وقرأ أبو جعفر أن يوحى إلي إلا إنما بكسر الألف والباقون أنما بالفتح .

[الحجة] قال أبو علي في إلحاق همزة الاستفهام في قوله ﴿ اتخذناهم سخريا ﴾ بعض البعد لأنهم قد علموا أنهم اتخذوهم سخريا وكيف يستقيم أن يستفهم عنه ويدل على علمهم بذلك أنه قد أخبر عنهم بذلك في قوله فاتخذتموهم سخرياً حتى انسوكم ذكري فالجملة التي هي اتخذناهم سخرياً صفة للنكرة فأما وجه فتح الهمزة فإنه يكون على التقرير وعودلت بأم لأنها على لفظ الاستفهام كما عودلت بأم في قوله سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم وإن لم يكن استفهاماً في المعنى وكذلك قولهم ما أبالي أزيداً ضربت أم عمراً فإن قلت فما الجملة المعادلة بقوله أم زاغت عنهم الأبصار في قول من كسر الهمزة في قوله

اتخذناهم فالقول فيه أن الجملة المعادلة لأم محذوفة والمعنى أتراهم أم زاغت عنهم الأبصار وكذلك قوله أم كان من الغائبين لأن المعنى أخبروني عن الهدهد أحاضر هو أم كان من الغائبين هذا قول أبي الحسن ويجوز عندي في قوله تعالى ﴿ قل تمتّع بكفرك قليلاً إنك من أصحاب النار أم من هو قانت آناء الليل ﴾ أن تكون المعادلة لأم محذوفة تقديره أفأصحاب النار خير أم من هو قانت وحكي عن أبي عمرو أنه قال ما كان من مثل العبودية فسخري مضموم وما كان من مثل الهزء فسخري مكسور السين وقد تقدّم ذكر هذا قال ابن جني من قرأ إنّما فعلى الحكاية فكأنه قال إنْ يقال لي إلاّ إنّما أنا نذير مبين وهذا كما تقول لصاحبك أنت قلت أنك شجاع ونحو ذلك قول الشاعر :

تَنَادَوا بِالرَّحِيلِ غَداً وَفِي تَرْحَالِهِمْ نَفْسِي[1]

قال وأجاز أبو علي ثلاثة أضرب من الاعراب بالرحيل والرحيل والرحيل رفعاً ونصباً وجراً فمن رفع أو نصب فقد وفى الحكاية اللفظ المقول البتة فكأنهم قالوا الرحيل غداً فأما الجر فعلى أعمال الباء فيه وهو معنى ما قالوه ولكن حكيت منه قولك غداً وحده وهو خبر المبتدأ أو في موضع رفع لأنه خبر المبتدأ ولا يكون ظرفاً لتنادوا لأن الفعل الماضي لا يعمل في الزمان الآتي وإذا قال بالرحيل غداً فإن غداً يجوز أن يكون ظرفاً لنفس الرحيل ويجوز أن يكون ظرفاً لفعل آخر نصب الرحيل أي يحدث الرحيل غداً .

[المعنى] ثم حكى سبحانه عن أهل النار أيضاً بقوله ﴿ وقالوا ما لنا لا نرى رجالاً كنا نعدّهم من الأشرار ﴾ أي يقولون ذلك حين ينظرون في النار فلا يرون من كان يخالفهم فيها معهم وهم المؤمنون عن الكلبي وقيل نزلت في أبي جهل والوليد بن المغيرة وذويهما يقولون ما لنا لا نرى عماراً وخباباً وصهيباً وبلالاً الذين كنا نعدّهم في الدنيا من جملة الذين يفعلون الشرّ والقبيح ولا يفعلون الخير عن مجاهد وروى العياشي بالاسناد عن جابر عن أبي عبد الله (ع) أنه قال أن أهل النار يقولون ما لنا لا نرى رجالاً كنّا نعدُّهم من الأشرار يعنونكم لا يرونكم في النار لا يرون والله أحداً منكم في النار ﴿ اتّخذناهم سخرياً أم زاغت عنهم الأبصار ﴾ معناه أنهم يقولون لما لم يروهم في النار اتخذناهم هزوءاً في الدنيا فأخطأنا أم عدلت عنهم أبصارنا فلا نراهم وهم معنا في النار ﴿ إن ذلك لحق ﴾ أي إن ما ذكر قبل هذا لحق أي كائن لا محالة ثم بيّن ما هو فقال ﴿ تخاصم أهل النار ﴾ يعني تخاصم الاتباع

---

(١) أي هلاك نفسي .

والقادة أو مجادلة أهل النار بعضهم لبعض على ما أخبر عنهم ثم خاطب نبيَّه ﷺ فقال ﴿ قل ﴾ يا محمد ﴿ إنما أنا منذر ﴾ أي مخوّف من معاصي الله ومحذّر من عقابه ﴿ وما من إلٰه ﴾ يحقّ له العبادة ﴿ إلا الله الواحد القهار ﴾ لجميع خلقه المتعالي بسعة مقدوراته فلا يقدر أحد على الخلاص من عقوبته إذا أراد عقابه ﴿ رب السماوات والأرض وما بينهما ﴾ من الإنس والجن وكل خلق ﴿ العزيز ﴾ الذي لا يغلبه شيء ولا يمتنع منه شيء ﴿ الغفار ﴾ لذنوب عباده مع قدرته على عقابهم ﴿ قل ﴾ يا محمد ﴿ هو نبأ عظيم ﴾ اختلف فيه فقيل يعني القرآن هو حديث عظيم لأنه كلام الله المعجز ولأن فيه أنباء الأولين ﴿ أنتم عنه ﴾ أي عن تدبّره والعمل به ﴿ معرضون ﴾ عن ابن عباس وقتادة ومجاهد والسدي وقيل خبر القيامة خبر عظيم أنتم عنه معرضون أي عن الاستعداد لها غافلون وبها مكذّبون عن الحسن وقيل معناه النبأ الذي أنبأتكم به عن الله نبأ عظيم عن الزجاج يعني ما أنبأهم به من قصص الأولين أنهم عنه معرضون لا يتفكرون فيه فيعلموا صدقي في نبوتي قال ويدل على صحة هذا المعنى قوله ﴿ ما كان لي من علم بالملأ الأعلى ﴾ يعني الملائكة ﴿ إذ يختصمون ﴾ يعني ما ذكر من قوله إني جاعل في الأرض خليفة إلى آخر القصة وهو قول ابن عباس وقتادة والسدي أي فما علمت ما كانوا فيه إلا بوحي من الله تعالى وروى ابن عباس عن النبي ﷺ قال قال لي ربي أتدري فيم يختصم الملأ الأعلى فقلت لا قال اختصموا في الكفارات والدرجات فأما الكفارات فإسباغ الوضوء في السَبَرات[1] ونقل الأقْدام إلى الجماعات وانتظار الصلاة بعد الصلاة وأما الدرجات فإفشاء السلام وإطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام ﴿ أن يوحى إليَّ إلا إنما أنا نذير مبين ﴾ معناه ما كان لي من علم باختصام الملائكة فيما ذكرنا لولا أن الله تعالى أخبرني به لم يمكنني إخباركم ولكن ما يوحى إليَّ إلا الانذار البيّن الواضح وقيل معناه ليس يوحى إليَّ إلا أنّي نذير مبين مخوّف مظهر للحق .

﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ
إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن
رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ

(١) السبرات جمع السبرة: الغداة الباردة .

أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾
قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ
أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ
وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ
عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ
يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ
ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ
مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

[المعنى] ثم دلَّ سبحانه على أن اختصام الملائكة كان في أمر آدم (ع) بقوله ﴿ إذ قال ربك للملائكة ﴾ بالظاهر أن إذ يتعلق بقوله يختصمون وإن اعترض بينهما كلام ﴿ إني خالق بشراً من طين ﴾ يعني آدم ﴿ فإذا سويته ﴾ أي فإذا سوّيت خلق هذا البشر وتمّمت أعضاءه وصورته ﴿ ونفخت فيه من روحي ﴾ أي أحييته وجعلت فيه الروح وأضاف الروح إلى نفسه تشريفاً له ومعنى نفخت فيه أي توليت فعله من غير سبب وواسطة كالولادة المؤدّية إلى ذلك فإن الله شرَّف آدم وكرَّمه بهذه الحالة ﴿ فقعوا له ساجدين ﴾ أي فاسجدوا له أجمعين وفي الكلام حذف والتقدير ثم ان الله تعالى خلق ذلك البشر الذي وعدهم بخلقه ﴿ فسجد له الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين ﴾ مفسَّر في سورة البقرة ﴿ قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي ﴾ هذا سؤال توبيخ وتعريف للملائكة أنه لا عذر له في الامتناع عن السجود ومعنى قوله ﴿ لما خلقت بيدي ﴾ تولّيت خلقه بنفسي من غير واسطة عن الجبائي ومثله مما عملت أيدينا وذكر اليدين لتحقيق الإضافة لخلقه إلى نفسه وهو قول مجاهد ومثله قوله ﴿ ويبقى وجه ربك ﴾ أي ربك وقيل معناه خلقته بقدرتي عن أبي مسلم وغيره والعرب كما تطلق لفظ اليد للقدرة والقوة فقد تطلق لفظة اليدين قال :

تَحَمَّلْتُ مِنْ ذَلْفَاءَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ وَلَا لِلْجِبَالِ الرَّاسِيَاتِ يَدَانِ(١)

وقال آخر :

أَنَابِغَ إِنَّكُم لَمْ تَبْلُغُونَا وَمَا لَكُمُ بِذَلِكُمُ يَدَانِ

وقال عروة بن حزام :

فَإِنْ تَحْمِلِي وُدِّي وَوُدُّكِ تَفْدَحِي وَمَالَكِ بِالْحَمْلِ الثَّقِيلِ يَدَانِ(٢)

﴿ استكبرت أم كنت من العالين ﴾ أي أرفعت نفسك فوق قدرك وتعظّمت عن امتثال أمري أم كنت من الذين تعلو أقدارهم عن السجود فتعاليت عنه ﴿ قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ﴾ فضّل النار على الطين ﴿ قال فأخرج منها ﴾ أي من الجنة ﴿ فإنك رجيم ﴾ أي طريد مبعد ﴿ وان عليك لعنتي إلى يوم الدين قال ﴾ إبليس عند ذلك ﴿ رب فأنظرني إلى يوم يبعثون ﴾ أي أخّرني إلى يوم يحشرون للحساب وهو يوم القيامة ﴿ قال ﴾ الله تعالى له ﴿ فإنك من المنظرين ﴾ أي المؤخرين ﴿ إلى يوم الوقت المعلوم ﴾ وقد فسرنا جميع ذلك فيما تقدم ﴿ قال ﴾ إبليس ﴿ فبعزتك ﴾ أي أقسم بقدرتك التي تقهر بها جميع خلقك ﴿ لأغوينهم ﴾ يعني بني آدم كلهم ﴿ أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين ﴾ أي أدعوهم إلى الغيّ وأزيّن لهم القبائح إلا عبادك الذين استخلصتهم وآثرتهم وعصمتهم فلا سبيل لي عليهم .

﴿ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴿٨٨﴾

[القراءة] قرأ أهل الكوفة غير الكسائي وهبيرة وروح وزيد عن يعقوب قال فالحق بالرفع والباقون بالنصب .

(١) يصف شدة ما تحمله من عشق محبوبته ذلفاء . (٢) فدحه الأمر والحمل : أثقله .

[الحجة] قال أبو علي من نصب الحق الأول كان منصوباً بفعل مضمر يدل انتصاب الحق عليه وذلك الفعل هو ما ظهر في قوله ويحقّ الله الحقَّ بكلماته ويجوز أن ينتصب على التشبيه بالقسم فيكون الناصب له ما ينصب القسم من نحو الله لأفعلنَّ فيكون التقدير الحق لأملئن وقد يجوز أن يكون الحق الثاني الأول وكرِّر على وجه التأكيد ومن رفع كان محتملاً لوجهين (أحدهما) أن يكون خبر مبتدأ محذوف تقديره أنا الحق (والآخر) أن يكون مبتدأ محذوف الخبر تقديره فالحق منّي كما قال الحق من ربك .

[المعنى] ثم حكى سبحانه ما أجاب به إبليس وأنه ﴿ قال ﴾ له ﴿ فالحق والحق أقول ﴾ أي حقاً ﴿ لأملأن ﴾ والحق أقول اعتراض بين القسم والمقسم عليه وجاز ذلك لأنه مما يؤكّد القصة كما قال الشاعر :

أَرَانِي وَلَا كُفْرَانَ للهِ آيَةً لِنَفْسِي لَقَدْ طَالَبْتُ غَيْرَ مُنِيلِ (١)

فاعترض بقوله ولا كفران لله بين المفعول الأول والثاني ومن رفع فعلى معنى فأنا الحق أو الحق مني وأقول الحق ﴿ لأملأن جهنم منك وممن تبعك ﴾ وقَبِلَ قولك ﴿ منهم ﴾ أي من بني آدم ﴿ أجمعين ﴾ ثم خاطب النبي ﷺ فقال ﴿ قل ﴾ يا محمد لكفار مكة ﴿ ما أسئلكم عليه ﴾ أي على تبليغ الوحي والقرآن والدعاء إلى الله سبحانه ﴿ من أجر ﴾ أي مال تعطونيه ﴿ وما أنا من المتكلفين ﴾ لهذا القرآن من تلقاء نفسي وقيل معناه إني ما أتيتكم رسولاً من قبل نفسي ولم أتكلف هذا الاتيان بل أمرت به وقيل معناه لست ممن يتعسف في طلب الأمر الذي لا يقتضيه العقل وروي عن عبد الله بن مسعود أنه قال يا أيها الناس من علم شيئاً فليقل ومن لم يعلم فليقل الله أعلم فإن من العلم أن يقول لما لا يعلم الله أعلم فإن الله تعالى قال لنبيّه ﷺ ﴿ قل ما أسئلكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين ﴾ أورده البخاري في الصحيح ﴿ إن هو إلا ذكر للعالمين ﴾ أي ما القرآن إلا موعظة للخلق أجمعين وقيل ما القرآن إلا شرف لمن آمن به ﴿ ولتعلمن نبأه بعد حين ﴾ أي ولتعلمن يا كفار مكّة خبر صدقه بعد الموت عن ابن عباس وقتادة وقيل بعد يوم بدر عن السدي وقيل من عاش علم ذلك إذا ظهر أمره وعلا دينه ومن مات علمه بعد الموت عن الكلبي .

---

(١) الشعر في جامع الشواهد .



وتسمى أيضاً سورة الغرف وهي مكية كلها عن مجاهد وقتادة والحسن وقيل سوى ثلاث آيات نزلن بالمدينة في وحشي قاتل حمزة قل يا عبادي إلى آخرهن وقيل غير آية قل يا عبادي .

[عدد آيها]

خمس وسبعون آية كوفي ثلاث شامي اثنتان في الباقين .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

[اختلافها] سبع آيات فيما هم فيه يختلفون غير الكوفي مخلصاً له الدين الثاني ومخلصاً له ديني ومن هاد الثاني وسوف يعلمون أربعهن كوفي فبشّر عبادي عراقي شامي والمدني الأخير من تحتها الأنهار مكي شامي والمدني الأول .

[فضلها] أبي بن كعب عن النبي ﷺ قال من قرأ سورة الزمر لم يقطع الله رجاه وأعطاه ثواب الخائفين الذين خافوا الله تعالى وروى هارون بن خاوجة عن أبي عبد الله (ع) قال من قرأ سورة الزمر أعطاه الله شرف الدنيا والآخرة وأعزّه بلا مال ولا عشيرة حتى يهابه من يراه وحرم جسده على النار ويبني له في الجنة ألف مدينة في كل مدينة ألف قصر في كل قصر مائة حوراء وله مع ذلك عينان تجريان وعينان نضاختان وجنتان مدهامتان وحور مقصورات في الخيام .

[تفسيرها] ختم الله سبحانه سورة صّ بذكر القرآن وافتتح هذه السورة أيضاً به فقال :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ

ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ
ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ
إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ
لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا
لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾
خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ
وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى
لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّارُ ﴿٥﴾

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

[اللغة] التكوير طرح الشيء بعضه على بعض يقال كوّر المتاع إذا ألقى بعضه على بعض ومنه كوّر العمامة .

[الإعراب] تنزيل مبتدأ وخبره من الله أي تنزيل الكتاب من الله لا من غيره كما تقول استقامة الناس من الأنبياء أي أنها لا تكون إلا منهم ويجوز أن يكون تنزيل الكتاب خبر مبتدأ محذوف والتقدير هذا تنزيل الكتاب فعلى هذا يجوز أن يكون من الله خبراً بعد خبر ويجوز أن يكون في موضع نصب لأنه يتعلق بتنزيل. بالحق مفعول أنزلنا ويجوز أن يكون في موضع الحال والتقدير أنزلنا الكتاب محقين أو محقاً فيكون ذو الحال نا من أنزلنا أو الكتاب. زلفى في موضع نصب على المصدر والتقدير ليقربونا قربى والتقدير يقولون ما نعبدهم إلا ليقربونا فيكون يقولون خبر الذين اتخذوا لأنه مبتدأ أو يكون حالاً من الضمير في اتخذوا ويكون الخبر قوله ﴿ إن الله يحكم بينهم ﴾ يكوّر يحتمل أن يكون حالاً ويحتمل أن يكون استئناف كلام فلا يكون له محل .

[المعنى] عظّم الله سبحانه أمر القرآن وحثّ المكلفين على القيام بما فيه واتباع أوامره ونواهيه بأن قال ﴿ تنزيل الكتاب من الله العزيز ﴾ المتعال عن المثل والشبه

﴿ الحكيم ﴾ في أفعاله وأقواله فوصف هنا نفسه بالعزة تحذيراً من مخالفة كتابه وبالحكمة اعلاماً بأنه يحفظه حتى يصل إلى المكلفين من غير تغيير لشيء منه ﴿ إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق ﴾ أي لم ننزله باطلاً بغير غرض وقيل معناه بالأمر الحق أي بالدين الصحيح ﴿ فاعبد الله ﴾ أي توجّه بعبادتك إلى الله وحده ﴿ مخلصاً له الدين ﴾ من شرك الأوثان والأصنام والإخلاص أن يقصد العبد بنيته وعمله إلى خالقه لا يجعل ذلك لغرض الدنيا ﴿ ألا لله الدين الخالص ﴾ والخالص هو الذي لا يشوبه الرياء والسمعة ولا وجه من وجوه الدنيا والدين الخالص الإسلام عن الحسن وقيل هو شهادة أن لا إله إلا الله عن قتادة وقيل معناه الا لله الطاعة بالعبادة التي يستحق بها الجزاء فهذا لله وحده لا يجوز أن يكون لغيره وقيل هو الاعتقاد الواجب في التوحيد والعدل والنبوة والشرائع والإقرار بها والعمل بموجبها والبراءة من كل دين سواها فهذا تفصيل قول الحسن أنه الإسلام ﴿ والذين اتخذوا من دونه أولياء ﴾ أي زعموا أن لهم من دون الله مالكاً يملكهم وهاهنا حذف يدل الكلام عليه أي يقولون ﴿ ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ﴾ أي ليشفعوا لنا إلى الله والزلفى القربى وهو اسم أقيم مقام المصدر ﴿ إن الله يحكم بينهم ﴾ يوم القيامة ﴿ فيما هم فيه يختلفون ﴾ من أمور الدين فيعاقب كُلًّا منهم على قدر استحقاقه ﴿ إن الله لا يهدي ﴾ إلى طريق الجنة أو لا يحكم بهدايته إلى الحق ﴿ من هو كاذب ﴾ على الله وعلى رسوله ﴿ كفار ﴾ بما أنعم الله عليه جاحد لإخلاص العبادة لله ولم يرد به الهداية إلى الإيمان لقوله سبحانه وأما ثمود فهديناهم ﴿ لو أراد الله أن يتخذ ولداً ﴾ على ما يقوله هؤلاء من أن الملائكة بنات الله أو ما يقوله النصارى من أن المسيح ابنُ الله أو اليهود أن عزيراً ابن الله ﴿ لاصطفى ﴾ أي لاختار ﴿ مما يخلق ما يشاء ﴾ أي ما كان يتخذ الولد باختيارهم حتى يضيفوا إليه من شاءوا بل كان يختص من خلقه ما يشاء لذلك لأنه غير ممنوع من مراده ومثله قوله ﴿ لو أردنا أن نتخذ لهواً لاتَّخذناه من لدنّا ﴾ ثم أخبر سبحانه أنه منزّه عن اتخاذ الأولاد بقوله ﴿ سبحانه ﴾ أي تنزيهاً له عن ذلك ﴿ هو الله الواحد ﴾ لا شريك له ولا صاحبة ولا ولد ﴿ القهار ﴾ لخلقه بالموت وهو حيّ لا يموت ثم نبّه سبحانه على كمال قدرته فقال ﴿ خلق السماوات والأرض بالحق ﴾ أي لم يخلقهما باطلاً لغير غرض بل خلقهما للغرض الحكمي ﴿ يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل ﴾ أي يدخل كل واحد منهما على صاحبه بالزيادة والنقصان فما يزيد في أحدهما ينقص من الآخر عن الحسن وجماعة من المفسرين وقيل يغشى هذا هذا كما قال يغشى الليل النهار ويولج الليل في النهار عن قتادة ﴿ وسخر الشمس والقمر ﴾ بأن أجراهما على وتيرة واحدة ﴿ كل يجري لأجل مسمى ﴾ أي إلى مدة قدّرها الله لهما أن يجريا إليها

وقيل إلى قيام الساعة وقيل لأجل مسمى أي لوقت معلوم في الشتاء والصف هو المطلع والمغرب لكل واحد منهما ﴿ إلا هو العزيز الغفار ﴾ مرَّ معناه وفائدة الآية أن من قدر على خلق السماوات والأرض وتسخير الشمس والقمر وإدخال الليل في النهار فهو منزَّه عن اتخاذ الولد والشريك فإن ذلك من صفة المحتاجين .

﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ
وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ
أَزْوَٰجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ
ثَلَٰثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ
تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾ إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ
لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ
أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُۥ
عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾ * وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ
مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ
وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ
إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا
وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ
يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ قُلْ
يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا

حَسَنَةٌ ۚ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾

[القراءة] قرأ أبو عمرو في رواية أوقية وأبي شعيب السوسي وأبي عمرو الدوري عن اليزيدي عنه وحمزة وفي رواية العجلي يرضه لكم ساكنة الهاء وقرأ ابن كثير وابن عامر والكسائي وخلف ونافع برواية إسماعيل وأبو بكر برواية البرجمي يرضه مضمومة الهاء مشبعة وقرأ الباقون بضم الهاء مختلسة غير مشبعة وقرأ ابن كثير ونافع وحمزة أمن هو قانت خفيفة الميم والباقون بتشديد الميم .

[الحجة] قال أبو علي حجة من قرأ يرضهو فألحق الواو أن ما قبل الهاء متحرك فيكون بمنزلة ضربهو وهذا لهو ومن قال يرضهُ فحرَّك الهاء ولم يلحق الواو أن الألف المحذوفة للجزم ليس يلزم حذفها لأن الكلمة إذا نصبت أو رفعت عادت الألف فصار الألف في حكم الثابت فإذا ثبت الألف فالأحسن أن لا يلحق الواو نحو قوله ألقى موسى عصاه وذلك أن الهاء خفيفة فلو لحقتها الواو وقبلها الألف لأشبه الجمع بين الساكنين وأما من أسكن فقال يرضَهْ لكم فإن أبا الحسن يزعم أن ذلك لغة وعلى هذا قوله « وَنَضْوايَ مُشْتاقانِ لَهُ أَرِقانِ »[1] ومن قرأ أم من هو قانت ففيه وجهان (أحدهما) أن المعنى الجاحد الكافر خير أم من هو قانت ويدل على المحذوف قوله قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ودلَّ عليه أيضاً قوله ﴿ قل تمتع بكفرك قليلاً ﴾ وقد تقدَّم ذكره (والآخر) أن المعنى قل أمَّن هو قانت كغيره أي أمن هو مطيع كمن هو عاص ويكون على هذا الخبر محذوفاً لدلالة الكلام عليه كقوله تعالى ﴿ أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت أفمن يتَّقي بوجهه سوء العذاب ﴾ وأما من خفف فقال أمن هو قانت فالمعنى أيضاً أم من هو قانت كمن هو بخلاف هذا الوصف فلا وجه للنداء هنا لأن هذا موضع معادلة وإنما يقع فيه الحمل الذي يكون فيه أخبار وليس النداء كذلك وقال أبو الحسن القراءة بالتخفيف ضعيفة لأن الاستفهام إنما يبتدىء ما بعده ولا يحمل على ما قبله وهذا الكلام ليس قبله شيء يحمل عليه إلا في المعنى .

[اللغة] التخويل العطية العظيمة على وجه الهبة وهي المنحة خوَّله الله مالا ومنه

(١) هذا عجز بيت مر تمامه في صفحة ٢٣٥ من هذا المجلد وصدره « فظلت لدى البيت العتيق أخيله » والنضو: الدابة التي هزلتها الأسفار وأذهبت لحمها . وفي بعض الروايات « ومطواي » بدل « ونضواي » ومعناه صاحباي . والأرق: السهر .

الحديث كان يتخولهم بالموعظة مخافة السأمة عليهم أي يتعبُدهم والحديث الآخر إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلاً اتّخذوا مال الله دُوَلا ودين الله دَخَلا[1] وعباد الله خَوَلا أي يظنّون عباد الله عبيدهم أعطاهم الله ذلك قال أبو النجم :

أَعْطَى فَلَمْ يَبْخَلْ وَلَمْ يُبَخَّلِ كُومَ الذُّرَى مِنْ خَوَلِ الْمُخَوِّلِ[2]

والقانت الداعي والقانت المصلي قال :

قَانِتاً للهِ يَتْلُو كُتُبَهْ وَعَلَى عَمْدٍ مِنَ النَّاسِ اعْتَزَلْ

آناء الليل واحدها أنّي وأنًى .

[الإعراب] ذلكم الله ربكم له الملك ذلكم مبتدأ والله عطف بيان وربكم بدل من لفظة الله وإن شئت كان خبراً لمبتدأ. له الملك يرتفع الملك بالظرف والظرف مع ما ارتفع به في موضع الحال والعامل فيه معنى الإشارة والتقدير ثابتاً له الملك ويجوز أن يكون خبراً بعد خبر وكذا قوله ﴿ لا إله إلا هو ﴾ جاز أن يكون في موضع الحال أي متوحّداً بالوحدانية وجاز أن يكون خبراً آخر. فأنى تصرفون أنّى في موضع نصب على الحال أو على المصدر ومعناه كيف تصرفون :

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

[المعنى] ثم أبان سبحانه عن كمال قدرته بخلق آدم وذريته فقال ﴿ خلقكم من نفس واحدة ﴾ يعني آدم (ع) لأن جميع البشر من نسله ﴿ ثم جعل منها زوجها ﴾ يعني حواء أي من فضل طينته وقيل من ضلع من أضلاعه وفي قوله ثم جعل منها زوجها ثم يقتضي التراخي والمهلة وخلق الوالدين قبل الولد ثلاثة أقوال (أحدها) أنه عطف يوجب أن الكلام الثاني بعد الأول ويجري مجرى قول القائل قد رأيت ما كان منك اليوم ثم ما كان منك أمس وإن كان ما كان أمس قبل ما يكون اليوم مثله قول الشاعر :

وَلَقَدْ سَادَ ثُمَّ سَادَ أَبُوهُ ثُمَّ قَدْ سَادَ قَبْلَ ذَلِكَ جَدُّهْ

(وثانيها) أنه معطوف على معنى واحدة فكأنه قال خلقكم من نفس واحدة أوجدها وحدها ثم جعل منها زوجها (وثالثها) أنه خلق الذرية في ظهر آدم وأخرجها من ظهره كالذر

---

(١) الدول ـ بضم الدال ـ جمع الدولة وهي ما يتداوله الناس. والدخل: العيب والغش والفساد، وحقيقته أن يدخلوا في الدين أموراً لم تجر بها السنة .

(٢) الكوم جمع الكوماء وهي الناقة عظيمة السنام .

ثم خلق من بعد ذلك حواء من ضلع من أضلاعه على ما ورد في الأخبار وهذا ضعيف وقد مضى الكلام عليه ﴿ وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج ﴾ اختلف في معناه على وجوه (أحدها) أن معنى الإنزال هنا الإحداث والإنشاء كقوله وقد أنزلنا عليكم لباساً ولم ينزل اللباس ولكن أنزل الماء الذي هو سبب القطن والصوف واللباس يكون منهما فكذلك الأنعام تكون بالنبات والنبات يكون بالماء (والثاني) أنه أنزلها بعد أن خلقها في الجنة عن الجبائي قال وفي الخبر الشاة من دوابّ الجنة والإبل من دوابّ الجنة (والثالث) أن المعنى جعلها نزلاً ورزقاً لكم ويعني بالأزواج الثمانية من الأنعام الإبل والبقر والغنم والضأن والمعز من كل صنف اثنان هما زوجان وهو مفسّر في سورة الأنعام ﴿ يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق ﴾ نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاماً ثم يكسو العظام لحماً ثم ينشىء خلقاً آخر عن قتادة ومجاهد والسدي وقيل خلقاً في بطون الأمهات بعد الخلق في ظهر آدم عن ابن زيد ﴿ في ظلمات ثلاث ﴾ ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي وابن زيد وهو المروي عن أبي جعفر (ع) وقيل ظلمة الليل أو ظلمة صلب الرجل وظلمة الرحم وظلمة البطن ثم خاطب سبحانه خلقه فقال ﴿ ذلكم الله ﴾ الذي خلق هذه الأشياء ﴿ ربكم ﴾ الذي يملك التصرف فيكم ﴿ له الملك ﴾ على جميع المخلوقات ﴿ لا إله إلا هو فأنى تصرفون ﴾ عن طريق الحق بعد هذا البيان مثل قوله ﴿ فأنى تؤفكون ﴾ ﴿ إن تكفروا ﴾ أي تجحدوا نعمة الله تعالى ولم تشكروه ﴿ فإن الله غني عنكم ﴾ وعن شكركم فلا يضرّه كفركم ﴿ ولا يرضى لعباده الكفر ﴾ وفي هذا أوضح دلالة على أنه سبحانه لا يريد الكفر الواقع من العباد لأنه لو أراده لوجب متى وقع أن يكون راضياً به لعبده لأن الرضا بالفعل ليس إلا ما ذكرناه ألا ترى أنه يستحيل أن نريد من غيرنا شيئاً ويقع منه على ما نريده فلا نكون راضين به أو أن نرضى شيئاً ولم نرده البتة ﴿ وان تشكروا يرضه لكم ﴾ أي وأن تشكروا الله تعالى على نعمه وتعترفوا بها يرضه لكم ويرده منكم ويثبكم عليه والهاء في يرضه كناية عن المصدر الذي دلّ عليه وان تشكروا والتقدير يرضى الشكر لكم كقولهم من كذب كان شرّاً له أي كان الكذب شرّاً له ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ أي لا تحمل حاملة ثقل أخرى والمعنى لا يؤاخذ بالذنب إلا من يرتكبه ويفعله ﴿ ثم إلى ربكم مرجعكم ﴾ أي مصيركم ﴿ فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾ أي يخبركم بما عملتموه ويجازيكم بحسب ذلك ﴿انه عليم بذات الصدور﴾ فلا يخفي عليه سرّ وعلانية ﴿وإذا مسّ الإنسان ضرّ﴾ من شدة ومرض وقحط وغير ذلك ﴿ دعا ربه منيباً إليه ﴾ أي راجعاً إليه وحده لا يرجو سواه ﴿ ثم إذا خوّله ﴾ أي أعطاه ﴿ نعمة منه نسي ما كان يدعو إليه من قبل ﴾ أي نسي الضر الذي كان

يدعو الله إلى أن يكشفه من قبل نيل هذه النعمة قال الزجاج معناه نسي الدعاء الذي كان يتضرع به إلى الله عز وجل من قبل وجائز أن يكون المعنى نسي الله الذي كان يتضرع إليه من قبل ومثله ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد فكانت ما تدلّ على الله تعالى ومن عبارة عن كل مميز وما يكون لكل شيء ﴿ وجعل لله أنداداً ﴾ أي نسمى له أمثالاً في توجيه عبادته إليها من الأصنام والأوثان ﴿ ليضل ﴾ الناس ﴿ عن سبيله ﴾ أي عن دينه أو يضلّ هو عن الدين واللام لام العاقبة وذلك أنهم لم يفعلوا ما فعلوه وغرضهم ذلك لكن عاقبتهم كانت إليه ﴿ قل تمتع بكفرك قليلاً ﴾ هذا أمر معناه الخبر كقوله إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت والمعنى أن مدة تمتعه في الدنيا بكفره قليلة زائلة ﴿ إنك من أصحاب النار ﴾ تعذّب فيها دائماً ﴿ أم من هو قانت ﴾ أي أهذا الذي ذكرناه خير أم من هو دائم على الطاعة عن ابن عباس والسدي وقيل على قراءة القرآن وقيام الليل عن ابن عمر وقيل يعني صلاة الليل عن أبي جعفر (ع) ﴿ آناء الليل ﴾ أي ساعات الليل ﴿ ساجداً وقائماً ﴾ يسجد تارة في الصلاة ويقوم أخرى ﴿ يحذر الآخرة ﴾ أي عذاب الآخرة ﴿ ويرجو رحمة ربه ﴾ أي يتردّد بين الخوف والرجاء أي ليسا سواء وهو قوله ﴿ قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾ أي لا يستوي الذين يعلمون ما وعد الله من الثواب والعقاب والذين لا يعلمون ذلك ﴿ إنما يتذكّر أولو الألباب ﴾ أي إنما يتعظ ذوو العقول من المؤمنين وروي عن أبي عبد الله (ع) أنه قال نحن الذين يعلمون وعدوُّنا الذين لا يعلمون وشيعتنا أولو الألباب (قل) يا محمد لهم ﴿ يا عبادي الذين آمنوا ﴾ أي صدِّقوا بتوحيد الله تعالى ﴿ اتقوا ربكم ﴾ أي عقاب ربكم باجتناب معاصيه وتمَّ الكلام ثم قال ﴿ للذين أحسنوا ﴾ أي فعلوا الأعمال الحسنة وأحسنوا إلى غيرهم ﴿ في هذه الدنيا حسنة ﴾ أي لهم على ذلك في هذه الدنيا حسنة أي ثناء حسن وذكر جميل ومدح وشكر وصحة وسلامة عن السدي وقيل معناه للذين أحسنوا العمل في هذه الدنيا مثوبة حسنة في الآخرة وهو الخلود في الجنة ﴿ وأرض الله واسعة ﴾ هذا حثٌّ لهم على الهجرة من مكة عن ابن عباس أي لا عذر لأحد في ترك طاعة الله فإن لم يتمكن منها في أرض فليتحوَّل إلى أخرى يتمكن منها فيها كقوله ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها وقيل معناه وأرض الله الجنة واسعة فاطلبوها بالأعمال الصالحة عن مقاتل وأبي مسلم ﴿ إنما يوفى الصابرون أجرهم ﴾ أي ثوابهم على طاعاتهم وصبرهم على شدائد الدنيا ﴿ بغير حساب ﴾ لكثرته لا يمكن عدّه وحسابه وروى العياشي بالإسناد عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله (ع) قال قال رسول الله ﷺ إذا نشرت الدواوين ونصبت الموازين لم ينصب لأهل البلاء ميزان ولم ينشر لهم ديوان ثم تلا هذه الآية إنما يوفّى

الصابرون أجرهم بغير حساب .

﴿ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾
وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ
رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِي ﴿١٤﴾
فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟
أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾
لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ
بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن
يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ
يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ
وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ
تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن
فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ
ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾

[اللغة] الظلة السترة العالية جمعها ظلل والانقاذ الانجاء والغرف المنازل الرفيعة واحدها غرفة .

[الإعراب] ذلك مبتدأ ويخوّف الله به عباده خبره. أن يعبدوها في موضع نصب بدل

من الطاغوت والتقدير والذين اجتنبوا عبادة الطاغوت وخبر الذين اجتنبوا قوله لهم البشرى والبشرى ترتفع بالظرف لجريه خبراً على المبتدأ قال الزجاج أفمن حقَّ عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من في النار معناه الشرط والجزاء وألف الاستفهام هنا معناها معنى التوقيف والألف الثانية جاءت مؤكدة معادة لما طال الكلام والمعنى أفمن حقَّ عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذه ومثله أيعدكم أنكم إذا متّم وكنتم تراباً وعظاماً إنكم مخرجون أعاد أن الثانية والمعنى إنكم إذا متّم وكنتم تراباً وعظاماً تخرجون ويكون على وجه آخر على أنه حذف الخبر وفي الكلام دليل على المحذوف على معنى أفمن حق عليه كلمة العذاب يتخلص منه أو ينجو منه أفأنت تنقذ أي لا يقدر أحد أن ينقذه .

[المعنى] ثم خاطب سبحانه نبيَّه ﷺ فقال ﴿قل﴾ يا محمد لهؤلاء الكفار الذين تقدَّم ذكرهم ﴿إني أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين﴾ أي موحّداً له لا أعبد معه سواه والعبادة الخالصة هي التي لا يشوبها شيء من المعاصي ﴿وأمرت﴾ ايضاً ﴿لأن أكون أول المسلمين﴾ فيكون لي فضل السبق وثوابه ﴿قل إني أخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم﴾ أي عذاب يوم القيامة ﴿قل﴾ لهم ﴿الله اعبد مخلصاً له ديني﴾ وطاعتي ﴿فاعبدوا﴾ أنتم معاشر الكفار ﴿ما شئتم من دونه﴾ من الأصنام وهذا على وجه التهديد لهم بذلك ﴿قل﴾ لهم ﴿إن الخاسرين﴾ في الحقيقة هم ﴿الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة﴾ فلا ينتفعون بأنفسهم ولا يجدون في النار أهلاً كما كان لهم في الدنيا أهل فقد فاتتهم المنفعة بأنفسهم وأهليهم عن مجاهد وابن زيد وقيل خسروا أنفسهم بأن قذفوها بين أطباق الجحيم وخسروا أهليهم الذين أعدّوا لهم في جنة النعيم عن الحسن قال ابن عباس ان الله تعالى جعل لكل انسان في الجنة منزلاً وأهلاً فمن عمل بطاعته كان له ذلك ومن عصاه صار إلى النار ودفع منزله وأهله إلى من أطاع فذلك قوله أولئك هم الوارثون ﴿ألا ذلك هو الخسران المبين﴾ أي البين الظاهر الذي لا يخفى ﴿لهم من فوقهم ظلل من النار﴾ أي سرادقات وأطباق من النار ودخانها نعوذ بالله منها ﴿ومن تحتهم ظلل﴾ أي فرش ومهد وقيل إنما سمي ما تحتهم من النار ظللاً لأنها ظلل لمن تحتهم اذ النار أدراك وهم بين اطباقها وقيل إنما أجرى اسم الظلل على قطع النار على سبيل التوسع والمجاز لأنها في مقابلة ما لأهل الجنة من الظلل والمراد أن النار تحيط بجوانبهم ﴿ذلك يخوّف الله به عباده﴾ أي ذلك الذي وصف من العذاب يخوّف الله به عباده ورحمة لهم ليتّقوا عذابه بامتثال أوامره ثم أمرهم بالاتقاء فقال ﴿يا عبادي فاتقوني﴾ فقد أنذرتكم وألزمتكم الحجة وإنما حذف الياء في الموضعين لأن الكسرة تدلُّ عليها ﴿والذين اجتنبوا الطاغوت﴾ أي الأوثان والشيطان وقيل كل من دعا إلى عبادة غير الله

تعالى وإنما أنّث للجماعة وفي قراءة الحسن اجتنبوا الطواغيت ﴿أن يعبدوها﴾ أي اجتنبوا عبادتها ﴿وأنابوا إلى الله﴾ أي تابوا إليه فأقلعوا عما كانوا عليه ﴿لهم البشرى﴾ أي البشارة وهي الإعلام بما يظهر به السرور في بشرة وجوههم جزاء على ذلك وروى أبو بصير عن أبي عبد الله (ع) قال أنتم هم ومن اطاع جباراً فقد عبده ثم قال سبحانه مخاطباً لنبيّه ﷺ ﴿فبشر﴾ يا محمد ﴿عبادي﴾ اجتزأ بالكسرة عن الياء ﴿الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه﴾ أي أولاه بالقبول والعمل به وأرشده إلى الحق وقيل فيتبعون أحسن ما يؤمرون به ويعملون به عن السدي وروي عن أبي الدرداء قال لولا ثلاث ما أحببت أن أعيش يوماً واحداً الظمأ بالهواجر والسجود في جوف الليل ومجالسة اقوام ينتقون من خير الكلام كما ينتقى طيب التمر وقيل معناه يستمعون القرآن وغيره فيتبعون القرآن عن الزجاج وقيل يستمعون ما في القرآن والسنة من الطاعات والمباحات فيتبعون الطاعة التي هي أحسن إذ يستحق الثواب عليه اكثر وهو ان يأخذ بأفضل الأمرين كما ان القصاص حق والعفو أفضل فيأخذون بالعفو ﴿أولئك الذين هداهم الله﴾ أي هؤلاء الذين هذه صفتهم هم الذين هداهم الله فاهتدوا به الى الحق ﴿وأولئك هم أولو الألباب﴾ أي ذوو العقول الذين انتفعوا بعقولهم وقال عبد الرحمن بن زيد نزل قوله والذين اجتنبوا الطاغوت الآيتين في ثلاثة نفر كانوا يقولون في الجاهلية لا إله إلا الله زيد بن عمرو بن نفيل وأبي ذر الغفاري وسلمان الفارسي ﴿أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من في النار﴾ اختلف في تقديره فقيل معناه أفمن وجب عليه وعيد الله بالعقاب أفأنت تخلصه من النار فاكتفى بذكر من في النار عن الضمير العائد إلى المبتدأ عن الزجاج والأخفش وقيل تقديره أفأنت تنقذ من في النار منهم وأتى بالاستفهام مرتين توكيداً للتنبيه على المعنى وقال ابن الانباري الوقف على قوله كلمة العذاب والتقدير كمن وجبت له الجنة ثم يبتدىء أفأنت تنقذ وأراد بكلمة العذاب قوله لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين وإنما قال ذلك للنبي ﷺ لحرصه على اسلام المشركين والمعنى انك لا تقدر على ادخال الإسلام في قلوبهم شاءوا ام أبوا فلا عليك إذا لم يؤمنوا فإنما أتوا ذلك من قبل نفوسهم وهذا كقوله فلعلك باخع نفسك على آثارهم الآية ثم بيّن سبحانه ما أعدّه للمؤمنين كما بيّن ما أعدّه للكفار فقال ﴿لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف﴾ أي قصور في الجنة ﴿من فوقها غرف﴾ قصور ﴿مبنية﴾ وهذا في مقابلة قوله لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل فإنّ في الجنة منازل رفيعة بعضها فوق بعض وذلك أن النظر من الغرف الى الخضر والمياه اشهى وألذ ﴿تجري من تحتها الأنهار﴾ أي من تحت الغرف ﴿وعد الله﴾ أي وعدهم الله تلك الغرف والمنازل وعداً ﴿لا يخلف الله الميعاد﴾ .

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢١﴾ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾

[اللغة] الينابيع جمع ينبوع وهو الموضع الذي ينبع منه الماء يقال نبع الماء من موضع كذا اذا فار منه والزرع ما ينبت على غير ساق والشجر ماله ساق وأغصان النبات يعمُّ الجميع وهاج النبت يهيج هيجاً إذا جفَّ وبلغ نهايته في اليبوسة والحطام فتات التبن والحشيش والحطم الكسر للشيء اليابس ومنه سميت جهنم حطمة لأنها تكسر كل شيء ومنه الحطيم بمكة قال النضر لأن البيت رفع وترك ذلك محطوماً وهو حجر الكعبة مما يلي الميزاب .

[الإعراب] أفمن شرح الله صدره مَنْ مع صلته مبتدأ والخبر محذوف تقديره أفمن شرح الله صدره كمن قسا قلبه من ذكر الله أي من ترك ذكر الله لأن القلب إنما يقسو من ترك ذكر الله ويجوز أن يكون تشمئز عند ذكر الله فيقال قست من ذكر الله أي من ذكر الناس الله .

كتاباً منصوب لأنه بدل من قوله أحسن الحديث .

[المعنى] لمّا قدّم سبحانه ذكر الدعاء إلى التوحيد عقّبه بذكر دلائل التوحيد فقال يخاطب نبيه ﷺ وان كان المراد جميع المكلفين ﴿ألم تر ان الله انزل منَ السماء ماء﴾ أي مطراً ﴿فسلكه﴾ أي فأدخل ذلك الماء ﴿ينابيع في الأرض﴾ مثل العيون والأنهار والقني والآبار ونظيره قوله وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكنّاه في الأرض ﴿ثم يخرج به﴾ أي بذلك الماء من الأرض ﴿زرعاً مختلفاً ألوانه﴾ أي صنوفه من البرّ والشعير والأرز وغير ذلك يقال هذا لون من الطعام أي صنف وقيل مختلف الألوان من اخضر وأصفر وأبيض وأحمر ﴿ثم يهيج﴾ أي يجف ويبس ﴿فتريه مصفراً﴾ بعد خضرته ﴿ثم يجعله حطاماً﴾ أي رفاتاً منكسراً متفتّتاً ﴿إن في ذلك لذكرى لأولي الألباب﴾ معناه إن في اخراج هذه الزروع الواناً مختلفة بماء واحد ونقلها من حال إلى حال لتذكيراً لذوي العقول السليمة إذا تفكّروا في ذلك عرفوا الصانع المحدث وعلموا صحة الابتداء والبعث والإعادة ﴿أفمن شرح الله صدره للإسلام﴾ أي فسح صدره ووسّع قلبه لقبول الإسلام والثبات عليه وشرح الصدر يكون بثلاثة اشياء (أحدها) بقوة الأدلة التي نصبها الله تعالى وهذا يختص به العلماء (والثاني) بالالطاف التي تتجدد له حالاً بعد حال كما قال سبحانه والذين اهتدوا زادهم هدى (والثالث) بتوكيد الأدلة وحلّ الشبهة والقاء الخواطر ﴿فهو على نور﴾ أي على دلالة وهدى ﴿من ربه﴾ شبّه الأدلة بالنور لأن بها يعرف الحق كما بالنور تعرف أمور الدنيا عن الجبائي وقيل النور كتاب الله عز وجل فبه نأخذ وإليه ننتهي عن قتادة وحُذف كمن هو قاسي القلب يدلُّ على المحذوف قوله ﴿فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله﴾ وهم الذين ألفوا الكفر وتعصبوا له وتصلبت قلوبهم حتى لا ينجع فيها وعظ ولا ترغيب ولا ترهيب ولا تَرِقُّ عند ذكر الله وقراءة القرآن عليه ﴿أولئك في ضلال﴾ أي عدول عن الحق ﴿مبين﴾ أي ظاهر واضح ﴿الله نزل احسن الحديث﴾ يعني القرآن سمّاه الله حديثاً لأنه كلام الله والكلام سمّي حديثاً كما يسمّى كلام النبي ﷺ حديثاً ولأنه حديث التنزيل بعد ما تقدّمه من الكتب المنزلة على الأنبياء وهو أحسن الحديث لفرط فصاحته ولإعجازه واشتماله على جميع ما يحتاج المكلف اليه من التنبيه على أدلة التوحيد والعدل وبيان احكام الشرع وغير ذلك من المواعظ وقصص الأنبياء والترغيب والترهيب ﴿كتاباً متشابهاً﴾ يشبه بعضه بعضاً ويصدّق بعضه بعضاً ليس فيه اختلاف ولا تناقض وقيل معناه أنه يشبه كتب الله المتقدمة وان كان أعم وأجمع وأنفع وقيل متشابهاً في حسن النظم وجزالة اللفظ وجودة المعاني ﴿مثاني﴾ سمّي بذلك لأنه يثنّي فيه بعض القصص والاخبار والاحكام والمواعظ بتصريفها في ضروب البيان ويثني ايضاً في التلاوة فلا يملّ لحسن

مسموعه ﴿تقشعرُّ منه جلود الذين يخشون ربهم﴾ أي تأخذهم قشعريرة خوفاً مما في القرآن من الوعيد ﴿ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله﴾ إذا سمعوا ما فيه من الوعد بالثواب والرحمة والمعنى ان قلوبهم تطمئنُّ وتسكن الى ذكر الله الجنة والثواب فحذف مفعول الذكر للعلم به وروي عن العباس بن عبد المطلب ان النبي ﷺ قال إذا اقشعرَّ جلد العبد من خشية الله تحاتت[1] عنه ذنوبه كما يتحات عن الشجرة اليابسة ورقها وقال قتادة هذا نعت لأولياء الله بنعتهم الله بأن تقشعر، جلودهم وتطمئن قلوبهم إلى ذكر الله ولم ينعتهم بذهاب عقولهم والغشيان عليهم إنما ذلك في أهل البدع وهو من الشيطان ﴿ذلك﴾ يعني القرآن ﴿هدى الله يهدي به من يشاء﴾ من عباده بما نصب فيه من الأدلة وهم الذين آتاهم القرآن من أمة محمد ﷺ عن الجبائي وقيل يهدي به من يشاء من الذين اهتدوا به إنما خصَّهم بذلك لأنهم المنتفعون بالهداية ومن لم يهتد لا يوصف بأنه هداه الله اذ ليس معه هداية ﴿ومن يضلل الله﴾ عن طريق الجنة ﴿فما له من هاد﴾ أي لا يقدر على هدايته احد عن الجبائي وقيل معناه من ضلَّ عن الله ورحمته فلا هادي له يقال اضللت بعيري إذا ضلَّ عن أبي مسلم وقيل معناه من يضلله عن زيادة الهدى والألطاف لأن الكافر لا لطف له ﴿أفمن يتّقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة﴾ تقديره أفحال من يدفع عذاب الله بوجهه يوم القيامة كحال من يأتي آمناً منا لا تمسه النار وإنما قال بوجهه لأن الوجه اعزّ اعضاء الإنسان وقيل معناه أمن يلقى في النار منكوساً فأول عضو منه مسته النار وجهه عن عطاء ومعنى يتقي يتوقى كما قال عنترة .

إِذْ يَتَّقُونَ بِيَ الأَسِنَّةَ لَمْ أَخِمْ عَنْهَا وَلَكِنِّي تَضَايَقَ مُقْدَمِي[2]

أي يقدّمونني إلى القتال فيتوقّون بي حرّها ثم أخبر سبحانه عما يقوله خزنة النار للكفار بقوله ﴿وقيل للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون﴾ أي جزاء ما كسبتموه من المعاصي ثم أخبر سبحانه عن امثال هؤلاء الكفار من الأمم الماضية فقال ﴿كذب الذين من قبلهم﴾ بآيات الله وجحدوا رسله ﴿فأتاهم العذاب﴾ عاجلاً ﴿من حيث لا يشعرون﴾ أي وهم آمنون غافلون .

[النظم] إنما اتصل قوله أفمن شرح الله صدره بما تقدَّم من ذكر أدلة التوحيد والعدل التي إذا تفكّر فيها العاقل انشرح صدره واطمأنّت نفسه إلى ثلج اليقين واتصل قوله الله نزل

(١) أي تتساقط .

(٢) هذا بيت من معلقته المعروفة . والخيم: الجبن . يقول: حبن جعلني اصحابي حاجزاً بينهم وبين أسنة أعدائهم أي قدموني لم أجبن عن أسنتهم ولم أتأخر ولكن قد تضايق موضع اقدامي فتعذر التقدم فتأخرت لذلك . ويروى « ولو اني تضايق مقدمي » والمعنى فلم أتأخر ولو كان المسافة بيني وبينهم ضيقاً .

احسن الحديث بما تقدّمه من قوله فبشّر عبادي الذين يستمعون القول فيتّبعون أحسنه أي فإنّ أحسن الحديث القرآن فهو أولى بالاتباع عن أبي مسلم واتصل قوله أفمن يتّقي بوجهه سوء العذاب بما قبله على تقديره فمن لم يهتد بهدى الله لا يهتدي وكيف يهتدي بغيره من يتقي بوجهه سوء العذاب يعني المقيم على كفره .

﴿ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْيَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾

[القراءة] قرأ ابن كثير وأهل البصرة غير سهل سالماً بالألف والباقون سَلَماً بغير ألف واللام مفتوحة وفي الشواذ قراءة سعيد بن جبير سِلْماً بكسر السين وسكون اللام .

[الحجة] قال أبو علي يقوّي قراءة من قرأ سالماً قوله فيه شركاء متشاكسون فكما ان الشريك عبارة عن العين وليس باسم حدث فكذلك الذي بإزائه ينبغي أن يكون فاعلاً ولا يكون اسم حدث ومن قرأ سَلَماً وسِلْماً فهما مصدران وليسا بوصفين كحَسَن وبَطَل ونقض ونِضْو يقال سَلَم سَلَماً وسلامة وسِلْماً والمعنى فيمن قال سِلْماً ذا سلم أي رجلاً ذا سلم قال أبو الحسن سلم من الاستسلام وقال غيره السلم خلاف المحارب .

[اللغة] الخزي المكروه والهوان والتشاكس التمانع والتنازع تشاكسوا في الأمر تشاكساً وأصله من الشكاسة وهو سوء الخلق والاختصام ردّ كل واحد من الاثنين ما أتي به الآخر على وجه الانكار عليه وقد يكون احدهما محقّاً والآخر مبطلاً وقد يكونان جميعاً

مبطلين كاليهودي والنصراني وقد يكونان جميعاً محقّين .

[الإعراب] قال الزجاج عربياً منصوب على الحال أي في حال عروبيته وذكر قرآناً توكيداً كما تقول جاءني زيد رجلاً صالحاً وجاءني عمرو انساناً عاقلاً فتذكر رجلاً وإنساناً توكيداً. ضرب الله مثلاً رجلاً فرجلاً بدل من قوله مثلاً والتقدير ضرب الله مثلاً مثل رجل فحذف المضاف وقوله فيه شركاء يرتفع بالظرف ورجلاً عطف على الأول اي ومثل رجل سالم .

[المعنى] ثم أخبر سبحانه عما فعله بالأمم المكذّبة بأن قال ﴿فأذاقهم الله الخزي﴾ أي الذل والهوان ﴿في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة اكبر﴾ أي أعظم وأشدّ ﴿لو كانوا يعلمون ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل﴾ سمّى ذكر الأمم الماضية مثلاً كما قال ونبيّن لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال والمعنى إنا وصفنا وبيّنّا للناس في هذا القرآن كلّما يحتاجون إليه من مصالح دينهم ودنياهم ﴿لعلهم يتذكرون﴾ أي لكي يتذكروا ويتدبّروا فيعتبروا ﴿قرآناً عربياً غير ذي عوج﴾ أي غير ذي ميل عن الحق بل هو مستقيم موصل إلى الحق ﴿لعلهم يتقون﴾ أي لكي يتقوا معاصي الله ثم ضرب سبحانه مثلاً للكافر وعبادته الأصنام فقال ﴿ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون﴾ أي مختلفون سيّئو الأخلاق متنازعون وإنما ضرب هذا المثل لسائر المشركين ولكنه ذكر رجلاً واحداً وصفه بصفة موجودة في سائر المشركين فيكون المثل المضروب له مضروباً لهم جميعاً ويعني بقوله رجلاً فيه شركاء أي يعبد آلهة مختلفة وأصناماً كثيرة وهم متشاجرون متعاسرون هذا يأمره وهذا ينهاه ويريد كل واحد منهم ان يفرده بالخدمة ثم يكل كل منهم امره إلى الآخر ويكل الآخر إلى الآخر فيبقى هو خالياً عن المنافع وهذا حال من يخدم جماعة مختلفة الآراء والاهواء هذا مثل الكافر ثم ضرب سبحانه مثل المؤمن الموحّد فقال ﴿ورجلاً سلماً لرجل﴾ أي خالصاً يعبد مالكاً واحداً لا يشوب بخدمته خدمة غيره ولا يأمل سواه ومن كان بهذه الصفة نال ثمرة خدمته لا سيما اذا كان المخدوم حكيماً قادراً كريماً وروى الحاكم أبو القاسم الحسكاني بالإسناد عن علي (ع) انه قال أنا ذاك الرجل السلم لرسول الله ﷺ وروى العياشي بإسناده عن ابي خالد عن أبي جعفر (ع) قال الرجل السلم للرجل حقا عليٌّ وشيعته ﴿هل يستويان مثلاً﴾ أي هل يستوي هذان الرجلان صفة وشبهاً في حسن العاقبة وحصول المنفعة أي لا يستويان فإن الخالص لمالك واحد يستحق من معونته وحياطته ما لا يستحقّه صاحب الشركاء المختلفين في أمره وتمّ الكلام ثم قال ﴿الحمد لله﴾ أي احمد والله المستحق للثناء

والشكر على هذا المثل الذي علّمكموه فأزال به للمؤمنين الشبه وأوضح الدلالة وقيل معناه احمدوا الله حيث لطف بكم حتى عبدتموه وحده واخلصتم الإيمان له والتوحيد فهي النعمة السابغة ﴿بل أكثرهم لا يعلمون﴾ حقيقة ذلك ثم بيّن سبحانه المقام الذي يتبيّن فيه المحقُّ والمبطل فقال ﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾ أي عاقبتك الموت وكذا عاقبة هؤلاء ﴿ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون﴾ يعني المحق والمبطل والظالم والمظلوم عن ابن عباس وكان أبو العالية يقول الاختصام يكون بين اهل القبلة قال ابن عمر كنا نرى ان هذه الآية فينا وفي أهل الكتابين وقلنا كيف نختصم نحن ونبيّنا واحد وكتابنا واحد حتى رأيتُ بعضنا يضرب وجوه بعض بالسيف فعلمت انها فينا نزلت وقال أبو سعيد الخدري في هذه الآية كنا نقول ربنا واحد ونبيّنا واحد ودِيننا واحد فما هذه الخصومة فلما كان يوم صفين وشدَّ بعضنا على بعض بالسيوف قلنا نعم هو هذا وقال ابن عباس الاختصام يكون بين المهتدين والضالين والصادقين والكاذبين .

﴿ * فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن
كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى
لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَآءُ
ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ
أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾

[الإعراب] والذي جاء بالصدق وصدق به الذي هنا جنس لأن خبره جمع وهو قوله اولئك فلا يراد به واحد معين ليكفر الله اللام من صلة قوله لهم ما يشاؤون عند ربهم وقيل هو لام القسم والتقدير والله ليكفرن فحذفت النون وكسرت اللام .

[المعنى] ثم بيّن سبحانه حال الفريقين فقال ﴿فمن أظلم ممن كذب على الله﴾ بأن ادّعى له ولداً وشريكاً ﴿وكذب بالصدق﴾ بالتوحيد والقرآن ﴿إذ جاءه﴾ ثم هدّد سبحانه من هذه صورته بأن قال ﴿أليس في جهنم مثوى للكافرين﴾ أي منزل ومقام للجاحدين وهذا

استفهام يراد به التقرير ومعناه أنه لكذلك ويقال اثوى وثوى بمعنى قال .

طَالَ الثَّوَاءُ عَلَى رَبْعٍ بِيَمْؤُودِ أَوْدَى وَكُلُّ جَدِيدٍ مَرَّةً مُودِ[1]

﴿والذي جاء بالصدق وصدَّق به﴾ اختلف في المعنى به فقيل الذي جاء بالصدق محمد ﷺ جاء بالقرآن وصدَّق به المؤمنون فهو حجتهم في الدنيا والآخرة عن ابن زيد وقتادة ومقاتل واحتجُّوا بقوله ﴿أولئك هم المتقون﴾ وقيل الذي جاء بالصدق وهو القرآن جبرائيل (ع) وصدَّق به محمد ﷺ تلقّاه بالقبول عن السدي وقيل الذي جاء بالصدق وهو قول لا إله إلا الله هو محمد ﷺ وصدَّق به هو أيضاً وبلَّغه الى الخلق عن ابن عباس قال ولو كان المصدّق به غيره لقال والذي صدَّق به وهذا اقوى الأقوال وقيل الذي جاء بالصدق رسول الله ﷺ وصدَّق به أبو بكر عن أبي العالية والكلبي وقيل الذي جاء بالصدق الأنبياء وصدَّق به اتباعهم عن عطاء والربيع وعلى هذا فيكون الذي للجنس كما في قول الشاعر

وَإِنَّ الَّذِي حَانَتْ بِفَلْجٍ دِمَاؤُهُمْ هُمُ الْقَوْمُ كُلُّ الْقَوْمِ يَا أُمَّ خَالِدِ[2]

ألا ترى أنه عاد إليه ضمير الجمع وقيل الذي جاء بالصدق محمد ﷺ وصدَّقَ به علي بن أبي طالب (ع) عن مجاهد ورواه الضحاك عن ابن عباس وهو المروي عن أئمة الهدى (ع) من آل محمد ﷺ ثم منَّ سبحانه بما أعدَّ لهم من النعيم فقال ﴿لهم ما يشاؤون﴾ من الثواب والنعيم في الجنة ﴿عند ربهم﴾ ينالون من جهته ﴿ذلك جزاء المحسنين﴾ على إحسانهم الذي فعلوه في الدنيا وأعمالهم الصالحة ﴿ليكفّر الله عنهم أسوأ الذي عملوا﴾ أي اسقط الله عنهم عقاب الشرك والمعاصي التي فعلوها قبل ذلك بإيمانهم وإحسانهم ورجوعهم إلى الله تعالى ﴿ويجزيهم أجرهم﴾ أي ثوابهم ﴿بأحسن الذي كانوا يعملون﴾ أي بالفرائض والنوافل فهي احسن أعمالهم لأن المباح وان كان حسناً فلا يستحق به ثواب ولا مدح .

﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ
عَبْدَهُ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ

---

(١) قائله شماخ ويمؤود: اسم واد لغطفان. ومود اسم فاعل من أودى أي هلك .

(٢) مر البيت في صفحة ١٠٩ و١٣٣ من هذا المجلد .

مِنْ هَادٍ ﴿٣٧﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ
ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٨﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ
لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ
بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ
مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾
قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾
مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾

[القراءة] قرأ أهل الكوفة غير عاصم وأبو جعفر بكاف عباده على الجمع والباقون عبده على التوحيد وقرأ أهل البصرة كاشفات وممسكات بالتنوين وما بعدهما منصوبان وقرأ الباقون بغير تنوين على اضافة كل واحدة منهما إلى ما بعدها .

[الحجة] قال أبو علي حجة من قرأ عبده ويخوّفونك فكأن المعنى ليس الله بكافيك وهم يخوّفونك ومن قرأ عباده فالمعنى أليس الله بكاف عباده الأنبياء كما كفى إبراهيم النار ونوحاً الغرق ويونس ما وقع اليه فهو سبحانه كافيك كما كفى الأنبياء قبلك ومن قرأ كاشفات ضرّه وممسكات رحمته فالوجه فيه انه مما لم يقع وما لم يقع من اسماء الفاعلين أو كان للحال فالوجه فيه النصب ووجه الجر انه لما حذف التنوين وان كان المعنى على اثباته عاقبت الاضافة التنوين .

[المعنى] لمّا وعد الله سبحانه الصادق والمصدق عقّبه بأنه يكفيهم وان كانت الأعداء تقصدهم وتؤذيهم فقال ﴿أليس الله بكاف عبده﴾ استفهام يراد به التقرير يعني به محمداً ﷺ يكفيه عداوة من يعاديه ويناوئه ﴿ويخوفونك﴾ يا محمد ﴿بالذين من دونه﴾ كانت الكفار تخوّفه بالأوثان التي كانوا يعبدونها عن قتادة والسدي وابن زيد لأنهم قالوا له إنا نخاف أن تهلكك آلهتنا وقيل انه لما قصد خالد لكسر العزى بأمر النبي ﷺ قالوا اياك يا خالد فبأسها شديد فضرب خالد أنفها بالفأس وهشمها وقال كفرانك يا عزى لا سبحانك سبحان من

اهانك إني رأيت الله قد أهانك ﴿ومن يضلل الله فما له من هاد﴾ أي من أضلّه الله عن طريق الجنة بكفره ومعاصيه فليس له هاد يهديه إليها وقيل معناه ان من وصفه بأنه ضال إذ ضل هو عن الحق فليس له من يسميه هادياً وقيل من يحرمه الله من زيادات الهدى فليس له زائد ﴿ومن يهدي الله فما له من مضل﴾ أي من يهده الله إلى طريق الجنة فلا احد يضله عنها وقيل من يهده الله فاهتدى فلا يقدر احد على صرفه عنه وقيل من بلغ استحقاق زيادات الهدى فقد ارتفع عن تأثير الوسواس ﴿أليس الله بعزيز﴾ أي قادر قاهر لا يقدر احد على مغالبته ﴿ذي انتقام﴾ من أعدائه الجاحدين لنعمه ثم قال لنبيّه ﷺ ﴿ولئن سألتهم﴾ يا محمد ﴿من خلق السماوات والأرض﴾ وأوجدها وأنشأها بعد ان كانت معدومة ﴿ليقولن الله﴾ الفاعل لذلك لأنهم مع عبادتهم الأوثان يقرّون بذلك ثم احتجّ عليهم بأن ما يعبدونه من دون الله لا يملك كشف الضر والسوء عنهم فقال ﴿قل﴾ لهم ﴿أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر﴾ أي بمرض أو فقر أو بلاء أو شدة ﴿هل هن كاشفات ضره﴾ أي هل يكشفن ضرّه ﴿أو أرادني برحمة﴾ أي بخير أو صحة ﴿هل هن ممسكات رحمته﴾ أي هل يمسكن ويحبسن عني رحمته والمعنى أن من عجز عن النفع والضر وكشف السوء والشر عمّن يتقرّب اليه كيف يحسن منه عبادته وإنما يحسن العبادة لمن قدر على جميع ذلك ولا يلحقه العجز والمنع وهو الله تعالى ﴿قل﴾ يا محمد ﴿حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون﴾ وبه يثق الواثقون ومن توكل على غيره توكل على غير كاف ﴿قل﴾ لهم يا محمد ﴿يا قوم اعملوا على مكانتكم﴾ أي على قدر جهدكم وطاقتكم في اهلاكي وتضعيف امري ﴿إني عامل﴾ قدر جهدي وطاقتي ﴿فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم﴾ قد مضى مفسّراً وفي هذا غاية الوعيد والتهديد .

[النظم] اتصل قوله ولئن سألتهم بقوله ويخوفونك بالذين من دونه والمعنى أنه لا ينبغي ان يخوفوك بها مع اعترافهم بأن الخالق هو الله دون غيره .

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا
عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ
فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ
حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا

ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ
لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ
أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ
جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا
ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَإِذَا
ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾

[القراءة] قرأ أهل الكوفة غير عاصم وقتيبة قضي بالضم الموت بالرفع والباقون قضى بالفتح الموت بالنصب .

[الحجة] قال أبو علي حجة من بنى الفعل للفاعل قوله ويرسل الأخرى فكما أن هذا مبني للفاعل فكذلك حكم الذي عطف عليه ومن بنى الفعل للمفعول به فهو في المعنى مثل بناء الفعل للفاعل والأول أبين .

[اللغة] التوفي قبض الشيء على الإيفاء والاتمام يقال توفيت حقي من فلان واستوفيته بمعنى والاشمئزاز الانقباض والنفور عن الشيء قال عمرو بن كلثوم

إذا عَضَّ الثُّقافُ بِهَا اشْمَأَزَّتْ وَوَلَّتْهُمْ عَشَوْزَنَةً زَبُونَا(١)

وروى ثعلب عن ابن الأعرابي الشمز نفور الشيء من الشيء يكرهه .

[المعنى] ثم بيّن سبحانه تحقيق وعيده بالعذاب المقيم بأن قال ﴿إنا أنزلنا عليك الكتاب﴾ يعني القرآن ﴿للناس﴾ أي لجميع الخلق عن ابن عباس ﴿بالحق﴾ أي ليس فيه شيء من الباطل وقيل بالحق معناه بأنه الحق أو على أنه الحق الذي يجب النظر في موجبه

(١) هذا بيت من معلقته الشهيرة يصف قومه بالعزة والمنعة وان كل من رامهم أرجعوه خائباً ذليلاً . والثقاف . الحديدة التي يستوي ويقوم بها الرماح . والعشوزنة : الصلبة الشديدة . والزبون : الدفوع . وقيل هذا البيت قوله « فإن قناتنا يا عمرو أعيت * على الاعداء قبلك ان تلينا» جعل القناة التي نفرت عن التقويم مثلاً لعزتهم التي لا تضعف وقوله « عشوزنة زبوناً » للرماح .

ومقتضاه فما صحّحه وجب تصحيحه وما أفسده وجب افساده وما رغّب فيه وجب العمل به وما حذّر منه وجب اجتنابه وما دعا اليه فهو الرشد وما صرف عنه فهو الغيّ ﴿فمن اهتدى﴾ بما فيه من الأدلة ﴿فلنفسه﴾ لأن النفع في عاقبته يعود اليه ﴿ومن ضل﴾ عنه وحاد ﴿فإنما يضل عليها﴾ أي على نفسه لأن مضرة عاقبته من العقاب تعود عليه ﴿وما أنت﴾ يا محمد ﴿عليهم بوكيل﴾ أي برقيب في ايصال الحق إلى قلوبهم وحفظه عليهم حتى لا يتركوه ولا ينصرفوا عنه إذ لا تقدر على اكراههم على الإسلام وقيل بكفيل يلزمك إيمانهم فإنما عليك البلاغ ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها﴾ أي يقبضها اليه وقت موتها وانقضاء آجالها والمعنى حين مرت أبدانها وأجسادها على حذف المضاف ﴿والتي لم تمت في منامها﴾ أي ويتوفى الأنفس التي لم تمت في منامها والتي تتوفى عند النوم هي النفس التي يكون بها العقل والتمييز وهي التي تفارق النائم فلا يعقل والتي تتوفى عند الموت هي نفس الحياة التي إذا زالت زال معها النفس والنائم يتنفس فالفرق بين قبض النوم وقبض الموت ان قبض النوم يضاد اليقظة وقبض الموت يضاد الحياة وقبض النوم يكون الروح معه في البدن وقبض الموت يخرج الروح معه من البدن ﴿فيمسك التي قضى عليها الموت﴾ إلى يوم القيامة لا تعود إلى الدنيا ﴿ويرسل الأخرى﴾ يعني الأنفس الأخرى التي لم يقض على موتها يريد نفس النائم ﴿إلى أجل مسمى﴾ قد سمّي لموته ﴿إن في ذلك لآيات﴾ أي دلالات واضحات على توحيد الله وكمال قدرته ﴿لقوم يتفكرون﴾ في الأدلة إذ لا يقدر على قبض النفوس تارة بالنوم وتارة بالموت غير الله تعالى قال ابن عباس في بني آدم نفس وروح بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس التي بها العقل والتمييز والروح التي بها النفس والتحرك فإذا نام قبض الله نفسه ولم يقبض روحه وإذا مات قبض الله نفسه وروحه ويؤيّده ما رواه العياشي بالإسناد عن الحسن بن محبوب عن عمرو بن ثابت ابي المقدام عن أبي جعفر (ع) قال ما من أحد ينام إلا عرجت نفسه إلى السماء وبقيت روحه في بدنه وصار بينهما سبب كشعاع الشمس فإن أذن الله في قبض الأرواح أجابت الروح النفس وإذا أذن الله في رد الروح أجابت النفس الروح وهو قوله ﴿سبحانه الله يتوفى الأنفس حين موتها﴾ الآية فمهما رأت في ملكوت السماوات فهو مما له تأويل وما رأت فيما بين السماء والأرض فهو مما يخيّله الشيطان ولا تأويل له ﴿أم اتخذوا﴾ أي بل اتخذوا ﴿من دون الله﴾ آلهة ﴿شفعاء قل﴾ يا محمد ﴿أولو كانوا﴾ يعني الآلهة ﴿لا يملكون شيئاً﴾ من الشفاعة ﴿ولا يعقلون﴾ وجواب هذا الإستفهام محذوف تقديره أولو كانوا بهذه الصفة يتخذونهم شفعاء ويعبدونهم راجين شفاعتهم ثم قال ﴿قل﴾ لهم ﴿لله الشفاعة جميعاً﴾ أي لا يشفع احد إلا بإذنه عن مجاهد والمعنى لا يملك

أحد الشفاعة إلا بتمليكه كما قال من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه وفي هذا ابطال الشفاعة لمن ادعيت له الشفاعة من الآلهة ﴿لـه ملك السماوات والأرض ثم إليه ترجعون﴾ مضى معناه ثم أخبر سبحانه عن سوء اعتقادهم وشدّة عنادهم فقال ﴿وإذا ذكر الله وحده اشمأزت﴾ أي نفرت عن السدي والضحاك والجبائي وقيل انقبضت عن ابن عباس ومجاهد ومقاتل وقيل كفرت واستكبرت عن قتادة ﴿قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ كان المشركون إذا سمعوا قول لا إله إلا الله وحده لا شريك له نفروا من هذا لأنهم كانوا يقولون الأصنام آلهة ﴿وإذا ذكر الذين من دونه﴾ يعني الأصنام التي عبدوها من دونه ﴿إذا هم يستبشرون﴾ يفرحون ويسرّون حتى يظهر السرور في وجوههم .

[النظم] اتّصل قوله ﴿الله يتوفى الأنفس﴾ بقوله ﴿وما أنت عليهم بوكيل﴾ فبيّن سبحانه أن الحفيظ عليهم هو الذي يتوفاهم ويصرفهم كيف يشاء وقيل يتصل بقوله أليس الله بكاف عبده أي من كان هذه صفته فإنه يكفيك أمرهم واتصل قوله ﴿ام اتخذوا من دون الله شفعاء﴾ بقوله ﴿أليس الله بكاف عبده﴾ أي فكما أن أصنامهم لا تملك الضر والنفع فإنها لا تملك الشفاعة .

﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ
عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَا فِى
ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ
ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ وَبَدَا لَهُمْ
سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾ فَإِذَا
مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ
أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾
قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾

[المعنى] لمّا قدّم سبحانه ذكر الأدلة فلم ينظروا فيها والمواعظ فلم يتعظوا بها أمر نبيّه ﷺ أن يحاكمهم اليه ليفعل بهم ما يستحقونه فقال ﴿قل﴾ يا محمد ادع بهذا الدعاء ﴿اللهم فاطر السماوات والأرض﴾ أي يا خالقهما ومنشئهما ﴿عالم الغيب والشهادة﴾ أي يا عالم ما غاب علمه عن جميع الخلق وعالم ما شهدوه وعلموه ﴿أنت تحكم بين عبادك﴾ يوم القيامة ﴿فيما كانوا فيه يختلفون﴾ في دار الدنيا من أمر دينهم ودنياهم وتفصل بينهم بالحق في الحقوق والمظالم أي فاحكم بيني وبين قومي بالحق وفي هذا بشارة للمؤمنين بالظفر والنصر لأنه سبحانه إنما أمره به للاجابة لا محالة وعن سعيد بن المسيب انه قال اني لأعرف موضع آية لم يقرأها احد قط فسأل الله شيئاً إلا اعطاه قوله قل ﴿اللهم فاطر السماوات والأرض﴾ الآية ثم أخبر سبحانه عن وقوع العقاب بالكفار بأن قال ﴿ولو أن للذين ظلموا ما في الأرض جميعاً ومثله معه﴾ زيادة عليه ﴿لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة﴾ وقد مضى تفسيره ﴿وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون﴾ أي ظهر لهم يوم القيامة من صنوف العذاب ما لم يكونوا ينتظرونه ولا يظنونه واصلاً اليهم ولم يكن في حسابهم قال السدي ظنّوا اعمالهم حسنات فبدت لهم سيئات وقيل ان محمد بن المنكدر جزع عند الموت فقيل له أتجزع قال أخذتني آية من كتاب الله عز وجل وبدا لهم الآية أخذتني ان يبدو لي من الله ما لم احتسب ﴿وبدا لهم﴾ أي وظهر لهم أيضاً ﴿سيئات ما كسبوا﴾ أي جزاء سيئات أعمالهم ﴿وحاق بهم﴾ أي نزل بهم ﴿ما كانوا به يستهزءون﴾ وهو كل ما ينذرهم النبي ﷺ مما كانوا ينكرونه ويكذبون به ثم أخبر عن شدة تقلب الانسان من حال الى حال فقال ﴿فإذا مس الإنسان ضر﴾ من مرض أو شدة ﴿دعانا﴾ واستغاث بنا مسلماً مخلصاً في كشفه علماً بأنه لا يقدر غيرنا عليه ﴿ثم إذا خوّلناه نعمة منا﴾ أي أعطيناه نعمة من الصحة في الجسم والسعة في الرزق أو غير ذلك من النعم ﴿قال إنما أوتيته على علم﴾ قيل فيه وجوه (أحدها) قال إنما أوتيته بعلمي وجلدي وحيلتي عن الحسن والجبائي فيكون هذا اشارة الى جهلهم بمواضع المنافع والمضار (وثانيها) على علم على خبر علمه الله عندي عن قتادة ومقاتل (وثالثها) على علم يرضاه عنّي فلذلك أتاني ما أتاني من النعم ثم قال ليس الأمر على ما يقولونه ﴿بل هي فتنة﴾ أي بلية واختبار يبتليه الله بها فيظهر كيف شكره او صبره في مقابلتها فيجازيه بحسبها وقيل معناه هذه النعمة فتنة أي عذاب لهم إذا أضافوها إلى أنفسهم وقيل معناه هذه المقالة التي قالوها فتنة لهم لأنهم يعاقبون عليها ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ البلوى من النعمى وقيل لا يعلمون ان النعم كلها من الله وان حصلت بأسباب من جهة العبد ﴿قد قالها﴾ أي قد قال مثل هذه الكلمة وهذه المقالة ﴿الذين من قبلهم﴾ مثل قارون حيث قال

إنماأوتيته على علم عندي ﴿فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون﴾ أي فلم ينفعهم ما كانوا يجمعونه من الأموال بل صارت وبالاً عليهم .

﴿ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا ۚ وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَٰؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ
سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ
الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾
* قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ
اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾
وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا
تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ
أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾

[المعنى] ثم أخبر سبحانه عن حال هؤلاء الكفار فقال ﴿فأصابهم سيئات ما كسبوا﴾ أي أصابهم عقاب سيئاتهم فحذف المضاف لدلالة الكلام عليه وقيل إنما سمّي عقاب سيئاتهم سيئة لازدواج الكلام كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها ﴿والذين ظلموا من هؤلاء﴾ أي من كفار قومك يا محمد ﴿سيصيبهم سيئات ما كسبوا﴾ أيضاً ﴿وما هم بمعجزين﴾ أي لا يفوتون الله تعالى وقيل لا يعجزون الله بالخروج من قدرته ﴿أولم يعلموا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر﴾ أي يوسّع الرزق على من يشاء ويضيق على من يشاء بحسب ما يعلم من المصلحة ﴿إن في ذلك لآيات﴾ دلالات واضحات ﴿لقوم يؤمنون﴾ يصدقون بتوحيد الله تعالى لأنهم المنتفعون بها ﴿قل﴾ يا محمد ﴿يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم﴾ بارتكاب الذنوب ﴿لا تقنطوا من رحمة الله﴾ أي لا تيأسوا من مغفرة الله ﴿إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم﴾ وعن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال ما أحب أن لي الدنيا وما فيها بهذه الآية وعن أمير المؤمنين علي (ع) انه قال ما في القرآن آية أوسع من ﴿يا

عبادي الذين أسرفوا﴾ الآية وفي مصحف عبد الله ان الله يغفر الذنوب جميعاً لمن يشاء وقيل ان الآية نزلت في وحشي قاتل حمزة حين أراد أن يسلم وخاف أن لا تقبل توبته فلما نزلت الآية اسلم فقيل يا رسول الله هذه له خاصة أم للمسلمين عامة فقال ﷺ بل للمسلمين عامة وهذا لا يصح لأن الآية نزلت بمكة ووحشي اسلم بعدها بسنين كثيرة ولكن يمكن أن يكون قرئت عليه الآية فكانت سبب اسلامه فالآية محمولة على عمومها فالله سبحانه يغفر جميع الذنوب للتائب لا محالة فإن مات الموحد من غير توبة فهو في مشيئة الله إن شاء عذّبه بعدله وإن شاء غفر له بفضله كما قال ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ثم دعا سبحانه عباده إلى التوبة وأمرهم بالإنابة اليه فقال ﴿وأنيبوا إلى ربكم﴾ أي ارجعوا من الشرك والذنوب الى الله فوحّدوه ﴿وأسلموا له﴾ أي انقادوا له بالطاعة فيما أمركم به وقيل معناه اجعلوا أنفسكم خالصة له قد حثّ سبحانه بهذه الآية على التوبة كيلا يرتكب الإنسان المعصية ويدع التوبة اتّكالاً على الآية المتقدمة ﴿من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون﴾ عند نزول العذاب بكم ﴿واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم﴾ أي من الحلال والحرام والأمر والنهي والوعد والوعيد فمن أتى بالمأمور به وترك المنهي عنه فقد اتبع الاحسن عن ابن عباس وقيل إنما قال احسن ما أنزل لأنه أراد بذلك الواجبات والنوافل التي هي الطاعات دون المباحات وقيل أراد بالأحسن الناسخ دون المنسوخ عن الجبائي قال علي ابن عيسى وهذا خطأ لأن المنسوخ يجوز أن يكون حسناً إلا ان العمل بالناسخ يكون اصلح وأحسن ﴿من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة﴾ أي فجأة في وقت لا تتوقعونه ﴿وأنتم لا تشعرون﴾ أي لا تعرفون وقت نزوله بكم .

﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ

يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾
أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ
حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ
قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ
ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم

مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾

[القراءة] قرأ أبو جعفر يا حسرتاي بياء مفتوحة بعد الألف والباقون يا حسرتا بغير ياء .

[الحجة] قال ابن جني في قوله يا حسرتاي اشكال وذلك ان الألف في حسرتا إنما هي بدل من يا حسرتي ابدلت الياء الفاً هرباً إلى خفة الألف من ثقل الياء قال والذي عندي فيه انه جمع بين العوض والمعوض عنه كمذهب ابي اسحاق وأبي بكر في قول الفرزدق

هُمَا نَفَثَا فِي فِيَّ مِنْ فَمَوَيْهِمَا عَلَى النَّابِحِ الْعَاوِي أَشَدَّ رِجَامِ[1]

فجمع بين الميم والواو وإنما الميم بدل من الواو ومثله ما أنشده أبو زيد

إِنِّي إِذَا مَا حَدَثٌ أَلَمَّا أَقُولُ يَا اللَّهُمَّ يَا اللَّهُمَّا

فجمع بين ياء وميم وإنما الميم عوض من ياء .

[اللغة] التفريط اهمال ما يجب ان يتقدَّم فيه حتى يفوت وقته ومثله التقصير وضدُّه الأخذ بالحزم يقال فلان حازم وفلان مفرط والتحسر الاغتمام مما فات وقته لانحساره عنه بما لا يمكنه استدراكه ومثله التأسف وأصل الباب الانقطاع يقال انحسرت الدابة أي انقطع سيرها كلالا والجنب العضو المعروف والجنب أيضاً معظم الشيء وأكثره يقال هذا قليل في جنب مودّتك ويقال ما فعلتَ في جنب حاجتي أي في أمره قال كثير

أَلَا تَتَّقِينَ اللَّهَ فِي جَنْبِ عَاشِقٍ لَهُ كَبِدٌ حَرَّى عَلَيْكَ تَقَطَّعُ

[الإعراب] بلى قد جاءتك جواب قوله او تقول لو أنَّ الله هداني لكنت من المتقين لأن معناه ما هداني فقيل لها بلى قد جاءتك آياتي لأن بلى جواب النفي وليس في الظاهر نفي فيحمل على المعنى . وجوههم مسودة مبتدأ وخبر والجملة في موضع نصب على الحال واستغنى عن الواو لمكان الضمير ويجوز في غير القرآن وجوههم بالنصب على البدل . من الذين كذبوا اي ترى وجوه الذين كذبوا على الله مسودة بالنصب ومثل النصب قول عدي بن زيد

---

(١) نفث من فيه : رمى به . والنباح صوت الكلب والمراد من العاوي : الكلب . والرجام : الرمي بالحجارة هذا البيت قوله : « وان ابن ابليس وابليس البنا ● لهم بعذاب الناس كل غلام » .

دَعِـيـنِـي إِنَّ أَمْـرَكَ لَـنْ يُـطاعَـا وَمَـا أَلْـفَـيْـتَـنِي حِـلْـمِـي مُـضَـاعَـاً

[المعنى] لمّا أمر الله سبحانه باتّباع الطاعلت واجتناب المقبحات تحذيراً من نزول العقوبات بيّن الغرض في ذلك بقوله ﴿ان تقول نفس﴾ أي خوف ان تقول او حذراً من ان تقول والمعنى كراهة ان تصيروا الى حال تقولون فيها ﴿يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله﴾ أي يا ندامتي على ما ضيّعت من ثواب الله عن ابن عباس وقيل قصرت في أمر الله عن مجاهد والسدي وقيل في طاعة الله عن الحسن قال الفراء الجنب القرب اي في قرب الله وجواره يقال فلان يعيش في جنب فلان أي في قربه وجواره ومنه قوله تعالى والصاحب بالجنب فيكون المعنى على هذا القول على ما فرطت في طلب جنب الله اي في طلب جواره وقربه وهو الجنة وقال الزجاج اي فرطت في الطريق الذي هو طريق الله فيكون الجنب بمعنى الجانب أي قصرت في الجانب الذي يؤدّي إلى رضا الله وروى العياشي بالإسناد عن أبي الجارود عن أبي جعفر (ع) انه قال نحن جنب الله ﴿وإن كنت لمن الساخرين﴾ أي وإني كنت لمن المستهزئين بالنبي ﷺ والقرآن وبالمؤمنين في دار الدنيا عن قتادة والسدي وقيل من الساخرين ممن يدعوني إلى الإيمان ﴿أو تقول لو ان الله هداني لكنت من المتقين﴾ أي فعلنا ذلك كراهة ان تقول لو أراد الله هدايتي لكنت ممن يتّقي معاصيه خوفاً من عقابه وقيل انهم لمّا لم ينظروا في الأدلة وأعرضوا عن القرآن واشتغلوا بالدنيا والاباطيل توهّموا أن الله تعالى لم يهدهم فقالوا ذلك بالظن ولهذا ردَّ الله عليهم بقوله بلى قد جاءتك آياتي الآية وقيل معناه لو أنَّ الله هداني الى النجاة بأن يردّني الى حال التكليف لكنت ممن يتّقي المعاصي عن الجبائي قال لأنهم يضطرون يوم القيامة إلى العلم بأن الله قد هداهم ﴿أو تقول حين ترى العذاب لو ان لي كرة فأكون من المحسنين﴾ أي لو أنَّ لي رجعة إلى الدنيا فأكون من الموحّدين المطيعين ثم قال سبحانه منكراً على هذا القائل ﴿بلى﴾ أي ليس كما قلت ﴿قد جاءتك آياتي﴾ أي حججي ودلالاتي ﴿فكذبت بها﴾ وأنفت من اتباعها وذلك قوله ﴿واستكبرت وكنت من الكافرين﴾ بها وإنما قال جاءتك وان كانت النفس مؤنّثة لأن المراد بالنفس هنا الإنسان وروي في الشواذ عن عاصم والجحدري ويحيى بن يعمر بكسر الكاف والتاآت بلى قد جاءتكِ آياتي فكذبتِ بها واستكبرتِ وكنتِ من الكافرين ﴿ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله﴾ فزعموا ان له شريكاً وولداً ﴿وجوههم مسودَّة أليس في جهنم مثوى للمتكبّرين﴾ الذين تكبّروا عن الإيمان بالله هذا استفهام تقرير أي فيها مثواهم ومقامهم وروى العياشي بإسناده عن خيثمة قال سمعت أبا عبد الله (ع) يقول من حدث عنا بحديث فنحن سائلوه عنه يوماً فإن صدق علينا فإنما يصدق على الله وعلى رسوله وإن كذب علينا فإنما

يكذب على الله وعلى رسوله لأنا إذا حدثنا لا نقول قال فلان وقال فلان إنما نقول قال الله وقال رسوله ثم تلا هذه الآية ﴿ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله﴾ الآية ثم أشار خيثمة إلى أذنيه فقال صمّتا ان لم أكن سمعته وعن سودة بن كليب قال سألت أبا جعفر (ع) عن هذه الآية فقال كل امام انتحل إمامة ليست له من الله قلت وان كان علوياً قال (ع) وان كان علوياً قلت وإن كان فاطمياً قال وان كان فاطمياً .

﴿ وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ
ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ خَٰلِقُ
كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾
قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِىَ
إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ
مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾

[القراءة] قرأ أهل الكوفة غير حفص بمفازاتهم والباقون بمفازاتهم وقرأ أهل المدينة تأمروني خفيفة النون مفتوحة الياء وقرأ ابن عامر تأمرونني بنونين ساكنة الياء وقرأ ابن كثير تأمرونّيَ مشدّدة النون مفتوحة الياء والباقون تأمروني مشدّدة النون ساكنة الياء وقرأ زيد عن يعقوب لنحبطنَّ عملك والباقون وليحبطنَّ عملك .

[الحجة] قال أبو علي حجة الأفراد أن المفازة والفوز واحد فأفراد المفازة كأفراد الفوز وحجة الجمع أن المصادر قد تجمع إذا إختلفت أجناسها ومثله في الأفراد والجمع على مكانتكم ومكاناتكم وقوله ﴿ أفغير الله تأمروني أعبد ﴾ غير ينتصب على وجهين (أحدهما) أعبد غير الله فيما تأمرونني (والآخر) أن ينتصب بتأمرونني أي أتأمرونني بعبادة غير الله فلما حذف أن ارتفع أعبد فصارت أن وصلتها في موضع نصب ولا يجوز انتصاب غير بأعبد على هذا لأنه في تقدير الصلة فلا يعمل فيما تقدّم عليه فموضع أعبد وأن المضمرة نصب على

تقدير البدل من غير كأنه قال أبعبادة غير الله تأمروني إلا أن الجار حذف كما حذف من قوله ﴿ أمرتك الخير ﴾ وصار التقدير بعد الحذف أغير الله تأمروني عبادته فاضمر المفعول الثاني للأمر والمفعول الأول علامة المتكلم وأن أعبد بدل من غير ومثل هذا في البدل قوله ﴿ وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره ﴾ أي ما أنساني ذكره إلا الشيطان وأقول في بيانه وشرحه أن تقديره كان في الأصل أفبعبادة غير الله تأمرونني ثم حذف الجار الذي هو الباء فوصل الفعل فنصبه فصار أفبعبادة غير الله تأمرونني ثم حذف المضاف الذي هو عبادة وأقيم المضاف إليه الذي هو غير مقامه فصار أفغير الله تأمرونني ثم جعل أعبد الذي تقديره أن أعبده وهو في معنى عبادته بدلاً من غير الله وبياناً للمحذوف الذي هو عبادة في قوله أفبعبادة غير الله فصار مثل قوله تعالى ﴿ وما انسانيه إلا الشيطان أن أذكره ﴾ ومن قال أن قوله ﴿ أعبد ﴾ في موضع نصب على الحال فلا وجه لقوله وأما على الوجه الأول وهو أن يكون غير الله منصوباً بأعبد فإنه يكون تأمرني إعتراضاً بين العامل والمعمول. رجعنا إلى كلام أبي علي فأما تأمروني فالقياس تأمروننني ويدغم فيصير تأمروني وجاز الإدغام وإسكان النون المدغمة لأن قبلها حرف لين وهو الواو في تأمروننني ومن خفف فقال تأمروني ينبغي أن يكون حذف النون الثانية المصاحبة لعلامة المنصوب المتكلم لأنها قد حذفت في مواضع نحو « يَسُوءُ الفَالِيَاتِ إِذَا فَلَيْنِي »[1] وإني وكأني وقدي وقدني وإنما قدّرنا حذف الثانية لأن التكرير والتثقيل به وقع ولأن حذف الأولى لحن لأنها دلالة الرفع وعلى هذا يحمل قول الشاعر :

أَبِالْمَوْتِ الَّذِي لَا بُدَّ أَنِّي ... مُلَاقٍ لَا أَبَاكَ تُخَوِّفِينِي

وفتح الياء من تأمروني وإسكانها جميعاً سائغ حسن .

[المعنى] لمّا أخبر الله سبحانه عن حال الكفار عقّبه بذكر حال الأتقياء الأبرار فقال ﴿ وينجّي الله الذين اتقوا ﴾ معاصيه خوفاً من عقابه ﴿ بمفازتهم ﴾ أي بمنجاتهم من النار وأصل المفازة المنجاة وبذلك سمّيت المفازة على وجه التفاؤل بالنجاة منها كما سمّوا اللديغ[2] سليماً ﴿ لا يمسّهم السوء ﴾ أي لا يصيبهم المكروه والشدة ﴿ ولا هم يحزنون ﴾ على ما فاتهم من لذات الدنيا ولما ذكر الوعد والوعيد بيّن سبحانه أنه القادر على كل شيء بقوله ﴿ الله خالق كل شيء ﴾ أي محدث كل شيء ومبدعه ﴿ وهو على كل شيء وكيل ﴾

(١) هذا عجز بيت من قصيدة لعمرو بن معد يكرب يصف فيها الشيب وقبله « نراه كالثغام يعل مسكاً » وهو مذكور في جامع الشواهد وقد مر في الكتاب أيضاً مراراً .

(٢) اللديغ : الذي لسعته الحية أو العقرب .

أي حافظ مدبّر ﴿ له مقاليد السماوات والأرض ﴾ واحدها مقليد ومقلاد يريد مفاتيح السماوات والأرض بالرزق والرحمة عن ابن عباس وقتادة وقيل خزائن السماوات والأرض يفتح الرزق على من يشاء ويغلقه عمن يشاء عن الضحاك ﴿ والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون ﴾ لأنهم يخسرون الجنة ونعيمها ويصلون النار وسعيرها ثم أعلم سبحانه أنه المعبود لا معبود سواه بقوله ﴿ قل ﴾ يا محمد لهؤلاء الكفار ﴿ أفغير الله تأمروني أعبد ﴾ أي أتأمرونني أن أعبد غير الله ﴿ أيها الجاهلون ﴾ فيما تأمرونني به إذ تأمرون بعبادة من لا يسمع ولا يبصر ولا ينفع ولا يضرّ ثم قال لنبيّه ﷺ ﴿ ولقد أوحي إليك ﴾ يا محمد ﴿ وإلى الذين من قبلك ﴾ من الأنبياء والرسل ﴿ لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين ﴾ قال ابن عباس هذا أدب عن الله تعالى لنبيه ﷺ وتهديد لغيره لأن الله تعالى قد عصمه من الشرك ومداهنة الكفار[1] وليس في هذا ما يدل على صحة القول بالإحباط على ما يذهب إليه أهل الوعيد لأن المعنى فيه أن من أشرك في عبادة الله غيره من الأصنام وغيرها وقعت عبادته على وجه لا يستحق عليها الثواب به ولذلك وصفها بأنها محبطة إذ لو كانت العبادة خالصة لوجه الله تعالى لاستحق عليها الثواب ثم أمر سبحانه بالتوحيد فقال ﴿ بل الله فاعبد ﴾ أي وجّه عبادتك إليه تعالى وحده دون الأصنام ﴿ وكن من الشاكرين ﴾ الذين يشكرون الله على نعمه ويخلصون العبادة له قال الزجاج الله منصوب بقوله ﴿ فاعبد ﴾ في قول البصريين والكوفيين والفاء جاءت على معنى المجازاة والمعنى قد تبينت فاعبد الله .

﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِا۟ىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ

(١) وقد ورد في روايات كثيرة عن أهل بيت العصمة صلوات الله عليهم أجمعين أن القرآن نزل بإياك أعني واسمعي يا جارة. وفي حديث ابن أبي عمير عمن حدثه عن أبي عبد الله (ع) قال: ما عاتب الله نبيه فهو يعني به كان فهذه الآية وأمثالها من باب « إياك أعني واسمعي يا جارة » خوطب به النبي صلى الله عليه وآله لكن المراد به الأمة .

وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾

[الإعراب] جميعاً نصب على الحال والعامل فيه محذوف وتقديره والأرض إذا كانت مجتمعة قبضته فإذا ظرف زمان والعامل فيه قبضته وكان هاهنا تامة إذ لو كانت ناقصة لكان جميعاً خبرها ولم يجز أن يكون حالاً وهذا كما قالوا في أخطب ما يكون الأمير قائماً أن التقدير إذا كان قائماً أو إذ كان قائماً وهذا بسرا أطيب منه تمراً أن التقدير هذا إذا كان بسراً أطيب منه إذا كان تمراً ومثله قول الشاعر :

إِذَا ٱلْمَرْءُ أَعْيَتْهُ ٱلْمُرُوَّةَ نَاشِئاً فَمَطْلَبُهَا كَهْلاً عَلَيْهِ شَدِيدُ[1]

أي إذا كان كهلاً والمعنى والأرض في حال إجتماعها قبضته قال الإمام النحوي البصير قال أبو علي في الحجة إن التقدير والأرض ذات قبضته إذا كانت مجتمعة وقال في الحلبيات التقدير والأرض مقبوضة إذا كانت مجتمعة وقال فعلى التقدير الذي في الحجة لا يتأتى أعمال قبضته في إذا لأنه قدره ذات قبضته والمضاف إليه لا يعمل فيما قبل المضاف وعلى التقدير في الحلبيات يتأتى أعمال قبضته في إذا لأنه بمعنى مفعول وأقول أن المضاف إليه إذا أقيم مقام المضاف بعد أن حذف المضاف جاز أن يعمل عمل المضاف كما أعرب بإعرابه فارتفع بعد أن كان مجروراً في الأصل فلما جاز أن يعمل المضاف فيما قبله جاز لما قام مقامه أن يعمل فيما قبله كما إكتسى إعرابه وكيف يجوز أن يستتم ما ذكره هذا الجامع للعلوم على مثل أبي علي مع أنه يشق الشعر في هذا الفن .

[المعنى] ثم أخبر سبحانه عن أحوالهم فقال ﴿ وما قدروا الله حق قدره ﴾ أي ما عظّموا الله حق عظمته إذ عبدوا غيره وأمروا نبيَّه بعبادة غيره عن الحسن والسدي قال المبرد وأصله من قولك فلان عظيم القدر يريد بذلك جلالته والقدر إختصاص الشيء بعظم أو صغر أو مساواة وقيل معناه وما وصفوا الله حق وصفه إذ جحدوا البعث فوصفوه بأنه خلق الخلق عبثاً وأنه عاجز عن الإعادة والبعث ﴿ والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة ﴾ والقبضة في اللغة ما قبضت عليه بجميع كفّك أخبر سبحانه عن كمال قدرته فذكر أن الأرض كلها مع عظمها في مقدوره كالشيء الذي يقبض عليه القابض بكفّه فيكون في قبضته وهذا تفهيم لنا على عادة

(١) الشعر في جامع الشواهد .

التخاطب فيما بيننا لأنا نقول هذا في قبضة فلان وفي يد فلان إذا هان عليه التصرف فيه وإن لم يقبض عليه وكذا قوله ﴿ والسماوات مطويات بيمينه ﴾ أي يطويها بقدرته كما يطوي الواحد منا الشيء المقدور له طيّه بيمينه وذكر اليمين للمبالغة في الإقتدار والتحقيق للملك كما قال ﴿ أو ما ملكت أيمانكم ﴾ أي ما كانت تحت قدرتكم إذ ليس الملك يختص باليمين دون الشمال وسائر الجسد وقيل معناه أنه محفوظات مصونات بقوته واليمين القوة كما في قول الشاعر :

إذا ما رَايَةٌ رُفِعَتْ لِمَجْدٍ تَلَقَّاهَا عَرَابَةُ بِالْيَمِينِ[1]

ثم نزّه سبحانه نفسه عن شركهم فقال ﴿ سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ أي عما يضيفونه إليه من الشبيه والمثل ﴿ ونفخ في الصور ﴾ وهو قرن ينفخ فيه إسرافيل ووجه الحكمة في ذلك أنها علامة جعلها الله ليعلم بها العقلاء آخر أمرهم في دار التكليف ثم تجديد الخلق فشبّه ذلك بما يتعارفونه من بوق الرحيل والنزول ولا تتصوره النفوس بأحسن من هذه الطريقة وقيل أن الصور جمع صورة فكأنه نفخ في صورة الخلق عن قتادة وروي عنه أنه قرأ في الصُوَر بفتح الواو ﴿ فصعق من في السماوات ومن في الأرض ﴾ أي يموت من شدة تلك الصيحة التي تخرج من الصور جميع من في السماوات والأرض يقال صعق فلان إذا مات بحال هائلة شبيهة بالصيحة العظيمة ﴿ إلا من شاء الله ﴾ إختلف في المستثنى فقيل هم جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت عن السدي وهو المروي عن حديث مرفوع وقيل هم الشهداء الذين قتلوا في سبيل الله عن سعيد بن جبير وعطا عن ابن عباس وأبي هريرة عن النبي ﷺ أنه سأل جبرائيل عن هذه الآية من الذي لم يشأ الله أن يصعقهم قال هم الشهداء متقلدون أسيافهم حول العرش ﴿ ثم نفخ فيه أخرى ﴾ يعني نفخة البعث وهي النفخة الثانية وقال قتادة في حديث رفعه أن ما بين النفختين أربعين سنة وقيل إن الله تعالى يفني الأجسام كلها بعد الصعق وموت الخلق ثم يعيدها وقوله ﴿ فإذا هم قيام ﴾ أخبار عن سرعة إيجادهم لأنه سبحانه إذا نفخ النفخة الثانية أعادهم عقيب ذلك فيقومون من قبورهم ﴿ أحياء ينظرون ﴾ أي ينتظرون ما يفعل بهم وما يؤمرون به ﴿ وأشرقت الأرض بنور ربها ﴾ أي أضاءت الأرض بعدل ربها يوم القيامة لأن نور الأرض بالعدل كما أن نور العلم بالعمل عن الحسن والسدي وقيل بنور يخلقه الله عز وجل يضيء به أرض القيامة من غير شمس ولا قمر ﴿ ووضع الكتاب ﴾ أي كتب الأعمال التي كتبتها الملائكة على بني آدم توضع في

(١) قائله شماخ ونسبه الجوهري إلى الحطيئة وعرابة : اسم رجل من الأنصار وقد مر البيت أيضاً .

أيديهم ليقرؤا منها أعمالهم والكتاب اسم جنس فيؤدّي معنى الجمع أي يوضع كتاب كل إنسان في يمينه أو شماله ﴿ وجيىء بالنبيين والشهداء ﴾ أي يعطى بهم والشهداء هم الذين يشهدون للأنبياء على الأمم بأنهم قد بلغوا وإن الأمم قد كذبوا عن ابن عباس وسعيد بن جبير وقيل هم الذين إستشهدوا في سبيل الله عن السدي وقيل هم عدول الآخرة يشهدون على الأمم بما شاهدوا عن الجبائي وأبي مسلم وهذا كما جرت العادة بأن القضاء يكون بمشهد الشهداء والعدول وقيل هم الحفظة من الملائكة ويدل عليه قوله ﴿ وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد ﴾ وقيل هم جميع الشهداء من الجوارح والمكان والزمان ﴿ وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون ﴾ أي يفصل بينهم بمرّ الحق لا ينقص أحد منهم شيئاً مما يستحقه من الثواب ولا يفعل به ما لا يستحقه من العقاب ﴿ ووفيت كل نفس ما عملت ﴾ أي يعطي كل نفس عاملة بالطاعات جزاء ما عملته على الوفاء والكمال دون النقصان ﴿ وهو أعلم بما يفعلون ﴾ أي والله سبحانه أعلم من كل أحد بما يفعلونه من طاعة أو معصية ولم يأمر الملائكة بكتبة الأعمال لحاجة إلى ذلك بل لزيادة تأكيد وليعلموا أنه يجازيهم بحسب ما عملوا .

[النظم] إتصل قوله ﴿ والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة ﴾ بقوله ﴿ وما قدروا الله حقّ قدره ﴾ أي ما عظّموه حقّ عظمته إذ عبدوا معه غيره مع اقتداره على السماوات والأرض .

﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ
جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ
أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ
لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى
ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ
مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ
زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ

عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ
فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٤﴾ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ
الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٥﴾

[القراءة] قرأ أهل الكوفة فتحت وفتحت بالتخفيف فيهما والباقون بالتشديد .

[الحجة] حجة التشديد قوله ﴿ مفتَّحة لهم الأبواب ﴾ وإن التشديد يختص بالكثرة ووجه التخفيف أن التخفيف يصلح للقليل والكثير .

[اللغة] السوق الحثّ على السير ومنه قولهم الكلام يجري على سياقة واحدة ومنه السوق لأن المعاملة تساق فيها بالبيع والشراء والزمر جمع زمرة وهي الجماعة لها صوت كصوت المزمار ومنه مزامير داود وهي أصوات كانت له مستحسنة قال :

لَهُ زَجَلٌ كَأَنَّهُ صَوْتُ حَادٍ إِذَا طَلَبَ الْوَسِيقَةَ أَوْ زَمِيرُ(١)

وقال أبو عبيدة هم جماعات في تفرقة بعضهم في أثر بعض وحفَّ القوم بفلان إذا أطافوا به وأحدقوا به والحفافان الجانبان قال المبرد الواو في قوله ﴿ حتى إذا جاؤها وفتحت أبوابها ﴾ زائدة وكان ينكر قول من يقول هي واو الثمانية وأنشد لأمرء القيس :

فَلَمَّا أَجَزْنَا سَاحَةَ الْحَيِّ وَانْتَحَى بِنَا بَطْنُ خَبْتٍ ذِي حِقَافٍ عَقَنْقَلِ(٢)

قال والمعنى فلما أجزنا ساحة الحي إنتحى بنا قال علي بن عيسى إنما جيء بهذه

(١) الزجل : رفع الصوت والطرب . والحادي : الذي يحدو وللإبل والوسيقة من الإبل كالرفقة من الناس فإذا سرقت طردت معاً .

(٢) البيت من المعلقات والانتحاء بمعنى القصد أو بمعنى الاعتماد على الشيء أو بمعنى الإعتراض والكل محتمل في المقام والخبت : الأرض المطمئنة وذي حقاف أي ذات رمل والعقنقل : الرمل المنعقد المتلبد وفي أن جواب لما قوله ﴿ انتحى ﴾ أو هو محذوف تقديره فلما أجزنا وانتحى بنا بطن خبت أمنا أو طابت حالنا ورق عيشنا أو نحو ذلك خلاف ذكره الزوزني في شرح المعلقات وهنا قول ثالث وهو أن جواب لما « هصرت » في بيت بعده على رواية المشهور ذكره في هامش المعلقات العشر : ٦٧ فراجع .

الواو تارة وحذفت أخرى للتصرف في الكلام وجواب إذا في صفة أهل الجنة محذوف وتقديره حتى إذا جاؤها وفتحت أبوابها وكانوا كيت وكيت فازوا ونالوا المنى وما أشبه ذلك وهذا معنى قول الخليل لأنه قال في بيت امرء القيس الجواب محذوف والتقدير فلما أجزنا ساحة الحي وانتحى بنا خلونا ونعمنا ومثله قول بعض الهذليين

حَتَّى إِذَا سَلَكُوهُمْ فِي قُتَائِدَةٍ شَلًّا كَمَا تَطْرُدُ الْجَمَّالَةُ الشُّرُدَا(١)

فحذف جواب إذا لأن هذا البيت آخر القصيدة وتحقيقه إن التقدير حتى إذا جاؤها وفتحت أبوابها فالواو واو حال وجواب إذا مضمر كما أضمر في قوله ﴿ **حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت** ﴾ إلى قوله ﴿ **ثم تاب عليهم** ﴾ والتقدير قاربوا الهلاك ثم تاب عليهم .

[**المعنى**] ثم أخبر سبحانه عن قسمة أحوال الخلائق في المحشر بعد فصل القضاء فقال ﴿ **وسيق الذين كفروا** ﴾ أي يساقون سوقاً في عنف ﴿ **إلى جهنم زمراً** ﴾ أي فوجاً بعد فوج وزمرة بعد زمرة ﴿ **حتى إذا جاؤها فتحت أبوابها** ﴾ أي حتى إذا إنتهوا إلى جهنم فتحت أبواب جهنم عند مجيئهم إليها وهي سبعة أبواب ﴿ **وقال لهم خزنتها** ﴾ الموكلون بها على وجه التهجين لفعلهم والإنكار عليهم ﴿ **ألم يأتكم رسل منكم** ﴾ أي من أمثالكم من البشر ﴿ **يتلون عليكم** ﴾ يقرؤون عليكم حجج ربكم وما يدلّكم على معرفته ووجوب عبادته ﴿ **وينذرونكم لقاء يومكم هذا** ﴾ أي ويخوّفونكم من مشاهدة هذا اليوم وعذابه ﴿ **قالوا** ﴾ أي قال الكفار لهم ﴿ **بلى** ﴾ قد جاءتنا رسل ربنا وخوّفونا بآيات الله ﴿ **ولكن حقّت كلمة العذاب على الكافرين** ﴾ أي وجب العقاب على من كفر بالله تعالى لأنه أخبر بذلك وعلم من يكفر ويوافي بكفره فقطع على عقابه فلم يكن شيء يقع منه خلاف ما علمه وأخبر به فصار كوننا في جهنم موافقاً لما أخبر به تعالى ولما علمه ﴿ **قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها** ﴾ أي فيقول عند ذلك خزنة جهنم وهم الملائكة الموكلون أدخلوا أبواب جهنم مؤبّدين لا آخر لعقابكم ﴿ **فبئس مثوى المتكبرين** ﴾ أي بئس موضع إقامة المتكبّرين عن الحق وقبوله جهنم ﴿ **وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً** ﴾ أي يساقون مكرمين زمرة بعد زمرة كقوله ﴿ **يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً** ﴾ وإنما ذكر السوق على وجه المقابلة لسوق الكافرين إلى جهنم كلفظ البشارة في قوله فبشّرهم بعذاب أليم وإنما البشارة هي الخبر السار ﴿ **حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها** ﴾ أي وقد فتحت أبوابها قبل مجيئهم وأبواب الجنة ثمانية

---

(١) مضى البيت في المجلد الثالث .

وعن سهل بن سعد الساعدي أن رسول الله ﷺ قال أنّ في الجنة ثمانية أبواب منها باب يسمى الريان لا يدخلها إلا الصائمون رواه البخاري ومسلم في الصحيحين ﴿ **وقال لهم خزنتها** ﴾ عند استقبالهم ﴿ **سلام عليكم** ﴾ أي سلامة من الله عليكم يحيّونهم بالسلامة ليزدادوا بذلك سروراً وقيل هو دعاء لهم بالسلامة والخلود أي سلمتم من الآفات ﴿ **طبتم** ﴾ أي طبتم بالعمل الصالح في الدنيا وطابت أعمالكم الصالحة وزكت وقيل معناه طابت أنفسكم بدخول الجنة وقيل أنهم طيبوا قبل دخول الجنة بالمغفرة واقتص لبعضهم من بعض فلما هذبوا وطيبوا قال لهم الخزنة طبتم عن قتادة وقيل طبتم أي طاب لكم المقام عن ابن عباس وقيل إنهم إذا قربوا من الجنة يردّون على عين من الماء فيغتسلون بها ويشربون منها فيطهّر الله أجوافهم فلا يكون بعد ذلك منهم حدث وأذى ولا تتغيّر ألوانهم فتقول الملائكة ﴿ **طبتم فادخلوها خالدين** ﴾ أي فادخلوا الجنة خالدين مخلدين مؤبّدين ﴿**وقالوا**﴾ أي ويقول أهل الجنة إذا دخلوها اعترافاً بنعم الله تعالى عليهم ﴿ **الحمد لله الذي صدقنا وعده** ﴾ الذي وعدناه على ألسنة الرسل ﴿ **وأورثنا الأرض** ﴾ أي أرض الجنة لما صارت الجنة عاقبة أمرهم عبّر عن ذلك بلفظ الميراث والإيراث وقيل لأنهم ورثوها عن أهل النار ﴿ **نتبوء من الجنة** ﴾ أي نتّخذ من لجنة مبوّأ ومأوى ﴿ **حيث نشاء** ﴾ وهذا إشارة إلى كثرة قصورهم ومنازلهم وسعة نعمتهم ﴿ **فنعم أجر العاملين** ﴾ أي فنعم ثواب المحسنين الجنة والنعيم فيها ﴿ **وترى الملائكة حافين من حول العرش** ﴾ معناه ومن عجائب أمور الآخرة إنك ترى الملائكة محدقين بالعرش عن قتادة والسدي يطوفون حوله ﴿ **يسبّحون بحمد ربهم** ﴾ أي ينزهون الله تعالى عما لا يليق به ويذكرونه بصفاته التي هو عليها وقيل يحمدون الله تعالى حيث دخل الموحّدون الجنة وقيل أن تسبيحهم في ذلك الوقت على سبيل التلذذ والتنعم لا على وجه التعبد إذ ليس هناك تكليف وقد عظّم الله سبحانه أمر القضاء في الآخرة بنصب العرش وقيام الملائكة حوله معظمين له سبحانه ومسبّحين كما أن السلطان إذا أراد الجلوس للمظالم وقعد على سريره وأقام جنده حوله تعظيماً لأمره وإن إستحال كونه عز وجل على العرش إذ ليس بصفة الجواهر والأجسام والجلوس على العرش من صفات الأجسام ﴿ **وقضي بينهم بالحق** ﴾ أي وفصّل بين الخلائق بالعدل وقيل بين الأنبياء والأمم وقيل بين أهل الجنة والنار ﴿ **وقيل الحمد لله رب العالمين** ﴾ من كلام أهل الجنة يقولون ذلك شكراً لله على نعمه التامة وقيل أنه من كلام الله تعالى فقال في ابتداء الخلق الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وقال بعد إفناء الخلق ثم بعد بعثهم واستقرار أهل الجنة في الجنة الحمد لله رب العالمين فوجب الأخذ بأدبه في ابتداء كل أمر بالحمد وختمه بالحمد .



مكية قال ابن عباس وقتادة إلا آيتين منها نزلتا بالمدينة ﴿أن الذين يجادلون في آيات الله﴾ إلى قوله ﴿ لا يعلمون ﴾ وقال الحسن إلا قوله ﴿ وسبّح بحمد ربك بالعشي والابكار ﴾ يعني بذلك صلاة الفجر وصلاة المغرب وقد ثبت أن فرض الصلاة نزل بالمدينة .

[عدد آيها] خمس وثمانون آية كوفي شامي وأربع حجازي آيتان بصري .

[إختلافها] تسع آيات حم كوفي كاظمين غير الكوفي يوم التلاق غير الشامي بارزون شامي بني إسرائيل الكتاب مكي كوفي والمدني الأول والبصير شامي والمدني الأخير يسبحون كوفي شامي والمدني الأخير كنتم تشكرون كوفي شامي .

[فضلها] فضل الحواميم عموماً وفضلها خصوصاً أبو بريرة الأسلمي عن رسول الله ﷺ قال من أحبَّ أن يرتع في رياض الجنة فليقرأ الحواميم في صلاة الليل أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال الحواميم ديباج القرآن ابن عباس قال لكل شيء لباب ولباب القرآن الحواميم. ابن مسعود قال إذا وقعتُ في آل حم[1] وقعتُ في روضات دَمِثاتٍ[2] أتأنّقُ فِيهِنَّ أبيّ بن كعب عن النبي ﷺ قال من قرأ سورة حمّ المؤمن من لم يبق روح نبيّ ولا صديق ولا مؤمن إلا صلّوا عليه واستغفروا له. وروى أبو بصير عن أبي عبد الله (ع) قال الحواميم ريحان القرآن فاحمدوا الله واشكروه بحفظها وتلاوتها وإن العبد ليقوم يقرأ الحواميم فيخرج من فيه أطيب من المسك الأذفر والعنبر وإن الله ليرحم تاليها وقارءها ويرحم جيرانه وأصدقاءه ومعارفه وكل حميم أو قريب له وأنه في القيامة يستغفر له العرش والكرسي وملائكة الله المقرّبون. وروى

---

(١) آل حم : السور التي أولها حم أو يراد نفس حم والظاهر أن المراد هنا هو الأول .

(٢) دمثات جمع دمثة : السهلة اللينة وأتأنق فيهن : أي أعجب بهن واستلذ بقرائتهن وأتتبع محاسنهن قاله الجزري في النهاية .

أبو الصباح عن أبي جعفر (ع) قال من قرأ حم المؤمن في كل ثلاث غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر وألزمه التقوى وجعل الآخرة خيراً له من الدنيا .

[تفسيرها] لمّا ختم سبحانه سورة الزمر بذكر الملائكة والجنة والنار إفتتح هذه السورة بمثل ذلك فقال :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ الْكِتَٰبِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ الذَّنۢبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٣﴾ مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى الْبِلَٰدِ ﴿٤﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۖ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ۖ وَجَٰدَلُوا۟ بِالْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾

[القراءة] قرأ أهل الكوفة غير عاصم إلا حماداً ويحيى عن أبي بكر حم بإمالة الألف والباقون بالفتح بغير إمالة وهما لغتان فصيحتان .

[اللغة] من جعل حم إسماً للسورة يؤيّده قول شريح بن أوفى العجلي :

يُذكِّرُني حامِيمَ وَالرُّمْحُ شاجِرٌ فَهَلّاً تَلا حمّ قَبْلَ التَّقَدُّمِ (١)

فجعله اسما معرباً وقول الكميت .

(١) هذا البيت من قصيدة قالها شريح في وقعة جمل بعد قتله محمد بن طلحة بن عبيد الله المعروف بالسجاد لكثرة صلوته وجده في العبادة وكان هواه مع علي بن أبي طالب (ع) ولكنه أطاع أباه طلحة قيل ان أباه امره بالقتال وكان كارهاً فتقدم ونثل درعه بين رجليه وقام عليها وجعل كلما حمل عليه رجل قال ناشدتك بحاميم فحمل عليه شريح وشد به فأنشده بحاميم أن لا يقتله ولم يعتد شريح بذلك وقتله وقيل: قتله غيره وأول هذه القصيد قوله

ألا ليت شعري هل أشنن غارة على ابن كدام أو سويد بن أصرم ■

وَجَدْنَا لَكُمْ فِي آلِ حَمٍ آيَةً تَأَوَّلَهَا مِنَّا تَقِيٌّ وَمُعْرِبُ(١)

والعزيز القادر الغالب الذي لا يغالب المنيع بقدرته على غيره ولا يقدر عليه غيره والتوب يجوز أن يكون جمع توبة كدوم ودومة ويجوز أن يكون مصدر تاب يتوب توباً. والطول الإنعام الذي تطول مدته على صاحبه كما أن التفضل النفع الذي فيه إفضال على صاحبه ولو وقع النفع على خلاف هذا الوجه لم يكن تفضلاً .

[الإعراب] إذا قدّرت أتل حم فموضعه نصب وقيل موضعه جرّ بالقسم وقد يجوز أن يكون مرفوع الموضع على تقدير هذا حم وقد فتح الميم علي بن عيسى بن عمر جعله إسماً للسورة فنصبه ولم ينوّن لأنه على وزن هابيل ويجوز أن يكون فتحه لإلتقاء الساكنين والقراء على تسكين الميم وإذا كان من حروف التهجي فلا يدخلها الإعراب وتنزيل خبر مبتدأ محذوف. غافر الذنب جرّ بأنه صفة بعد صفة ومعناه أن من شأنه غفران الذنب فيما مضى وفيما يستقبل فلذلك كان صفة المعرفة وكذلك قابل التوب ولو جعلته بدلاً كانت لمعرفة والنكرة سواء.

[المعنى] ﴿ حم ﴾ قد مضى ذكر الأقوال فيه وقيل أقسم الله بحلمه وملكه لا يعذّب من عاذ به وقال لا إله إلا الله مخلصاً من قلبه عن القرظي وقيل هو إفتتاح أسمائه حليم حميد حكيم حيّ حنان ملك مجيد مبدىء معيد عن عطاء الخراساني وقيل معناه حم أي قضي ما هو كائن عن الكلبي ﴿ تنزيل الكتاب ﴾ أي هذا تنزيل الكتاب ﴿ من الله ﴾ الذي يحقُّ له العبادة ﴿ العزيز ﴾ في ملكه ﴿ العليم ﴾ الكثير العلوم ﴿ غافر الذنب ﴾ لمن يقول لا إله إلا الله وهم أولياؤه وأهل طاعته والذنب إسم جنس فالمعنى غافر الذنوب فيما مضى وفيما يستقبل ﴿ وقابل التوبة ﴾ يقبل توبة من تاب إليه من المعاصي بأن يثيب عليها ويسقط عقاب معاص تقدّمها على وجه التفضل منه لذلك كان صفة مدح ولو كان سقوط العقاب عندها واجباً لما كان فيه مدح قال الفراء معناهما ذي الغفران وذي قبول التوبة ولذلك صار نعتاً

= وقبل البيت المستشهد به قوله :

ضممت إليه بالسنان قميصه ... فخر صريعاً لليدين وللفم

على غير ذنب غير أن ليس تابعاً ... علياً ومن لا يتبع الحق يندم

وشجر فلان بالرمح : طعنه به . ويروى « الرمح دونه ».

(١) كأنه أراد من الآية قوله تعالى : ﴿ قل لا أسئلكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ، الشورى: ٢٣ ﴾ وقوله « تقي ومعرب » يعني الساكت عنه للتقية والمفصح بالتفضيل .

للمعرفة ﴿ شديد العقاب ﴾ أي شديد عقابه وذكر ذلك عقيب قوله ﴿غافر الذنب ﴾ لئلا يعول المكلف على الغفران بل يكون بين الرجاء والخوف ﴿ ذي الطول ﴾ أي ذي النعم على عباده عن ابن عباس وقيل ذي الغنى والسعة عن مجاهد وقيل ذي التفضل على المؤمنين عن الحسن وقتادة وقيل ذي القدرة والسعة عن ابن زيد والسدي وروي عن ابن عباس أنه قال غافر الذنب لمن قال لا إله إلا الله قابل التوب عمن قال لا إله إلا الله شديد العقاب لمن لم يقل لا إله إلا الله ذي الطول ذي الغنى عمن لم يقل لا إله إلا الله وقيل أنه إنما ذكر ذي الطول عقيب قوله ﴿ شديد العقاب ﴾ ليعلم أن العاصي أتي في هلاكه من قبل نفسه لا من قبل ربه وإلا فنعمه سابغة عليه دنيا ودينا ﴿ لا إله إلا هو ﴾ أي هو الموصوف بهذه الصفات دون غيره ولا يستحقّ العبادة سواه ﴿ إليه المصير ﴾ أي المرجع للجزاء والمعنى أن الأمور تؤول إلى حيث لا يملك أحد النفع والضرّ والأمر والنهي غيره تعالى وهو يوم القيامة ﴿ ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا ﴾ أي لا يخاصم في دفع حجج الله وإنكارها وجحدها إلا الذين كفروا بالله وآياته وجحدوا نعمه ودلالاته ﴿ فلا يغررك ﴾ يا محمد ﴿ تقلبهم في البلاد ﴾ أي تصرفهم في البلاد للتجارات سالمين أصحّاء بعد كفرهم فإن الله تعالى لا يخفى عليه حالهم وإنما يمهلهم لأنهم في سلطانه ولا يفوتونه ولا يهملهم وفي هذا غاية التهديد ثم بيّن أن عاقبتهم الهلاك كعاقبة من قبلهم من الكفار فقال ﴿ كذبت قبلهم قوم نوح ﴾ يعني رسولهم نوحاً ﴿ والأحزاب من بعدهم ﴾ وهم الذين تحزّبوا على أنبيائهم بالتكذيب نحو عاد وثمود ومن بعدهم ﴿ وهمّت كل أمة ﴾ منهم ﴿ برسولهم ﴾ أي قصدوه ﴿ ليأخذوه ﴾ أي ليقتلوه ويهلكوه عن ابن عباس وإنما قال برسولهم ولم يقل برسولها لأن المراد الرجال ﴿ وجادلوا بالباطل ﴾ أي خاصموا رسلهم بأن قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا وهلا أرسل الله إلينا ملائكة وبأمثال هذا من القول ﴿ ليدحضوا به الحق ﴾ الذي بيّنه الله تعالى وجاءت به رسله أي ليبطلوه ويزيلوه يقال أدحض الله حجته أي أزالها ﴿ فأخذتهم ﴾ بالعقاب أي أهلكتهم ودمّرت عليهم وعاقبتهم ﴿ فكيف كان عقابي ﴾ أي فانظر كيف كان عقابي لهم وهذا استفهام تقرير لعقوبتهم الواقعة بهم .

﴿ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۝٦
ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ
وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ

﴿ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾

[القراءة] قرأ أهل المدينة وابن عامر كلمات ربك على الجمع والباقون كلمة ربك على التوحيد.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

[الحجة] قال أبو علي الكلمة تقع مفردة على الكثرة فإذا كان كذلك استغني فيها عن الجمع كما تقول يعجبني قيامكم وقعودكم قال سبحانه لا تدعوا اليوم ثبوراً واحداً وادعوا ثبوراً كثيراً وقال أن أنكر الأصوات لصوت الحمير فأفرد الصوت مع الإضافة إلى الكثرة فكذلك الكلمة وقد قالوا قال قس في كلمته يعنون خطبته ومن جمع فلأن هذه الأشياء وإن كانت تدل على الكثرة قد تجمع إذا إختلف أجناسها .

[الإعراب] أنهم أصحاب النار يجوز أن يكون موضعه نصباً على تقدير بأنهم أو لأنهم ويجوز أن يكون رفعاً على البدل من « كلمة » ومن حوله معطوف على الذين يحملون العرش ورحمة وعلماً منصوبان على التمييز ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم في موضع نصب عطفاً على الهاء والميم في وادخلهم أي وادخل من صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم الجنة أيضاً ويجوز أن يكون عطفاً على الهاء والميم في وعدتهم أي وعدت من صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم وقوله ﴿ لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم ﴾ إذ تدعون لا يجوز أن يكون إذ ظرفا لمقت الله لأن المصدر لا يجوز أن يحال بينه وبين معموله بالأجنبي ولا يجوز أن يكون ظرفا للمقت الثاني في قوله من مقتكم أنفسكم لأن الدعاء إلى الإيمان

كان في الدنيا ومقتهم أنفسهم يكون في الآخرة ولا يجوز أن يكون ظرفاً لتدعون لأن تدعون في موضع جرّ بالإضافة والمضاف إليه لا يجوز أن يعمل في المضاف فالوجه أن يتعلق الظرف بفعل مضمر دلّت عليه الجملة تقديره مقتم إذ تدعون أو يتعلق بالمقت الثاني على تقدير تسمية الشيء بما يؤول إليه .

[المعنى] ثم قال سبحانه ﴿ وكذلك ﴾ أي ومثل ما حق على الأمم المكذبة من العقاب ﴿ حقت كلمة ربك ﴾ أي العذاب ﴿ على الذين كفروا ﴾ من قومك أي أصرّوا على كفرهم ﴿ إنهم ﴾ أي لأنهم أو بأنهم ﴿ أصحاب النار ﴾ عن الأخفش ثم أخبر سبحانه عن حال المؤمنين وأنه تستغفر لهم الملائكة مع عظم منزلتهم عند الله تعالى فحالهم بخلاف أحوال من تقدَّم ذكرهم من الكفار فقال ﴿ الذين يحملون العرش ﴾ عبادة لله وامتثالاً لأمره ﴿ ومن حوله ﴾ يعني الملائكة المطيفين بالعرش وهم الكروبيّون وسادة الملائكة ﴿ يسبّحون بحمد ربهم ﴾ أي ينزّهون ربهم عما يصفه به هؤلاء المجادلون وقيل يسبّحونه بالتسبيح المعهود ويحمدونه على إنعامه ﴿ ويؤمنون به ﴾ أي ويصدّقون به ويعترفون بوحدانيته ﴿ ويستغفرون ﴾ أي ويسألون الله المغفرة ﴿ للذين آمنوا ﴾ من أهل الأرض أي صدّقوا بوحدانية الله واعترفوا بإلهيته وبما يجب الإعتراف به يقولون في دعائهم لهم ﴿ ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً ﴾ أي وسعت رحمتك وعلمك كل شيء والمراد بالعلم المعلوم كما في قوله ﴿ ولا يحيطون بشيء من علمه ﴾ أي بشيء من معلومه على التفصيل فجعل العلم في موضع المعلوم والمعنى أنه لا اختصاص لمعلوماتك بل أنت عالم بكل معلوم ولا تختص رحمتك حيّاً دون حيّ بل شملت جميع الحيوانات وفي هذا تعليم الدعاء ليبدأ بالثناء عليه قبل السؤال ﴿ فاغفر للذين تابوا ﴾ من الشرك والمعاصي ﴿ واتبعوا سبيلك ﴾ الذي دعوت إليه عبادك وهو دين الإسلام ﴿ وقهم ﴾ أي وادفع عنهم ﴿ عذاب الجحيم ﴾ وفي هذه الآية دلالة على أن إسقاط العقاب عند التوبة تفضّل من الله تعالى إذ لو كان واجباً لكان لا يحتاج فيه إلى مسألتهم بل كان يفعله الله سبحانه لا محالة ﴿ ربنا وادخلهم ﴾ مع قبول توبتهم ووقايتهم النار ﴿ جنات عدن التي وعدتهم ﴾ على ألسن أنبيائك ﴿ ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم ﴾ ليكمل أنسهم ويتمّ سرورهم ﴿ إنك أنت العزيز ﴾ القادر على من يشاء ﴿ الحكيم ﴾ في أفعالك ﴿ وقهم السيئات ﴾ أي وقهم عذاب السيئات ويجوز أن يكون العذاب هو السيئات وسمّاه السيئات إتّساعاً كما قال وجزاء سيئة سيئة مثلها ﴿ ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته ﴾ أي ومن تصرف عنه شرّ معاصيه فتفضّلت عليه يوم القيامة

بإسقاط عذابها فقد أنعمت عليه ﴿ وذلك هو الفوز العظيم ﴾ أي الظفر بالبغية والفلاح العظيم ثم عاد الكلام إلى من تقدَّم ذكرهم من الكفار فقال عزَّ اسمه ﴿ إن الذين كفروا ينادون ﴾ أي يناديهم الملائكة يوم القيامة ﴿ لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون ﴾ والمقت أشدّ العداوة والبغض والمعنى أنهم لما رأوا أعمالهم ونظروا في كتابهم وادخلوا النار مقتوا أنفسهم لسوء صنيعهم فنودوا لمقت الله إياكم في الدنيا إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون أكبر من مقتكم أنفسكم اليوم عن مجاهد وقتادة والسدي وقيل إنهم لما تركوا الإيمان وصاروا إلى الكفر فقد مقتوا أنفسهم أعظم المقت وهذا كما يقول أحدنا لصاحبه إذا كنت لا تبالي بنفسك فمبالاتي بك أقل وليس يريد أنه لا يبالي بنفسه بل يريد أنه يفعل فعل من هو كذلك عن البلخي .

﴿ قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا
بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ
وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ
الْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ
رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ
الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿١٤﴾ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي
الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴿١٥﴾
يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ
لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ
لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٧﴾

[القراءة] قرأ روح وزيد عن يعقوب لتنذر بالتاء والباقون بالياء .

[الحجة] التاء على وجه الخطاب للنبي ﷺ وقراءة القراء بالياء على أن الضمير يعود إلى من يشاء من عباده .

[الإعراب] لمن الملك اليوم إنتصب اليوم لمدلول قوله ﴿ لمن الملك اليوم ﴾ أي لمن ثبت الملك في هذا اليوم ويجوز أن يتعلق بنفس الملك وقال قوم أن الوقف على الملك حسن ويبتدىء اليوم لله الواحد القهار أي في هذا اليوم .

[المعنى] ثم حكى سبحانه عن الكفار الذين تقدَّم وصفهم بعد حصولهم في النار بأنهم قالوا ﴿ ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين ﴾ اختلف في معناه على وجوه (أحدها) ان الإماتة الاولى في الدنيا بعد الحياة والثانية في القبر قبل البعث والاحياء الآتي في القبر للمسائلة والثانية في الحشر عن السدي وهو اختيار البلخي (وثانيها) ان الإماتة الاولى حال كونهم نطفاً فأحياهم الله في الدنيا ثم اماتهم الموتة الثانية ثم أحياهم للبعث فهاتان حياتان وموتتان ونظيره قوله كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً الآية عن ابن عباس وقتادة والضحاك واختاره ابو مسلم (وثالثها) ان الحياة الأولى في الدنيا والثانية في القبر ولم يرد الحياة يوم القيامة والموتة الاولى في الدنيا والثانية في القبر عن الجبائي ﴿فاعترفنا بذنوبنا﴾ التي اقترفناها في الدنيا ﴿فهل إلى خروج من سبيل﴾ هذا تلطف منهم في الاستدعاء اي هل بعد الاعتراف سبيل الى الخروج وقيل انهم سألوا الرجوع إلى الدنيا اي هل من خروج من النار إلى الدنيا لنعمل بطاعتك ولو علم الله سبحانه انهم يفلحون لردَّهم إلى حال التكليف ولذلك قال ولو ردّوا لعادوا لما نهوا عنه تنبيهاً على انهم لو صدقوا في ذلك لأجابهم إلى ما تمنّوه في الكلام حذف تقديره فأجيبوا بأنه لا سبيل لكم إلى الخروج ﴿ذلكم﴾ اي ذلكم العذاب الذي حلَّ بكم ﴿بأنه إذا دعي الله وحده كفرتم﴾ اي إذا قيل لا إله إلا الله قلتم أجعل الآلهة إلهاً واحداً وجحدتم ذلك ﴿وان يشرك به تؤمنوا﴾ اي وان يشرك به معبود آخر من الأصنام والأوثان تصدقوا ﴿فالحكم لله﴾ في ذلك والفصل بين الحق والباطل (العلي) القادر على كل شيء ليس فوقه من هو اقدر منه أو من يساويه في مقدوره ونقلت هذه اللفظة من علو المكان إلى علو الشأن ولذلك جاز وصفه سبحانه بذلك يقال استعلى فلان عليه بالقوة وبالحجة وليس كذلك الرفعة ولذلك لا يوصف مكانه بأنه رفيع كما وصف بأنه علي ﴿الكبير﴾ العظيم في صفاته التي لا يشاركه فيها غيره وقيل هوالسيد الجليل عن الجبائي ﴿هو الذي يريكم آياته﴾ أي مصنوعاته التي تدل على كمال قدرته وتوحيده من السماء والأرض والشمس والقمر ﴿وينزل لكم من السماء رزقاً﴾ من الغيث والمطر الذي ينبت ما هو رزق للخلق ﴿وما

يتذكر﴾ أي وما يتّعظ بهذه الآيات وليس يتفكر في حقيقتها ﴿إلا من ينيب﴾ اي يرجع اليه وقيل إلا من يقبل إلى طاعة الله عن السدي ثم أمر المؤمنين بتوحيده فقال ﴿فادعوا الله مخلصين له الدين﴾ اي وجّهوا عبادتكم اليه تعالى وحده ﴿ولو كره الكافرون﴾ فلا تبالوا بهم ثم وصف سبحانه نفسه فقال ﴿رفيع الدرجات﴾ الرفيع بمعنى الرافع أي هو رافع درجات الأنبياء والأولياء في الجنة عن عطا عن ابن عباس وقيل معناه رافع السماوات السبع عن سعيد بن جبير وقيل معناه انه عالي الصفات ﴿ذو العرش﴾ اي مالك العرش وخالقه وربه وقيل ذو الملك والعرش الملك عن ابي مسلم ﴿يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده﴾ وقيل الروح هوالقرآن وكل كتاب أنزله الله تعالى على نبيّ من انبيائه وقيل الروح الوحي هنا لأنه يحيي به القلب اي يلقي الوحي على قلب من يشاء ممن يراه أهلاً له يقال القيت عليه كذا أي فهمته اياه وقيل ان الروح جبرائيل (ع) يرسله الله تعالى بأمره عن الضحاك وقتادة وقيل ان الروح هاهنا النبوة عن السدي ﴿لينذر﴾ النبي بما اوحى اليه ﴿يوم التلاقي﴾ يلتقي في ذلك اليوم أهل السماء واهل الأرض عن قتادة والسدي وابن زيد وقيل فيه يلتقي الاولون والآخرون والخصم والمخصوم والظالم والمظلوم عن الجبائي وقيل يلتقي الخلق والخالق عن ابن عباس يعني انه يحكم بينهم وقيل يلتقي المرء وعمله والكل مراد والله اعلم ﴿يوم هم بارزون﴾ من قبورهم وقيل يبرز بعضهم لبعض فلا يخفي على أحد حال غيره لأنه ينكشف ما يكون مستوراً ﴿لا يخفى على الله منهم شيء﴾ أي من اعمالهم واحوالهم ويقول الله في ذلك اليوم ﴿لمن الملك اليوم﴾ فيقرّ المؤمنون والكافرون بأنه ﴿لله الواحد القهار﴾ وقيل انه سبحانه هو القائل لذلك وهو المجيب لنفسه ويكون في الاخبار بذلك مصلحة للمكلفين قال محمد بن كعب القرظي يقول الله تعالى ذلك بين النفختين حين يفني الخلائق كلها ثم يجيب نفسه لأنه بقي وحده والاول اصح لأنه بيّن انه يقول ذلك يوم التلاقي يوم يبرز العباد من قبورهم وإنما خصّ ذلك اليوم بأن له الملك فيه لأنه قد ملك العباد بعض الأمور في الدنيا ولا يملك احد شيئاً ذلك اليوم فإن قيل أليس يملك الأنبياء والمؤمنون في الآخرة الملك العظيم فالجواب ان احداً لا يستحق اطلاق الصفة بالملك إلا الله لأنه يملك جميع الأمور من غير تمليك مملك وقيل ان المراد به يوم القيامة قبل تمليك اهل الجنة ما يملكهم ﴿اليوم تجزى كل نفس بما كسبت﴾ يجزي المحسن باحسانه والمسيء بإساءته وفي الحديث ان الله تعالى يقول انا الملك انا الديان لا ينبغي لأحد من اهل الجنة ان يدخل الجنة ولا لأحد من اهل النار أن يدخل النار وعنده مظلمة حتى أقصه منه ثم تلا هذه الآية ﴿لا ظلم اليوم﴾ اي لا ظلم لأحد على أحد ولا ينقص من ثواب أحد ولا يزاد في عقاب أحد ﴿ان الله سريع الحساب﴾

لا يشغله محاسبة واحد عن محاسبة غيره ..

[النظم] اتصل قوله ربنا امتنا اثنتين بما تقدَّم من ذكر انكار الكفار البعث فعقَّبه سبحانه بذكر اعترافهم بذلك يوم القيامة وأيضاً فإنه سبحانه لما ذكر مقتهم انفسهم لعظم ما نزل بهم ذكر بعده سؤالهم الرجعة إلى الدنيا وإنما اتصل قوله فاعترفنا بذنوبنا بما تقدَّم من اقرارهم بصفة الرب سبحانه فكأنهم قالوا اعترفنا بك ربنا فإنك أمتنا وأحييتنا ومع هذا فقد اعترفنا بذنوبنا واتصل قوله هو الذي يريكم آياته بقوله العلي الكبير اي ومن هذه صفاته يريكم آياته واتصل قوله رفيع الدرجات بقوله هو الذي يريكم آياته اي وهو الرفيع الدرجات وقيل انه لما ذكر حال الفريقين ذكر الدرجات . .

﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ
ٱلْآزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ
حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى
ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ
لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾

[القراءة] قرأ نافع وهشام عن ابن عامر والذين تدعون بالتاء والباقون بالياء .

[الحجة] من قرأ بالتاء فعلى الخطاب والتقدير قل لهم يا محمد ومن قرأ بالياء جعل الاخبار عن الغائب.

[الحجة] الآزفة الدانية من قولهم أزف الأمر إذا دنا وقته قال النابغة . .

أَزِفَ التَّرَحُّلُ غَيْرَ أَنَّ رِكَابَنَا لَمَّا تَزَلْ بِرِحَالِنَا وَكَأَنْ قَدِ[1]

(١) هذا البيت من قصيدة يصف فيها المتجردة امرأة النعمان في قضية ذكرها في مقدمة المعلقات العشر : ٥٧ وقبل هذا البيت قوله: ولا مرحباً بغدولا أهلاله * ان كان تفريق الاحبة في غد» يقول: «رب ارتحالنا غير « وكأنها قد زالت» وفي شواهد الاشموني وجامع الشواهد «أفد» مكان «ازف» وهو بمعناه ايضاً.

والحناجر جمع حنجرة وهي الحلقوم والكاظم الممسك على ما في قلبه يقال كظم غيظه إذا تجرعه واصل الكظم للبعير على جرته يردها في حلقه .

[الاعراب] قال الزجاج كاظمين منصوب على الحال والحال محمولة على المعنى لأن القلوب لا يقال لها كاظمون وإنما الكاظمون اصحاب القلوب والمعنى إذ قلوب الناس لدى الحناجر في حال كظمهم وهو حال من الضمير في لدى ومعناه متوقفين عن كل شيء إلا عما دفعت اليه من فكرها فيه ونسبة الكظم الى القلب كنسبة الكتابة إلى الأيدي في قوله كتبت ايديهم وإنما ذلك للجملة . يطاع جملة في موضع جرّ بكونها صفة شفيع اي ولا من شفيع يطاع .

[المعنى] ثم امر سبحانه نبيّه ﷺ ان يخوّف الملكفين يوم القيامة فقال ﴿وأنذرهم يوم الآزفة﴾ اي الدانية وهو يوم القيامة لأن كل ما هو آت دان قريب وقيل يوم دنوّ المجازاة ﴿إذ القلوب لدى الحناجر﴾ وذلك انها تزول عن مواضعها من الخوف حتى تصير إلى الحنجرة ومثله قوله وبلغت القلوب الحناجر ﴿كاظمين﴾ اي مغمومين مكروبين ممتلئين عما قد اطبقوا افواههم على قلوبهم من شدة الخوف ﴿ما للظالمين من حميم﴾ يريد ما للمشركين والمنافقين من قريب ينفعهم ﴿ولا شفيع يطاع﴾ فيهم فتقبل شفاعته عن ابن عباس ومقاتل ﴿يعلم خائنة الاعين﴾ أي خيانتها وهي مسارقة النظر إلى ما لا يحلّ النظر اليه عن مجاهد وقتادة والخائنة مصدر مثل الخيانة كما ان الكاذبة واللاغية بمعنى الكذب واللغو وقيل ان تقديره يعلم الاعين الخائنة عن مؤرج وقيل هو الرمز بالعين عن السدي وقيل هو قول الإنسان ما رأيت وقد رأيت وما رأى عن الضحاك ﴿وما تخفي الصدور﴾ ويعلم ما تضمره الصدور وفي الخبر ان النظرة الاولى لك والثانية عليك فعلى هذا تكون الثانية محرّمة فهي المراد بخائنة الاعين ﴿والله يقضي بالحق﴾ اي يفصل بين الخلائق بالحق فيوصل كل ذي حقّ إلى حقّه ﴿والذين يدعون من دونه﴾ من الاصنام ﴿لا يقضون بشيء﴾ لأنها جماد ﴿ان الله هو السميع البصير﴾ اي الذي يجب ان يسمع المسموعات ويبصر المبصرات إذا وجدتا وهاتان الصفتان في الحقيقة ترجعان إلى كونه حيّاً لا آفة به وقال قوم معناهما العالم بالمسموعات والعالم بالمبصرات والاول هوالصحيح .

﴿ * أَوَلَمْ يَسِيرُوا
فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ

كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ
بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت
تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ
الْعِقَابِ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ
فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَاءَهُم
بِالْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا
نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٢٥﴾

[القراءة] قرأ ابن عامر اشدّ منكم بالكاف والميم والباقون منهم بالهاء والميم .

[الحجة] قال ابو علي من قال منهم فأتى بلفظ الغيبة فلأنّ ما قبله لو لم يسيروا فينظروا ومنّ قال منكم فلإنصرافه من الغيبة الى الخطاب كقوله اياك نعبد بعد قوله الحمد لله .

[المعنى] ثم نبّههم سبحانه على النظر بقوله ﴿أو لم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم﴾ من المكذّبين من الأمم لرسلهم ﴿كانوا هم اشدّ منهم قوة﴾ في انفسهم ﴿وآثاراً في الأرض﴾ اي واكثر عمارة للأبنية العجيبة وقيل وأبعد ذهاباً في الأرض لطلب الدنيا ﴿فأخذهم الله بذنوبهم﴾ اي أهلكهم الله بسبب ذنوبهم ﴿وما كان لهم من الله من واق﴾ أي دافع يدفع عنهم عذابه ويمنع من نزوله بهم ﴿ذلك﴾ لعذاب الذي نزل بهم ﴿بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات﴾ أي بالمعجزات الباهرات والدلالات الظاهرات ﴿فكفروا﴾ بها ﴿فأخذهم الله﴾ أي أهلكهم عقوبة على كفرهم ﴿انه قوّي﴾ قادر على الانتقام منهم ﴿شديد العقاب﴾ أي شديد عقابه ثم ذكر قصة موسى وفرعون ليعتبروا بها فقال ﴿ولقد ارسلنا موسى بآياتنا﴾ أي بعثناه بحججنا ودلالاتنا ﴿وسلطان مبين﴾ أي حجة ظاهرة نحو قلب العصا حيّة وفلق البحر ﴿إلى فرعون وهامان وقارون﴾ كان موسى رسولاً إلى كافتهم إلا انه خصّ فرعون لأنه كان رئيسهم وكان هامان وزيره وقارون صاحب كنوزه والباقون تبع لهم

وإنما عطف وبالسلطان على الآيات لاختلاف اللفظين تأكيداً وقيل المراد بالآيات حجج التوحيد والعدل وبالسطان المعجزات الدالة على نبوته ﴿فقالوا ساحر﴾ اي مموّه ﴿كذّاب﴾ فيما يدعو اليه ﴿فلما جاءهم بالحق من عندنا﴾ اي فلما اتاهم موسى بالتوحيد والدلالات عليه من عندنا وقيل المراد بالدين الحق ﴿قالوا اقتلوا ابناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم﴾ اي امروا بقتل الذكور من قوم موسى لئلا يكثر قومه ولا يتقوى بهم وباستبقاء نسائهم للخدمة وهذا القتل غير القتل الأول لأنه امر بالقتل الأول لئلا ينشأ منهم من يزول ملكه على يده ثم ترك ذلك فلما ظهر موسى عاد إلى تلك العادة فمنعهم الله عنه بإرسال الدم والضفادع والطوفان والجراد كما مضى ذكر ذلك ثم اخبر سبحانه انّ ما فعله من قتل الرجال واستحياء النساء لم ينفعه بقوله ﴿وما كيد الكافرين إلا في ضلال﴾ أي في ذهاب عن الحق لا ينتفعون به.

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ
أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ
فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم
مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ
مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ ۖ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ
وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ
وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى
مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ
فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ
مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ
ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾

[القراءة] قرأ اهل المدينة وأبو عمرو وان يُظهِر بغير الف قبل الواو ويظهرَ بضم الياء وكسر الهاء الفساد بالنصب وقرأ ابن كثير وابن عامر وان يَظْهَر بفتح الياء الفسادُ بالرفع وقرأ حفص ويعقوب أو ان يُظهر بضم الياء الفسادَ بالنصب والباقون او ان يَظهر بفتح الياء الفسادُ بالرفع وقرأ أهل الكوفة غير عاصم وابو عمرو وإسماعيل عن نافع وأبو جعفر عذت هنا وفي الدخان بإدغام الذال في التاء وكذلك قوله فنبذتها حيث كان والباقون بالاظهار حيث كان.

[الحجة] قال ابو علي من قرأ او ان يظهر فالمعنى اني اخاف هذا الضرب منه كما تقول كُلْ خبزاً او تمراً اي هذا الضرب ومن قرأ وان يظهر فالمعنى إني أخاف هذين الأمرين منه ومن قرأ يُظهر في الأرض الفسادَ فأسند الفعل إلى موسى فلأنه أشبه بما تقدَّم من قوله يبدّل دينكم ومن قرأ وان يَظْهر فالمعنى وان يظهر الفسادُ في الأرض بمكانه أو اراد انه إذا بدّل الدين ظهر الفسادُ بالتبديل فأما الادغام في عذت فحسن لتقارب الحرفين والاظهار حسن لأن الذال ليست من حيز التاء وإنما الذال والظاء والثاء من حيز والدال والتاء والطاء من حيز إلا انها كلها من طرف اللسان واصول الثنايا فلذلك صارت متقاربة.

[المعنى] ﴿وقال فرعون ذروني أقتل موسى﴾ اي قال لقومه اتركوني اقتله وفي هذا دلالة على انه كان في خاصة فرعون قوم يشيرون عليه بأن لا يقتل موسى ويخوّفونه بأن يدعو ربه فيهلك فلذلك قال ﴿وليدع ربه﴾ اي كما يقولون وقيل انهم قالوا له هو ساحر فإن قتلته قبل ظهور الحجة قوّيت الشبهة بمكانه بل ارجه واخاه وابعث في المدائن حاشرين وقوله وليدع ربه معناه وقولوا له ليدع ربه وليستعن به في دفع القتل عنه فإنه لا يجيء من دعائه شيء قاله تجبراً وعتواً وجرأة على الله ﴿إني اخاف ان يبدّل دينكم﴾ ان لم اقتله وهو ما تعتقدونه من إلهيتي ﴿أو ان يظهر في الأرض الفساد﴾ بأن يتبعه قوم ويحتاج إلى ان نقاتله فيخرب فيما بين ذلك البلاد ويظهر الفساد وقيل ان الفساد عند فرعون ان يعمل بطاعة الله عن قتادة فلما قال فرعون هذا استعاذ موسى بربّه وذلك قوله ﴿وقال موسى اني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب﴾ اي اني اعتصمت بربي الذي خلقني وربكم الذي خلقكم من شرّ كل متكبر على الله متجبرّ عن الانقياد له لا يصدق بيوم المجازاة ليدفع شرّه عنّي ولما قصد فرعون قتل موسى وعظهم المؤمن من آله وهو قوله ﴿وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه﴾ في صدره على وجه التقية قال ابو عبد الله (ع) التقية من ديني ودين آبائي ولا دين لمن لا تقية له والتقية ترس الله في الأرض لأن مؤمن آل فرعون لو اظهر الإسلام لقتل قال ابن عباس لم يكن من آل فرعون مؤمن غيره وغير امرأة فرعون وغير المؤمن الذي انذر موسى فقال ان الملأ

يأتمرون بك ليقتلوك قال السدي ومقاتل كان ابن عم فرعون وكان آمن بموسى وهو الذي جاء من أقصى المدينة يسعى وقيل انه كان وليّ عهده من بعده وكان اسمه حبيب وقيل اسمه حزبيل ﴿اتقتلون رجلاً ان يقول ربي الله﴾ وهو استفهام انكار ولو قال اتقتلون رجلاً قائلاً ربي الله لم يدل على ان القتل من اجل الإيمان لأن يقول يكون صفة لرجل نحو يقتلون رجلاً قائلاً ربي الله فموضع ان يقول نصب على انه مفعول له ﴿وقد جائكم بالبينات من ربكم﴾ أي بما يدلّ على صدقه من المعجزات مثل العصا واليد وغيرهما ﴿وان يك كاذباً فعليه كذبه﴾ إنما قال هذا وجه التلطف كقوله وانّا أو إياكم لعلى هدى أوفي ضلال مبين ومعناه ان يك كاذباً فعلى نفسه وبال كذبه ﴿وان يك صادقاً يصبكم بعض الذي يعدكم﴾ قيل ان موسى كان يعدهم بالنجاة ان آمنوا وبالهلاك ان كفروا وقال يصبكم بعض الذي يعدكم لأنهم إذا كانوا على أحدى الحالين نالهم احد الأمرين فذلك بعض الأمر لا كلّه وقيل إنما قال بعض الذي يعدكم لأنه توعدّهم امراً مختلفة منها الهلاك في الدنيا والعذاب في الآخرة فيكون هلاكهم في الدنيا بعض ما توعّدهم به وقيل استعمل البعض في موضع الكل تلطفاً في الخطاب وتوسّعاً في الكلام كما قال الشاعر :

قَدْ يُدْرِكُ الْمُتَأَنِّي بَعْضَ حَاجَتِهِ وَقَدْ يَكُونُ مِنَ الْمُسْتَعْجِلِ الزَّلَلُ

وكأنه قال أقل ما فيه ان يصيبكم بعض الذي يعدكم وفي ذلك البعض هلاككم وقال علي بن عيسى إنما قال بعض الذي يعدكم على المظاهرة بالحجاج اي انه يكفي بعضه فكيف جميعه ﴿ان الله لا يهدي من هو مسرف كذّاب﴾ اي لا يهدي الى جنته وثوابه من هو مسرف على نفسه متجاوز عن الحد في المعصية كذاب على ربه ويجوز ان يكون هذا حكاية عن قول المؤمن ويجوز ان يكون ابتداء الكلام من الله تعالى ثم ذكرهم هذا المؤمن ما هم فيه من الملك ليشكروا الله على ذلك بالإيمان به فقال ﴿يا قوم لكم الملك اليوم﴾ اي لكم السلطان على اهل الأرض يعني ارض مصر اليوم ﴿ظاهرين في الأرض﴾ اي عالين فيها غالبين عليها قاهرين لأهلها ﴿فمن ينصرنا من بأس الله﴾ اي من يمنعنا من عذاب الله ﴿ان جائنا﴾ ومعناه لا تتعرّضوا لعذاب الله بقتل النبي وتكذيبه فلا مانع لعذاب من عذاب الله ان حلّ بكم ﴿فقال فرعون﴾ عند ذلك ﴿ما اريكم إلا ما ارى﴾ اي ما اشير عليكم إلا بما اراه صواباً وارضاه لنفسي وقيل معناه ما اعلمكم إلا ما اعلم ﴿وما اهديكم الا سبيل الرشاد﴾ وما ارشدكم إلا إلى ما هو طريق الرشاد والصواب عندي وهو قتل موسى والتكذيب به واتخاذي إلهاً وربّاً ثم ذكرهم ما نزل بمن قبلهم وذلك قوله ﴿وقال الذي آمن يا قوم اني اخاف عليكم مثل يوم

الاحزاب﴾ أي عذاباً مثل يوم الاحزاب قال الجبائي القائل لذلك موسى لأن المؤمن من آل فرعون كان يكتم إيمانه وهذا لا يصحّ لأنه قريب من قوله اتقتلون رجلاً ان يقول ربي الله واراد بالأحزاب الجماعات التي تحزّبت على انبيائها بالتكذيب وقد يطلق اليوم على النعمة والمحنة فكأنه قال يوم هلاكهم .

﴿ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾

[القراءة] قرأ أبو عمرو وابن ذكوان وقتيبة على كل قلب بالتنوين والباقون على كل قلب متكبر على الاضافة وفي الشواذ قراءة ابن عباس والضحاك وابي صالح والكلبي يوم التنادّ بتشديد الدال .

[الحجة] قال ابو علي من نوّن فإنه جعل المتكبّر صفة لقلب فإذا وصف القلب بالتكبرّ كان صاحبه في المعنى متكبرّاً فكأنه اضاف التكبرّ إلى القلب كما أضيف الصعر إلى الخدّ في قوله تعالى ولا تصعّر خدّك للناس فكما يكون بتصعير الخد متكبرّاً كذلك يكون بالتكبر في القلب متكبرّاً بجملة واما من أضافه فقال على كل قلب متكبر فلا يخلو من ان

يقدّر الكلام على ظاهره او يقدّر فيه حذفاً فإن تركه على ظاهره كان المعنى يطبع الله على كل قلب متكبر اي يطبع على جملة القلب من المتكبر وليس المراد ان يطبع على كل قلبه فيعمّ الجميع بالطبع إنما المعنى إنه يطبع على القلب إذا كانت قلباً قلباً والطبع علامة في جملة القلب كالختم عليه فإذا كان الحمل على الظاهر غير مستقيم علمت أن الكلام ليس على ظاهره وانه حذف منه شيء وذلك المحذوف إذا اظهرته كذلك يطبع الله على كل قلب كل متكبر فيكون المعنى يطبع على القلوب إذا كانت قلباً قلباً من كلّ متكبّر ويختم عليه ويؤكدّ ذلك ان في حرف ابن مسعود فيما زعموا على قلب كل متكبر واظهار كل في حرفه يدل على انه في حرف العامة ايضاً مراد وحسن حذف كل لتقدّم ذكره كما جاز ذلك في قوله .

أَكُلُّ أَمْرِءٍ تَحْسَبِينَ أَمْرَءاً وَنَارٍ تَوَقَّدَ بِاللَّيْلِ نَاراً[1]

وفي قولهم ما كل سوداء تمرة ولا بيضاء شحمة فحذف كل لتقدّم ذكرها فكذلك في الآية وأما التناد بالتشديد فإنه تفاعل من ندَّ يندّ إذا نفر .

[اللغة] الجبّار الذي يَقتل على الغضب يقال اجبر فهو جبّار مثل ادرك فهو درّاك قال الفراء ولا ثالث لهما وقال ابن خالويه وجدت لهما ثالثاً أَسَارَ فهو سَتَّار[2] .

[المعنى] ثم فسّر سبحانه ذلك فقال ﴿مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود﴾ والدأب العادة ومعناه إني اخاف عليكم مثل سنة الله في قوم نوح وعاد وثمود وحالهم حين اهلكهم الله واستأصلهم جزاءً على كفرهم ﴿والذين من بعدهم وما الله يريد ظلماً للعباد﴾ وفي هذا اوضح دلالة على فساد قول المجبرة القائلة بأن كل ظلم يكون في العالم فهو بإرادة الله تعالى ثم حذّرهم عذاب الآخرة ايضاً فقال ﴿ويا قوم إني اخاف عليكم يوم التناد﴾ حذف الياء للاجتزام بالكسرة الدالة عليها وهو يوم القيامة ينادي فيه بعض الظالمين بعضاً بالويل والثبور وقيل انه اليوم الذي ينادي فيه اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً الآية وينادي اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله عن

---

(١) هذا البيت لأبي داود الايادي الذي ضرب بجاره كعب بن يمامة المثل في حسن الجوار قال قيس بن زهيرة «سأفعل ما بدا لي ثم آوي * الى جار كجار أبي داود » وقال طرفة : «اني كفاني من امر هممت به * جار كجار الحذاقي الذي انصفا » والحذاقي : هو أبو داود. يخاطب في هذا البيت امرأته ويقول: ما ينبغي لك ان تظني ان كل من له صورة المرء مرءاً، وإنما الخليق باسم الرجل هو المتصف بالصفات النفيسة . والخصال الحميدة، ولا كل نار اشتعل في الليل ناراً، بل الخليق باسم النار التي تشتعل للاكرام. والضيافة وهداية طريق الضالة.

(٢) وهو الذي يستر في الاناء من الشراب يقال: اسار منه شيئاً اي أبقى بقية .

الحسن وقتادة وابن زيد وقيل ينادي فيه كل اناس بإمامهم ﴿يوم تولّون مدبرين﴾ اي يوم تعرضون على النار فارّين منها مقدرين ان الفرار ينفعكم وقيل منصرفين إلى النار بعد الحساب عن قتادة ومقاتل ﴿ما لكم من الله من عاصم﴾ اي مانع من عذاب الله ﴿ومن يضلل الله فماله من هاد﴾ أي من يضلل الله عن طريق الجنة فما له من هاد يهديه إليها ﴿ولقد جائكم يوسف﴾ وهو يوسف بن يعقوب بعثه الله رسولاً إلى القبط ﴿من قبل﴾ اي من قبل موسى ﴿بالبينات﴾ اي بالحجج الواضحات ﴿فما زلتم في شك مما جائكم به﴾ من عبادة الله تعالى وحده لا شريك له عن ابن عباس وقيل ممّا دعاكم اليه من الدين ﴿حتى إذا هلك﴾ اي مات ﴿قلتم لن يبعث الله من بعده رسولاً﴾ أي أقمتم على كفركم وظننتم ان الله تعالى لا يجدّد لكم ايجاب الحجة ﴿كذلك﴾ أي مثل ذلك الضلال ﴿يضلّ الله من هو مسرف﴾ على نفسه كافر واصل الاسراف مجاوزة الحد ﴿مرتاب﴾ اي شاكّ في التوحيد ونبوة الأنبياء ﴿الذين يجادلون في آيات الله﴾ اي في دفع آيات الله وابطالها وموضع الذين نصب لأنه بدل من قوله من هو مسرف ويجوز ان يكون رفعاً بتقديم هُم ﴿بغير سلطان﴾ أي بغير حجة ﴿اتيهم كبر مقتاً عند الله﴾ اي كبر ذلك الجدال منهم عداوة عند الله ﴿وعند الذين آمنوا﴾ بالله والمعنى مقته الله تعالى ولعنه واعدّ له العذاب ومقته المؤمنون وابغضوه بذلك الجدال وانتم جادلتم وخاصمتم في ردّ آيات الله مثلهم فاستحققتم ذلك ﴿كذلك﴾ أي مثل ما طبع على قلوب اولئك بأن ختم عليها علامة لكفرهم ﴿يطبع الله على كل قلب متكبر جبار﴾ يفعل ذلك عقوبة له على كفره والجبار صفة للمتكبر وهو الذي يأنف من قبول الحق قيل وهو القتال.

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ
ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى
لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ
ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ
يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ
ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا

يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾

[القراءة] قرأ حفص فاطلعَ بالنصب والباقون بالرفع واختلافهم في صدّ عن السبيل وفي يدخلون الجنة قد تقدّم ذكره(١).

[الحجة] من رفع فاطلعُ فعلى معنى لعلّي ابلغ ولعلّي اطلع ومثله قوله لعلّه يزكى او يذكر وليس بجواب ومن نصب جعله جواباً بالفاء لكلام غير موجب والمعنى اني إذا بلغت واطلعت ومما يقوّي بناء الفعل للفاعل في صدّ قوله الذين كفروا وصدّوا من سبيل الله وفي موضع آخر ويصدّون عن سبيل الله فكذلك وصدّ عن سبيل ينبغي ان يكون الفعل فيه مبنياً للفاعل ومن ضم الصاد فلأن ما قبله مبني للمفعول به وهو قوله وكذلك زين لفرعون سوء عمله .

[اللغة] الصرح البناء الظاهر الذي لا يخفى على عين الناظر وان بعد وهو من التصريح بالأمر وهو اظهاره بأتمّ الإظهار والسبب كل ما يتوصل به إلى شيء يبعد عنك وجمعه الاسباب والتباب الخسار والهلاك بالانقطاع .

[المعنى] ثم بيّن سبحانه ما موّه به فرعون على قومه لما وعظه المؤمن وخوّفه من قتل موسى وانقطعت حجته بقوله ﴿وقال فرعون يا هامان﴾ وهو وزيره وصاحب امره ﴿ابن لي صرحاً﴾ أي قصراً مشيداً بالآجر وقيل مجلساً عالياً عن الحسن ﴿لعلي أبلغ الاسباب﴾ ثم فسّر تلك الأسباب فقال ﴿أسباب السموات﴾ والمعنى لعلي ابلغ الطرق من سماء إلى سماء عن السدي وقيل ابلغ ايواب طرق السموات عن قتادة وقيل منازل السموات عن ابن عباس وقيل لعلّي اتسبّب وأتوصل به إلى مرادي والى علم ما غاب عني ثم بيّن مراده فقال اسباب السموات ﴿فأطلع الى إله موسى﴾ اي فأنظر اليه فأراد به التلبيس على الضعفة مع علمه باستحالة ذلك عن الحسن وقيل اراد فأصل الى إله موسى فغلبه الجهل واعتقد ان الله سبحانه في السماء وانه يقدر على بلوغ السماء ﴿واني لأظنّه كاذباً﴾ معناه واني لأظن موسى كاذباً في قوله انّ له إلهاً غيري ارسله الينا ﴿وكذلك﴾ اي مثل ما زيّن لهؤلاء الكفار سوء اعمالهم ﴿زين لفرعون سوء عمله﴾ اي قبيح عمله وإنما زيّن له ذلك اصحابه وجلساؤه وزيّن له

(١) راجع المجلد الثالث صفحة ٢٩٤ والمجلد الثاني صفحة ١١٤ .

الشيطان كما قال وزيّن لهم الشيطان أعمالهم ﴿وصدّ عن السبيل﴾ ومن ضم الصاد فالمعنى انه صدُّه غيره ومن فتح فالمعنى انه صدَّ نفسه أو صدَّ غيره ﴿وما كيد فرعون﴾ في ابطال آيات موسى ﴿إلا في تباب﴾ اي هلاك وخسار لا ينفعه ثم عاد الكلام إلى ذكر نصيحة مؤمن آل فرعون وهو قوله ﴿وقال الذي آمن يا قوم اتبعون اهدكم سبيل الرشاد﴾ أي طريق الهدى وهو الإيمان بالله وتوحيده والاقرار بموسى وقيل ان هذا القائل موسى ايضاً عن الجبائي ﴿يا قوم انما هذه الحيوة الدنيا متاع﴾ اي انتفاع قليل ثم يزول وينقطع ويبقى وزره وآثامه ﴿وان الآخرة هي دار القرار﴾ أي دار الإقامة التي يستقرّ الخلائق فيها فلا تغتروا بالدنيا الفانية ولا تؤثروها على الدار الباقية ﴿من عمل سيئة فلا يجزي إلا مثلها﴾ اي من عمل معصية فلا يجزي إلا مقدار ما يستحقه عليها من العقاب لا اكثر من ذلك ﴿ومن عمل صالحاً من ذكر أو انثى وهو مؤمن﴾ مصدّق بالله وانبيائه سرط الإيمان في قبول العمل الصالح ﴿فأولئك يدخلون الجنة يرزقون بغير حساب﴾ أي زيادة على ما يستحقونه تفضلاً من الله تعالى ولو كان على مقدار العمل فقط لكان بحساب وقيل معناه لا تبعة عليهم فيما يعطون من الخير في الجنة عن مقاتل قال الحسن هذا كلام مؤمن آل فرعون ويحتمل ان يكون كلام الله تعالى اخباراً عن نفسه .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

﴿ *وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾
تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى
ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِي
ٱلدُّنْيَا وَلَا فِي ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ
أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى
ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ وَحَاقَ
بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا
وَعَشِيًّا ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾

[القراءة] قرأ اهل المدينة والكوفة إلا ابا بكر ويعقوب ادخلوا بقطع الهمزة وكسر الخاء والباقون بالوصل وضم الخاء.

[الحجة] قال أبو علي القول مراد في الوجهين جميعاً كأنه قال يقال ادخلوهم ويقال ادخلوا فمن قال ادخلوا كان آل فرعون مفعولاً به وأشدّ العذاب مفعولاً ثانياً والتقدير ارادة حرف الجرّ ثم حذف كما انك إذا قلت دخل زيد الدار كان معناه في الدار كما ان خلافه الذي هو خرج كذلك في التقدير وكذلك قوله لتدخلن المسجد الحرام ومن قال ادخلوا آل فرعون كان انتصاب آل فرعون على النداء وأشدّ العذاب في موضع مفعول به وحذف الجار فانتصب انتصاب المفعول به وحجة من قال ادخلوا قوله ادخلوا الجنة انتم وأزواجكم تحبرون وادخلوها بسلام آمنين وادخلوا أبواب جهنم وحجة من قال ادخلوا انه امر بهم فادخلوا .

[المعنى] ثم قال ﴿يا قوم مالي﴾ اي مالكم كما يقول الرجل ما لي أراك حزيناً معناه ما لك ومعناه أخبروني عنكم كيف هذه الحال ﴿ادعوكم إلى النجوة﴾ من النار بالإيمان بالله ﴿وتدعونني إلى النار﴾ اي إلى الشرك الذي يوجب النار ومن دعا إلى سبب الشيء فقد دعا اليه ثم فسّر الدعوتين بقوله ﴿تدعونني لأكفر بالله واشرك به ما ليس لي به علم﴾ ولا يجوز حصول العلم به إذا لا يجوز قيام الدلالة على اثبات شريك الله تعالى لا من طريق السمع ولا من طريق العقل ﴿وأنا ادعوكم الى العزيز الغفار﴾ اي إلى عبادة القادر الذي لا يقهر ولا يمنع فينتقم من كل كفار عنيد الغافر لذنوب من يشاء من اهل التوحيد ﴿لا جرم﴾ قيل معناه حقاً مقطوعاً به من الجرم وهو القطع قال الزجاج حكاية عن الخليل هو ردُّ الكلام والمعنى وجب وحق ﴿إنما تدعونني اليه ليس له دعوة﴾ أي وجب بطلان دعوته يقول لابدّ إنما تدعونني اليه من عبادة الأصنام او عبادة فرعون ليس له دعوة نافعة ﴿في الدنيا ولا في الآخرة﴾ فأطلق انه ليس له دعوة ليكون ابلغ وان توهّم جاهل ان له دعوة ينتفع بها فإنه لا يتعدّ بذلك لفساده وتناقضه وقيل معناه ليست لهذه الأصنام استجابة دعوة احد في الدنيا ولا في الآخرة فحذف المضاف عن السدي وقتادة والزجاج وقيل معناه ليست له دعوة في الدنيا لأن الاصنام لا تدعو إلى عبادتها فيها ولا في الآخرة لأنها تبرأ من عبادها فيها ﴿وان مردّنا إلى الله﴾ أي ووجب ان مرجعنا ومصيرنا إلى الله فيجازي كُلاًّ بما يستحقه ﴿وان المسرفين﴾ اي ووجب ان المسرفين الذين اسرفوا على انفسهم بالشرك وسفك الدماء بغير حقها ﴿هم اصحاب النار﴾ الملازمون لها ثم قال لهم على وجه التخويف والوعظ ﴿فستذكرون﴾ صحة

﴿ما أقول لكم﴾ إذا حصلتم في العذاب يوم القيامة وقيل معناه فستذكرون عند نزول العذاب بكم ما أقول لكم من النصيحة ﴿وأفوض أمري إلى الله﴾ أي اسلم أمري إلى الله وأتوكل عليه واعتمد على لطفه والأمر اسم جنس ﴿إن الله بصير بالعباد﴾ أي عالم بأحوالهم وبما يفعلونه من طاعة ومعصية وأظهر إيمانه بهذا القول ﴿فوقيه الله سيئات ما مكروا﴾ اي صرف الله عنه سوء مكرهم فنجا مع موسى حتى عبر البحر معه عن قتادة وقيل انهم همّوا بقتله فهرب الى جبل فبعث فرعون رجلين في طلبه فوجداه قائماً يصلي وحوله الوحوش صفوفاً فخافا ورجعا هاربين ﴿وحاق بآل فرعون﴾ اي احاط ونزل بهم ﴿سوء العذاب﴾ أي مكروهه وما يسوء منه وآل فرعون اشياعه وأتباعه وقيل من كان على دينه عن الحسن وإنما ذكر آله ولم يذكره لأنهم إذا هلكوا بسببه فكيف يكون حاله وسوء العذاب في الدنيا الغرق وفي الآخرة النار وذلك قوله ﴿النار يعرضون عليها غدواً وعشياً﴾ اي يعرض آل فرعون على النار في قبورهم صباحاً ومساء فيعذبون وإنما رفع النار بدلا من قوله سوء العذاب وعن نافع عن ابن عمر ان رسول الله ﷺ قال ان أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي ان كان من اهل الجنة فمن الجنة وان كان من اهل النار فمن النار يقال هذا مقعدك حين يبعثك الله يوم القيامة أورده البخاري ومسلم في الصحيحين وقال أبو عبد الله (ع) ذلك في الدنيا قبل يوم القيامة لأن في القيامة لا يكون غدو وعشي ثم قال ان كانوا يعذبون في النار غدوّاً وعشياً ففيما بين ذلك هم من السعداء لا ولكن هذا في البرزخ قبل يوم القيامة ألم تسمع قوله عز وجل ﴿ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب﴾ وهذا امر لآل فرعون بالدخول أو أمر للملائكة بإدخالهم في أشد العذاب وهو عذاب جهنم .

﴿ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۚ قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ ۗ وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾

[اللغة] التبع يصلح ان يكون مصدراً يقال تبع تبعاً ويجوز ان يكون جمع تابع نحو خادم وخدم وخائل وخول وغائب وغيب .

[الاعراب] او لم تك تأتيكم رسلكم بالبينات التقدير او لم تك القصة وتأتيكم رسلكم تفسير القصة فاسم كان مضمر .

[المعنى] ثم ذكر سبحانه ما يجري بين اهل النار من التحاج فقال ﴿وإذ يتحاجّون في النار﴾ معناه واذكر يا محمد لقومك الوقت الذي يتحاج فيه اهل النار في النار ويتخاصم الرؤساء والاتباع ﴿فيقول الضعفاء﴾ وهم الاتباع ﴿للذين استكبروا﴾ وهم الرؤساء ﴿انا كنا لكم﴾ معاشر الرؤساء ﴿تبعاً﴾ وكنا نمتثل امركم ونجيبكم إلى ما تدعوننا اليه ﴿فهل انتم مغنون عنا نصيباً من النار﴾ لأنه يلزم الرئيس الدفع عن اتباعه والمنقادين لأمره أي هل انتم حاملون عنّا قسطاً من النار والعذاب الذي نحن فيه ﴿قال الذين استكبروا انا كل فيها ﴾اي نحن وانتم في النار وكل فيها مبتدأ وخبر في موضع رفع بانه خبران ويجوز ان يكون كل خبر ان المعنى انا مجتمعون في النار ﴿ان الله قد حكم بين العباد﴾ بذلك وبأن لا يتحمل احد عن احد وانه يعاقب من أشرك به وعبد معه غيره لا محالة ﴿وقال الذين في النار﴾ اي حصلوا في النار من الاتباع والمتبوعين ﴿لخزنة جهنم﴾ وهم الذين يتولون عذاب اهل النار من الملائكة الموكلين بهم ﴿ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً من العذاب﴾ يقولون ذلك لأنه لا طاقة لهم على شدة العذاب ولشدة جزعهم إلا انهم يطمعون في التخفيف لأن معارفهم ضرورية يعلمون ان عقابهم لا ينقطع ولا يخفّف عنهم ﴿قالوا﴾ أي قال الخزنة لهم ﴿أو لم تك تأتيكم رسلكم بالبينات﴾ اي الحجج والدلالات على صحة التوحيد والنبوات اي فكفرتم وعاندتم حتى استحققتم هذا العذاب ﴿قالوا بلى﴾ جاءتنا الرسل والبينات فكذّبناهم وجحدنا نبوتهم ﴿قالوا فادعوا﴾ اي قالت الخزنة فادعوا انتم فإنا لا ندعوا إلا بإذن ولم يؤذن لنا فيه وقيل إنما قالوا ذلك استخفافاً بهم وقيل معناه فادعوا بالويل والثبور ﴿وما دعاء الكافرين إلا في ضلال﴾ اي في ضياع لأنه لا ينتفع به .

﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ
رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾
يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ

ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ
ٱلْكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٤﴾ فَٱصْبِرْ
إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ
وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٥٥﴾

[القراءة] قرأ ابو جعفر وابن كثير وابن عامر واهل البصرة يوم لا تنفع بالتاء والباقون بالياء .

[الحجة] والوجهان حسنان لأن المعذرة والاعتذار بمعنى كما ان الوعظ والموعظة كذلك .

[الاعراب] يوم يقوم الأشهاد محمول على موضع قوله في الحياة الدنيا كما يقال جئتك امس واليوم .

[المعنى] ثم اخبر سبحانه عن نفسه بأنه ينصر رسله ومن صدقهم فقال ﴿إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحيوة الدنيا﴾ اي ننصرهم بوجوه النصر فإن النصر قد يكون بالحجة ويكون أيضاً بالغلبة في المحاربة وذلك بحسب ما تقتضيه الحكمة ويعلمه سبحانه من المصلحة ويكون ايضاً بالألطاف والتأييد وتقوية القلب ويكون بإهلاك العدو وكل هذا قد كان للأنبياء والمؤمنين من قبل الله تعالى فهم منصورون بالحجة على من خالفهم وقد نصروا ايضاً بالقهر على من ناوأهم وقد نصروا بإهلاك عدوّهم وانجائهم مع من آمن معهم وقد يكون النصر بالانتقام لهم كما نصر يحيى بن زكريا لما قتل حين قتل به سبعون الفاً فهم لا محالة منصورون في الدنيا بأحد هذه الوجوه ﴿ويوم يقوم الأشهاد﴾ جمع شاهد مثل الأصحاب جمع صاحب هم الذين يشهدون بالحق للمؤمنين وعلى المبطلين والكافرين يوم القيامة وفي ذلك سرور للمحق وفضيحة للمبطل في ذلك الجمع العظيم وقيل هم الملائكة والأنبياء والمؤمنون عن قتادة وقيل هم الحفظة من الملائكة عن مجاهد يشهدون للرسل بالتبليغ وعلى الكفار بالتكذيب وقيل هم الأنبياء وحدهم يشهدون للناس وعليهم ثم اخبر سبحانه عن ذلك اليوم فقال ﴿يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم﴾ اي ان اعتذروا من كفرهم لم يقبل منهم وان تابوا لم تنفعهم التوبة وإنما نفى ان تنفعهم المعذرة في الآخرة مع كونها نافعة في دار الدنيا

لأن الآخرة دار الإلجاء إلى العمل والملجأ غير محمود على العمل الذي الجيء اليه ﴿ولهم اللعنة﴾ اي البعد من الرحمة والحكم عليهم بدوام العقاب ﴿ولهم سوء الدار﴾ جهنم نعوذ بالله منها ثم بيّن سبحانه نصرته موسى وقومه فقال ﴿ولقد آتينا موسى الهدى﴾ اي اعطيناه التوراة فيها ادلة واضحة على معرفة الله وتوحيده ﴿وأورثنا بني إسرائيل الكتاب﴾ اي وأورثنا من بعد موسى بني إسرائيل التوراة وما فيه من البيان ﴿هدى﴾ اي هو هدى اي دلالة يعرفون بها معالم دينهم ﴿وذكرى لاولي الألباب﴾ اي وتذكير لاولي العقول لأنهم الذين يتمكّنون من الانتفاع به دون من لا عقل له ويجوز ان يكون هدى وذكرى منصوبين على ان يكونا مصدرين وضعاً موضع الحال من الكتاب بمعنى هادياً ومذكراً ويجوز ان يكون بمعنى المفعول له اي للهدى والتذكير ثم امر نبيّه ﷺ بالصبر فقال ﴿فاصبر﴾ يا محمد على اذى قومك وتحمل المشاق في تكذيبهم اياك ﴿إن وعد الله﴾ الذي وعدك به من النصر في الدنيا والثواب في الآخرة ﴿حق﴾ لا خلف فيه ﴿واستغفر لذنبك﴾ من جوّز الصغائر على الأنبياء قال معناه اطلب المغفرة من الله على صغيرة وقعت منك ولعظيم نعمته على الأنبياء كلفهم التوبة من الصغائر ومن لا يجوز ذلك عليهم وهو الصحيح قال هذا تعبّد من الله سبحانه لنبيه ﷺ بالدعاء والاستغفار لكي يزيد في الدرجات وليصير سنة لمن بعده[1] ﴿وسبح بحمد ربك﴾ أي نزّه الله تعالى واعترف بشكره واضافة النعم اليه ونفي التشبيه عنه وقيل نزّه صفاته عن صفات المحدثين ونزّه افعاله عن افعال الظالمين وقيل معناه صلّ بأمر ربك ﴿بالعشي﴾ من زوال الشمس إلى الليل ﴿والابكار﴾ من طلوع الفجر الثاني إلى طلوع الشمس عن مجاهد وقيل يريد الصلوات الخمس عن ابن عباس وروي عن النبي ﷺ أنه قال قال الله جل جلاله يا ابن آدم اذكرني بعد الغداة ساعة وبعد العصر ساعة أكفك ما أهمك .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ

(١) وقد مر ان القرآن نزل بإياك اعني واسمعي يا جاره كما ورد في روايات كثيرة فراجع صفحة ٧٩٠ ـ ٧٩١ المسيح : اسم خص الله به عيسى بن مريم (ع) وقيل في وجه تسميته (ع) بالمسيح وجوه وممن سمى بالمسيح هو الكذاب الدجال قال الشاعر : «اذا المسيح يقتل المسيحا» يعني عيسى بن مريم يقتل الدجال ، وسمى الدجال مسيحا لوجوه ذكرها في اللسان «مسح» فراجع، وروى بعض المحدثين المسيح بكسر الميم والتشديد ـ في الدجال «بوزن سكيت» وقد يستفاد من الروايات ان الدجال رجل من يهود ، قال في الكشاف: في تفسير الآية : وقيل المجادلون هم اليهود وكانوا يقولون يخرج صاحبنا المسيح بن داود يريدون الدجال ويبلغ سلطانه البر والبحر وتسير معه الانهار وهو آية من آيات الله فرجع الينا الملك فسمى الله تمنيهم ذلك كبراً ونفي أن يبلغوا متمناهم .

أَتَىٰهُمْ ۙ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ ۚ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ
هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ
خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَمَا يَسْتَوِى
ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ ۚ
قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ
ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ
ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾

[القراءة] قرأ أهل الكوفة تتذكرون بالتاء والباقون بالياء وقرأ ابو جعفر وابن كثير وابو بكر غير الشموني وسهل سَيُدْخَلون بضم الياء وفتح الخاء والباقون بفتح الياء وضم الخاء .

[الحجة] التاء على قل لهم قليلا ما تتذكرون والياء على أنّ الكفار قليلاً ما يتذكرون وقوله سيدخلون الوجه في في القراءتين ظاهر .

[النزول] نزل قوله ان الذين يجادلون في آيات الله الآية في اليهود لأنهم كانوا يقولون سيخرج المسيح الدجال[٢] فنعينه على محمد واصحابه ونستريح منهم ويردُّ الملك الينا عن ابي العالية .

[المعنى] ثم قال سبحانه ﴿ إن الذين يجادلون ﴾ أي يخاصمون ﴿ في آيات الله ﴾ أي في دفع آيات الله وأبطالها ﴿ بغير سلطان ﴾ أي حجة ﴿ أتيهم ﴾ الله إياها يتسلّط بها على إنكار مذهب يخالف مذهبهم ﴿ إن في صدورهم إلا كبر ﴾ أي ليس في صدورهم إلا عظمة وتكبّر على محمد ﷺ وجبرية ﴿ ما هم ببالغيه ﴾ أي ما هم ببالغي مقتضى تلك العظمة لأن الله تعالى مذلّهم وقيل معناه كبر بحسدك على النبوة التي أكرمك الله بها ما هم ببالغيه لأن الله تعالى يرفع بشرف النبوة من يشاء وقيل ما هم ببالغي وقت خروج الدجال ﴿ فاستعذ بالله ﴾ من شر اليهود والدجال ومن جميع ما يجب الاستعاذة منه ﴿ أنه هو السميع ﴾ لأقوال هؤلاء ﴿البصير ﴾ بضمائرهم وفي هذا تهديد لهم فيما أقدموا عليه ثم قال

سبحانه ﴿ لخلق السماوات والأرض ﴾ مع عظمهما وكثرة أجزائهما ووقوفهما بغير عمد وجريان الفلك والكواكب من غير سبب ﴿ أكبر ﴾ أي أعظم وأهول في النفوس ﴿ من خلق الناس ﴾ وإن كان خلق الناس عظيماً بما فيه من الحياة والحواس المهيّأة لأنواع مختلفة من الإدراكات ﴿ ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ لعدولهم عن الفكر فيه والإستدلال على صحته والمعنى أنهم إذا أقرّوا بأن الله تعالى خلق السماء والأرض فكيف أنكروا قدرته على إحياء الموتى ولكنّهم أعرضوا عن التدبر فحلّوا محل الجاهل الذي لا يعلم شيئاً ﴿ وما يستوي الأعمى والبصير ﴾ أي لا يستوي من أهمل نفسه ومن تفكّر فعرف الحق شبّه الذي لا يتفكر في الدلائل بالأعمى والذي يستدل بها بالبصير ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء ﴾ أي وما يستوي المؤمنون الصالحون ولا الكافر الفاسق في الكرامة والإهانة والهدى والضلال ﴿ قليلاً ما تتذكرون ﴾ يجوز أن تكون ما مزيدة ويجوز أن تكون مصدرية فيكون تقديره قليلاً تذكرهم أي قلّ نظرهم فيما ينبغي أن ينظروا فيه مما دعوا إليه ﴿ إن الساعة ﴾ يعني القيامة ﴿ لآتية ﴾ أي جائية واقعة ﴿ لا ريب فيها ﴾ أي لا شكّ في مجيئها ﴿ ولكن أكثر الناس لا يؤمنون ﴾ أي لا يصدّقون بذلك لجهلهم بالله تعالى وشكّهم في إخباره ﴿ وقال ربكم ادعوني أستجب لكم ﴾ يعني إذا اقتضت المصلحة أجابتكم وكل من يسأل الله شيئاً ويدعوه فلا بدّ أن يشترط المصلحة في ذلك أما لفظاً أو إضماراً وإلا كان قبيحاً لأنه ربما كان داعياً بما يكون فيه مفسدة ولا يشترط انتفاؤها فيكون قبيحاً وقيل معناه وحّدوني واعبدوني أثبكم عن ابن عباس ويدلُّ عليه قول النبي ﷺ الدعاء هو العبادة ولما عبّر عن العبادة بالدعاء جعل الإثابة استجابة ليتجانس اللفظ ﴿ إن الذين يستكبرون عن عبادتي ﴾ ودعائي ﴿ سيدخلون جهنم داخرين ﴾ أي صاغرين ذليلين وفي الآية دلالة على عظم قدر الدعاء عند الله تعالى وعلى فضل الإنقطاع إليه وقد روى معاوية بن عمار قال قلت لأبي عبد الله (ع) جعلني الله فداك ما تقول في رجلين دخلا المسجد جميعاً كان أحدهما أكثر صلاة والآخر دعاء فأيّهما أفضل قال كل حسن قلت قد علمت ولكن أيُّهما أفضل قال أكثرهما دعاء أما تسمع قول الله تعالى ادعوني استجب لكم إلى آخر الآية وقال هي العبادة الكبرى وروى زرارة عن أبي جعفر (ع) في هذه الآية قال هو الدعاء وأفضل العبادة الدعاء وروى حنان بن سدير عن أبيه قال قلت لأبي جعفر أيُّ العبادة أفضل قال ما من شيء أحبُّ إلى الله من أن يسأل ويطلب ما عنده وما أحد أبغض إلى الله عز وجل ممن يستكبر عن عبادته ولا يسأل ما عنده .

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

[المعنى] ثم ذكر سبحانه ما يدل على توحيده فال ﴿ الله الذي جعل لكم ﴾ معاشر الخلق ﴿ الليل ﴾ وهو ما بين غروب الشمس إلى طلوع الفجر الثاني ﴿ لتسكنوا فيه ﴾ أي وغرضه في خلق الليل سكونكم واستراحتكم فيه من كدّ النهار وتعبه ﴿ والنهار مبصراً ﴾ أي وجعل لكم النهار وهو ما بين طلوع الفجر الثاني إلى غروب الشمس مضيئاً تبصرون فيه مواضع حاجاتكم فجعل سبحانه النهار مبصراً لما كان يبصر فيه المبصرون ﴿ إن الله لذو فضل على الناس ﴾ بهذه النعم من غير استحقاق منهم لذلك ولا تقدّم طلب ﴿ ولكن أكثر الناس لا يشكرون ﴾ أي ومع هذا فإن أكثر الناس لا يعترفون بهذه النعم بل يجحدونها ويكفرون بها ثم قال سبحانه مخاطباً لخلقه ﴿ ذلكم الله ربكم ﴾ أي الذي أظهر هذه الدلالات وأنعم بهذه النعم هو الله خالقكم ومالككم ﴿ خالق كل شيء ﴾ من السماوات والأرض وما بينهما ﴿ لا إله إلا هو ﴾ أي لا يستحق العبادة سواه ﴿ فأنى تؤفكون ﴾ أي فكيف تصرفون عن عبادته إلى عبادة غيره مع وضوح الدلالة على توحيده ثم قال سبحانه ﴿ كذلك ﴾ أي مثل ما صرف وإفك هؤلاء ﴿ يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون ﴾ وهم من تقدّمهم من الكفار صرفهم أكابرهم ورؤساؤهم ثم عاد سبحانه إلى ذكر الأدلة على توحيده فقال ﴿ الله الذي جعل لكم الأرض قراراً ﴾ أي مستقراً تستقرّون عليه ﴿ والسماء بناء ﴾ أي

وجعل السماء بناء مرتفعاً فوقها ولو جعلها رتقاً لما أمكن الخلق الإنتفاع بما بينهما ثم قال ﴿ وصوّركم فأحسن صوركم ﴾ لأن صورة ابن آدم أحسن صور الحيوان وقال ابن عباس خلق ابن آدم قائماً معتدلاً يأكل بيده ويتناول بيده وكلّ من خلقه الله يتناول بفيه ﴿ ورزقكم من الطيبات ﴾ لأنه ليس شيء من الحيوان له طيبات المآكل والمشارب مثل ما خلق الله سبحانه لابن آدم فإن أنواع الطيبات واللذات التي خلقها الله تعالى لهم من الثمار وفنون النبات واللحوم وغير ذلك مما لا يحصى كثرة ثم قال ﴿ ذلكم الله ربكم ﴾ أي فاعل هذه الأشياء خالقكم ﴿ فتبارك الله رب العالمين ﴾ أي جلّ الله بأنه الدائم الثابت الذي لم يزل ولا يزال ﴿ هو الحي ﴾ معناه إن الذي أنعم عليكم بهذه النعم هو الحيّ على الإطلاق من غير علة ولا فاعل ولا بنية ﴿ لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين ﴾ أي مخلصين في دعائه وعبادته ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ قال الفراء وهو خبر وفيه إضمار كأنه قال ادعوه واحمدوه على هذه النعم وقولوا الحمد لله رب العالمين وروى مجاهد عن ابن عباس قال من قال لا إله إلا الله فليقل على أثرها الحمد لله رب العالمين يريد قول الله مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين .

﴿ * قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٦﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾

[المعنى] ثم خاطب سبحانه نبيّه ﷺ فقال ﴿ قل ﴾ يا محمد لكفار قومك ﴿ إني نهيت ﴾ أي نهاني الله ﴿ أن أعبد الذين تدعون من دون الله ﴾ أي أوجّه العبادة إلى من تدّعونه من دون الله من الأصنام التي تجعلونها آلهة ﴿ لما جاءني البينات من ربي ﴾ أي حين أتاني الحجج والبراهين من جهة الله تعالى دلّتني على ذلك ﴿ وأمرت ﴾ مع ذلك ﴿ أن أسلم لربّ العالمين ﴾ أي استسلم لأمر رب العالمين الذي يملك تدبير الخلائق أجمعين ثم عاد إلى ذكر الأدلة فقال ﴿ هو الذي خلقكم ﴾ معاشر البشر ﴿ من تراب ﴾ أي خلق أباكم آدم من تراب وأنتم نسله وإليه تنتمون ﴿ ثم من نطفة ﴾ أي ثم أنشأ من ذلك الأصل الذي خلقه من تراب النطفة وهي ماء الرجل والمرأة ﴿ ثم من علقة ﴾ وهي قطعة من الدم ﴿ ثم يخرجكم طفلاً ﴾ أي أطفالاً واحداً واحداً فلذلك ذكره بالتوحيد قال يونس العرب تجعل الطفل للواحد والجماعة قال الله تعالى ﴿ أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ﴾ والمعنى ثم يقلبكم أطواراً إلى أن يخرجكم من أرحام الأمهات أطفالاً صغاراً ﴿ ثم لتبلغوا أشدكم ﴾ وهو حال استكمال القوة وهذا يحتمل أن يكون معطوفاً على معنى قوله ثم يخرجكم طفلاً لتنشأوا وتشبوا ثم لتبلغوا أشدّكم ويحتمل أن يكون معطوفاً على معنى قوله ﴿ نخرجكم طفلاً ﴾ والتقدير لطفوليتكم ثم لتبلغوا أشدّكم ﴿ ثم لتكونوا شيوخاً ﴾ بعد ذلك ﴿ ومنكم من يتوفى من قبل ﴾ أي من قبل أن يصير شيخاً ومن قبل أن يبلغ أشدّه ﴿ ولتبلغوا أجلاً مسمى ﴾ أي وليبلغ كل واحد منكم ما سمي له من الأجل الذي يموت عنده وقيل هذا للقرن الذي تقوم عليهم القيامة والأجل المسمى هو القيامة عن الحسن ﴿ ولعلكم تعقلون ﴾ أي خلقكم لهذه الأغراض التي ذكرها ولكي تتفكّروا في ذلك فتعقلوا ما أنعم الله به عليكم من أنواع النعم واراده منكم من إخلاص العبادة ثم قال ﴿ هو الذي يحيي ويميت ﴾ أي من خلقكم من تراب على هذه الأوصاف التي ذكرها هو الذي يحييكم وهو الذي يميتكم فأوّلكم من تراب وآخركم إلى تراب ﴿ فإذا قضى أمراً فإنّما يقول له كن فيكون ﴾ ومعناه أنه يفعل ذلك من غير أن يتعذر ويمتنع عليه فهو بمنزلة ما يقال له كن فيكون لأنه سبحانه يخاطب المعدوم بالتكوين ﴿ ألم تر إلى الذين يجادلون في آيات الله ﴾ يعني المشركين الذين يخاصمون في إبطال حجج الله ودفعها ﴿ أنى يصرفون ﴾ أي كيف ومن أين يقلبون عن الطريق المستقيم إلى الضلال ولو كانوا يخاصمون في آيات الله بالنظر في صحتها والفكر فيها لما ذمّهم الله تعالى ثم وصفهم سبحانه فقال ﴿ الذين كذّبوا بالكتاب ﴾ أي بالقرآن وجحدوه ﴿ وبما أرسلنا به رسلنا ﴾ أي وكذّبوا بما أرسلنا به من الكتب والشرائع رسلنا قبلك ﴿ فسوف يعلمون ﴾ عاقبة أمرهم إذ حلّ بهم وبال ما جحدوه ونزل بهم عقاب ما ارتكبوه

فيعرفون إن ما دعوتهم إليه حق وما ارتكبوه ضلال وفساد .

﴿ إِذِ ٱلْأَغْلَـٰلُ فِىٓ أَعْنَـٰقِهِمْ وَٱلسَّلَـٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾

[القراءة] قرأ ابن مسعود وابن عباس والسلاسل بفتح اللام يسحبون .

[الحجة] قال ابن جنى تقديره إذ الأغلال في أعناقهم ويسحبون السلاسل فعطف الجملة من الفعل والفاعل على الجملة التي من المبتدأ والخبر كما قد عودل أحداهما بالأخرى نحو قوله :

أَقَيْسَ بْنَ مَسْعُودِ بْنِ قَيْسِ بْنِ خَالِدٍ أَمُوفٍ بِأَذْرَاعِ بْنِ طِيبَةَ أَمْ تُذَمّ

أي أأنت موف بها أم تذم فقابل بالمبتدأ والخبر التي من الفعل والفاعل الجاري مجرى الفاعل[1] .

[اللغة] الأغلال جمع غل وهو طوق يدخل في العنق للذل والألم وأصله الدخول يقال أنغل العنق في الشيء إذا دخل فيه والغلول الخيانة لأنها تصير كالغل في عنق صاحبها السلاسل جمع سلسلة وهي الحلق منتظمة في جهة الطول مستمرة والسحب جرّ الشيء على الأرض هذا أصله والسجر أصله إلقاء الحطب في معظم النار كالتنور الذي يسجر بالوقود والفرح والبطر والأشر نظائر والمرح شدة الفرح وفرس مروح أي نشيط قال :

---

(١) أي قابل بالمبتدأ والخبر وهو قوله « أموف » فإن تقديره « أأنت موف » الجملة التي من الفعل والفاعل وهو قوله « ندم » وهي بمنزلة اسم الفاعل لأن قام زيد مثلاً بمنزلة قائم .

وَلَا يُثْنَى عَلَى الْحَدَثَانِ عِرْضِي وَلَا أُرْخِي مِنَ الْمَرَحِ الْإِزَارَا(٢)

[الإعراب] يسحبون في موضع نصب على الحال تقديره مسحوبين على النار مسجونين فيها والعامل في إذ الأغلال قوله تعالى ﴿ فسوف يعلمون ﴾ إذا لم يوقف على يعلمون ووقف على السلاسل ومن وقف على يعلمون فالعامل في إذ يسحبون .

[المعنى] ثم قال سبحانه ﴿ إذ الأغلال في أعناقهم ﴾ أي يعلمون وبال أمرهم في حال تكون الأغلال في أعناقهم ﴿ والسلاسل يسحبون في الحميم ﴾ أي يجرّون في الماء الحار الذي قد انتهت حرارته ﴿ ثم في النار يسجرون ﴾ أي ثم يقذفون في النار ويلقون فيها وقيل معناه ثم يصيرون وقود النار عن مجاهد والمعنى توقد بهم النار ﴿ قيل لهم ﴾ أي لهؤلاء الكفار إذا دخلوا النار على وجه التوبيخ ﴿ أين ما كنتم تشركون من دون الله ﴾ أي أين ما كنتم تزعمون أنها تنفع وتضر من أصنامكم التي عبدتموها ﴿ قالوا ضلّوا عنا ﴾ أي ضاعوا عنّا وهلكوا فلا نراهم ولا نقدر عليهم ثم يستدركون فيقولون ﴿ بل لم نكن ندعو من قبل شيئاً ﴾ والمعنى لم نكن ندعو شيئاً يستحق العبادة ولا ما ننتفع بعبادته عن الجبائي وقيل بل لم نكن ندعو شيئاً ينفع ويضر ويسمع ويبصر قال أبو مسلم وهذا كما يقال لكل ما لا يغني شيئاً هذا ليس بشيء لأن قولهم ضلّوا عنّا إعتراف بعبادتهم ولأن الآخرة دار إلجاء فهم ملجأون إلى ترك القبيح وقيل معناه ضاعت عباداتنا لهم فلم نكن نصنع شيئاً إذ عبدناها كما يقول المتحسر ما فعلت شيئاً ﴿ كذلك يضلّ الله الكافرين ﴾ معناه كما أضلّ الله أعمال هؤلاء وأبطل ما كانوا يؤمّلونه كذلك يفعل بجميع من يتديّن بالكفر فلا ينتفعون بشيء من أعمالهم وقيل يضلّ الله أعمالهم أي يبطلها عن الحسن وقيل يضلّ الكافرين عن طريق الجنة والثواب كما أضلّهم عمّا إتّخذوه إلهاً بأن صرفهم عن الطمع في نيل منفعة من جهتها عن الجبائي ﴿ ذلكم ﴾ العذاب الذي نزل بكم ﴿ بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون ﴾ قيد الفرح وأطلق المرح لأن الفرح قد يكون بحق فيحمد عليه وقد يكون بالباطل فيذمّ عليه والمرح لا يكون إلا باطلاً ومعناه أن ما فعل بكم جزاء بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق أي بما كان يصيب أنبياء الله تعالى وأولياءه من المكاره وبما كنتم تمرحون أي تأشرون وتبطرون .

---

(٢) ثنى الشيء : عطفه وحدثان الدهر : نوائبه . وأرخى الأزار: أسبله . واللفظ كناية أي لا أفرح من توجه النعم كمالاً ينعطف في النوائب عرضي .

﴿ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ فَٱصْبِرْ ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ قُضِىَ بِٱلْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَلِتَبْلُغُوا۟ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

[المعنى] ثم حكى سبحانه عن هؤلاء الكفار إنه يقال لهم ﴿ أدخلوا أبواب جهنم ﴾ وهي سبعة أبواب ﴿ خالدين فيها ﴾ أي مؤبّدين فيها لا إنقطاع لكربكم فيها ولا نهاية لعقابكم وقيل إنما جعل لجهنم أبواب كما جعل لها دركات تشبيهاً بما يتصور الإنسان في الدنيا من المطابق والسجون والمطامير[1] فإن ذلك أهول وأعظم في الزجر ﴿ فبئس مثوى المتكبّرين ﴾ أي بئس مقام الذين تكبّروا عن عبادة الله تعالى وتجبّروا عن الإنقياد له وإنما أطلق عليه اسم بئس وإن كان حسناً لأن الطبع ينفر عنه كما ينفر العقل عن القبيح فحسن لهذه العلة إسم بئس عليه ثم قال سبحانه لنبيّه ﷺ ﴿ فاصبر ﴾ يا محمد على أذى قومك لك وتكذيبهم إياك ومعناه أثبت على الحق فسمّاه صبراً للمشقة التي تلحق به كما تلحق بتجرع المرّ ولذلك لا يوصف أهل الجنة بالصبر وإن وصفوا بالثبات على الحق وإن كان في الوصف به في الدنيا فضل ولكنّهم يوصفون بالحلم لأنه مدح ليس فيه صفة نقص ﴿ إن وعد الله

(١) المطابق جمع المطبق: السجن تحت الأرض . والمطامير جمع المطمورة: الحفيرة تحت الأرض.

﴿ حق ﴾ معناه أن ما وعد الله به المؤمنين على الصبر من الثواب في الجنة حقّ لا شك فيه بل هو كائن لا محالة وقيل إن وعد الله بالنصر لأنبيائه والانتقام من أعدائه حق وصدق لا خلف فيه ﴿ فإما نرينّك بعض الذي نعدهم ﴾ من العذاب في حياتك وإنما قال بعض الذي نعدهم لأن المعجل من عذابهم في الدنيا هو بعض ما يستحقّونه ﴿ أو نتوفينّك ﴾ قبل أن يحلّ بهم ذلك ﴿ فإلينا يرجعون ﴾ يوم القيامة فنفعل بهم ما يستحقّونه من العقاب ولا يفوتوننا ثم زاد سبحانه في تسلية النبي ﷺ بقوله ﴿ ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك ﴾ يا محمد ﴿ منهم من قصصنا عليك ﴾ قصصهم وأخبارهم ﴿ ومنهم من لم نقصص عليك ﴾ أخبارهم وقيل معناه منهم من تلونا عليك ذكره ومنهم من لم نتل عليك ذكره وروي عن علي (ع) أنه قال بعث الله نبياً أسود لم يقص علينا قصته واختلفت الأخبار في عدد الأنبياء فروي في بعضها أن عددهم مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً وفي بعضها أن عددهم ثمانية آلاف نبيّ أربعة آلاف من بني إسرائيل وأربعة آلاف من غيرهم ﴿ وما كان لرسول أن يأتي بآية ﴾ أي بمعجزة ودلالة ﴿ إلا بإذن الله ﴾ وأمره والمعنى إن الإتيان بالمعجزات ليس إلى الرسول ولكنّه إلى الله تعالى يأتي بها على وجه المصلحة ﴿ فإذا جاء أمر الله ﴾ وهو القيامة ﴿ قضي بالحق ﴾ بين المسلمين والكفار والأبرار والفجار ﴿ وخسر هنالك ﴾ عند ذلك ﴿ المبطلون ﴾ لأنهم يخسرون الجنة ويحصلون في النار بدلاً منها وذلك هو الخسران المبين والمبطل صاحب الباطل ثم عدّد سبحانه نعمه على خلقه فقال ﴿ الله الذي جعل لكم الأنعام ﴾ من الإبل والبقر والغنم ﴿ لتركبوا منها ﴾ أي لتنتفعوا بركوبها ﴿ ومنها تأكلون ﴾ يعني أن بعضها للركوب والأكل كالإبل والبقر وبعضها للأكل كالأغنام وقيل المراد بالأنعام هاهنا الإبل خاصة لأنها التي تركب ويحمل عليها في أكثر العادات واللام في قوله لتركبوا لام الغرض وإذا كان الله تعالى خلق هذه الأنعام وأراد أن ينتفع خلقه بها وكان جل جلاله لا يريد القبيح ولا المباح فلا بدّ أن يكون أراد انتفاعهم بها على وجه القربة إليه والطاعة له ﴿ ولكم فيها منافع ﴾ يعني من جهة ألبانها وأصوافها وأوبارها وأشعارها ﴿ ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم ﴾ بأن تركبوها وتبلغوا المواضع التي تقصدونها بحوائجكم ﴿ وعليها ﴾ أي وعلى الأنعام وهي الإبل هنا ﴿ وعلى الفلك ﴾ أي وعلى السفن ﴿ تحملون ﴾ يعني على الإبل في البر وعلى الفلك في البحر تحملون في الأسفار علم الله سبحانه أنا نحتاج إلى أن نسافر في البرّ والبحر فخلق لنا مركباً للبرّ ومركباً للبحر .

﴿ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾

أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن
قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَمَآ
أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ
فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ
يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ
وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا
رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ
ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾

[المعنى] ثم قال سبحانه مخاطباً للكفار الذين جحدوا آيات الله وأنكروا أدلته الدالة على توحيده ﴿ ويريكم آياته ﴾ أي ويعلّمكم حججه ويعرفكم إياها ومنها إهلاك الأمم الماضية ووجه الآية فيه أنهم بعد حصولهم في النعم صاروا إلى النقم بكفرهم وجحودهم ومنها الآية في خلق الأنعام الّتي قدّم ذكرها ووجه الآية فيها تسخيرها لمنافع الخلق بالتصريف في الوجوه التي قد جعل كل شيء منها لما يصلح له وذلك يقتضي أن الجاعل لذلك قادر على تصريفه عالم بتدبيره ﴿ فأيّ آيات الله تنكرون ﴾ هذا توبيخ لهم على الجحد وقد يكون الإنكار والجحد تارة بأن يجحد أصلاً وتارة بأن يجحد كونها دالة على صحة ما هي دلالة عليه والخلاف يكون في ثلاثة أوجه إما في صحتها في نفسها وإما في كونها دلالة وإما فيهما جميعاً وإنما يجوز من الجهّال دفع الآية بالشبهة مع قوة الآية وضعف الشبهة لأمور (منها) اتباع الهوى ودخول الشبهة التي تغطي على الحجة حتى لا يكون لها في النفس منزلة (ومنها) التقليد لمن ترك النظر في الأمور (ومنها) السبق إلى اعتقاد فاسد لشبهة فيمنع ذلك من توليد النظر للعلم ثم نبّههم سبحانه فقال ﴿ أفلم يسيروا في الأرض ﴾ بأن يمرّوا في جنباتها ﴿ فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم ﴾ عدداً ﴿ وأشدّ قوة ﴾ أي وأعظم قوة ﴿ وآثارا في الأرض ﴾ بالأبنية العظيمة التي بنوها والقصور

المشيدة التي شيّدوها وقيل بمشيهم على أرجلهم على عظم خلقهم عن مجاهد فلما عصوا الله سبحانه وكفروا به وكذّبوا رسله أهلكهم الله واستأصلهم بالعذاب ﴿ فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون ﴾ أي لم يغن عنهم ما كسبوه من البنيان والأموال شيئاً من عذاب الله تعالى وقيل إنّ ما في قوله ﴿ فما أغنى ﴾ بمعنى أي فالمعنى فأيّ شيء أغنى عنهم كسبهم فيكون موضع ما الأولى نصباً وموضع ما الثانية رفعاً ثم قال سبحانه ﴿ فلما جاءتهم رسلهم بالبينات ﴾ أي فلما أتى هؤلاء الكفار رسلهم الذين دعوهم إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له بالحجج والآيات وفي الكلام حذف تقديره لما جاءتهم رسلهم بالبينات فجحدوها وأنكروا دلالتها ووعد الله الرسل بإهلاك أممهم ونجاة قومهم ﴿ فرحوا بما عندهم من العلم ﴾ أي فرح الرسل بما عندهم من العلم بذلك عن الجبائي وقيل معناه فرح الكفار بما عندهم من العلم أي بما كان عندهم أنه علم وهو جهل على الحقيقة لأنهم قالوا نحن أعلم منهم لا نبعث ولا نعذّب واعتقدوا أنه علم فأطلق عليه لفظ العلم على اعتقادهم كما قال حجتهم داحضة وقال ذق إنك أنت العزيز الكريم أي عند نفسك أو عند قومك عن الحسن ومجاهد وقيل معناه فرحوا بالشرك الذي كانوا عليه واعجبوا به وظنوا أنه علم وهو جهل وكفر عن الضحاك قال والمراد بالفرح شدة الإعجاب ﴿ وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن ﴾ أي حلّ بهم ونزل بهم جزاء استهزائهم برسلهم من العذاب والهلاك ﴿ فلما رأوا بأسنا ﴾ أي عذابنا النازل بهم ﴿ قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين ﴾ أي كفرنا بالأصنام والأوثان ﴿ فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا ﴾ أي عند رؤيتهم بأس الله وعذابه لأنهم يصيرون عند ذلك ملجأين وفعل الملجأ لا يستحق به المدح ﴿ سنت الله التي قد خلت من قبل في عباده ﴾ نصب سنة الله على المصدر ومعناه سنَّ الله هذه السنة في الأمم الماضية كلها إذ لا ينفعهم إيمانهم إذا رأوا العذاب والمراد بالسنة هنا الطريقة المستمرة من فعله بأعدائه الجاحدين ﴿ وخسر هنالك الكافرون ﴾ بدخول النار واستحقاق النعمة وفوت الثواب والجنة وبالله التوفيق وحسبنا الله ونعم المولى ونعم النصير .

تمَّ الجزء الثامن من كتاب مجمع البيان لعلوم القرآن

وقد تصدّق لتصحيحه والتعليق عليه العبد المذنب الفاني السيد هاشم الرسولي المحلاتي عفى عنه وعن والديه بحق محمّد وآله الطّاهرين

فهرس المجلد الرابع من مجمع البيان في تفسير القرآن

فهرس الجزء السابع

سورة طه

٣ فضلها

٤ ما أنزلنا عليك القرءان لتشقى الى قوله الأسماء الحسنى .

٦ وهل أتاك حديث موسى . . إلى قوله فتردى .

١١ قال هي عصاي . . . إلى قوله سؤالك يا موسي .

١٦ ولقد منا عليك مرة أخرى إلى قوله . . . أو يخشى .

٢٠ قالا ربنا اننا نخاف ـ إلى ـ فكذب وأبى .

٢٤ قال اجئتنا لنخرجنا من أرضنا الى قوله أنها تسعى .

٣١ فأوجس في نفسه خيفة موسى . . . إلى ـ تزكّى .

٣٥ ولقد أوحينا إلى موسى . . . إلى قوله ـ فأخلفتم موعدي .

٤٠ قالوا ما أخلفنا موعدك ـ إلى قوله ـ سولت لي نفسي .

٤٤ قال فاذهب فإن لك ـ إلى قوله ـ ولا أمتاً

٤٨ يومئذ يتبعون الداعي . . إلى قوله . . له عزماً .

٥٢ وإذ قلنا للملئكة اسجدوا . . إلى قوله . . كنت بصيراً .

٥٦ قال كذلك أتتك آياتنا ـ إلى قوله ـ لعلك ترضى .

٥٨ ولا تمدن عينيك ـ إلى قوله ـ ومن اهتدى .

سورة الأنبياء

٦١ فضلها .

٦١ اقترب للناس حسابهم ـ إلى قوله ـ الأولون .

٦٣ ما أمنت قبلهم من قرية ـ إلى قوله ـ أفلا تعقلون .

٦٥ وكم قصمنا من قرية ـ إلى قوله ـ لا يفترون .

٦٨ أم اتخذوا ءالهة من الأرض ـ إلى قوله ـ أفلا يؤمنون .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

٧٣ وجعلنا في الأرض رواسي ـ إلى قوله ـ وإليه ترجعون .
٧٥ وإذا رءاك الذين كفروا ـ إلى قوله ـ ينظرون .
٧٧ ولقد استهزىء برسل ـ إلى قوله ـ ما ينذرون .
٧٩ ولئن مستهم نفحة من عذاب ـ إلى قوله ـ منكرون
٨٢ ولقد اتينا ابراهيم رشده ـ إلى ـ فجعلناهم الأخسرين .
٨٨ ووهبنا له اسحاق ويعقوب ـ إلى ـ الصالحين .
٨٩ ونوحاً إذ نادى من قبل . . .
٩٣ ولسليمان الريح عاصفة ـ إلى قوله ـ من الصالحين .
٩٥ وذا النون إذ ذهب مغضباً .
٩٧ والتي أحصنت فرجها ـ إلى قوله ـ لا يرجعون .
١٠٠ حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج ـ إلى قوله ـ توعدون .
١٠٣ يوم نطوي السماء كطي السجل ـ إلى قوله ـ على ما تصفون .

سورة الحج

١٠٩ اختلافها ـ فضلها .
١١٠ يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث ـ إلى قوله ـ زوج بهيج .
١١٥ ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير .
١٢١ وكذلك انزلناه آيات بينات ـ إلى قوله ـ ما يشاء .
١٢٢ هذان خصمان اختصموا ـ إلى قوله ـ صراط حميد .
١٢٥ إن الذين كفروا ـ إلى ـ قول الزور .
١٣١ حنفاء لله غير مشركين به ـ إلى قوله ـ ينفقون .
١٣٤ والبدن جعلناها لكم ـ إلى قوله ـ لقوي عزيز .
١٣٩ الذين إن مكناهم في الأرض ـ إلى قوله ـ أصحاب الجحيم .
١٤٣ وما أرسلنا من قبلك من رسول ـ إلى ـ يوم عقيم .
١٤٧ الملك يومئذ لله ـ إلى قوله ـ لرؤوف رحيم .
١٤٩ وهو الذي أحياكم ـ إلى قوله ـ على الله يسير .
١٥٠ ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به .
١٥٣ يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ـ إلى ـ ونعم المصير .

تفسير سورة المؤمنون ـ

١٥٦ فضلها ـ تفسيرها .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

١٥٧ والـذيـن هـم عـلى صـلواتـهـم يحافظون .
١٥٩ ولقد خلقنا الانسان من طين ـ إلى ـ ومنها تأكلون .
١٦٣ وإن لكم في الأنعـام لعبرة ـ إلى ـ حتى حين .
١٦٥ وأوحينا إليه أن أصنع الفلك إلى قوله ـ ليصبحن نادمين .
١٧٠ فأخذتهم الصيحة بالحق ـ إلى ـ قرار معين .
١٧٣ يا أيها الرسل كلوا من الطيبات ـ إلى قوله ـ سابقون .
١٧٦ ولا نكلف نفساً إلا وسعها ـ إلى ـ معرضون .
١٧٩ وانك لتدعوهم إلى صراط مستقيم ـ إلى ـ تعقلون .
١٨٢ قل لمن الأرض ومن فيها ـ إلى ـ يوم يبعثون .
١٨٨ فإذا نفخ في الصور ـ إلى قوله ـ تضحكون .
١٩١ إني جزيتهم اليوم بما صبروا ـ إلى ـ الراحمين .

تفسير سورة النور

١٩٤ فضلها .
١٩٥ الزاني لا ينكح إلا زانية ـ إلى قوله ـ المؤمنين .
١٩٨ والذين يرمون المحصنات ـ إلى قوله ـ تواب حكيم .
٢٠٣ إن الذين جاءوا بالافك عصبة منكم ـ إلى قوله ـ عظيم .
٢٠٧ ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ـ إلى قوله ـ الحق المبين .
٢١٢ يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم ـ إلى ـ لعلكم تفلحون .
٢١٨ وانكحوا الأيامى منكم ـ إلى قوله ـ للمتقين .
٢٢١ الله نور السموات والأرض ـ إلى قوله ـ بغير حساب .
٢٢٨ والذين كفروا أعمالهم كسراب ـ إلى قوله ـ من نور .
٢٣٠ ألم تر أن الله يسبح له من في السموات إلى قوله ـ مستقيم .
٢٣٤ ويقولون أمنا بالله وبالرسول ـ إلى قوله ـ الفائزون
٢٣٧ واقسموا بالله جهد أيمانهم إلى قوله ـ الفاسقون .
٢٤٠ واقيموا الصلاة ـ إلى قوله ـ سميع عليم .
٢٤٤ ليس على الأعمى حرج ـ إلى قوله ـ تعقلون .
٢٤٧ انما المؤمنون ـ إلى قوله ـ عليم .

تفسير سورة الفرقان

٢٥٠ تفسيرها .

٢٥١ واتخذوا من دونه الهة ـ الى قوله ـ قصوراً .

٢٥٤ بل كذبوا بالساعة ـ الى ـ بصيراً .

٢٥٨ وقال الذين لا يرجون لقاءنا ـ إلى قوله ـ مهجوراً .

٢٦٤ وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً ـ إلى قوله ـ نشوراً .

٢٦٧ وإذ رأوك إن يتخذونك ـ الى ـ كفوراً .

٢٧١ ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيراً ـ الى ـ نفوراً .

٢٧٥ تبارك الذي جعل في السماء بروجاً ـ الى ـ رحيماً .

٢٨١ ومن تاب وعمل صالحاً ـ الى قوله ـ لزاماً .

تفسير سورة الشعراء

٢٨٦ فضلها

٢٨٧ تلك آيات الكتاب ـ إلى قوله ـ الرحيم .

٢٨٩ وإذ نادى ربك موسى ـ إلى قوله ـ مبين .

٢٩٤ قال فأت به ـ إلى ـ منقلبون .

٢٩٦ إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا ـ إلى قوله ـ الرحيم .

٣٠١ واتل عليهم نبأ إبراهيم ـ إلى ـ الرحيم .

٣٠٦ كذبت قوم نوح المرسلين ـ إلى ـ الرحيم .

٣٠٨ كذبت عاد المرسلين ـ إلى قوله ـ الرحيم .

٣١١ كذبت ثمود المرسلين ـ إلى قوله ـ الرحيم .

٣١٣ كذبت قوم لوط المرسلين ـ إلى ـ الرحيم .

٣١٥ كذب أصحاب لايكة المرسلين ـ إلى ـ الرحيم .

٣١٧ وانه لتنزيل رب العالمين ـ إلى ـ لمعزولون .

٣٢١ فلا تدع مع الله إلهاً آخر ـ إلى قوله ـ ينقلبون .

تفسير سورة النمل

٣٢٧ فضلها .

٣٢٨ إذ قال موسى لأهله ـ الى قوله ـ المفسدين .

٣٣٣ ولقد أتينا داود ـ إلى قوله ـ الصالحين .

٣٣٧ وتفقد الطير فقال ما لي لا أرى الهدهد ـ إلى قوله ـ العظيم .

٣٤٢ قال سننظر أصدقت ـ إلى قوله ـ صاغرون .

٣٤٦ قال عفريت من الجن ـ إلى قوله ـ العالمين .
٣٥٢ ولقد أرسلنا إلى ثمود ـ إلى قوله ـ يتقون .
٣٥٥ ولوطاً إذ قال لقومه ـ إلى قوله ـ يبعثون .
٣٥٩ وقال الذين كفروا أئذا كنا تراباً ـ الى قوله ـ مبين .
٣٦٣ إن هذا القرءان يقص ـ الى ـ لا ينطقون .
٣٦٧ ألم تروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه ـ إلى قوله ـ تعملون .

سورة القصص

٣٧٣ فضلها ـ تفسيرها .
٣٧٣ تلك آيات الكتاب المبين ـ إلى قوله ـ يحذرون .
٣٧٥ وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه ـ الى قوله ـ المؤمنين .
٣٧٩ وقالت لأخته قصيه ـ الى ـ مضل مبين .
٣٨٢ قال رب إني ظلمت نفسي ـ إلى قوله ـ الناصحين .
٣٨٤ فخرج منها خائفاً ـ إلى قوله ـ الظالمين .
٣٨٨ قالت احداهما يا أبت استأجره ـ الى قوله ـ الغالبون .
٣٩٥ فلما جاءهم موسى بآياتنا ـ الى قوله ـ المقبوحين .
٣٩٨ ولقد آتينا موسى الكتاب ـ إلى قوله ـ الظالمين .
٤٠٢ الذين اتيناهم الكتاب من قبله ـ إلى قوله ـ الجاهلين .
٤٠٤ انك لا تهدي من أحببت ـ إلى قوله ـ تعقلون .
٤٠٧ أفمن وعدناه وعداً حسناً ـ إلى قوله ـ يتساءلون .
٤٠٩ فأما من تاب وعمل صالحاً ـ إلى قوله ـ يفترون .
٤١٢ إن قارون كان من قوم موسى ـ إلى قوله ـ الكافرون .
٤١٩ من جاء بالحسنة فله خير منها ـ إلى قوله ـ ترجعون .

فهرس الجزء الثامن

تفسير سورة العنكبوت

٤٢٥ فضلها ـ تفسيرها .
٤٢٦ أحسب الناس أن يتركوا ـ إلى ـ العليم .
٤٢٨ ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه ـ إلى قوله ـ العالمين .
٤٣١ وليعلمن الله الذين امنوا ـ إلى قوله ـ قدير .
٤٣٥ يعذب من يشاء ويرحم من يشاء ـ إلى ـ ناصرين .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

٤٣٩ فـآمـن لـه لـوط ـ إلـى قـولـه ـ المفسدين .
٤٤١ ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى ـ إلى قوله ـ يعقلون .
٤٤٢ وإلى مدين أخاهم شعيباً ـ إلى قوله ـ ما تصنعون .
٤٤٨ ولا تجادلوا أهل الكتاب ـ إلى قوله ـ نذير مبين .
٤٥١ أو لم يكفهم أن أنـزلنـا عليـك الكتاب ـ إلى ـ تعملون .
٤٥٣ يـا عبادي الـذين امنوا إن أرضي واسعة ـ إلى قوله ـ العليم .
٤٥٦ ولئن سـألتهم من خلق الـسمـوات والأرض ـ الى ـ المحسنين .

تفسير سورة الروم

٤٥٩ فضلها .
٤٥٩ ألـم غلبـت الـروم ـ إلى قـولـه ـ غافلون .
٤٦٢ أو لم يتفكـروا في أنفسهم ـ إلى قوله ـ تنتشرون .
٤٦٨ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً ـ الى ـ تخرجون .
٤٧١ ولـه من في السموات والأرض ـ إلى قوله ـ لا يعلمون .
٤٧٥ منيبين اليـه واتقوه وأقيموا الصلاة ـ الى قوله ـ يشركون .
٤٧٩ ظهر الفساد في البر والبحر ـ إلى قوله ـ الكافرين .
٤٨١ ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات ـ الى ـ قدير .
٤٨٤ ولئن ارسلنا ريحا ـ الى قـولـه ـ يؤفكون .
٤٨٦ وقال الذين أوتوا العلم ـ إلى قوله ـ لا يوقنون .

تفسير سورة لقمان

٤٨٨ فضلها
٤٨٨ تلك ايات الكتاب الحكيم ـ الى قوله ـ زوج كريم .
٤٩٢ هذا خلق الله ـ الى قوله ـ تعملون .
٤٩٥ فصل في ذكر نبذ من حكم لقمان .
٤٩٧ يا بنيّ أنها إن تك مثقال حبة من خردل ـ الى قوله ـ كتاب منير .
٥٠١ وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله ـ الى قوله ـ العلي الكبير .
٥٠٥ ألم تر أن الفلك تجري في البحر ـ إلى قوله ـ خبير .

تفسير سورة السجدة

٥٠٨ فضلها .
٥٠٨ تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب

العالمين ـ الى قوله ـ تعدون .
٥١١ ذلك عالم الغيب والشهادة ـ إلى قوله ـ لا يستكبرون .
٥١٦ تتجافى جنوبهم عن المضاجع ـ إلى قوله ـ تكذبون .
٥١٩ ولنذيقنهم من العذاب الأدنى ـ الى قوله ـ يختلفون .

تفسير سورة الأحزاب

٥٢٤ فضلها .
٥٢٤ يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين ـ الى ـ رحيماً .
٥٢٨ النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ـ إلى قوله ـ الظنونا .
٥٣٣ قصة غزوة الخندق .
٥٤١ هنالك ابتلى المؤمنون ـ الى قوله ـ إلا قليلاً .
٥٤٧ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ـ الى ـ عزيزاً .
٥٥٠ وانزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب ـ الى قوله ـ كريماً .
٥٥٦ يا نساء النبي لستن كأحد من النساء ـ إلى قوله ـ عظيماً .
٥٦١ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة ـ إلى قوله ـ عليماً .
٥٦٧ يا أيها الذين امنوا اذكروا الله ـ الى قوله ـ رحيماً .
٥٧٢ ترجي من تشاء منهن ـ إلى قوله ـ شهيداً .
٥٧٧ إن الله وملائكته يصلون على النبي ـ إلى ـ تبديلاً .
٥٨١ يسئلك الناس عن الساعة ـ إلى قوله ـ وجيهاً .
٥٨٤ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ـ إلى قوله ـ رحيماً .

سورة سبأ

٥٨٨ فضلها ـ تفسيرها .
٥٨٨ يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها ـ إلى قوله ـ أليم .
٥٨١ ويرى الذين أوتوا العلم ـ إلى قوله ـ مئيب .
٥٩٤ ولقد آتينا داود منا فضلاً ـ إلى قوله ـ المهين .
٦٠١ لقد كان لسبأ في مسكنهم اية جنتان ـ إلى قوله ـ شكور .
٦٠٦ ولقد صدق عليهم ابليس ظنه ـ إلى قوله ـ تعملون .
٦١٠ قل يجمع بيننا ربنا ـ إلى قوله ـ بمعذبين .
٦١٤ قل إن ربي يبسط الرزق ـ إلى قوله ـ يعبدون .
٦١٧ قالوا سبحانك أنت ولينا ـ إلى قوله ـ نكير .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

٦١٨ قل إنما أعظكم بواحدة ـ إلى قوله ـ قريب .
٦٢٠ ولو ترى إذ فزعوا ـ إلى قوله ـ مريب .

تفسير سورة فاطر

٦٢٤ فضلها .
٦٢٤ الحمد لله فاطر السموات والأرض ـ الى قوله ـ الغرور .
٦٢٧ إن الشيطان لكم عدو ـ إلى قوله ـ يبور .
٦٢٩ والله خلقكم من تراب ـ إلى قوله ـ بعزيز .
٦٣٢ ولا تزر وازرة وزر أخرى ـ إلى قوله ـ نكير .
٦٣٤ ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء ـ إلى ـ شكور .
٦٣٦ والذي أوحينا إليك من الكتاب ـ إلى قوله ـ لغوب .
٦٤٠ والذين كفروا لهم نار جهنم ـ إلى قوله ـ غروراً .
٦٤٣ إن الله يمسك السموات والأرض ـ إلى قوله ـ بصيراً .

تفسير سورة يس

٦٤٦ فضلها .
٦٤٧ والقرءان الحكيم ـ إلى قوله ـ لا يؤمنون .
٦٥٢ إنما تنذر من اتبع الذكر ـ إلى قوله ـ المرسلين .
٦٥٦ اتبعوا من لا يسألكم أجراً ـ إلى قوله ـ يستهزئون .
٦٦٠ ألم يروا كم أهلكنا قبلهم ـ إلى قوله ـ يسبحون .
٦٦٥ وخلقنا لهم من مثله ما يركبون ـ إلى قوله ـ يرجعون .
٦٦٨ ونفخ في الصور ـ إلى قوله ـ مبين .
٦٧٢ وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم ـ إلى قوله ـ الكافرين .
٦٧٥ أو لم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا ـ إلى ـ ترجعون .

تفسير سورة الصافات

٦٨١ فضلها .
٦٨١ والصافات صفاً ـ إلى قوله ـ ثاقب .
٦٨٥ فاستفتهم أهم أشد خلقاً ـ إلى ـ يوم الدين .
٦٨٧ هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون ـ طاغين .
٦٨٩ فحق علينا قول ربنا ـ إلى قوله ـ يتساءلون .
٦٩٣ قال قائل منهم إني كان لي قرين ـ إلى قوله ـ يهرعون .
٦٩٨ ولقد ضل قبلهم أكثر الأولين ـ إلى

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

قوله ـ الآخرين .
٧٠٠ وإن من شيعته لابراهيم ـ إلى قوله ـ الصالحين .
٧٠٤ فبشرناه بغلام حليم ـ إلى قوله ـ مبين .
٧١١ ولقد منا على موسى وهارون ـ إلى قوله ـ المؤمنين .
٧١٤ وإن لوطاً لمن المرسلين ـ إلى قوله ـ إلى حين .
٧١٧ فاستفتهم ألربك البنات ـ إلى قوله ـ يعلمون .
٧٢٠ ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا ـ إلى قوله ـ العالمين .

تفسير سورة ص

٧٢٣ فضلها .
٧٢٣ والقرءان ذي الذكر ـ إلى قوله ـ عجاب .
٧٢٦ وانطلق الملأ منهم ـ إلى قوله ـ الأسباب .
٧٢٨ جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب ـ إلى قوله ـ الخطاب .
٧٣٢ وهل أتاك نبأ الخصم ـ إلى قوله ـ مآب .
٧٣٦ يا داود أنا جعلناك خليفة في الأرض ـ إلى قوله ـ الألباب .
٧٣٨ ووهبنا لداود سليمان ـ إلى قوله ـ مآب .
٧٤٤ واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه ـ إلى قوله ـ نفاد .
٧٥١ هذا وإن للطاغين لشر مآب ـ إلى قوله ـ نذير .
٧٥٦ إذ قال ربك للملائكة ـ إلى قوله ـ المخلصين .
٧٥٨ قال فالحق والحق أقول ـ إلى قوله ـ بعد حين .

تفسير سورة الزمر

٧٦٠ فضلها .
٧٦٠ تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ـ الى قوله ـ الغفار .
٧٦٣ خلقكم من نفس واحدة ـ الى قوله ـ حساب .
٧٦٨ قل إني أمرت أن أعبد الله ـ إلى قوله ـ الميعاد .
٧٧١ ألم تر أن الله أنزل من السماء ـ إلى قوله ـ لا يشعرون .
٧٧٤ فأذاقهم الله الخزي ـ الى قوله ـ يعملون .
٧٧٧ أليس الله بكاف عبده ـ الى قوله ـ عذاب مقيم .
٧٧٩ إنا أنزلنا الكتاب للناس بالحق ـ الى قوله ـ يستبشرون .
٧٨٢ قل اللهم فاطر السموات والأرض ـ

إلى قوله ـ يكسبون .

٧٨٤ فأصابهم سيئات ما كسبوا ـ إلى قوله ـ تشعرون .

٧٨٥ أن تقول نفس يا حسرتي على ما فرطت ـ إلى ـ للمتكبرين .

٧٨٨ وينجي الله الذين اتقوا ـ إلى قوله ـ الشاكرين .

٧٩٠ وما قدروا الله حق قدره ـ إلى قوله ـ يفعلون .

٧٩٣ وسيق الذين كفروا إلى جهنم ـ إلى قوله ـ العالمين .

تفسير سورة غافر

٧٩٧ فضلها .

٧٩٨ تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم ـ إلى قوله ـ عقاب .

٨٠٠ وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا ـ إلى قوله ـ فتكفرون .

٨٠٣ قالوا ربنا أمتنا اثنتين ـ إلى قوله ـ سريع الحساب .

٨٠٦ وأنذرهم يوم الأزفة ـ إلى قوله ـ البصير .

٨٠٧ أو لم يسيروا في الأرض ـ إلى قوله ـ في ضلال .

٨٠٩ وقال فرعون ذروني أقتل موسى ـ إلى قوله ـ الأحزاب .

٨١٢ مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود ـ إلى قوله ـ جبار .

٨١٤ وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحاً ـ إلى قوله ـ بغير حساب .

٨١٦ ويا قوم مالي ادعوكم إلى النجاة ـ إلى قوله ـ العذاب .

٨١٨ وإذ يتحاجون في النار ـ إلى قوله ـ في ضلال .

٨١٩ إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا ـ إلى قوله ـ والإبكار .

٨٢١ إن الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان ـ إلى قوله ـ داخرين .

٨٢٤ الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه ـ إلى قوله ـ العالمين .

٨٢٥ قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله ـ إلى قوله ـ يعلمون .

٨٢٧ إذ الأغلال في أعناقهم ـ إلى قوله ـ تمرحون .

٨٢٩ ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها ـ إلى قوله ـ تحملون .

٨٣٠ ويريكم آياته فأي آيات الله تنكرون إلى قوله ـ الكافرون .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى